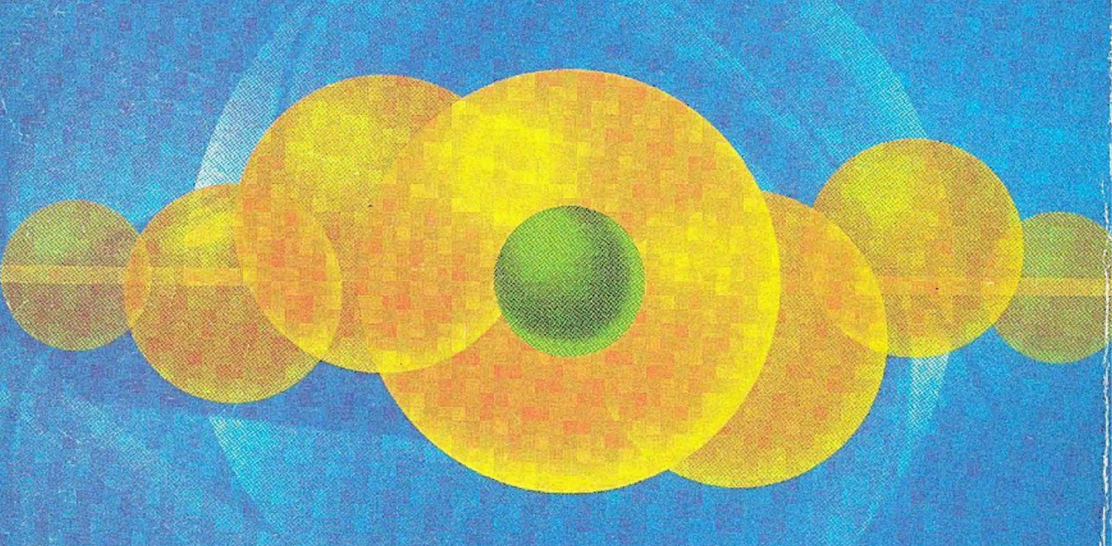
د. طريف شوقى محمد فرج

المهارات الاجتماعية والاتصالية

دراسات وبحوث نفسية





المهارات الاجتماعية والاتصالية

دراسات وبحوث نفسية

تأليف

د. طريف شوقى محمد فرج

أستاذ ورئيس قسم علم النفس

كلية آداب بنى سويف - جامعة القاهرة



الـكـتـاب : المهارات الاجتماعية والاتصالية

المؤلـف : د/ طريف شوقى محمد فرج

رقـم الإيـداع : ١٧٤١٧

تـاريـخ الـنشـر : ٢٠٠٣

الترقيم الدولى I. S. B. N. 977 - 215 -678 - 4

الـنـاشـر دار غـريـب للطـبـاعـة والـنشـر والـتوزيـع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

الـتـوزيـع دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

«قيمة المرء بما يُحسن» .

الإمام على بن أبى طالب



إهداء

إلى رفيقة عمرى وشريكة أفراحى وأتراحى ... إيمان عزام

وإلى ثمرة توافقنا وأمل عمرنا ... آية ومحمود وعمرو



المحتويات

المقدمــة

من بين الظواهر الإيجابية التى بزغت على ساحة الإنتاج الفكرى العربى فى مجال العلوم السلوكية ظهور كتابات علمية متخصصة فى موضوعات عديدة، تتسم بالعمق والإحكام كتبها جيل جديد من الباحثين الواعدين الذين يؤمل أن يتحقق على أيديهم تقدم مطرد على كل من المستوى البحثى والتطبيقى فى العلوم السلوكية المعاصرة فى عالمنا العربى.

واتساقا مع وإيمانا بهذا التوجه فقد حاولت بوصفى متخصصا فى علم النفس الاجتماعى أن أجرى مجموعة من الدراسات والبحوث تتمركز بشكل خاص حول مجال المهارات الاجتماعية والاتصالية، وذلك على مدى السنوات العشر الماضية بغية تحقيق زملة من الأهداف منها: **إتاحة الفرصة** للقارئ العربى للإطلاع على أحد الجهود المعاصرة فى ذلك المجال البحثى الذى يتسم بأهمية خاصة على كل من المستوى الشخصى والمجتمعى، **ويتمثل** الهدف الثانى فى إستعراض وتمثل العديد من النتائج التى تمخضت عنها تلك البحوث والوقوف على مدى إمكانية توظيفها على المستوى الواقعى لخدمة الفرد وتعظيم استفادته منها فى حياته اليومية على نحو يجسر الفجوة بين العلم وما يصل إليه من قوانين ونتائج وبين واقعه المعاش بما يمكنه من تقليص معاناته والحد من الآثار السلبية للمشكلات الشخصية والعملية والاجتماعية التى يواجهها، **يضاف** إلى ذلك أن تجميع تلك النوعية المتجانسة من البحوث فى مجلد واحد سيجعل من اليسير على القارئ العزيز الاطلاع على جهودى البحثية على نحو لن يتاح له فى حالة وجودها متفرقة فى أوعية علمية متنوعة، مكانيا وزمانيا، وهو ما سيمكننى كباحث من تلقى تقييماتكم لما أكتب على نحو من شأنه إثراء جهودى البحثية اللاحقة من خلال أخذ تلك الآراء الناقدة فى الحسبان،

وأخيرا فإننى آمل من خلال هذا العمل تشجيع شباب الباحثين على أن يسيروا فى هذا المضمار أى بذل المزيد من الجهود المتواصلة فى مجال بحثى معين عبر الزمن بما يسمح بتراكم قدر من المعرفة العلمية التى من شأنها دفع الثقافة العربية دوما إلى الأمام. حرى بالذكر أن الدراسات والبحوث التى يحويها هذا المجلد تنتظم فى محورين أساسيين. يتضمن **المحور الأول** الدراسات والبحوث المتعلقة بالمهارات الاجتماعية حيث أفرد الباحث **الدراسة الأولى** وهى ذات طابع نظرى للوقوف على طبيعة المهارات الاجتماعية، ومكوناتها، وكيفية قياسها، وعوامل نشأتها مع التركيز على دور العوامل والأبنية المعرفية فى تلك العملية فضلا عن أساليب تنميتها. أما البحث الثانى فيدور حول « **محددات السلوك التوكيدى** » بوصفه أحد المهارات الاجتماعية الرئيسية لفهم الكيفية التى تتشكل بها تلك المهارة، ويعرض **البحث الثالث** لأحد تطبيقات مهارة توكيد الذات فى مجال التوافق الزواجى، وطبيعة الدور الذى يمارسه مدى تطابق مستوى توكيد الذات لدى الزوجين فى تحديد وتحقيق التوافق الزواجى بينهما، ويعبر **البحث الرابع** عن جانب تطبيقى آخر للمهارات الاجتماعية لدى القادة الإداريين قوامه كيف يدركون القصور فى مهاراتهم وقدراتهم الشخصية وما يمارسونه، بناء على ذلك، من أساليب للتغلب عليها ذاتيا من منطلق أن الشخص الأكثر مهارة أكثر وعيا وانتباها لذاته، وتقييما لها بشكل واقعى وأكثر قدرة على تخطيط، وتنفيذ، استراتيجيات متنوعة لتنميتها، **وحاولنا كذلك** الاقتراب من منطقة بحثية تكاد تكون غير مطروقة قوامها الاستخدام الماهر لأساليب التخفف من الأسى الناتج عن وفاة الأزواج من قبل الأرملات على نحو يعجل بخروجهن من تلك الحالة. **وفى ختام** هذا المحور عرضنا لحالة نموذجية تجسد القطب السلبى للمهارة الاجتماعية فى أدنى مستوياتها حيث الفشل فى مواجهة المشكلات الشخصية كما يتمثل فى قضية هروب الفتيات من الأسرة كأسلوب غير ماهر اجتماعيا لمواجهة المشكلات التى يعانينها فى السياق الأسرى والاجتماعى المحيط بهن، وحاولنا الكشف عن العوامل المسئولة عن ذلك حتى يتم تلافيها مستقبلا.

أما **المحور الثانى** والمعنى بالمهارات الاتصالية فقد انصب جهد الباحث فيه على التعامل مع مهارة اتصالية لم تلق القدر الملائم من الاهتمام على الرغم من دورها المحورى فى الثقافة العربية آلا وهى **مهارة المحاجة** والتى تعنى قدرة الفرد على تفنيد حجج الطرف الآخر وإقناعه بما يطرحه عليه من حجج حين يتجادلون حول مسألة خلافية. وقد انصب اهتمام **البحث الأول** فى هذا المحور على الكشف عن أبعاد سلوك المحاجة توطئة لقياس تلك المهارة وفهم العوامل التى تكمن خلفها فضلا عن سبل تنميتها فى الثقافة المصرية، فى حين انصب اهتمام البحث الثانى على كيفية **ارتقاء مهارات المحاجة** من خلال الدراسة المستعرضة لفئات عمرية متنوعة تتراوح أعمارها بين ١٢ إلى ٢١ عاما، وهى شريحة عمرية تعكس مراحل نمائية حرجة تجتازها تلك المهارات.

أما **البحث الأخير** فقد كان مناط اهتمامه دراسة الاتجاه نحو المحاجة وعلاقته بكل من العدوان والتوكيد والتخصص على أساس أن اتجاه الفرد يحدد سلوكه، ومن ثم فإن الوقوف على طبيعة الاتجاهات السائدة فى بعض القطاعات الاجتماعية نحو المحاجة من شأنه أن يساعدنا على التنبؤ بطبيعة الممارسات الحجاجية فيها، ومن ثم تخطيط أساليب تدخلية - وقائية للتعامل الصحى معها.

وفى الختام لا يسعنى سوى الإشارة إلى أن هذه البحوث ما هى إلا محاولة للفت الأنظار إلى هذه المجالات البحثية الخصبة التى يحسن بجيل شباب الباحثين ارتيادها والتوصل إلى مزيد من المكتشفات بشأنها بما يزيد من رقعة تطبيقاتها الميدانية لتحسين نوعية حياة مواطنينا. ومن فضل القول أنها تعد نماذج أولية، ومن ثم يجب النظر إليها كنقطة بداية لسلسلة من البحوث التى ينوى الباحث القيام بها إما بشخصه أو بالتعاون مع بعض الباحثين النابهين الذين يتتلمذوا على يديه، أو بواسطة باحثين آخرين يمكنهم فعل ذلك بشكل مستقل. **ومن باب نسبة** الفضل لأهله فإنه حرى بى أن أتوجه بجزيل شكرى وتقديرى إلى رأس هذه المؤسسة العريقة - دار غريب الأستاذ **هانى غريب**، الذى يقدم لنا نافذة عريضة للالتقاء بك عزيزى القارئ فى أبهى حلة، ولا يدخر وسعا فى توفير كافة الإمكانات لإخراج هذا العمل

بهذه الصورة الرصينة - وآمل **فى النهاية** قارئى الكريم أن يسهم هذا العمل فى تنمية رصيدك من المخزون الثقافى الذى نعتقد أنه زادنا فى مسيرة استعادة هويتنا، وريادتنا، الحضارية، واستئناف إسهامنا فى صنع الحضارة القادمة، كما فعل أسلافنا من قبل، بدلا من الوقوف فى صفوف مستهلكيها.

الباحث

د. طريف شوقى

القاهرة فى، ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٢





المهارات الاجتماعية من منظور معرفي

(مراجعة نقدية) (*)

(*) قدمت هذه المراجعة من الباحث كأحد متطلبات الترقى لدرجة أستاذ فى علم النفس فى يناير - ٢٠٠١

مقدمة :

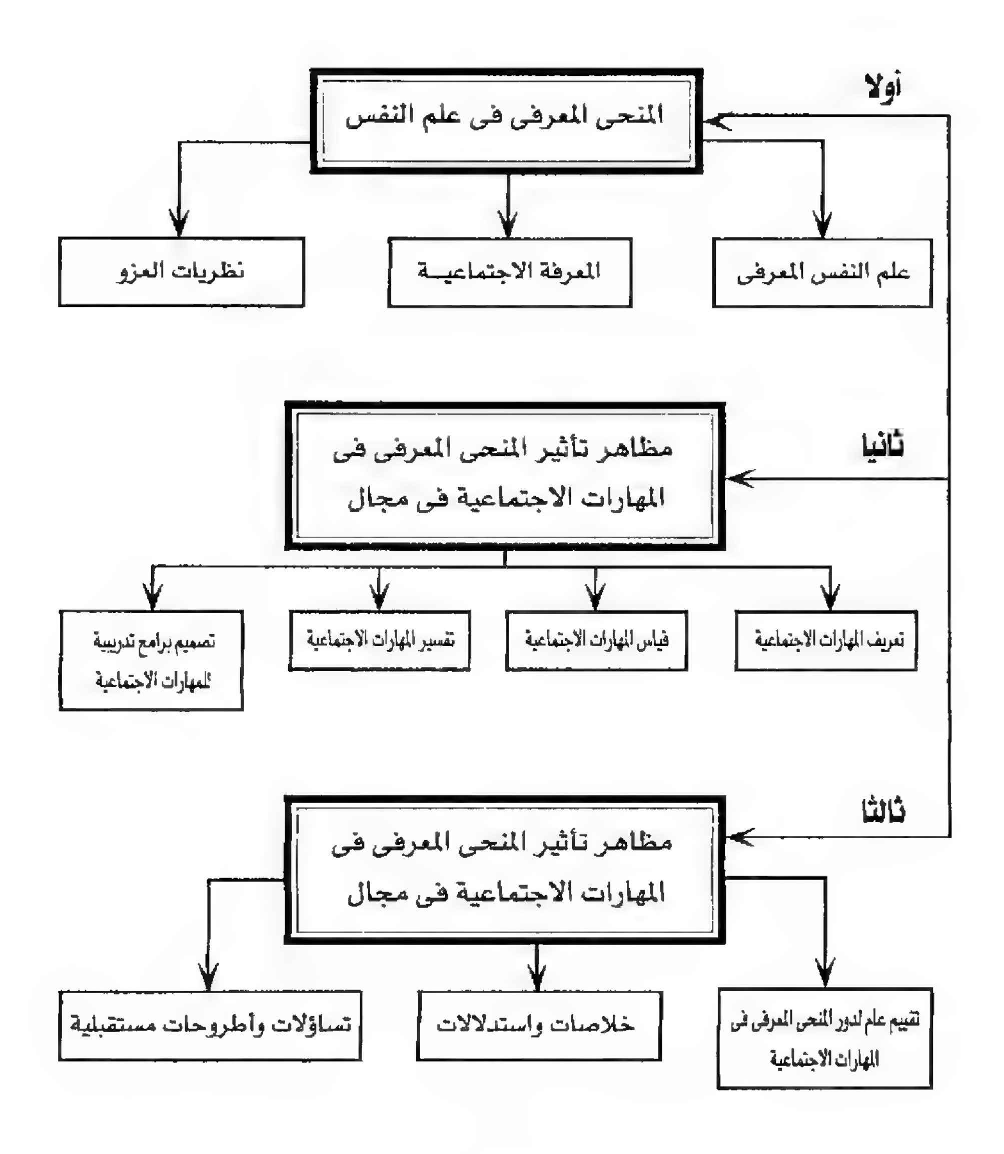
يعزى الاهتمام بالمهارات الاجتماعية إلى كونها من العناصر المهمة التى تحدد طبيعة التفاعلات اليومية للفرد مع المحيطين به فى السياقات المختلفة، والتى تعد فى حالة اتصافها بالكفاءة من ركائز التوافق النفسى على المستوى الشخصى والمجتمعى. وحين نُفصِّل القول **فى المزايا المترتبة على ارتفاع مستوى تلك المهارات** سنخالها متعددة ومن أبرزها: **تمكين** الفرد من إقامة علاقات وثيقة مع المحيطين به ؛ والحفاظ عليها، من منطلق أن إقامة علاقات ودية من بين المؤشرات الهامة للكفاءة فى العلاقات الشخصية. فالفرد كما يشير كارليون يحيا فى ظل شبكة من العلاقات التى تتضمن الوالدين، والأقران، والأقارب، والمعلمين، ومن ثم فإن نمو تلك المهارات ضرورى للشروع فى إقامة علاقات شخصية ناجحة، ومستمرة، معهم (carlyon, 1997)، وقدم بعض الباحثين تفسيرًا لذلك الموقف قوامه أننا حين نفحص محتوى المهارات الاجتماعيه سنجدها تتضمن مهارات اتصالية متنوعه تعمل على توطيد أواصر الصلة مع الآخرين، كالمحادثة، والتى تحدد طبيعة أسلوب التواصل بين الأشخاص، ونمط علاقاتهم (Nofsinger, 1991)، والقدرة على فهم مغزى رسائلهم غير اللفظية، والاستجابة لها، والإفصاح عن الذات، والتى تعنى الانفتاح على الآخر، وفتح خطوط اتصالية معه مما يعمل على تقليل المسافات النفسية بينهما، وهى مهارة يوضح « ألتمان وتايلور» ultman & taylor أنها مركزية لنمو العلاقات الوثيقة حيث يصعب تصور قيام علاقة وثيقة بين فردين بمعزل عن قدر مناسب منها، يتبادله الطرفان، وينمو بالتدريج، من حيث العمق والاتساع، عبر تاريخ العلاقة (Collins & Miller, 1994)، فضلا عن الإنصات، وتفهم الآخرين، ومشاركتهم وجدانيا، وتقديم يد العون لهم. **وتيسر** المهارات الاجتماعية المرتفعة على الفرد، أيضًا، إدارة علاقات العمل سواء مع الزملاء، أو الرؤساء، أو المرءوسين بطريقة أفضل،

وتجنبه نشوء الصراعات معهم، وحلها، إن حدثت، بصورة فعالة، **ومواجهة المواقف المحرجة**، والتخلص من المأزق بكفاءة، ومن ثم الشعور بفعاليته الذاتية نتيجة لذلك، **والتخفف من** التوتر الشخصى الزائد للاستمتاع بالحياة (شوقى، ١٩٩٨، ٢٥)، وهناك زاوية أخرى فى الموضوع تتمثل فى أن تلك المهارات تساعد الفرد على **الاستفادة من الآخرين**، فالمنصت الجيد، مثلاً، ليس محبوبًا فقط من المحيطين به بل إنه سيعرف، كما يقول « ويلسون وميزنر» Wilson & Mizner، أشياء جيدة منهم (Schmidt & Meneley, 1990)، فضلا عن أن الأقران سيوفرون للفرد الماهر اجتماعيًا حين يتفاعل معهم بشكل مكثف فرصة لتعلم المزيد من السلوكيات الاجتماعية الإيجابية، وتشير الدراسات فى هذا الصدد إلى أن الأطفال الذين لديهم عددٌ أكبر من الأصدقاء يميلون لأن يكونوا أكثر إيثارًا، وتقديرًا لذواتهم، وينمو لديهم العديد من المهارات المعرفية مقارنة بمن لديهم صداقات أقل (Vough et al , 2000)، يضاف إلى ذلك أن **التفاعل مع الآخرين** يسهم، جزئيا، فى تحديد طبيعة تصورات الفرد عن نفسه، والتى يتوقع فى حالة الماهرين اجتماعيًا أن تكون ذات طابع إيجابى (Burn & Nowicki, 1997)، ويضيف « جنكيز » بعدًا طريفًا فى المسألة يتعلق بالباحثين أنفسهم حين يقول بأن **توفر المهارات** الاجتماعية يعد أمرا ضروريا للباحث نظرا لأن طبيعة مهامه تتطلب المواجهة والتواصل مع الآخرين، وترسيخ الشعور بالألفة معهم فى فترة وجيزة (Jenkins, 1999) وعلى الجانب **الآخر فإن انخفاض مستوى المهارات الاجتماعية** قد يفسر ذلك **الإخفاق** الذى يعانيه البعض فى مواقف التفاعل الاجتماعى والذى يتمثل فى عدم استثمار الفرص المتاحة لإقامة علاقات ودية مع المحيطين به، وعدم الحصول على الموقع المناسب فى العمل، والمكانه الملائمة بين الزملاء، (شوقى، ١٩٨٩ ;، Bruch et al 1999)، فضلاً على أنه قد **يسبب للفرد** العديد من الصعوبات من قبيل انخفاض احتمال التغلب على الخلافات فى العلاقات الشخصية، بل وتأجيجها، أحيانًا، على نحو قد تصل معه إلى صراعات عنيفة، **ويرتبط نقص** المهارات الاجتماعية أيضا ببعض المشكلات السلوكية والنفسية من قبيل التعاطى، وتشير نتائج دراسات «سويف

وآخرون» فى هذا المقام إلى أن الخضوع لضغوط الأقران، والذى يعد أحد أوجه قصور المهارات الاجتماعية، من أهم العوامل المؤدية لبدء التعاطى (شوقى، ١٩٨٨)، وكذلك فإنه قد **يعوق التحصيل الدراسى**، وتفاقم الشعور بالفشل، وصعوبة الاندماج مع جماعة الأقران فى الفصل (Quinn et al , 1995)، ويوضح «سجرين » Segrin أن هناك علاقة دالة بين المهارات الاجتماعية **الضعيفة والاكتئاب** » وهناك دراسات عديدة تؤيد ذلك منها تلك الدراسة التى أجراها «شان» والتى تشير إلى أن الطلاب الصينيين الأكثر اكتئابًا كانوا أقل توكيدا مقارنة بالأقل اكتئابا (Chan, 1993)، وفى دراسة أخرى قام بها « نزليك وزملاؤه »، . Nezlek et al حول التفاعلات الاجتماعية اليومية لمجموعة من مرتفعى الاكتئاب مقارنة بمجموعة من منخفضيه لمدة ثلاثة أسابيع، تبين أن مجموعة المكتئبين لديهم علاقات محدودة وأقل وثاقة بالمحيطين بهم مقارنة بغير المكتئبين (Gable & Shean, 2000)، وبطبيعة الحال لا تعد هذه النتائج مستغربة، ذلك أن منخفضى المهارات الاجتماعية يصعب عليهم الإفصاح عن مشاعرهم، والإفضاء بما يحملونه من هموم، وما يشعرون به من معاناة للآخرين، ويميلون بدلاً من ذلك إلى اجترارها ذاتيًا مما يضخم من آثارها السلبية، على المستوى النفسى، والبدنى، وهو ما يؤدى إلى ظهور بعض الأعراض الاكتئابية المزاجية والنفسجسمية لديهم.

يضاف إلى ذلك أن ذوى المهارات الاجتماعية المنخفضة لديهم **صعوبة فى فهم وتفسير سلوك**، ومقاصد، الآخرين على نحو قد يستدعى ردود أفعال دفاعية قد تؤثر سلبا على العلاقة معهم، كان من الممكن تجنبها فى حالة الفهم الدقيق لسلوكهم. ومن هذا المنطلق فإنه قد أصبح من المتفق عليه أن المهارات الاجتماعية من المحددات الرئيسية لنجاح الفرد أو فشله فى المواقف الاجتماعية المتنوعة (Rathjen , 1983)، فهى التى تمكنه، فى حالة ارتفاعها، من أداء الاستجابة المناسبة للموقف بفعالية، وفى المقابل فإن ضعفها يعد، كما يشير «فوكس وسانيل» Fox & Sanell أكثر العوائق فى سبيل توافق الفرد مع الآخرين (Carlyon, 1997; Lorr et al ., 1991).

نظرا لما سبق ذكره من مظاهر لأهمية المهارات الاجتماعية فى تحديد طبيعة علاقات الفرد ومدى توافقه مع الآخرين فقد ظهرت بحوث كثيرة تناولتها من زوايا متعددة تتعلق بمكوناتها، وكيفية قياسها، وتكونها، وعلاقتها بغيرها من المتغيرات الجوهرية الأخرى، وسبل تنميتها. وعلى الرغم من أهمية تلك الجوانب إلا أن اهتمامنا فى هذا المقام سينصب، لاعتبارات عملية، على الكشف عن دور المنظور المعرفى فى إثراء فهمنا للمهارات الاجتماعية فضلا عن آثاره على سبل معالجة الباحثين لها. وحتى نتمكن من إنجاز تلك المهمة يقترح الباحث **تصورا متعدد الخطوات**، والأبعاد، قوامه البدء ببيان طبيعة **المنحى المعرفى فى علم النفس** ومقوماته الأساسية التى تتمثل فى علم النفس المعرفى والمعرفة الاجتماعية، والعزو مع الإشارة إلى ما تمخض عنه من دراسات وبحوث مكنت الباحثين من الوقوف على طبيعة المتغيرات والعمليات المعرفية المؤثرة فى المهارات الاجتماعية، ومن هذا المنطلق يمكن اعتباره السبيل الذى يتجسد من خلاله المنظور المعرفى، ويوضع موضع التنفيذ. ثم نسعى للوقوف على **طبيعة آثار المنحى المعرفى** على دراسات المهارات الاجتماعية، والتى يتوقع أنها تتمثل فى تأثيره فى تعريفها، وقياسها، ومحدداتها، وأساليب تنميتها، **ويتلو ذلك بيان آفاق التطور** المستقبلى لدراسات المهارات الاجتماعية فى ظل النظرة التكاملية للمناحى السائدة فى مجال علم النفس بشكل عام، والاجتماعى بشكل خاص، لإثراء تلك الفئة من الدراسات. ويحوى الشكل التالى رقم (١) نموذجًا توضيحيًا لذلك التصور.



شكل رقم (١)

تصور مقترح حول طبيعة العلاقة بين المنحى المعرفى والمهارات الاجتماعية

أولاً : المنحى المعرفى فى علم النفس :

حرى بنا قبيل التحدث عن المنحى المعرفى فى علم النفس التطرق أولا إلى نقطة البداية فى هذا الموضوع ألا وهى **المعرفة Cognition**، والتى تُعرف بأنها «لفظ عام يطلق على جميع أشكال الوعى، والإدراك، والتصور، والاستدلال، والحكم، والتخيل » (goldenson., 1984 : جابر وكفافى، ١٩٨٩)، **وتتمثل أهمية** المعرفة فى أنها تتضمن معالجة المعلومات المتاحة واستخدامها فى فهم وتفسير البيئة بصورة مناسبة، من خلال مجموعة من الأبنية المعرفية (المخططات والأمثلة النموذجية) والعمليات المعرفية (الاستدلال، اتخاذ القرار، التذكر) والتى يصعب فهم السلوك البشرى، بدرجة كافية، بدون الرجوع إليها (Morley ct al ., 1983; Planalp & fitness, 1999) – وحين نعود إلى الوراء للبحث **عن جذور مفهوم المعرفة** سنجد أنها كانت، ومازالت، تشكل أحد المباحث الرئيسية للفلسفة ألا وهو **نظرية المعرفة** Epistemology، والذى يهتم بالبحث فى طبيعة المعرفة الإنسانية، ومصادر اكتسابها (الاستقراء، الاستنباط، الحدس) ومجالاتها (العالم المادى والعقلى)، ويعد **أفلاطون** أحد روادها الأوائل، والذى نادى بما يسمى **بالنظرية العقلانية** فى المعرفة، وتتألف المعرفة لديه من إدراك العلاقات بين الصور، وأن موضوعها هو الصور المنبثة فى المادة، وقد أثرت نظريته حول عالم المثل والذى يعكس صورًا عقلية للواقع المحسوس يمكن إدراكها بعقولنا (كالأبنية والمخططات العقلية للأشياء) فى التصورات اللاحقة للمعرفة (زيدان، ١٩٨٩، ٧–٨، ٢١ – ٢٣). وقد **تجدد** الاهتمام بالمعرفة على أيدى العديد من الفلاسفة الغربيين فى القرنين المنصرمين مثل : لوك، وهيوم، وبيركلى، وقد ظهر تأثيرهم جليا على نظرة علم النفس للمعرفة فى بداياته على أيدى فونت **ومعاصريه** فى نهايات القرن التاسع عشر، ففى هذه الحقبة كان الطابع الغالب لعلم النفس هو التجريب بيد أن « **فونت**» قد استخدم الاستبطان المُدرّب كوسيلة لفهم المعرفة (Taylor , 1998)، والتى اعتبرها الهدف الرئيسى لعلم النفس حينئذ، إلا أنها كانت ذات طابع أولى يحوطها العديد من عوامل الذاتية، ومن ثم فإنها كانت أكثر عرضة

للخطأ البشرى (Greenwood, 1989 , 3)، وهو ما دعا الباحثين إلى ضرورة الاعتماد على بيانات قابلة للملاحظة، والإعادة، ومن ثم تحولوا من الداخل إلى الخارج (السلوك) والذى تجلى فى ظهور السلوكية الأمريكية فى بدايات القرن العشرين على أيدى **«واطسون»**، ومن بعده « ثورندايك»، و « سكنر» بهدف ترسيخ الهوية العلمية لعلم النفس فى هذه الحقبة التأسيسية، وفى ظل المناخ الذى سيطرت عليه السلوكية أصبحت المعرفة كلمة غير مرغوبة فى علم النفس على مدى نصف قرن تقريبا، حيث انصب الاهتمام على السلوك الظاهر كاستجابة لمنبهات قابلة للملاحظة فى البيئة كدالة للأساليب الجزائية وجداول التدعيم (Hogg & Vaughan, 1998, 42). وعلى الرغم من التطورات التى ظهرت فى المنحى السلوكى والتى تمثلت فى الاعتراف بوجود متغيرات معرفية وسيطة مثل **الخرائط المعرفية «لتولمان»**، إلا أن السلوكيين لم يولوا الجوانب المعرفية القدر الذى يتناسب مع أهميتها فى صياغة السلوك، ومما يجسد ذلك ما وجهه « سكنر » من نقد للمفاهيم المعرفية « لتولمان» حيث أشار إلى أنها موجودة، ولكنها لا تمارس دورًا مفيدًا فى تفسير والتنبؤ بالسلوك (Greenwood, 1989 , 25 - 26). وبدأ الاهتمام فى **الخمسينيات يتزايد بالجوانب المعرفية** لأسباب عديدة منها أن المنحى السلوكى لم ينجح فى إدراك الواقع الحقيقى للظاهرة النفسية حيث يفترض أن السلوك دالة للعديد من العمليات الداخلية (المعرفية والدافعية)، والخارجية (البيئية الطبيعية والثقافية)، يضاف إلى ذلك أن السلوكية لم تكن كافية لتفسير بعض الظواهر النفسية كاللغة والاتصال الإنسانى كما يقول عالم اللغويات النفسية « تشومسكى » Chomsky فالجوانب الرمزية المعقدة للغة يصعب فهمها من خلال عمليات التشريط، فضلا عن ظهور منحى معالجة المعلومات، والذى أصبح موضوعا مركزيا فى علم النفس، ومما ساعد على ذلك أيضا انتشار الحواسب الآلية التى مكنت الباحثين من فهم العمليات العقلية المعقدة من خلال مضاهاتها بالعمليات الحاسوبية (Taylor, 1998). ونظرا لأهمية الأبنية والعمليات المعرفية ودورها الجوهرى فى نشأة وتفسير السلوك

الإنسانى كان لابد من دراستها، بنائيًا ووظيفيًا، حتى يتحقق للباحثين المزيد من الفهم الأعمق للظواهر النفسية، ومن هنا **ظهر المنحى المعرفى** فى علم النفس والذى أنيط به إنجاز تلك المهمة، وحرى بالذكر أن هذا المنحى قام على مجموعة **من المسلمات** التى تحكم نظرته للمعرفة البشرية مفادها أن الأفكار، والاتجاهات، والمشاعر أبنية فرضية معرفية، وأنها تمارس تأثيرا فى السلوك والمزاج، وأنه يمكن تغييرها من خلال أساليب إعادة التشكيل المعرفى، وأن تغيرها سيصحبه تغيرا فى سلوك الشخص ومزاجه أيضا (Morley . 1983)، **وقد تمثل المنحى** المعرفى فى عدد من المقومات سنعرض لأكثرها بروزًا أو ارتباطًا بالمهارات الاجتماعية بوصفها الموضوع الرئيسى فى هذا المقام، ألا وهى :

(أ) علم النفس المعرفى.

(ب) المعرفة الاجتماعية.

(جـ) نظريات العزو.

(أ) علم النفس المعرفى:

ظهر علم النفس المعرفى Cognitive Psychology بعدما ساد عدم الرضا عن المناحى السابقة، وبوجه خاص المنحى السلوكى، ونجح فى أن يقدم نظرة أكثر عمقا حول الكائن الاجتماعى، وثمة جذور له فى أعمال « إيمانويل كانت » نقد العقل الخالص » (الذى صدر عام ١٧٨٥) والذى حاول فيه استكشاف طبيعة وحدود المعرفة البشرية، وأشار للدور الفاعل للمدرك الاجتماعى فى إدراك وتفسير الموضوعات المُدركة، وقال بأننا لا نعرف الناس والأشياء على حقيقتها أو كما هى عليه بالفعل، بل نراها كما نستنتج أنها عليه (Taylor, 1998)، أى بلغة علماء النفس المعرفى إن أسلوب معالجة الفرد للمعلومات الخارجية هو الذى يحدد طبيعة تفسيره لها، وهو ما يفسر أن أكثر من فرد يدركون نفس الظاهرة بطرق مختلفة، فالنصح قد يستثير استجابة ممتنة من فرد، ورافضة من آخر بينما يتجاهله ثالث. ومن

الأسباب الأخرى التى أدت إلى بزوغه بجانب تزايد الرفض للسلوكية اضطراد البحث فى مجال الذاكرة، وظهور نظريات الذكاء الاصطناعى، وعلم فسيولوجيا الأعصاب، وقد تلقى ذلك العلم دفعة مهمة من أعمال « جان بياحيه » والذى استخدم مفاهيم، أصبحت أساسية فيه الآن، مثل الأبنية المعرفية، والمخططات، والتمثيل، والمواءمة (الزيات، ١٩٩٨، ٣٦ - ٣٧؛ السيد، ١٩٩٥، ٢٢).

وهو فرع يتسم بالنمو السريع ويسعى لاستكشاف ودراسة الأبنية والعمليات المعرفية الكامنة خلف النشاط العقلى من خلال الاستدلال من السلوك، كبديل للمناحى السابقة إما التى كانت تدرس العقل من خلال الاستبطان، أو تدرس السلوك فقط (Goldenson, 1984). **وموضوع علم** النفس المعرفى هو « الدراسة العلمية للكيفية التى نكتسب بها معلوماتنا عن العالم، والكيفية التى نتمثل بها هذه المعلومات، ونحولها إلى علم ومعرفة، وكيفية الاحتفاظ بها واستخدامها فى إثارة انتباهنا وسلوكنا، ويحيط علم النفس المعرفى بكل العمليات النفسية بدءًا من الإحساس، والإدراك، والتعرف على النمط، والانتباه، والتعلم، والتذكر، وتكوين المفاهيم، والتفكير، والتصور الذهنى، والتمثيل، واللغة، والذكاء، والانفعال (سولسو، ١٩٩٦، ٢ -٣) **وكانت بداية ميلاد علم** النفس المعرفى عام (١٩٥٦) حيث عقدت ندوة مهمة فى معهد ماساشوستش للتقنية (MIT) تناولت محاور علم النفس المعرفى المعاصر، وناقشت عددًا من البحوث البارزة التى أجريت حول موضوعات تندرج فى مجاله كالانتباه والتذكر، وتجهيز المعلومات، وحل المشكلات، وتلا ذلك ظهور كتاب « علم النفس المعرفى » الذى ألفه العالم الأيرلندى الشهير « إيرلك نيسار » UrlicNeisser عام (١٩٦٧)، ثم صدرت مجلة « علم النفس المعرفى » عام (١٩٧٠) كمنفذ لنشر البحوث التى تراكمت فى مجال هذا العلم فى تلك الحقبة (الزيات، ١٩٩٨، ٣٤ ؛ سولسو، ١٩٦٦، ٢ - ٣)، وحرى بالذكر أن **المفاهيم الرئيسية** لهذا العلم تمثلت فى :

- **العمليات المعرفية** Cognitive Processes : كالانتباه، الإدراك، التفكير، حل المشكلات، ومعالجة المعلومات.

- **البنية المعرفية** Cognitive Structure : ويعرفها « أوزوبل » Ausubel بأنها «إطار يتضمن مجموعة منظمة من الحقائق، والمفاهيم، والقضايا، والتعميمات، والنظريات، ذات التنظيم المعرفى تحتل فيه المفاهيم والأفكار المجردة قمة هذا التنظيم، وتحتل فيه المفاهيم النوعية البسيطة قاعدته، ومن أمثلتها المخططات والأمثلة النموذجية (الزيات، ١٩٩٨، ٢١٢).

- **التمثيل المعرفى** Cognitive Representativeness : تحويل دلالات الصياغات الرمزية (كلمات، رموز، مفاهيم). والصياغات الشكلية (أشكال، رسوم، صور) إلى معانٍ وأفكار وتصورات ذهنية ثم استدخالها واستيعابها لتصبح جزءًا من نسيج البناء المعرفى الدائم للفرد، وأدواته المعرفية فى التعامل مع العالم من حوله (نفس المرجع السابق، ٢٣٤).

- **الاستراتيجيات المعرفية** Cognitive Strategies : ويعرفها «دانسيرو» Dansereau, - بأنها « مجموعة من العمليات، أو الخطوات، التى يمكن للفرد أن يستخدمها لتيسير اكتساب المعلومات، وتخزينها، والاحتفاظ بها، وتوصيفها، والاستفادة منها » (الزيات، ١٩٩٦و ٤٣٢).

- **ما وراء المعرفة** Meta Cognition : يعرفها « فلافيل » Flavell بأنها «معرفة الفرد بما يتعلق بعملياته المعرفية (نفس المرجع السابق، ٤٠٠).

ومما يجدر التنويه إليه أن تلك المفاهيم أصبحت ذات أهمية ملحوظة فى صياغة الأساليب والنماذج العملية لفهم والتعامل مع المهارات الاجتماعية لاحقًا.

(ب) المعرفة الاجتماعية :

ابتداء يمكن النظر للمعرفة الإنسانية، كما يشير « فورجاس»، على أنها «منتج اجتماعى» (Forgas, 1981)، فهى تتبع، على حد قول « ماجواير»، من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، وتتعامل مع موضوعات اجتماعية، ويشارك فيها أفراد مجتمع معين، ويمكن نقلها بالاتصال الشخصى فيما بينهم (Mcguire, 1999, 337). وقد

ظهرت المعرفة الاجتماعية Social cognition فى نهاية السبعينيات كنسق يجمع بين علم النفس المعرفى، وعلم النفس الاجتماعى، فبينما يعنى علم النفس المعرفى بالأبنية والعمليات المعرفية الكامنة خلف السلوك بشكل عام، فإن علماء النفس الاجتماعى، من خلال المعرفة الاجتماعية، وظفوا ما توصل إليه علم النفس المعرفى من مبادئ ومفاهيم ونماذج معرفية فى فهم الأسس المعرفية للسلوك الاجتماعى، والكيفية التى يدرك بها الفرد، ويعالج المعلومات الخاصة بالعالم الاجتماعى المحيط به بمختلف صورها، وهو ما يبرر وجود فهم، قد يكون متفردًا أحيانًا، أو مختلفًا إلى حد ما لنفس المنبهات الخارجية عبر الأفراد نظرا لتدخل عمليات المعالجة المعرفية الاجتماعية داخل الفرد،وهو ما سمح بتفسير العديد من الظواهر النفسية الاجتماعية بعد ما كان ذلك صعبًا فى ظل تجاهل منحى المعرفة الاجتماعية (Fine, 1999)، أى أن المعرفة الاجتماعية تتوسط بين العالم الخارجى وما يفعله الناس، ونستطيع على الرغم من أنها أحداث عقلية أن نستدل عليها مما يقوله الناس، أو يكتبونه، أو يفعلونه، (Hogg & Vaughan, 1998,42)، **وتعرف المعرفة الاجتماعية** بأنها: «الطريقة التى نفسر بها، ونحلل، ونتذكر، ونستدل، ونستخدم المعلومات حول العالم الاجتماعى المحيط بنا، وحول أنفسنا أيضا »، فنحن حين نتفاعل مع الناس نحصل على العديد من المعلومات منهم وعنهم، ونصنفها فى فئات، ونستخدمها فى اتخاذ القرارات، بشأنهم، وتفسير سلوكهم، والتنبؤ بأفعالهم، (Baron & Byrne, 1997 , 76; Small , 1990, 416)، وينظر المنحى المعرفى إلى عقل الفرد بوصفه نسق معالجة معلومات، فالمعلومة تُدرك من العالم الخارجى، وتعالج خلال نسق معرفى ويترتب على ذلك القرار بإصدار سلوك اجتماعى، وتتعامل مرحلة معالجة المعلومات مع مشكلات التسجيل، والترميز، والتنظيم، والتفسيرات الأولية للمعلومات وكيف ترتبط بالأبنية المعرفية السابق وجودها، وكيف تختلف التمثيلات العقلية للمنبهات عن صورتها الأولية، ومحددات وكيفية الاسترجاع المعرفى (Corsini , 1994)، **وثمة زيادة كبيرة** فى الحقبة الحالية فى البحوث فى مجال المعرفة الاجتماعية حتى إن

«تايلور » يشير إلى أن (٨٥٪) من البحوث المنشورة فى مجلة علم النفس الاجتماعى والشخصية تتبنى منحى المعرفة الاجتماعية (Taylor, 1998)، وتعنى هذه البحوث بموضوعات من قبيل التمثيلات المعرفية وذاكرة الأحداث المتصلة بالفرد، والمخططات والوجدان، والتوقعات فى العلاقات الشخصية (Fine , 1999)، والعمليات الاستدلالية الناتجة عن التمثيل المعرفى (Mcguire, 1999, 336)، ودور الطرق الاستدلالية المختصرة فى معالجة المعلومات الاجتماعية، والذات فى الإطار المعرفى الاجتماعى وما يرتبط بها من موضوعات فرعية مثل مراقبة الذات، وتحيز تحسين الذات، وارتقاء المعرفة الاجتماعية، والمعرفة الاجتماعية والوجدان، ودور الذاكرة طويلة المدى فى عمليات الاستدلال الاجتماعى والعلاقات الشخصية (Strauman . 1994)، وعمليات الحكم واتخاذ القرار، والإدراك الشخصى والمخططات الاجتماعية (Buss & Kenrich . 1998)، ولكن وعلى الرغم من أهمية علم النفس المعرفى فى إثراء علم النفس الاجتماعى من خلال ترسيخ منحى المعرفة الاجتماعية داخله إلا أنه **يجب التنويه إلى** أن الطابع المعرفى كان موجودا فى علم النفس الاجتماعى قبل ذلك، وإن كان بمستوى وطبيعة مختلفة نسبيًا، فعلم النفس الاجتماعى كان ذو طابع معرفى، أو أن النظريات المعرفية كان لها جذور فيه منذ أعمال **ولفجانج كهلر وكيرت كافكا** Wolfgang Kohler & Kurt Kffka فى علم نفس الجشتالت من الثلاثينات، واستمد الطابع المعرفى أيضًا من نظرية المجال **لكيرت ليفين** Kurt Lewin فى الأربعينيات، والتى تعاملت مع الطريقة التى يمثل بها الناس معالم البيئة الاجتماعية، فنظرت للسلوك الاجتماعى كدالة لتصورات الناس حول عالمهم، ومعالجاتهم لهذه التصورات، وظهرت فى الخمسينات نظرية **الاتساق المعرفى لفستنجر**، وأسهمت فيه أيضا جهود «**برودبنت**» Broadbent كما تمثلت فى كتابه «الإدراك والاتصال » الذى صدر عام (١٩٥٨)، وكذلك كتاب « **ميلر**» Miller «الخطط وبنية السلوك» بعده بسنتين، فضلا عن نظريات **العزو** التى بدأت فى الظهور فى نهاية الخمسينات، ومنتصف ونهاية الستينات على أيدى كل من « **هيدر وجونز وديفز وكيللى** »

على التوالى والتى كانت جميعا ذات طابع معرفى مهد لتقبل الصبغة المعرفية الأكثر إحكامًا، وتعقدًا، وتجريدًا لتفسير السلوك الاجتماعى فى ضوء منحى المعرفة الاجتماعية الذى ظهر فى السبعينات وهو ما يحدو بنا للقول بأن علم النفس المعرفى، وهكذا المعرفة الاجتماعية، قاما بتنشيط Cognitivation المفاهيم المعرفية فى علم النفس الاجتماعى (Hogg, Vaughan , 1998 , 21 ‘ Jones, 1998).

وسنركز فى هذا السياق على استعراض أكثر مكونات المعرفة الاجتماعية استقطابًا لجهود الباحثين فى هذا المضمار والتى تتمثل فى :

١ - المخططات المعرفية الاجتماعية : وهو عبارة عن الأبنية المعرفية أو الأطر التى تسمح، كما تشير « فيسك وتايلور » Fiske & Taylor، لنا بتنظيم قدر كبير من المعلومات المتنوعة بطريقة فعالة.

٢ - الاستدلال الاجتماعى.

وفيما يلى نعرض لكل مكون من هذين المكونين بصورة مفصلة.

١- المخططات المعرفية الاجتماعية:

- مع أن مفهوم **المخطط** Schema له تاريخ طويل نسبيا فى علم النفس حيث اقترحه «**بارتلت**» Bartlett عام (١٩٣٢) إبان بحوثه فى الذاكرة غير الاجتماعية، والتى ركز فيها على فهم الطرق التى تقوم بها الذاكرة بتنظيم المعلومات لتيسير الفهم، والسلوك (Hogg & Vaughan, 1998, 96) إلا أنه أصبح فيما بعد له دور مهم فى علم النفس الاجتماعى كما يشير « هاستى » Hastie (Corsini, 1994). **ويعرف المخطط** بأنه « بناء منظم لمجموعة من المعارف التى تخزن فى الذاكرة، حول موضوعات، أو مواقف، أو أشخاص أو أحداث أو سلسلة من الإجراءات فى موقف معين , Wafford) (1994. وللمخططات وظائف متعددة فى السلوك الاجتماعى من بينها.

- بما أنها تعد أطرًا تتضمن معلومات متعلقة بمواقف أو أحداث نوعية فهى، حالما تكونت، تساعدنا فى التصرف فى **المواقف التالية المشابهة**، فحين يكون لديك مخطط

لسلوك الناس فى الحفلات فإنه بمجرد حضورك لحفلة ينشط هذا المخطط، ويساعدك على التصرف وفقًا له فيها (كيف تقدم نفسك، كيف تدير حديثًا خاطفًا، كيف تنهى لقاء بسرعة) (Byrne & Baron,1997, 77; Wafford, 1994)

- **تساعدنا** فى تفسير المواقف والأحداث، والقيام بعمليات استنتاج وإصدار الأحكام (سولسو، ١٩٩٦، ٧٩) .

- **تؤثر** بشكل مباشر فى عمليات **الانتباه والتذكر**. فنحن ننتبه للمعلومات أو الأحداث غير المتسقة مع مخططاتنا، أكثر من المتسقة، فهى غير متوقعة، فعلى سبيل المثال إذا ذهبت إلى طبيبة أسنان وقالت لك افتح فمك (ما يتسق مع حدث زيارة طبيب أسنان) فهذا لن يثير انتباهك أما إذا وقفت فى منتصف الغرفة وبدأت في الغناء فهذا سيثير انتباهك لأنه غير متسق مع مخطط هذا الحدث. وبما أننا نسجل فى الذاكرة ما ننتبه إليه، وندركه، فإن هناك احتمالاً أكبر لتسجيل تلك الأحداث غير المتسقة مع المخطط وبالتالى زيادة احتمال استرجاعها (Baron & Byrne, 1997, 77).

- وثمة زاوية لفهم دور المخطط فى **تيسير التذكر** فكما هو معروف فإن عملية التذكر تتضمن ثلاث عمليات هى الترميز والتخزين، والاسترجاع، وتتطلب عملية الترميز، غالبًا، إضفاء علاقات أو ربط البيانات أو المعلومات الجديدة بمعلومة سابقة (اسم، عنوان، صورة أو شىء آخر) بطريقة تيسر العثور على البيانات المخزنة فى وقت لاحق (السيد، ١٩٩١)، وهنا تأتى مهمة المخطط فهو الوعاء الذى يتم فيه هذا التخزين، وتلك الروابط، والإضافات.

ومن ثم يمكننا القول بأن عدم الاهتمام بدور المخططات سيجعل من الصعب علينا فهم سلوك البشر، فعلى سبيل المثال يختلف سلوك الأبناء فى التعامل مع الآباء عبر الثقافات كدالة لطبيعة مخطط الوالد، وأسلوب التعامل معه فى أذهان أبناء كل منها، ولكن وعلى الرغم من المزايا التى توفرها تلك المخططات فى تيسير معالجة

المعلومات الواردة إلى الفرد، وتوجيه سلوكه فى المواقف الاجتماعية إلا أنه **فى المقابل قد ينتج عنها**، كما يرى تاشفيل Tajfel، بعض الآثار السلبية من قبيل أنها تشجع على النظرة النمطية للآخرين، وما قد يترتب على ذلك من إصدار أحكام عامة عليهم دونما مراعاة جوانب التفرد لدى كل منهم، (خليفة، ١٩٨٩).

وفيما يتصل بكيفية نشأة وتشكل المخططات فإنها تتشكل كما يوضح «ماندلار» Mandler بناء على الخبرة الماضية بموضوعات، أو مشاهد، أو أحداث، وتنتظم فى مجموعة من التوقعات حول الكيفية التى تبدو بها الأشياء أو النظام الذى تحدث وفقا له، فعندما نتفاعل مع أناس فى مواقف مختلفة فإن المخططات تتولد وتخزن فى المخ، وعندما نواجه مواقف كثيرة مشابهة تصبح المخططات أكثر تنظيمًا، وقابلية للاستخدام حين يستدعى الأمر ذلك : وتحدث عملية اشتقاق المخطط على كل من **المستوى الاستقرانى** (من أسفل لأعلى)، ذلك أنه عندما لا يكون لدى الفرد معلومات مسبقة، أو محدودة، عن مو قف معين فهذا مما يقلل من فرصة توليد مخطط حول الموضوع (شخص عين حديثًا فى منصب قيادى)، ومن ثم فإنه يتأثر بطبيعة المعلومات الآتية من البيئة ذاتها، ويحاول اشتقاق مخطط من خلال ملاحظاته لقادة سابقين والسماع من المحيطين به، وقراءة معلومات عن القادة المتميزين على نحو يوجه سلوكه لاحقًا (ابتسامات أقل، حديث حازم، قرار حاسم) وهى ما يسميه «براور» Brewer اشتقاق المخطط من البيانات استقرائيًا Data Driven، أو على **المستوى الاستنباطى** (من أعلى لأسفل) حيث يكون لدى الفرد المخطط، ويقوم بتطبيقه على مواقف مشابهة مفردة أى تطبيق المخطط استنباطيا على البيانات Schema Driven. كما يشير « فورجاس» Forgas (Nishida et al , 1998)، وهناك عدة **أنواع رئيسية** من المخططات هى :

– **مخطط الشخص** Person Schema : ويتضمن معلومات ومعارف الفرد حول أشخاص معينين (فلان من الناس، صديق، شخص معروف)، فهو على سبيل المثال، متعاون، ودود، ومنصت.

- **مخطط الدور** Role Schema : معلومات الفرد حول الأدوار الاجتماعية والمهنية المختلفة (أب، معلم، ضابط)، وطبيعة الأفعال والمهام التى يقوم من يشغل تلك الأدوار بأدائها، كالأب، مثلاً، فهو يتحمل مسئوليات، ويتخذ قرارات، ويوفر احتياجات، ويكافئ ويعاقب.

- **مخطط الحدث** Event Schema : ويطلق عليه أحيانًا السيناريو Script، وهو عبارة عن مخطط يتضمن التتابع الزمنى لمجموعة من السلوكيات التى يجب حدوثها فى موقف معين، والتسلسل الذى تحدث وفقًا له، من قبيل سلسلة الأفعال والسلوكيات التى يجب أن تحدث فى موقف زيارة تعارف اجتماعى، أو إلقاء ندوة علمية (خليفة، ١٩٨٩؛ العنزى، ٢٠٠٠، ٦٢ ; Nishida et al ., 1998) فعلى سبيل المثال عندما تذهب إلى مطعم فإنك تتوقع أن يقابلك شخص، ويقودك إلى مقعد، ويسجل طلباتك، ويحضرها ثم يقدم لك فاتورة، ويشكرك، ومن ثم سيكون مثيرًا للدهشة لو حدث سيناريو غير ذلك كأن يجىء ليجلس معك. إن مخطط الحدث يزودنا بوسيلة عقلية لفهم المعلومات الاجتماعية فى سياق معلوماتى اكتسبناه من قبل، وهو ما يوفر مجهودنا العقلى لاحقًا (Baron & Byrne, 1997, 77) أى تخزن فيها القواعد السلوكية التى تمكن الفرد من أداء السلوك المناسب فى موقف معين، ومن هذا المنطلق يتوقع أن تؤثر فى علاقاتنا الشخصية.

- **مخطط الذات** Self Schema: ويتضمن معلومات الفرد حول ذاته كأن يعتقد أنه صبور، متفوق، ومؤثر، ويأخذ هذا المخطط، كما يشير هيجانز Higgins، عدة صور : الذات كما هى، والذات كما يود الفرد أن تكون عليه، وما يجب أن تكون عليه الذات (Nishida et al ., 1998).

- **المثال النموذجى** Prototype : ويحوى الخصائص الأساسية لأفراد المجموعة أو الفئة التى يمثلها النموذج (قائد، عامل، زميل)، ويصف الخصائص التى يتصف بها العضو النموذجى للفئة (فالقائد : منصت، لبق، مؤكد لذاته، متسامح، حازم) والذى سنقارن فى ضوئه الأعضاء الجدد فيها (Baron & Byrne, 1997, 81) .

وحرى بالذكر أن « واير وجوردان » Wyer & Gordon يميزان بين المثال النموذجى والمخطط بناء على مستوى التنظيم فالمخطط أكثر تنظيمًا وأقل نوعية بيد أن البعض يستخدمهما كمترادفين **فالمثال النموذجى إحدى صور المخططات**، وهو ما يراه الباحث، (Hogg & Vaughan , 1998, 96). وفى دراسة **تكشف عن أهمية المثال النموذجى فى تشكيل السلوك الاجتماعى** أجراها « جيبسون وماكوى » Gibbson & Mccoy قاما فيها بدراسة امكانية التنبؤ بالانخراط فى أنشطة جنسية غير مشروعة حيث طلبا من المبحوثين وهم فتيان تتراوح أعمارهم بين ١٣ - ١٤ عامًا أن يصفو المثال النموذجى للبنت التى تحمل، والفتى المسئول عن ذلك، وتبين أن من كان لديهم ميل للانخراط فى هذا السلوك، من الذكور، وصفوا المثال النموذجى للفتى المسئول عن ذلك بصفات محببة (خفيف الظل، ذكى، محبوب)، وأدركوا أنفسهم أنهم يشبهونه بدرجة مرتفعة. أى أن طبيعة المثال النموذجى الذى يتبناه الفرد حول مرتكب هذا السلوك، وإدراك مدى التشابه معه منبئ قوى بالانخراط فيه. وثمة أمثلة واقعية تدعم هذا التصور فى حياتنا اليومية فعندما نطلب من فرد وصف المدخن النموذجى، ويدلى بصفات سلبية حوله (مستهتر، سيئ) ويصفه آخر بأنه (جاد، ذكى) فهو ما يقلل من احتمال انخراط الأول فى هذا السلوك ويزيد من احتمال انخراط الثانى (Baron & Byrne, 1997, 81). ومن المتوقع أن الصفات التى يحملها الفرد للصديق النموذجى، مثلا، ستؤثر فى قراره بعقد علاقة مع شخص معين أم لا كدالة لتشابه ذلك الفرد مع ذلك المثال النموذجى.

٢- الاستدلال الاجتماعى :

يعد الاستدلال الاجتماعى Social Inference لب المعرفة الاجتماعية، ويشير إلى العمليات التى نستخدم بها المعلومات لنشكل انطباعات ونصدر أحكامًا، ويعالج الناس المعلومات عادة إما من خلال طرق نظامية بواسطة **النماذج المعيارية** Normative Models (استقراء، استنباط، استنتاج)، أو اعتمادًا على طرق استدلالية مختصرة،

كما يشير منطوق نظرية المقتصد المعرفى Cognitive Miser، وتتمثل طبيعة **الطرق الاستدلالية المختصرة** Heuristics، والتى سنركز عليها فى هذا المقام، فى تبسيط عمليات إصدار الأحكام فهى موفرة للجهد حيث تمكننا من التعامل مع كمية كبيرة من المعلومات الاجتماعية فى وقت قصير بيد أنها أقل دقة وعرضة لأشكال متعددة من الأخطاء والتحيزات (Langston & Sykes, 1997; Nisbett & Ross , 1983; Tversky & Kahneman, 1982) ويميل الناس إلى استخدام تلك الطرق حين يواجهون حالة **الفيض المعلوماتى** Information Overload ، وهى الحالة التى تتجاوز فيها المعلومات المتاحة للفرد قدرته على معالجتها فى الوقت المحدد (Baron & Byrne, 1997, 82)، من قبيل المفاضلة بين أكثر من مرشح لشغل وظيفة معينة فى ضوء لقاءات سريعة، أو اتخاذ قرار بتأييد وجهة نظر أحد المتحدثين فى ندوة حول موضوع خلافى به تفاصيل كثيرة ومعقدة. وتتمثل **أبرز هذه الطرق** كما يوضحها «تفيرسكى وكانيمان» فى التمثيل، والإتاحة، والإرساء والتعديل، وفيما يلى نعرض لكل منها بشىء من التفصيل.

- **التمثيل** Representativeness : تهتم قاعدة التمثيل بالإجابة عن الأسئلة الاحتمالية الآتية :

* ما احتمال أن ينتمى الموضوع أ إلى الفئة ب ؟

* ما احتمال أن ينبع الحدث أ من العملية ب ؟

* ما احتمال أن العملية ب تولد الحدث أ ؟

ويعتمد الناس على التمثيل لتحديد مدى التجانس وأوجه الشبه بين الموضوع أ والفئة ب، وهو ما يبرر فى هذه الحالة إصدار حكم بأنه ينتمى إليها أو ينبع منها. (Nisbett & Ross , 1983; Tversky & Kahneman, 1982) ويستخدم التمثيل فى حياتنا اليومية بصور مختلفة منها إصدار حكم بانتماء فرد لمهنة معينة (محامى، مهندس، محاسب) أو فئة معينة (ريفى - حضرى) أو نمط معين (مترؤى -

مندفع)، وهنا يجب ملاحظة العلاقة بين مفهوم المخطط والتمثيل فنحن من خلال التمثيل نحدد، لأى مدى ينضوى الفرد من خلال معرفتنا ببعض خصاله إلى الفئة التى يمثلها المخطط. مثال: إذا وصف أحد الأشخاص جاره قائلا بأنه « خجول، متعاون، مخلص، لديه رغبه فى التنظيم، ويهتم بالتفاصيل» ؛ وأردنا أن نسأل مجموعة من الأفراد ما احتمال أن يكون، ضابط، طبيب، أمين مكتبة، فلاح، بائع، فإنه تبعا لقاعدة التمثيل فإن احتمال أن يكون أمينا لمكتبة هو الاحتمال الأرجح، فهذه الصفات أكثر تمثيلا لهذه المهنة، وبالطبع هناك أخطاء قد تشوب تلك العملية منها : عدم توفر مستوى قاعدى للمعلومات عن كل منهم، أو تجاهل الفرد لبعض تلك المعلومات على الرغم من توفرها (Tversky & Kahneman, 1982).

- **الإتاحة** Avaliability : تعرف بأنها « أسلوب لإصدار الأحكام بناء على المعلومات الأكثر إتاحة للعقل أو التى يسهل استحضارها إليه أولاً (Baron & Byrne, 1997, 83)، كأن يسهل على بائع فاكهة إن طلبنا منه ذكر كلمات تبدأ بحرف « ك » استدعاء كلمة « كمثرى » والطبيب « كُلية »، ومن شأن الإتاحة أن تزيد من الميل للحكم على أن سببا معينا مسئول عن حدث ما تبعا لمدى إتاحته فى الذاكرة، بوصفه الأكثر بروزًا، بين العوامل السببية الأخرى، ومن ثم الأكثر سهولة فى الاستعادة من الذاكرة (Hewston, 1989 , 96 ; Nisbett, & Ross, 1990 , 122)، كالمحلل الاقتصادى الذى يعزى ظاهرة العنف الدينى إلى الفقر، أو كالفرد الذى يقدر معدل حدوث أزمات قلبية لمن هم فى متوسط العمر من خلال استحضار مدى حدوثها بين من يعرفهم، وفى مجال العلاقات الاجتماعية فإن هذه القاعدة قد تتدخل فى الحكم على سلوك الآخرين، فعلى سبيل المثال قد تكون آخر سلوكيات أصدرها الآخر فى تفاعل سابق ذات طبيعة سلبية ومن ثم ستكون هى المتاحة، وبالتالى ستؤثر فى طبيعة الحكم عليه على نحو يجعل هذا الحكم أقل دقة وموضوعية.

- **الإرساء والتعديل** Anchoring and Adjustment : وتشير إلى البدء بنقطة بداية أو قيمة معينة، وتعديلها فى ضوء حدث لاحق (Hewstone, 1989, 96) فحين

نقوم بعمل استدلالات أو تقديرات فإننا نحتاج إلى نقطة نبدأ منها أو قيمة معينة يتم تعديلها فى ضوء طبيعة الموقف، وعادة ما تتأثر النتيجة النهائية بنقطة البدء هذه (Tversky & Kahneman, 1982)، فعلى سبيل المثال حين يطلب منا تقدير ثمن سلعة فإننا نضع نقطة بداية ننطلق منها، وندور فى فلكها إبان القيام بهذا التقدير. وبطبيعة الحال فإن مدى واقعية تلك النقطة تؤثر فى فعالية ناتج هذه العملية، ومدى كفاءة الفرد فى القيام بها على نحو يدعونا إلى القول بأن لديه قدرًا مرتفعًا أو منخفضًا من المهارات الاجتماعية فى أدائها.

نلاحظ من خلال استعراض أبرز الطرق الاستدلالية المختصرة أن هناك طرقًا أخرى **لم يسلط** عليها الضوء بالدرجة الكافية مثل التماثل Analogy، والتضاد، والتفسير بالاستبعاد، وقوائم الأمثلة السلبية النافية، على الرغم من أهمية وشيوع تلك الطرق فى عمليات الاستدلال الاجتماعى فى مواقف الحياة اليومية التى يكون فيها ضرورة اختصار زمن القيام بها عاملاً حاسمًا.

(جـ) نظريات العزو:

بينما تتعلق الطرق الاستدلالية المختصرة بعملية إصدار أحكام واتخاذ قرارات فإن العزو يعنى بمحاولات الفرد لفهم وتفسير أسباب سلوكه، وسلوك الآخرين، كمقدمة ضرورية للتنبؤ، بدرجات متفاوتة من الدقة، به فضلا عن إمكانية التحكم النسبى فيه.

إن **نظرية العزو عبارة عن** مجموعة من الأفكار التى تحاول أن تصف كيف يفسر الفرد الأحداث التى يراها فى حياته اليومية، ويستدل من سلوك الآخرين على الأسباب المسئولة عنها، وقد لاقت اهتمامًا لافتًا منذ السبعينات، وأثارت العديد من البحوث، وتمكنت من تفسير قطاع عريض من الظواهر (Medcof, 1990)، وهناك مصادر متعددة شكلت الإطار العام لنظريات وبحوث العزو تتمثل فيما يلى :

١- نظرية «هيدر» لعالم النفس المبتدئ Heider's theory of Naive Psychologist:

يعتبر فريتز هيدر Fritz Heider الأب الشرعي لنظرية العزو حيث أحدثت نظريته فى التوازن التى طرحها عام (١٩٥٨) فى كتابه « الأسس النفسية للعلاقات بين الشخصية » تأثيرا مهما فى نشأة منحى العزو، وأشار فيها إلى عدد من المسلمات قوامها أنه :

- لدى الناس ميل أصيل لفهم، وتفسير العالم، والكشف عن دوافع، وأسباب سلوكهم وسلوك الآخرين.

- يقترح الناس ويتبنون نظريات سببية. بسيطة لكى يقدروا على التنبؤ والتحكم فى البيئة.

- حين يفسر الناس السلوك فإنهم يميزون بين العوامل الشخصية (استعدادات داخلية) والبيئية (عوامل خارجية موقفية) ويستدلون من الخارجية على الداخلية.

وحتى يتمكنوا من إجراء تلك التفسيرات فإنهم يضعون بنية للمنبهات الاجتماعية والبيئية تمكنهم من الاستدلال منها على الأسباب المحتملة للسلوك البشرى بهدف التعرف على كيف يفكر، ويشعر الناس بالبيئة المحيطة، وكيف يدركون نيات الآخرين. (Taylor, 1998).

٢- نظرية جونز ودافيز للاستدلال الاقترانى :

Johnes & Davis's theory of Correspondent inference (1965)

قدم « جونز ودافيز » تفسيرًا نظريًا يقوم على أعمال هيدر، للكيفية التى يفسر بها الآخرون الأحداث، وكيف أن الهدف الرئيسى للمُدرِك الاجتماعى يتمثل فى القدرة على عمل استدلالات اقترانية حول سلوك الآخر، واستنتاج استعدادات داخلية ثابتة بوصفها أسبابا محتملة لهذا السلوك فى موقف معين استعانة بالعديد من الهاديات الموقفية، أى أن الناس تعزو السلوك لعوامل كامنة خلفه من خلال

ملاحظتهم اقترانه مع تلك الاستعدادات (فالسلوك الودى للفرد يعزى إلى استعداد للصداقة) (Jones , 1998; Taylor , 1998).

٢- نموذج كيللى للتغاير المتلازم Kelley's Covariation Model (1967) :

تعد نظرية كيللى امتدادًا وإضافة لأعمال كل من هيدر، وجونز ودافيز، ولكن بينما أهتم جونز ودافيز بإثبات نوايا الآخرين اهتم كيللى بمدى أوسع من الخصال الاستعدادية حيث تطرق أيضا للمحددات البيئية سواء كانت بشرا أم عوامل موقفية (أى الداخلية والخارجية) وسماها هويات Entities وأشار إلى أن المعلومات حول البيئة، والعالم، وأنفسنا غير كاملة عادة، وأنه حين تنخفض معلوماتنا عن الحد الكافى ينتج عدم ثبات عزوى، فعندما نواجه حدثا لا يمكن تفسيره فإننا نبحث عن معلومات، مساندة وإضافية، عبر ثلاثة أبعاد أو محكات هى :

- **التمييز Distinctiveness** : فنحن نسأل أنفسنا هل هذا الأثر (تلك النتيجة) يحدث عندما يكون السبب المحتمل - فى عقولنا - موجودا أم غير موجود، أى أن هذا التغاير لا يحدث مع أو كدالة لأشياء أخرى.

- **الاتساق Consistency** : هل هناك اتساق فى التلازم المتغاير بين السبب والنتيجة (الحدث) عبر الزمن، هل يحدث الحدث فى كل مرة عندما يكون السبب المحتمل موجودا.

- **الإجماع** Consensus : هل يلاحظ الآخرون بنفس الطريقة هذا التغاير المتزامن، وهل يجمعون على أن هذا السبب هو المسئول عن هذا الحدث أو تلك النتيجة.

وفى حال استيفاء تلك الشروط والتحقق من دقة الإجابة عن تلك الأسئلة يكون الفرد قد حصل على معلومات تسمح له بالاستدلال على أن هذا السبب هو المسئول عن تلك النتيجة، وهو ما حدا « بكيللى » لأن يشبه الفرد بالباحث المبتدئ الذى يضع فروضا لتفسير الظواهر ويسعى للتحقق منها. وقد صاغ «كيللى» منحى

العزو بوضوح حيث مزج بين أعمال « هيدر » فى التوازن، و« شاستر» فى الانفعال، «وبيم » فى الإدراك الشخصى، و «فستنجر » فى المقارنات الاجتماعية، ويلاحظ بوضوح اعتماده على طريقة « جون ستيوارت ميل » فى الاختلاف لتحديد طبيعة وحجم التأثير السببى فى المجال الاجتماعى. وقد نجح فى تحديد العديد من الظروف التى يكون الفرد فى ظلها واثقا من تعليل تصوراته وأحكامه للأحداث البيئية، وأن هذا التصور سيكون ثابتا وغير متحيز للمدى الذى سيكون فيه متسقا عبر الزمن، ومميزا بين الأحداث ومتفقا مع تصورات الآخرين.

٤- نظرية وينر العزوية (1986) Winer's Attribution theory :

تعنى هذه النظرية بشكل خاص بعملية التعليل التى يمارسها الفرد لأسباب نجاحه أو فشله فى إنجاز المهام الموكل إليه تنفيذها، وقد اقترح « وينر » الصيغة الأساسية لنظرية العزو لدافعية الإنجاز عام (١٩٧١)، وأدخل تعديلات عليها عام (١٩٨٦) ويقول منطوق النظرية « إن الأفراد يعللون الأحداث بالأسباب التى تقع فى نطاق الأبعاد الثلاثة التالية :

(أ) موضع السببية **Locus of Causality** : وتشير إلى الدرجة التى يدرك بها الفرد أن النتائج معتمدة على ظروف داخلية (الاستعداد - مستوى الجهد) أو خارجية (طبيعة المهمة - سلوك الآخرين).

(ب) الاستقرار **Stability** : الدرجة التى يدرك بها الفرد الأسباب تتذبذب أو مستقرة، فعلى سبيل المثال، قد يُدرك الفرد أن جهده فى الموقف غير مستقر لأنه يتفاوت من سياق لآخر فى حين يدرك أن سمات شخصيته ثابتة ومستقرة.

(جـ) القابلية للتحكم **Controlability** : الدرجة التى يدرك بها الفرد الأسباب أنه يمكن التحكم فيها إراديًا.

وفى مواقف الإنجاز فإن الأفراد يُعزون النجاح أو الفشل لأربعة أسباب رئيسية:

- الاستعداد (وهو طبقا للأبعاد الثلاثة : داخلى، مستقر، غير قابل للتحكم فيه).

- المجهود (داخلى، غير مستقر، قابل للتحكم فيه).

- خصائص المهمة (خارجية، مستقرة، غير قابلة للتحكم فيها).

- الحظ (خارجى، غير مستقر، غير قابل للتحكم فيه).

وأن الطلاب منخفضى الإنجاز يعللون فشلهم بعوامل خارجية غير متحكم فيها مستقرة، أو غير مستقرة، كسهولة المهمة. أما المرتفعون فيعزون النجاح للقدرة (داخلى، مستقر) أو المجهود (داخلى، غير مستقر، يتحكم فيه). أما الفشل فللمجهود (داخلى، غير مستقر، متحكم فيه) أو خارجى غير متحكم فيه مثل صعوبة المهمة (**Carlyon, 1997**).

وهناك **نظريات عزوية أخرى** مثل نظرية « بيم » للإدراك الذاتى Bem's theory of Self Perception, 1972، ونظرية « شاشتر » فى الانفعال Schachter's theory of Emotional Liability (1964)، ونظرية «هيوستون» للمنظور داخل الجماعى Hewstone Intergroup Perspective (1989). ومع تقديرنا لأهميتها إلا أننا سنكتفى بما عرضناه من النظريات الرئيسية السابقة. وحرى بنا التنويه إلى أن هناك مجموعة من التحيزات التى تحدث أثناء عملية العزو لأسباب سلوك الفرد والآخرين وتؤثر تلك التحيزات فى طبيعة ما يصل إليه الفرد من استدلالات، وتفسيرات قد تنعكس سلبًا على استجاباته اللاحقة للآخرين وتقييمه إياهم فيما بعد، وسنعرض لها بالتفصيل فى سياق بيان تأثير عملية العزو وتحيزاتها فى المهارات الاجتماعية.

بيد أن هناك بعض **أوجه النقد** التى يمكن توجيهها للمنحى العزوى منها أنه من شأن غياب وضعف مخططات التحليل السببى المعيارية والاعتماد فى المقابل على محكات مبسطة جدا، ومختصرة أن يؤثر سلبا على الاستنتاج السببى حتى لو لم يكن هناك تحيز فى معالجة المعلومات (Nisbitt & Ross, 1980, 119).

ويبقى التنويه إلى أن نظريات العزو السابقة يمكن أن تستمد قوة دفع إضافية من توظيف مفاهيم المخططات المعرفية وعمليات الاستدلال الاجتماعى فيها، فعلى سبيل المثال إن مخططاتنا المسبقة حول شخص معين (طموح اجتماعيا) ستوجه عزونا لأسباب أحد مظاهر سلوكه (مصادقة ذوى المكانة والنفوذ)، كذلك فإن آليات الاستدلال الاجتماعى كالإتاحة قد تيسر علينا فهم بعض التفسيرات العزوية التى يقوم بها أفراد معينون من قبيل قيام علماء الدين بعزو الأزمة الاقتصادية للانحراف الأخلاقى.

ثانيا: المنحى المعرفى والمهارات الاجتماعية:

عقب الاستعراض الموجز لأبرز ملامح المنحى المعرفى ننتقل خطوة للأمام بغية التعرف على علاقته بالمهارات الاجتماعية، والدور الذى يمارسه فى تعريفها وفهم طبيعتها، وأسلوب دراستها، وكيفية تعديلها، ومن المفترض أن هذا الدور يشمل أربعة جوانب رئيسية قوامها :

(أ) المنحى المعرفى وتعريف المهارات الاجتماعية.

(ب) المنحى المعرفى وقياس المهارات الاجتماعية.

(جـ) المنحى المعرفى وتفسير المهارات الاجتماعية.

(د) المنحى المعرفى والتدريب على المهارات الاجتماعية.

ونعرض فيما يلى لكل جانب من الجوانب السابقة بشىء من التفصيل :

(أ) المنحى المعرفى وتعريف المهارات الاجتماعية:

من المفترض أن التعريف وسيلة لتحديد حدود المفهوم ومكوناته، وسنحاول فيما يلى الوقوف على العديد من التعريفات التى طرحها الباحثون للمهارات الاجتماعية فى محاولة لرصد دور المنحى المعرفى فى تحديد طبيعة التعريف الأكثر قبولا وتمثيلا للواقع الإمبيريقى لتلك المهارات. ومن خلال الاطلاع المبدئى على تلك التعريفات مع الوضع فى الاعتبار الهدف الرئيسى لهذه المراجعة ألا وهو النظر

للمهارات الاجتماعية من منظور معرفى فقد رأى الباحث تصنيف هذه التعريفات تبعًا لمدى شيوع المكونات السلوكية، والمعرفية فى التعريف، وبذا كان أمامنا مجموعتان من التعريفات الأولى يغلب عليها الطابع السلوكى، والثانية يغلب عليها الطابع المعرفى، وبطبيعة الحال فهى تتضمن عناصر سلوكية أيضًا.

١- التعريفات ذات الطابع السلوكى للمهارات الاجتماعية :

تأثرت هذه التعريفات بوجهة النظر القائلة – والتى يمثلها « **كوران** » Curran – **بوجوب استبعاد العوامل المعرفية** من تعريف المهارة بحيث تصبح قاصرة على الجوانب السلوكية (Bellack, 1983). والتى يسهل ملاحظتها وقياسها، وبالفعل ظهرت تعريفات متعددة يحكمها هذا التصور من بينها تعريف « ليبيت ولوينسون » Leibet & Lewinson للمهارات الاجتماعية بوصفها « قدرة الفرد على إصدار السلوكيات (يلاحظ أنه لم يحدد طبيعة تلك السلوكيات بشكل مفصل) التى تستجلب الاستحسان والدعم من الآخرين، وتجنب إصدار السلوكيات التى تثير معارضتهم وعقابهم (Gambrill, 1977)، ويعرفها « أرجيراس » Argyras على نحو مشابه فهى تعنى لديه « السلوكيات التى تسهم فى جعل الفرد فعالاً كجزء من جماعة أكبر، وتشمل هذه السلوكيات كما يشير « ويز » Weiss التواصل مع الآخرين، والتفهم، وإظهار الاهتمام بالطرف الآخر، والتعاطف معه (Hersen , 1979, 511)، وفى دراسة عاملية لمكونات التعريف اجراها « كوران » أشار إلى وجود أربعة عوامل للمهارات الاجتماعية تتمثل فى التفاعل مع الجنس الآخر، والود فى العلاقات الشخصية، وإقامة علاقات وثيقة مع الآخرين، ومواجهة النقد والتعبير عن الغضب ويقترح « ريم وماركل » Rimm & markle تعريفًا لها مفاده أنها « مجمل السلوكيات اللفظية وغير اللفظية التى يؤثر بها الفرد فى استجابات الآخرين فى سياق العلاقات الشخصية، والتى يحصل بموجبها على نواتج مرغوبة، ويتجنب غير المرغوبة » ويقدمان وصفا مفصلا لتلك السلوكيات يتضمن :

– التعبير عن الذات (الآراء، المشاعر، التقبل، الإطراء).

- تحسين صورة الآخر وتشجيعه (تثمين قيمة آرائه، مدحه).

- المهارات التوكيدية (التقدم بمطالب، إظهار عدم الاتفاق، رفض مطالب غير معقولة).

- المهارات الاتصالية (المحادثة، الإقناع) (Hasselt et al, 1979).

ومما يؤخذ على هذا التعريف أنه تعامل مع عائد السلوك الماهر كجزء من تعريف المهارة على الرغم من أنهما منفصلان فقد يصدر الفرد السلوك ولكن لأسباب خارجة عن أرادته لا يحصل على العائد المتوقع. ويقدم والكر، وكالفن ورامسى Walker, Calvin & Ramsey تعريفًا مشابهًا لها فهى « مجموعة من السلوكيات التى يصدرها الأفراد من قبيل البدء فى، والاستمرار فى العلاقات الاجتماعية الإيجابية مع أقرانهم، ومدرسيهم، وأفراد الأسرة، والمجتمع المحيط (Quinn et al ., 1995)، وهى عند « كومبسى وشالى » Combes & Shaly القدرة على التفاعل مع الآخرين فى سياق ما بطريقة معينة تكون مقبولة اجتماعيًا، ومفيدة شخصيًا فى ذات الوقت، وتراعى نفع الآخرين أيضًا (Hasselt et al , 1979) .

من الملاحظ أن السمة الغالبة على هذه التعريفات أنها تركز على الجانب السلوكى الخارجى للمهارات الاجتماعية، فضلا عن أن العديد منها ذات طابع عام لا ينطوى على وصف مفصل لتلك السلوكيات، بالإضافة إلى أنها تركز على هدف السلوك وعائده، وهو ما يصعب تضمينه فى التعريف، أو قياسه، فقد تحقق تلك السلوكيات المعينة أو لا تحقق أهدافها، فعلى سبيل المثال قد يؤدى قيام الشخص بالتعبير عن رأيه للآخر إلى إغضابه، وهنا يصبح السلوك الماهر اجتماعيا غير فعال مع أنه يبقى سلوكًا ماهرًا اجتماعيا، فضلاً عن تجاهلها الملحوظ للعمليات المعرفية المتضمنة فى تلك السلوكيات.

٢- تعريفات ذات طابع معرفى للمهارات الاجتماعية :

نادى باحثو المهارات الاجتماعية ذوى التوجه المعرفى، ومنهم ماكفال Mcfall

بضرورة الاهتمام بالجانب المعرفى فى التعريف مثلما الجانب السلوكى أيضا (Bellack, 1983) ذلك أن العمليات المعرفية، على حد قول «أرجايل» Argyle، و«ياردلى» Yardly، متضمنة فى السلوك الاجتماعى وأنها جزء لا يتجزأ منه (Hollin & Trower, 1986)، وقد ظهر هذا التوجه فى التعريفات التى طرحها الباحثون فى بداية الثمانينات بعد ذيوع المنحى المعرفى فى علم النفس بشكل عام، وفى علم النفس الاجتماعى بصورة خاصة، وثمة شواهد متعددة على ذلك حيث يعرفها «فيرنهام» بأنها « سلسلة من السلوكيات تبدأ بالإدراك الدقيق للمهارة فى العلاقات الشخصية، وتتحرك نحو المعالجة المرنة لتوليد الاستجابات المحتملة البديلة، وتقويمها ثم إصدار البديل المناسب » (Furnham 1983) وهو ما ينطوى على إدخال العديد من العناصر المعرفية فى التعريف من قبيل دقة الإدراك، ومعالجة المعلومات المدركة، وتقويم البدائل واتخاذ قرار المفاضلة بينها.

ويشير « جنكيز» فى تعريفه للمهارات الاجتماعية إلى أنها تتضمن فئتين رئيسيتين من المهارات هما :

– **مهارات الإرسال** : وتتضمن مهارة الفرد فى تقديم التدعيم للآخرين، وحثهم على الاستمرار فى التفاعل، وتوضيح موقف الفرد، وتفسير مبررات سلوكه بطريقة مفهومه للآخرين، والإفصاح عن مشاعره حيالهم، وآرائه إليهم.

– **مهارات الاستقبال** : وتحوى مهارات فرعية من قبيل طرح تساؤلات للحصول على معلومات دقيقة من الطرف الآخر، والإنصات، والفهم الدقيق لما يقوله الآخر (Jenkins, 1995)، ويبدو واضحًا فى هذا التعريف وضع بعض المتغيرات المعرفية فى الاعتبار من قبيل القدرة على تفسير سلوك الفرد، وفهم ما يقوله. وتتضمن المهارات الاجتماعية لدى « سبتزبرج وزملائه » Spitzberg et al التمركز حول الآخر والاهتمام به، والتعامل مع الموقف بالطريقة المناسبة، والتعبير عن الذات، وإدارة التفاعل (Gable & Shean, 2000)، ونلاحظ هنا أيضا بروز عوامل ذات طابع

معرفى فى التعريف من قبيل التعامل مع الموقف بطريقة مناسبة، وهو ما يقتضى القيام بعمليات تقييم وتفسير للموقف، ومرونة فى إدارة التفاعل مع الآخرين إبانه، فضلا عن معرفة الفرد بمعايير السلوك الملائم، ويركز « هوب ومندل » على هذا العنصر حين يعرفان المهارات الاجتماعية بأنها « تعنى قدرة الفرد على أن يتفاعل مع الآخرين بسلاسة، وفعالية، وأن الماهر اجتماعيا يعرف، عادة، ما يقول، ومتى، أو متى يمتنع عن قوله، ويتصرف بطريقة تجعل الآخر يشعر بالارتياح (Hope & Mendell, 1994)، أى أن عنصر تقييم الموقف، واتخاذ القرار حول توقيت إصدار، أو الامتناع عن، استجابة معينة تتلاءم معه عنصرًا محوريا فى المفهوم، وإن كان الجزء الأخير من التعريف يتسم بالغموض والذاتية وصعوبة القياس.

ويشير « برستيلى وزملاؤه » Priestle et al أنها تتضمن « التعبير عن الذات، وإدراكها، ومعالجة المواقف الاجتماعية والمشكلات التى يواجهها الفرد بصورة ناجحة (Matlack et al, 1994)، وهنا نجد متغيرات معرفية أكثر تعقدًا وصعوبة فى القياس أيضًا من قبيل حل المشكلات الاجتماعية.

ومن التعريفات التى تمتاز بالدقة فضلا عن تضمينها للعديد من العناصر المعرفية ذلك التعريف الذى اقترحه « **رونالدريجيو**» Ronald Riggio، فالمهارات لديه تنتظم فى مستويين (انفعالى واجتماعى) وفى كل مستوى يتم الإفصاح عن المهارة فى ثلاثة مجالات :

- **التعبير** Expressivity : يشير إلى القدرة على التعبير عن الذات فى عملية الإرسال Encoding الاتصالى.

- **الاستشعار** Sensitivity : تفسير رسائل الآخرين أثناء عملية الاستقبال Decoding الاتصالى.

- **الضبط** Control : تنظيم عملية الاتصال فى الموقف الاجتماعى.

وينتج عن محصلة التفاعل بين مستويات ومجالات المهارات (٢×٣) ست مهارات اجتماعية هى :

- **التعبيرالانفعالى** Emotional Expressivity : مهارة الفرد فى التعبير غير اللفظى عن اتجاهاته، ومشاعره، وحالاته الانفعالية، ومن البنود التى تقيس تلك المهارة « يسهل على الآخرين أن يعرفوا أنى حزين أم سعيد ».

- **الاستشعارالانفعالى** Emotional Sensitivity : قدرة الفرد على استقبال، وتفسير الرسائل غير اللفظية للآخرين، والتى تعكس مشاعرهم وحالاتهم الانفعالية، ويتسم الأفراد المرتفعون على هذه المهارة بالدقة فى تفسير الهاديات Cues الانفعالية الصادرة عن الآخرين، ومن البنود التى تقيسها «أعرف المشاعر الحقيقية للآخرين حتى لو حاولوا إخفاءها ».

- **الضبطالانفعالى** Emotional Control : قدرة الفرد على تنظيم التحكم فى الهاديات، والمؤشرات الانفعالية غير اللفظية الصادرة عنه، بما يخدم أهدافه فى موقف التفاعل، ومن شواهد ارتفاع هذه المهارة تمكن الفرد من إخفاء مشاعره الداخلية وإظهار أخرى مغايرة إذا أراد ذلك، ومن البنود التى تقيسها »، « يصعب على الناس أن يعرفون من وجهى ما أريد قوله لهم ».

- **التعبيرالاجتماعى** Social Expressivity : مهارة الفرد فى التعبير اللفظى عن مشاعره، وأفكاره، وآرائه للآخرين، وإجراء حوارات فعالة معهم فى مواقف التفاعل الاجتماعى حول الموضوعات المختلفة.

- **الاستشعارالاجتماعى** Social Sensitivity : قدرة الفرد على فهم، والوعى بالمعايير الحاكمة للسلوك فى المواقف الاجتماعية، وقدرته على تقدير مدى ملاءمة سلوكه، وسلوك الآخرين، فيها، ومن البنود التى تقيسها « اقلق أحيانًا على ما قلته هل هو صحيح أم لا » ؟

- **الضبط الاجتماعى** Social Control : مهارة الفرد فى تقديم ذاته فى المواقف الاجتماعية بشكل مناسب، وتعديل سلوكه فيها بما يتناسب مع متطلباتها على نحو يبدو متوافقًا، وواثقًا من ذاته، إبانها « ومن البنود التى تقيسها » أستطيع التكيف مع

أى موقف وتعديل سلوكى فيه تبعًا لمقتضياته » (خليفة، ١٩٩٦ ;Miller, 1995 Wampold et al ., 1995). ويشير «واطسون » فى هذا المقام إلى أن القدرة على التحكم فى السلوك من الجوانب المهمة فى المهارات الاجتماعية ., Watson et al) (1999. يتضح من المهارات المتضمنة فى تعريف « ريجيو » أنه يغلب على بعضها، بوضوح، الصبغة المعرفية مثل الاستشعار الانفعالى، والاجتماعى، فهى مهارات تعكس معالجات معرفية محورية لفهم السلوك الاجتماعى، وكذلك مهارة الضبط الانفعالى، فهى تعكس تلك العلاقة الوثيقة بين المعرفة والوجدان وهى من العناصر المهمة فى مجال المعرفة الاجتماعية المعاصرة.

وعلى الرغم من أن تعريف « ريجيو » يعد من أكثر التعريفات دقة وشمولا للمهارات الاجتماعية إلا أن هناك بعض النقاط التى تحتاج إلى مزيد من الإيضاح حوله من قبيل قصره المهارات الثلاث الأولى (التعبير، والاستشعار، والضبط الانفعالى) على الجوانب غير اللفظية مع أنه لا يوجد ما يمنع أن تمتد لتشمل الجوانب اللفظية أيضًا، فالفرد على سبيل المثال، قد يعبر عن انفعالاته لفظيًا مثلما يعبر عنها بطريقة غير لفظية، ونفس الأمر بالنسبة لأساليب الضبط الذاتى لانفعاله فقد تأتى فى صورة لفظية أو غير لفظية، وتتمثل نقطة النقد الثانية للتعريف فى أنه لم يشر بوضوح إلى عنصر مهم فى مهارة الضبط الاجتماعى ألا وهو المرونة الاجتماعية، وما طبيعة علاقتها بالمرونة العقلية والسلوكية. ويتفق «لينهان وإيجان » على أن مهارة الاستشعار الاجتماعى، من بين المهارات الاجتماعية المحورية ذات الطابع المعرفى المتضمنة فى المهارات الاجتماعية، ويعرفانها على نحو مشابه « لريجيو »، ويؤكدان على أهميتها كوسيلة « لقراءة عقول الآخرين » وفهم ما يريدون، فالمرؤوس الماهر اجتماعيا يستطيع بمجرد النظر إلى المدير استنتاج أن «مزاجه سيئ اليوم »، وفى لقاء بمنزل أحد الأصدقاء يحدد من خلال التقاط الهاديات السلوكية من مضيفه « أن الوقت المناسب للرحيل قد حان الآن » (Linehan & Egan, 1983, 63).

ويشير « أرفين وزملاؤه » إلى أهمية تلك المهارة، فالتعرف على الهاديات السلوكية ضروري لتوجيه الاستجابة فى الموقف (Irvin et al ., 1992) ويتفق معه «موريسون وزملاؤه » .Morrison et al، ولكنهم يطلقون عليها اسمًا مختلفًا (الإدراك الاجتماعى)، كما يطلق عليها « ماكفال » الترميز (Shroeder & Rakos, 1983) وهو ما يؤكد على أهمية تلك المهارة كمكون رئيسى فى المهارات الاجتماعية بغض النظر عن اختلاف مسمياتها عبر الباحثين (استشعار اجتماعى أو إدراك اجتماعى، أو ترميز).

وقد أضاف « لينهان وإيجان » مهارة اجتماعية أخرى، هى الحكم الاجتماعى Social Judgment، وهى تتضمن التفكير فى الموقف، وتصور بدائل متعددة قد تكون مناسبة للتصرف الأمثل فيه (فإذا كان صديقى حزينًا هل أتركه لوحده، أم احتضنه لأعبر له عن تضامنى معه، أم أدعوه للكلام عما يضايقه) ووزن النواتج المحتملة لكل منها، ومعرفة كيف ستؤثر فى الموقف فضلا عن طبيعة عواقبها (قد يُفضل الخصوصية، قد يلومنى لأننى أهملته، قد يتحدث إلى بارتياح)، ومن ثم اختيار الاستجابة التى يعتقد أنها الأمثل من بينها، وتنفيذها على كل المستوى اللفظى وغير اللفظى (Linehan & Egan, 1983, 63).

تعليق عام على تعريفات المهارات الاجتماعية من المنظور المعرفى :

نجد من الضرورى فى ظل هذا التنوع الملحوظ فى التعريفات التى قدمها الباحثون للمهارات الاجتماعية تسجيل بعض الملاحظات بصددها يمكن إيجازها فيما يلى :

(أ) **بما أن المنحى** العلمى السائد يوجه مسار البحث، ورؤية الباحثين للظاهرة، وحيث إن المنحى السلوكى كان سائدًا فى السبعينات فى مجال المهارات الاجتماعية، لذا نجد أن التعريفات التى ظهرت فى تلك الحقبة يغلب عليها الطابع السلوكى مثل تعريف « ليبيت ولوينسون »، « وأرجيراس »، و« كوران »، و« ريم وماركل »، و«كوميس وشالى »، و« والكر وزملائه ».

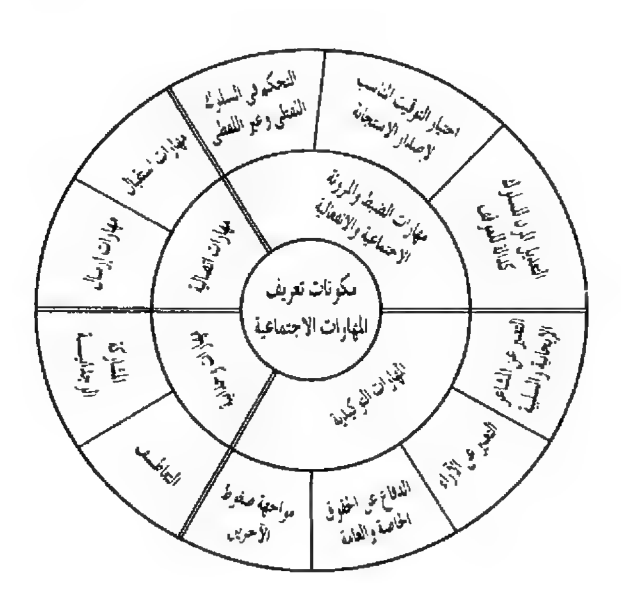
بيد أن الموقف تغير بصورة ملحوظة فى التعريفات التى ظهرت فى الثمانينات حيث بدأ المنحى المعرفى فى الذيوع فى تلك الحقبة، والذى يطالب بضرورة الأخذ بعين الاعتبار الجوانب المعرفية ونحن بصدد تعريف المهارات الاجتماعية، ومن شواهد ذلك ظهور مجموعة من التعريفات التى أبرزت بعض الجوانب والمهارات المعرفية فى التعريف، وهو ما أدى إلى توسيع حدود المفهوم، وتضمينه عناصر جوهرية جعلته أكثر واقعية وخصوبة، وقد برز هذا جليا فى تعريفات كل من « فيرنهام »، و « سبتزبرج »، و « ريجيو »، « وبريستلى »، وكذلك تعريفات جينكيز وهوب ومندل التى ظهرت فى التسعينات.

(ب) **حين ننظر** نظرة متفحصة للتعريفات ذات الطابع المعرفى للمهارات الاجتماعية للوقوف على أبرز المهارات الفرعية المعرفية التى ركزت عليها بشكل عام سنجد أنها تتمثل فى كل من الاستشعار الانفعالى، والاجتماعى، بما يتضمنه من عمليات استقبال، وإدراك، وتفسير للرسائل غير اللفظية التى يصدرها الآخرون، وتقويم الاستجابة، وتقدير مدى ملاءمتها الاجتماعية. فضلاً عن القدرة على تنظيم والتحكم فى الجوانب غير اللفظية، كهاديات كاشفة عن حالته الانفعالية، بما يخدم أهدافه فى موقف التفاعل.

ومن المفترض أن تضمين تلك المهارات ذات الطابع التفسيرى الاستدلالى فى المهارات الاجتماعية أن ييسر عملية المزج بين تلك المهارات والعديد من التوجهات النظرية الناشئة فى المنحى المعرفى لفهم المهارات بصورة أكثر عمقا، وبوجه خاص النظريات العزوية التى توضح الآليات التى يفسر بها الفرد سلوكه وسلوك الآخرين، وعمليات التحيز والخطأ التى قد تحدث إبان ذلك، والتى من شأنها أن تقلل من كفاءة المهارات الاجتماعية للفرد، وكذلك عمليات الاستدلال بوجه عام، والطرق الاستدلالية المختصرة، بوجه خاص، والتى يلجأ إليها الناس للاستدلال من سلوك الآخرين على حالاتهم العقلية الداخلية، وإصدار أحكام عليهم قد تؤثر سلبًا أو إيجابًا على علاقاتهم الاجتماعية اللاحقة معهم، وهى أيضًا عملية معرضة للعديد

من الأخطاء الاستدلالية التى تناقش تلك النظريات طبيعتها وسبل الحد منها بهدف تقليل المشكلات فى العلاقات الشخصية للحد الأدنى، ومن ثم تعظيم كفاءة الأداء المهارى الاجتماعى للفرد.

(جـ) **مكونات المهارات الاجتماعية :** يتضح من خلال استقراء التعريفات المتعددة السابقة التى طرحها الباحثون للمهارات الاجتماعية أن هذا التعدد قد ينطوى على الاتفاق عبر الباحثين على بعض العناصر فضلا عن تفرد أحدهم بعنصر معين دون الآخرين، أو أن أحدها أكثر عمومية من الآخر، وعلى أية حال فإنه يمكن لنا استخلاص عدد من العناصر المحورية من خلال فحص تلك التعريفات التى يفترض أنها تشكل بنية تعريف، ومكونات، المهارات الاجتماعية ويوضحها الشكل التالى رقم (٢) :



شكل رقم (٢)

المكونات المقترحة لتعريف المهارات الاجتماعية

يكشف الشكل السابق رقم (٢) عن أن المهارات الاجتماعية تتضمن العناصر التالية :

- **مهارات توكيد الذات** : وتتعلق بمهارات التعبير عن المشاعر، والآراء، والدفاع عن الحقوق، وتحديد الهوية، وحمايتها، ومواجهة ضغوط الآخرين.

- **مهارات وجدانية** : وتسهم فى تيسير إقامة علاقات وثيقة وودية مع الآخرين، وإدارة التفاعل معهم على نحو يساعد على الاقتراب منهم والتقرب إليهم ليصبح الشخص أكثر قبولا لديهم، ومن المهارات الرئيسية فى هذا السياق التعاطف، والمشاركة الوجدانية.

- **المهارات الاتصالية** : وتنقسم بدورها إلى قسمين :

- **مهارات الإرسال** : وتعبر عن قدرة الفرد على توصيل المعلومات التى يرغب فى نقلها للآخرين لفظيا أو غير لفظى من خلال عمليات نوعية كالتحدث، والحوار، والإشارات الاجتماعية.

- **مهارات الاستقبال** : وتعنى مهارة الفرد فى الانتباه إلى وتلقى الرسائل، والهاديات اللفظية وغير اللفظية من الآخرين، وإدراكها وفهم مغزاها، والتعامل معهم فى ضوئها.

- مهارات الضبط والمرونة الاجتماعية والانفعالية : وتشير إلى قدرة الفرد على التحكم، بصورة مرنة، فى سلوكه اللفظى وغير اللفظى الانفعالى خاصة، فى مواقف التفاعل الاجتماعى مع الآخرين، وتعديله بما يتناسب مع ما يطرأ على تلك المواقف من مستجدات لتحقيق أهداف الفرد. وبطبيعة الحال فإن المرونة الاجتماعية يجب أن توجه ببوصلة معرفة الفرد بالسلوك الاجتماعى الملائم للموقف، واختيار التوقيت المناسب لإصداره فيه.

بناء على ما تم الوقوف عليه من عناصر تواترت فى تراث تعريف المهارات الاجتماعية فإنه يمكن، فى ظل وضعها فى الاعتبار، التقدم بالتعريف الإجرائى

المقترح التالى لتلك المهارات قوامه أنها « قدرة الفرد على أن يعبر، بصورة لفظية وغير لفظية، عن مشاعره وآرائه وأفكاره للآخرين، وأن ينتبه ويدرك فى الوقت نفسه الرسائل اللفظية وغير اللفظية الصادرة عنهم، ويفسرها على نحو يسهم فى توجيه سلوكه حيالهم، وأن يتصرف بصورة ملائمة فى مواقف التفاعل الاجتماعى معهم، ويتحكم فى سلوكه اللفظى وغير اللفظى فيها، ويعدله كدالة لمتطلباتها على نحو يساعده على تحقيق أهدافه.

(د) **الخلط بين تعريف المهارات الاجتماعية** وبعض المفاهيم الأخرى ذات الصلة وخاصة الكفاءة الاجتماعية والتوكيد :

فيما يتصل بالمهارات الاجتماعية Social Skills والكفاءة الاجتماعية Social Competence : فمع أن البعض يعرف **الكفاءة الاجتماعية** تعريفًا مرادفًا للمهارات الاجتماعية مثل « هويز وزملائه Howes et al ., 94 فالكفاءة لديهم: « التنظيم المرن للوجدان، والمعرفة، والسلوك بهدف تحقيق الأهداف الاجتماعية بدون تقييد فرص الآخر فى تحقيق أهدافه أيضًا، وبدون حجب فرص تحقيق الأهداف المستقبلية » (Vaugh et al ., 2000)، فى حين ينظر إليها البعض على أنها أكثر عمومية من المهارات مثل . Spitzberg et al حيث يقول بأن الكفاءة الاجتماعية تتضمن المهارات الاجتماعية (Gable & Shean, 2000)، إلا أن التوجه الأقرب إلى القبول هو النظر للكفاءة أنها مؤشر لمستوى المهارة، أى أنها حكم يصدره آخر وفق معايير معينة على مستوى المهارة فحين يؤدى الفرد السلوك الماهر اجتماعيا بدرجة مرتفعة من المهارة حينئذ نكون إزاء مستوى مرتفع من الكفاءة الاجتماعية.

ويتفق « راكوز» مع هذا التصور حيث يشير إلى أن الكفاءة عبارة عن تقييم الاستجابة الماهرة اجتماعيا من قبل الآخرين فى حين أن المهارات الاجتماعية هى قدرات نوعية تمكن الفرد من الأداء الكفء لمهام اجتماعية معينة (Rakos, 1991, 12)، أى أن الكفاءة هى تقويم للأداء من قبل شخص ما وليس شيئًا موجودًا فى

الأداء، أما المهارة فهى أداء يعكس قدرات نوعية تمكن الفرد من تنفيذ المهام الاجتماعية بكفاءة (Shroeder & Rakos, 1983).

- أما فيما يتصل بالعلاقة بين المهارات الاجتماعية **والتوكيد** : فعلى الرغم من أن البعض تعامل معهما كمترادفين مثل « ليبرمان » Liberman الذى يقدم تعريفًا للمهارات الاجتماعية يتضمن ذات العناصر التى تشكل المهارات الأساسية للسلوك المؤكد للذات، وكذلك جامبريل (Furnham , 1983). إلا أن التصور الأكثر قبولاً هو أن التوكيد أحد المهارات الاجتماعية الفرعية فالعلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل (أبو سريع، ١٩٨٦؛ شوقى، ١٩٨٩).

(ب) المنحى المعرفى وقياس المهارات الاجتماعية :

بما أن التعريف يحدد عناصر المفهوم المطلوب قياسه، وكيفية ذلك، وبما أن أداة القياس هى وسيلة إمبيريقية لقياس المفهوم المعرَّف إذن فمن المتوقع أن يكون للمنحى المعرفى تأثير جوهرى فى عملية قياس المهارات الاجتماعية مثلما كان له أثر فى تعريفها، وسنحاول فيما يلى رصد تلك الآثار فى جانبين رئيسيين هما :

١- تأثير المنحى المعرفى فى بناء مقاييس المهارات الاجتماعية :

من بين المؤشرات الدالة على هذا التأثير أن بعض المقاييس التى ظهرت فى الثمانينات فى ظل التوجه المعرفى تضمنت العديد من المقاييس الفرعية، والبنود، التى تقيس الجوانب المعرفية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك مقياس « ريجيو » للمهارات الاجتماعية Riggio Social Skills Inventory (Rssi)، والذى صممه عام (١٩٨٦) ويحتوى على (١٠٥) بنود تقيس ست مهارات، سبق عرضها فى سياق مناقشة تأثير المنحى المعرفى فى تعريف المهارات الاجتماعية، ويغلب على العديد منها الطابع المعرفى مثل مقياس مهارة الاستشعار الاجتماعى، والاستشعار الانفعالى، والضبط الاجتماعى. وثمة نموذج آخر لتأثر مقاييس المهارات الاجتماعية بالمنحى المعرفى ألا وهو مقياس « هوروويتز وزملائه » Horowetz et al .. 1987 لمشكلات العلاقات

الشخصية Inventory of Interpersonal Problems ويقيس مجموعة من الصعوبات فى التفاعلات الشخصية كمؤشر لنقص المهارات الاجتماعية، مثل العجز عن توكيد الذات والخضوع، ويتكون من (١٢٧) بندا تقيس العوامل التالية :

-التوكيد الاجتماعى - الدفاع عن الحقوق.

- التوجيه - التعبير عن المشاعر الإيجابية والسلبية

- تقدير الذات - التعاطف (Lorr et al ., 1991) .

وحين نفحص محتوى تلك المهارات سنجد أن المهارتين الأخيرتين تنطويان على جوانب معرفية كالإدراك والتقويم والاعتقاد، فتقدير الذات يتضمن إدراك التقييم الإيجابى للذات من الآخرين والاعتقاد فى الكفاءة الذاتية، أما التعاطف فينطوى على اعتبار منظور الآخر، وقد قام « جود وزملاؤه» بتقنين نسخة مختصرة من هذا المقياس من (٤٨) بندًا تضمنت ثلاثة عوامل هى التوكيد، والاجتماعية، والاستشعار فى العلاقات الشخصية (وهى مهارة ذات طابع معرفى أيضًا) .(Gude et al., 2000)

٢- تأثير المنحى المعرفى فى أساليب قياس المهارات الاجتماعية :

يشير « فورجاس » إلى أن المنحى المعرفى الذى يعنى، فى المقام الأول، بمعالجة المعلومات، وتخزينها، واستعادتها يتطلب أساليب بحث تتلاءم معه لتحليل البنية المعرفية وعمليات معالجة البيانات فى المجالات المختلفة (Forgas, 1981) ويشير « فيسك وتايلور » فى هذا الصدد إلى أن هناك، بالفعل، أساليب منهجية تسمح لعلماء النفس المعرفى بتتبع والاستدلال على العمليات الداخلية المعرفية غير الملحوظة، والتى يفترض أنها تتوسط بين المنبه والاستجابة (Taylor, 1998)، وبطبيعة الحال فإن هذا الموقف ينسحب على المنظور المعرفى للمهارات الاجتماعية ذلك أن ما يقترحه منظرو هذا المنحى فى مجال المهارات الاجتماعية من جوانب

معرفية لها يتم بموجبها معالجة المعلومات الخاصة بمواقف التفاعل الاجتماعى، وتفسيرها، واتخاذ قرار بالاستجابة بطريقة معينة فيها يجعل من عملية قياسها مسألة أكثر صعوبة مقارنة بقياس السلوكيات الخارجية، كما كان سائدا فى ظل المنحى السلوكى، ويتطلب أساليب أكثر تعقدًا وتنوعًا للقيام بهذه المهمة. فعلى سبيل المثال إن تضمين مهارات إدراك وتفسير السلوك الاجتماعى للآخرين، اللفظى وغير اللفظى، يتطلب فحص والتعرف على عمليات العزو التى يقوم بها الفرد فى هذه السياقات، وهو ما يعنى التركيز على عمليات تحليل الخبرات الداخلية والعمليات المعرفية العزوية من خلال مؤشرات معينة تدل على حدوث، ووجود، تلك المعالجات المعرفية من قبيل الكشف عن النمط العزوى، أو عملية التهيئة. وفيما يتصل **بالنمط العزوى** Attributional Style فقد اقترح «جريكس ولود» Crieks & Lodd طريقة لتقييمه من خلال تعريض المبحوثين لأحداث اجتماعية مفترضة، إيجابية وسلبية، وسؤالهم تحديد أسباب حدوثها بالاختيار من بين عدد من الأسباب الداخلية والخارجية التى يقترحها عليهم، فضلا عن تقدير الإسهام النسبى لكل منها، فى تلك الأحداث المفترحة (Carlyon, 1997)، كذلك قام « بيل وماكالوم » Bell & Mccallam بتصميم مقياس العزو الاجتماعى للطلاب Student Social Attribution Scale (SSAS) ويتضمن (١٢) حدثًا اجتماعيا ستة منها تعبر عن نجاح، والأخرى عن فشل، ويقدر الطلاب مدى إسهام القدرة الداخلية، والجهد الداخلى، والمتغيرات الخارجية فى حدوثها، ويطلب منهم توليد أسباب أحداث اجتماعية أخرى فعليه أو مفترضة (ibid) أما فيما يتصل **بالتهيئة** Priming، فهو أسلوب يستخدم فى إطار علم النفس المعرفى كوسيلة عامة لتفحص محتوى وبنية التمثيلات العقلية وكيفية تنشيطها وتأثيرها فى السلوك، على أساس أن المعرفة تمثل كوحدات تتضمن عناصر أصغر فإذا تم تنشيط أحد هذه العناصر المتعددة للوحدة يتم تنشيط الوحدة ككل عبر الوصلات المختلفة التى تربط بين عناصرها، وهناك العديد من التجارب التى أجريت فى الحقبة المعاصرة للكشف عن وتقييم أثر

التهيئة على السلوك، والحكم الاجتماعى للفرد، وهو ما يفترض أن يحدد، من خلال سلسلة من التفاعلات، مدى مهارته اجتماعيا. والتصميم المتبع فى بحوث التهيئة أن يعرض المتغير المهيئ على المبحوثين كجزء غير متعلق بالتجربة، ولا يكونوا واعين بأثره فى المهمة المطلوب تنفيذها، فإذا أردنا على سبيل المثال، دراسة تأثير ثقافة ما على تفسير سلوك اجتماعى معين، مثلما فعل « بيتسكى » Betsky حيث عرض على مجموعة تجريبية أيقونات Icons لرموز الثقافة الأمريكية فى الخلفية (علم أمريكا) ثم شاهدوا رسوما متحركة لمجموعة من السمك تسبقها إحداها، وعرض على مجموعة تجريبية ثانية أيقونة لحضارة الصين (سور الصين) فى الخلفية وشاهدوا نفس مجموعة السمك، وتبين أن تلك الصور البصرية الرمزية (الأيقونات) تعد بمثابة مغناطيس للمعنى حيث إن المبحوثين فى الحالة الأولى (من شاهدوا رموزًا للحضارة الأمريكية) قالوا بأن السمكة المتقدمة مطاردة من قبل الآخرين، أما فى حالة من شاهدوا رموزًا بصرية رمزية للثقافة الصينية فقد قالوا بأنها قائدة (Hong et al ., 2000).

وفى تجربة أخرى حاول الباحثون فهم الدور الذى تمارسه التهيئة على السلوك الاجتماعى، حيث طلبوا من مجموعة من الطالبات الجامعيات الأمريكيات، الكاثوليكيات قراءة مقالة عن الاتجاهات المتسامحة نحو الجنس ثم عرض عليهن صورتين إحداهما لوجه غير متقبل لهذا الموضوع (صورة البابا) وأخرى لوجه محايد، شخصية علمية غير مألوفة (عالم النفس روبرت زاجونيك) وكما هو متوقع أظهرت الفتيات اللائى شاهدن وجه البابا قدرًا أكثر سلبية لمفهوم الذات، وخاصة الملتزمات دينيا منهن، (Banse, 1999) أى أن رؤية وجه البابا كمنبه مهيئ نشط منظومة المعتقدات القيمية لديهن مما أثر فى حكمهن على ذواتهن .

– **كذلك فإن** إدخال الجانب المعرفى فى الاعتبار كمكون للمهارات الاجتماعية، ومحدد لها أيضًا، يدعونا لاستخدام **أساليب تقنية متطورة** تمكننا من التعامل معها، وذلك من قبيل استخدام الحاسب الآلى للتعامل مع البنية المعرفية (بيد أن هذا

يتطلب محو الأمية الحاسوبية لمبحوثينا)، وبالفعل فقد ظهرت برامج حاسوبية متنوعة تتمذج المناحى المعرفية (Roberts et al ., 1997)، وهى ذات طابع تفاعلى Interactive مع المبحوثين مما يمكننا من التقييم المباشر لمعارف الأفراد، وتصوراتهم للهاديات السياقية، ومعايير الأداء، وعواقبه، وإخضاعها بدرجة أكبر من اليسر للدراسة (Irvne et al ., 1992)، ومن الأمثلة الواقعية على ذلك برنامج الحاسب الآلى الذى صممه « هوران » لتعديل بعض العناصر المؤثرة فى طبيعة السلوك الاجتماعى الذى يتسم بانخفاض المهارة ألا وهى المعتقدات غير المنطقية، من خلال برنامج لإعادة التشكيل المعرفى للمعتقدات غير المنطقية لمجموعة من طلاب الثانوى يتضمن (١٢) مشهدًا تقدم على جلستين، وفيه يقدم للمبحوث عقب المشهد الذى يعكس معتقدًا غير منطقى لفرد ما سيناريوهات وبدائل متعددة للحكم عليها وحين يختار البديل المنطقى يقدم له الحاسب دعمًا وتشجيعًا لتثبيت تلك المعتقدات المنطقية لديه، أما حين يختار بديلاً غير منطقى يقوم الحاسب بتفنيده، ودحضه (Horan, 1996).

(جـ) المنحى المعرفى وتفسير المهارات الاجتماعية:

أصبح من المسلم به الآن أن الأبنية والعمليات المعرفية داخل عقولنا تؤثر فى الطريقة التى نسلك بها اجتماعيًا، وتتمثل أهمية هذا العرض الناقد للأسس المعرفية للمهارات الاجتماعية فى تمكيننا من الوقوف على طبيعة الجوانب المعرفية الرئيسية المتوقع إسهامها فى تشكيل مستوى المهارات الاجتماعية الحالية للفرد، سواء كل منها منفردًا، أو حين يتفاعل أكثر من متغير منها معًا، وماهية الأطر النظرية المفسرة لعملية التأثير هذه،. وقد بذلت جهود متعددة منتصف السبعينيات لفهم دور تلك المحددات نظرا لتزايد الاهتمام فى تلك الحقبة، كما يقول « تراور »، بأهمية الجوانب المعرفية فى صياغة وتشكيل المهارات الاجتماعية (Rakos, 1991, 47)، وبطبيعة الحال فإن فهمنا لدور تلك الجوانب من شأنه أن يؤدى إلى تطوير أساليب واستراتيجيات التعامل مع تلك الظاهرة وسبل معالجتها (Bellack, 1983)،

ولكن قبيل الخوض فى تفاصيل طبيعة المتغيرات المعرفية المؤثرة فى تشكيل مستوى المهارات الاجتماعية، وكيفية حدوث ذلك التأثير، نود الإشارة إلى أن الجوانب المعرفية ليست هى الوحيدة التى تؤثر فى طبيعة، وتسهم فى، تكوين المهارات الاجتماعية بل إن هناك جوانب أخرى مسئولة عن ذلك يشملها كل من :

- **المنحى السلوكى** : وينظر منظرو هذا المنحى ومن أبرزهم « هيرزن»، إلى السلوك المهارى الاجتماعى بوصفه دالة لعمليات التشريط الفعال، والتعرض للعقاب فى مرحلة النمو الاجتماعى (Heimberg & Becker, 1981).

- **المنحى الموقفى** : أشار العديد من الباحثين مثل كوران، وإيسلار، إلى أن المهارات الاجتماعية تتحدد بعوامل موقفية من قبيل مدى أهمية الموقف، وخصائص الطرف الآخر فى موقف التفاعل، والمعايير الثقافية. ومما يدلل على ذلك عدم اتساق سلوك الفرد نفسه عبر المواقف المختلفة (Furnham, 1983). ومع اعترافنا بوجود مصادر متنوعة للتأثير فى تشكيل مستوى المهارات الاجتماعية مثلما سبق ذكره إلا أننا، نظرًا لطبيعة هدف تلك المراجعة، سنولى اهتمامنا الرئيسى لدور المتغيرات المعرفية فى تشكيل المهارات الاجتماعية. حين نلقى نظرة فاحصة على البيانات العلمية المتراكمة حول هذه المسألة سنجد أن الباحثين الأوائل ركزوا على دور متغيرات معينة فى تحديد، وتفسير السلوك المهارى الاجتماعى مثلما فعل « شوارتز وجوتمان » فى اهتمامهما بالحوار الذاتى، فى حين تقدم آخرون بنماذج تتضمن القليل من المتغيرات لمحاولة فهم تلك الآثار مثل « تراور»، و « ماكفال» بيد أنها لم تشكل تطورًا جذريا عن سابقتها، إلا أن التطور الملحوظ تمثل فى ظهور أنساق وعمليات معرفية تتضمن العديد من المتغيرات المتفاعلة والمتكاملة لتفسير تلك الظاهرة مثل المخططات المعرفية الاجتماعية، وعمليات العزو، والطرق الاستدلالية المختصرة، وبالإمكان تصنيف ذلك التراث العلمى إلى فئتين هما :

(١) المتغيرات المعرفية الأحادية المؤثرة فى المهارات الاجتماعية.

(٢) الأنساق والعمليات المعرفية الكامنة خلف المهارات الاجتماعية.

(١) المتغيرات المعرفية الأحادية المؤثرة فى المهارات الاجتماعية :

تمثلت أبرز المتغيرات التى عنى بها الباحثون بوصفها مؤثرة فى تحديد طبيعة المهارات الاجتماعية فى :

١- الحوار الداخلى.	٢- توقع العواقب.
٣- المعتقدات غير المنطقية.	٤- مراقبة الذات.
٥- الإدراك الاجتماعى.	٦- التعقد التصورى.

وسنعرض فيما يلى بشىء من التفصيل للدور الذى يمارسه كل منها فى المهارات الاجتماعية :

١- الحوار الداخلى Self Statement :

يشير الحوار الداخلى إلى الأفكار الداخلية للفرد، والتى يفترض أن تؤثر فيما يفعله أو ما يتجنبه، ولهذا الحوار دور رئيسى فى إصدار الاستجابة المؤكدة، الماهرة اجتماعيا، حين يكون إيجابيا (لى مطلق الحق أن اختلف فى الرأى مع أستاذى) أو كفها حين يكون سلبيا (سيغضب منى أستاذى إن اختلفت فى الرأى معه).

ومن أوائل الذين اهتموا بدراسة دوره كمتغير معرفى فى نشأة الاستجابة المؤكدة، بوصفها إحدى المهارات الاجتماعية، « شوارتز وجوتمان » حيث قاما فى دراستهما الرائدة لتقويم دور الحوار الداخلى فى التوكيد بتقسيم (١٠١) طالب وطالبة جامعية إلى ثلاث مجموعات بغض النظر عن النوع، تبعًا لمستوى التوكيد مقيسًا بمقياس ماكفال، والذى يقيس القدرة على رفض مطالب غير معقولة. وطلبا منهم أداء السلوك المؤكد فى بعض المواقف المصطنعة، وأن يكتبوا ما ينصحون به صديقًا للتصرف بتوكيد فى مواقف رفض مطالب غير معقولة، وقاما بقياس معدل نبضهم قبل وبعد تمثيل الدور، ثم أجابوا على مقياس الحوار الداخلى اللذان قاما بتصميمه، ومن بين عباراته (لى الحق أن أقول «لا» بحرية)، وأشارت النتائج إلى أن

الأقل توكيدا لم يختلفوا عن الأعلى توكيدًا فى معرفة ما هى الاستجابة المؤكدة المناسبة أو الأداء فى مواقف تمثيل الدور، ولكن كان معدل عباراتهم السلبية أكثر من الأعلى توكيدًا، وكان العكس صحيحًا بالنسبة للعبارات الإيجابية، أما فيما يتصل بطبيعة الحوار الداخلى لدى منخفضى التوكيد فلم يكن هناك تفاوت ملحوظ بين العبارات السلبية والإيجابية مما يعنى وجود حوارٍ داخلىٍّ متصارعٍ، وأن تنافس العبارات السلبية والإيجابية يعوق صدور الاستجابة المؤكدة، أما مرتفعو التوكيد فلم يكن هناك تصارع لديهم حيث كانت العبارات الإيجابية كثيرة والسلبية قليلة مما يعنى أن لديهم قليلاً من الشك فيما يجب أن يفعلوه توكيديًا (Schwartz & Gottman, 1977, 183 - 188). ويعلق « مورلى » على هذه النتيجة قائلا: إن مشكلة غير المؤكدين لا تكمن فى معرفة ما يجب أن يقوموا به، أو الأداء فى موقف مفترض للاستجابة التوكيدية ولكن فى عدم تيقنهم مما سيحدث إذا استجابوا بصورة مؤكدة، واعتقادهم أن ذلك سيجعلهم غير مقبولين (Morlcy, 1983) وقد توصل «مخنباوم وكوميرون» Meichenbaum & Comeron إلى نتائج مشابهة حيث تبين أن منخفضى التوكيد لديهم تفكير يتميز بالحوار السلبى غير التكيفى، تركز على الخوف من عدم تقبل الآخرين لهم، مقارنة بمرتفعى التوكيد الذين يولدون عبارات إيجابية تكيفية فى مواجهة المواقف التى تتطلب إصدار سلوك مؤكد تزيد من قدرتهم على رفض ما يرونه غير معقول (Sehwartz & Gottman, 1977). وفى محاولة لتبنى إطارٍ نظرىٍّ أكثر عمقًا حول دور الحوار الداخلى فى التوافق الاجتماعى صمم « شوارتز وجارامونى » Schwartz & Garamoni, 1986 نموذجًا يطلق عليه « **حالة العقل** » State o f Mind، وأجريا دراسة للتحقق من صدقه قاما خلالها بتطبيق مقياس أعداه لتقييم تلك الحالة طبقاه على (٢٥٩) طالبًا جامعيًا، مع مقاييس أخرى للخجل والانزواء الاجتماعى، ومما يجدر ذكره أن هذا المقياس يستخدم لتقييم التوازن بين الأفكار الإيجابية والسلبية للفرد، ويقترح النموذج خمس حالات للعقل يُحدد كل منها من خلال قسمة العدد الإجمالى للأفكار الإيجابية على المجموع الكلى للأفكار الإيجابية والسلبية وتتمثل تلك الحالات فى :

- حالة الحوار الإيجابى : وهى الحالة الأمثل التى تعكس قدرًا مرتفعًا من التكيف والقدرة على المشقة لأنها تتضمن قدرًا أكبر من التفاؤل والأفكار الإيجابية مع الوعى بالأحداث السلبية أيضًا.

- حالة الحوار الداخلى المتصارع حيث تشمل كل من الحوارات الإيجابية والسلبية.

- حالة الحوار الذاتى السلبى Negative Self - Dialogue حيث تغلب العبارات السلبية.

- حالة الحديث الذاتى الإيجابى Positive Self - Monologue حيث تغلب العبارات الإيجابية، وتعكس قدرًا مناسبًا من التكيف.

- حالة الحديث الذاتى السلبى Negative Self - monologue حيث تغلب العبارات السلبية وهى الحالة الأقل تكيفا.

وفى دراسة أجراها «بروش وزملاؤه» تبين أن ذلك النموذج، حالة العقل، كان له قدرة تنبؤيه بالفعالية السلوكية فى المواقف التى تتطلب إستجابة توكيدية (Bruch et al ., 1999).

وعلى الرغم من إلقاء ذلك المتغير بعض الضوء على ديناميات بعض أشكال السلوك المهارى الاجتماعى إلا أنه تجب الإشارة إلى أن **ثمة عدة نقاط** تحتاج إيضاحات إضافية وهى :

- إن الحوار الداخلى لا يؤثر مباشرة فى تشكيل السلوك التوكيدى بل قد يتفاعل مع متغيرات أخرى، ويؤدى المزيج الناتج عن هذا التفاعل إلى التأثير فى هذا السلوك، وهو ما لم تلفت تلك الدراسات الانتباه إليه، فعلى سبيل المثال قد يؤدى النمط العزوى الذى يركز على عوامل داخلية غير متحكم فيها، إلى زيادة العبارات السلبية، والتى تؤثر بدورها فى السلوك المؤكد الماهر اجتماعيا.

- انصب تركيز الباحثين لدور هذا المتغير على أحد جوانب المهارات الاجتماعية فقط، وهو التوكيد، فى حين لم يتطرق إلى تأثيره فى المهارات

الاجتماعية الأخرى من قبيل المهارات الاتصالية، أو التعاطف، أو المشاركة الاجتماعية، أو الاستشعار مع أنها قابلة للتأثر به أيضا بدرجة قد تكون كبيرة، فعلى سبيل المثال قد تتأثر درجة تعاطفنا مع فرد معين بما نقوله لأنفسنا بشأنه (فهو لطيف، ويستحق المساندة، أو يستحق ما ناله من ضرر).

- على الرغم من أن نظام تعاقب العبارات قد يكون له دور مؤثر أيضا فى تحديد طبيعة الحوار الداخلى فى السلوك الماهر اجتماعيا إلا أنه لم يتم الاهتمام بتلك المسألة، بالقدر الكافى، فعلى سبيل المثال، قد يسلك الفرد بطريقة مختلفة حين تأتى العبارات الإيجابية فى عقله قبل السلبية، فى حين أنه قد يتصرف على نحو مختلف إذا أتت العبارات السلبية أولا قبل الإيجابية، وهو ما أكدته إحدى دراسات الإبداع باستخدام أسلوب التفكير بصوت مسموع حيث تبين أن الأكثر إبداعًا كانوا يتبعون، فى الغالب، الحوار الذاتى المثبط بآخر إيجابى، فى حين أن الأقل إبداعًا كانوا يتبعون العبارات المثبطة بأخرى مثلها، أو بالصمت (Kendall, 1982).

٢- توقع العواقب Anticipation of Consequences :

يشمل متغير توقع عواقب السلوك توقعنا، وتنبؤنا، بنتائج سلوكنا فى موقف ما، وكذلك توقع نتائج سلوك الآخرين، فضلا عن توقعنا بمدى كفاءتنا الذاتية فى القيام بأفعال معينة، (Rakos, 1991, 54)، وفيما يتصل بمتغير الكفاءة الذاتية Self Efficacy فإن «باندورا » يعرفه بأنه « تقدير الفرد لحجم إمكاناته الذاتية وقدرته على أداء سلوك معين بصورة ناجحة » أى ما يستطيع فعله، وتتمثل أهميته فى أنه يجعل الفرد أكثر استعدادا لقبول التحديات والإقبال على أداء المهام الصعبة بصورة أفضل (Harrison et al , 1997)، وهو ما يزيد من احترامه لذاته ورغبته فى تطويرها، ومن ثم فهو محور مهم فى السلوك الاجتماعى الكفء (kasroly, 1993)، ومما يتفق مع هذا التحليل أن « شيازى وهمبرج » Chiauzzi & heimbesy وجدا أن منخفضى التوكيد، أى الأشخاص الأقل مهارة اجتماعيا، قيموا أنفسهم على أنهم

أقل قدرة على إصدار السلوك بفعالية، أى أن الاعتقاد بالكفاءة الذاتية ضرورى للتصرف بتوكيد(Shroeder & Rakos,1983).

ويضيف « روسكوس » بعدًا جديدًا » لمتغير توقع العواقب ألا وهو توقعاتنا لسلوك الآخرين موضحًا أنه يسهم فى تفسيرنا لسلوكهم حتى أن السلوك الغامض قد يفسر على نحو يتسق مع تلك التوقعات، وتعد ظاهرة النبوءات المتحققة ذاتيا ناتجة عن توقعاتنا حول كيف يتصرف الآخرون (Roskos, 1997).

ومن المفترض أن الفرد يزن العواقب التى يتوقع أن تنتج عن سلوكه، ويختار السلوكيات ذات العواقب الأفضل، وأن ذوى المهارة الاجتماعية المرتفعة ينجحون فى وزن الآثار الإيجابية والسلبية للاستجابة المقترحة، والبديلة، ويقررون فى ضوء ذلك اختيار أحدها، أى التصرف على نحو أكثر مهارة اجتماعيا. (Bruch et al ., 1981)، ولكن هذا لا يمنع كما يقول « هيدن بارجين » Hidden Bargein أن تسفر هذه الموازنة عن تنازل الفرد عن بعض حقوقه توقعًا منه أن يفعل الآخر شيئا ما فى المقابل مع أنه لا يخبره صراحة بذلك، كمن يقبل أعمالا إضافية، دونما مقابل اعتقادًا منه أن رئيسه قد يتجاوز عن تأخيره، أو يرقيه (Lange & Jakubowski, 1976).

ويشير العديد من الباحثين إلى أن من أسباب ضعف المهارات الاجتماعية لدى الفرد طبيعة العواقب التى يتوقعها لسلوكه فى مواقف التفاعل الاجتماعى، وأن ذوى المستوى المنخفض من المهارات لديهم نمط مميز من توقع العواقب حيث يميلون كما يشير « كلارك وأركويتز » Clark & Arkowtz لتضخيم العواقب السلبية وبخس الإيجابية بصورة غير واقعية (Trower, 1986)، ومما يتسق مع هذا التصور أن « أوبانيون وأركويتز» O'Banion &Arkowitz وجدا أن ذوى القلق الاجتماعى المرتفع، وهو من مؤشرات انخفاض المهارة الاجتماعية، يركزون على الجوانب السلبية فى تفاعلهم مع الآخرين (Shroeder & Rakos, 1983)، وتتمثل بعض هذه العواقب السلبية، كما يوضح « جامبريل »، فى توقع أن يسخر منهم الآخرون أو يؤذونهم

(Gambrill, 1977, 565- 566)، وفى دراسة أجراها « جوتمان وآخرون » قرر منخفضوا التوكيد توقعهم حدوث عواقب سلبية حين يسلكون على نحو مؤكد بدرجة أكبر من مرتفعى التوكيد، أى أن تلك التوقعات هى التى حدت بهم لأداء هذا السلوك الأقل مهارة اجتماعيا (Bruch et al ., 1981)، وفى المقابل وجد شيازى وهمبرج « أن مرتفعى التوكيد توقعوا عواقب إيجابية متنوعة كدالة لسلوكهم التوكيدى من قبيل إثارة إعجاب الآخرين، واحترامهم (Rakos , 1991 , 94).

ويوضح بيرى وزملاؤه Perry et al .. أن من لديهم توقعات سلبية حول بعض أشكال السلوك غير الماهر اجتماعيا (العدوان) يميلون لإظهار معدلات منخفضة منه، ويميلون، فى المقابل، للانخراط فى معدلات مرتفعة من السلوك المساير (Schantz et al ., 1998).

تعقيب :

حين نريد تقييم دور متغير توقع العواقب فى تشكيل المهارات الاجتماعية يجب أن نضع فى اعتبارنا بعض المتغيرات الآخرى منها : إن توقع الفرد لعواقب سلوكه يتحدد، جزئيا، فى ضوء تصوره وإدراكه لتقويم الآخرين لهذا السلوك أيضا، ومدى الدعم الذى سيقدمونه له، أو إدراكه للموقف، وخبراته السابقة بعواقب سلوكه فيه، وكذلك فإن مستوى القدرات التجريدية والاستدلالية للفرد سيسهم فى تحديد مدى كفاءة توقعاته (Bruch et al ., 1981)، فضلا عن التقويم الكلى لعناصر الموقف على المدى القريب والبعيد أيضا، فعلى سبيل المثال قد يؤدى إفصاح الفرد عن مشاعره الحقيقية نحو الآخرين إلى فقدان بعض علاقاته الشخصية، بيد أن هذا قد يفيده على المدى البعيد حيث يدركه الآخرون على أنه شخص صادق (Burno, 1980, 499 - 500).

وبناء على ذلك فإنه من الضرورى إذا أردنا أن نقيم، ونفهم، دور متغير توقع العواقب فى المهارات الاجتماعية على نحو أكثر دقة، أن نضع تلك المتغيرات فى الاعتبار وهو ما لم يحدث فى ظل الطرح الأحادى الحالى لدوره فيها.

ومما يؤخذ على تلك الدراسات أيضا أنها ركزت على توقع عواقب السلوك، ولم تعطِ اهتماما موازيا لإدراك العائد الفعلى لهذا السلوك الماهر اجتماعيا سواء الذى يصدره الفرد أو الآخرون، ومن المعروف أن الأول يسبق الثانى، وأن عائد السلوك سيسهم، بدوره، مستقبلا فى تشكيل التوقعات حول عواقبه لاحقا، فضلا عن أن الفجوة الفاصلة بين التوقعات والعائد متغير معرفى مهم يجب دراسته على نحو أكثر إحكاما فيما بعد، يضاف إلى ذلك أن ثمة بعض التحفظات يمكن إثارتها حول بعض نتائج تلك الدراسات، وخاصة حول ما يتعلق بكيفية إثبات العلاقة السببية، كما يقول « همبرج وبيكر »، بين متغير توقع العواقب والسلوك الماهر اجتماعيا، لأنه أمر صعب خاصة فى ظل اعتماد تلك الدراسات على أسلوب التقرير الذاتى، بدلا من الاستناد إلى محكات خارجية يمكن التعامل معها كعناصر مرجحة لإثبات تلك العلاقة (Heimberg & Becken, 1981) وهو ما يؤمل إحرازه فى الدراسات المستقبلية وخاصة فى ظل ظهور أساليب إحصائية متقدمة مثل Linear Structural Relationship (Lisrel). الذى ابتكره «جورسيكوج » Jorskog، والذى يتسنى بواسطته دراسة العلاقات السببية متعددة الاتجاه بين المتغيرات النفسية (شوقى، ١٩٨٨، ٢٢١).

٣- المعتقدات غير المنطقية Irrational Belifes :

إن معتقدات الفرد تحدد سلوكه، فعلى سبيل المثال، إن ميل الفرد لمسايرة الآخرين قد يفسرها اعتقاده بأن مسايرتهم ضرورية لكى تكون محبوبًا من قبلهم. وقد يعتقد آخر أنه سيحظى نتيجة لذلك بمزايا، وهو ما يشير للطابع المتفرد للمعتقدات بشكل عام. وهناك معتقدات منطقية وأخرى غير منطقية، وهى المسئولة، جزئيا، عن الفروق المنظورة فى سلوك الأفراد (Langston & Sykes, 1997)، ومن المفترض أن القدرة على التفسير المنطقى للأمور من بين العناصر المعرفية الضرورية للمهارات الاجتماعية، وفى المقابل فإن التفسير غير المنطقى من بين العوامل المثيرة للاضطراب فى العلاقات الشخصية، وهو ما يعد مؤشرا لضعف المهارات الاجتماعية. وأوضحت الدراسات أن المعتقدات غير المنطقية ترتبط بصور

مختلفة بالعديد من المشكلات النفسية والقلق الاجتماعى المفرط، والتوقعات المبالغ فيها، وتجنب مواجهة المشكلات (Horan, 1996)، ويعد « ألبرت إليس » Albert Ellis من أوائل الباحثين الذين أبرزوا دورها السلبى فى السلوك غير التكيفى (غير الماهر اجتماعيا) وقد اقترح أحد عشر معتقدا غير منطقى، صنفها فى أربع فئات (الشمسان، ١٩٩٦) يفترض أن أكثرها تأثيرا فى المهارات الاجتماعية، الاعتقاد بضرورة الحصول على قبول الآخرين (من الضرورى أن أكون محبوبًا من كل المحيطين بى) ووضع معايير مرتفعة للحكم على السلوك الشخصى (يجب أن أتفوق فى كل الجوانب لكى يكون لى قيمة)، وثمة أدلة متعددة على أن تلك المعتقدات تمارس تأثيرًا سلبيا على المهارات الاجتماعية. ويذكر « ويلى وبروتن» أن كثيرا من مظاهر السلوك غير الملائم تنبع من تلك المعتقدات لأنه يصعب أن يتوفر فى مواقف الحياة الواقعية ما يتطابق مع تلك المعتقدات (شوقى، ١٩٨٨ Morley, 1983; Mith & Howston, 1984;) وقد تبين فى دراسة أجراها «بروش وزملاؤه »، أن الخجولين (غير الماهرين اجتماعيا) مهتمون بصورة مبالغ فيها باحتمال الرفض الاجتماعى، والخوف من فقدان القبول من الآخرين، ولديهم اعتقاد، غير منطقى، بعدم المرغوبية « أنا ممل » « أنا غير جذاب » (Bruch et al ., 1999)). وتوصل « كورمالى وزملاؤه » Comally et al إلى أن الطلاب القلقين اجتماعيا لديهم الكثير من المعتقدات اللامنطقية (Shroeder & Rakos, 1983)، وفى دراسة « الدان وسافران » Alden & Safran حول دور تلك المعتقدات فى السلوك التوكيدى المنخفض وجدا أن من لديهم معتقدات غير منطقية كانوا أقل توكيدا فى مواقف أداء الدور والحياة الفعلية أيضا (Heimberg & Backer, 1981). ويقترح « أونودا وجاسيرت » وسيلة منطقية للتغلب على التأثيرات السلبية لتلك المعتقدات فى السلوك التفاعلى للفرد فى المواقف الاجتماعية بأن يتخلى الفرد عن تلك المعتقدات غير المنطقية ويتبنى بدلا منها عددا من المعتقدات المنطقية من قبل « لى الحق أن أكون متوترًا بعض الشىء مادام فى الحدود المعقولة » « ولى الحق أن أطلب إيضاحًا من الآخر لأفهمه بصورة أوضح » (Onoda & Gassert, 1978).

ولكن هل يسهل على الفرد بمفرده القيام بذلك الإجراء أم أنه بحاجة إلى بعض التوجيهات والمعاونات الخارجية ؟، وكذلك هل يعزى السلوك غير التكيفى فقط لتلك المعتقدات أم أنها ناتجة، بدورها، عن متغيرات أخرى، كأن تعكس، مثلا، مفهوم الفرد السلبى عن ذاته، يضاف إلى ذلك أن تلك المعتقدات قد توفر للفرد بعض المزايا على نحو يصعب معه عليه التخلى عنها بسهولة.

٤- مراقبة الذات Self Monitoring :

يعرفه «شنايدر» بأنه « ملاحظة الفرد لسلوكه الخارجى والداخلى فى المواقف المتنوعة فضلا عن الانتباه للعواقب الناتجة عنه » (Rakos , 1991, 48).

ويشير « شنايدر » إلى وجود خمسة مكونات للمفهوم هى :

- الاعتناء بمدى ملاءمة السلوك الاجتماعى للبيئة المحيطة.
- الانتباه للمعلومات الخاصة بالمقارنات الاجتماعية.
- القدرة على التحكم فى وتعديل تقديم الذات.
- استخدام تلك القدرة فى مواقف معينة.
- تغيير السلوك الاجتماعى كدالة للموقف.

وقد صمم « شنايدر » مقياسًا لقياس تلك السمة التى تتمثل أهميتها فى أنها تمكن الفرد وتجعله أكثر قدرة على اشتقاق المعانى التى يرغب الآخرون فى التعبير عنها، وتوظيف تلك المعلومات فى توجيه تفاعله معهم (Avia et al ., 1998; Pedler,1992) وحرى بالذكر أن بعض الباحثين أشاروا إلى احتمال أن تندرج هذه المكونات فى عوامل أعرض.

إن المراقب لذاته يستخدم هاديات الآخرين كموجهات لعملية مراقبة أسلوب تقديمه لذاته، ويسأل نفسه ماذا على أن أفعل لأظهر بصورة أفضل (Dobbs et al ., 1980) . فهو على سبيل المثال يلاحظ كيف يقدم نفسه للآخرين، وكيف يستخدم

حركات يديه بصورة أفضل، وهل كان منصتًا بدرجة كافية للآخر، وهل عليه أن يقلل من الانتقادات للآخر، أى أنه يدرك بدقة إلى أى مدى يتلاءم سلوكه مع الموقف، وهو ما يمكنه من الوقوف، عادة، على أوجه القصور فى سلوكه إبان التفاعل الاجتماعى، وبالتالى يعمل على تعديله على نحو يجعله أكثر مهارة اجتماعيا (Caroly , 1983).

ومن جهة أخرى فهو أكثر وعيا بكيفية إدراك الآخرين له، ويميل لتنظيم سلوكه ليتواءم بصورة مرنة مع توقعاتهم، وأكثر قدرة ومهارة فى إدارة التفاعلات الاجتماعية معهم (Leenox & Wolf, 1984). ويضيف « هيجانز » بعدًا آخر للمسألة مفاده أن الناس تراقب نفسها لتقف على التعارض بين حالتهم الراهنة والحالة التى يرغبون بلوغها بهدف التقريب بين الحالتين (Higgins, 1996)، ومن هنا فإنه يمكن النظر لعملية مراقبة الذات كوسيلة للتغيير من منطلق أن تلك العملية توفر معلومات كافية للفرد حول واقعه الحالى وبذا يسهل عليه التخطيط لتغييره ليصبح أكثر اقترابا مما يأمل بلوغه، وهو ما يكشف عن دورها فى صياغة وتشكيل مستوى المهارات الاجتماعية للفرد. بيد أننا نلاحظ أنها تتداخل مع مفهوم الاستشعار الاجتماعى والتحكم الاجتماعى « لريجيو »، فضلا عن أنها تتضمن عناصر سلوكية بجانب العناصر المعرفية، ومن النقاط المهمة التى يجب دراستها فى هذا المجال : هل العلاقة بين مراقبة الذات والمهارات الاجتماعية خطية أم أن القدر المفرط منها قد يشكل قيدا على المهارة ويصبح معوقا لها فى ظروف معينة كذلك ما هى طبيعة العلاقة بين مراقبة الذات وعملية النقد الذاتى ومحاولات التعديل الذاتى للسلوك ؟

٥- الإدراك الاجتماعى Social Perception :

فيما يعنى مفهوم مراقبة الذات بقدرة الفرد على ملاحظة وإدراك سلوكه فى مواقف التفاعل الاجتماعى فإن مفهوم الإدراك الاجتماعى يتركز على قدرته على ملاحظة، وإدراك سلوك الآخرين فى تلك المواقف. ويشير « مورلى وزملاؤه » إلى أنه يرتبط بدقة الفرد فى فهم وتفسير السلوك الاجتماعى للآخرين وهادياتهم غير اللفظية، وتحديد ماذا عليه أن يفعل بناء على ذلك، وفى حالة عدم دقة هذا الإدراك

فإن الفرد سيتصرف بطريقة غير ملائمة اجتماعيا، ويتضمن الإدراك كما يرى « مورلى وزملاؤه » المكونات التالية :

- التقدير الدقيق لسلوك الآخرين.

- التفسير الدقيق للعائد المقدم منهم.

- توليد استجابات بديلة للتعامل معهم فى ضوء العنصرين السابقين.

- التنبؤ بالنتائج المرغوبة لكل منها، واختيار البديل المناسب.

- تخطيط وتنفيذ الاستجابة المختارة (Morley et al ., 1983).

لكن يؤخذ على هذا التحليل التكوينى لمكونات الإدراك لدى « مورلى وزملائه» أنه يتضمن عناصر أخرى تندرج فى مكونات عملية معالجة المعلومات واتخاذ القرار، والتى يعد الإدراك أحد عناصرها فقط، ومن ثم يرى الباحث أن المكونين الأول والثانى فقط هما اللذان يعتبران من مكونات الإدراك الاجتماعى، ومما يدعم هذا التصور أن « أرجايل » يشير إلى أن الإدراك الاجتماعى يتضمن مكونين رئيسيين هما :

- **دقة الإدراك** (يشبه مهارات الترميز عند ماكفال).

- **القدرة على فهم إدراك الآخر** أو ما يسميه ميخنباوم **اعتبار منظور الآخر** - Role Taking، وهو مكون مهم للأداء الفعال اجتماعيا، بيد أن الدراسات ركزت على علاقته بالسلوك الاجتماعى البناء أكثر من الماهر اجتماعيا (Schroeder & rakos , 1983)، وتشير الدراسات إلى أن غير الماهرين أجتماعيا أقل قدرة على إدراك وتمييز الهاديات، فعلى سبيل المثال، يشير، « كارليون » إلى أن الفاشلين اجتماعيا (العدوانيين) يدركون النوايا العدائية فى سلوك الآخر حتى لو كان المقصود موجبًا أو محايدًا (Carlyon, 1997). ويتفق « موريسون وبيلاك » Morrison & Bellack مع هذا التصور حيث يقترحان أن ضعف المهارات الاجتماعية قد يعزى إلى انخفاض كفاءة عملية الإدراك الاجتماعى، والتى تشير إلى القدرة على إدراك ومعالجة

المنبهات فى العلاقات الشخصية (Furnham, 1983)، وأشارت دراسة « ماهونى » Mahony إلى أن من لديهم نقص فى الكفاءة الاجتماعية لديهم أخطاء فى الانتباه والإدراك من قبيل الفشل فى التقاط الهاديات من البيئة، والتركيز غير التكيفى على منبهات غير متعلقة بالأداء مثل التأثر بوجود آخرين، والعزو، والتوقعات , Rathjen) (1980 . وهناك عدة نماذج أولت الإدراك الاجتماعى أهمية كبيرة فى تفسير المهارات الاجتماعية من أبرزها النموذج التوليدى لتراورtrower's generative model فالمهارات الاجتماعية لديه تتضمن إصدار سلوكيات موجهة نحو الهدف من خلال استراتيجيات معرفية تشمل أساليب ترميز للمنبهات المُدركة، وأبنية معرفية تصنفها، وتفسرها، وكذا التوقعات الذاتية، وهى عناصر ذات طابع إدراكى اجتماعى، وأن الفروق فى تلك العناصر تؤدى إلى فروق فى مستوى المهارات الاجتماعية، إلا أن ما يؤخذ عليه أنه لم يتضمن سوى القليل من المتغيرات المعرفية ولم يوضح دور بقية المتغيرات الأخرى (Schroeder & Rakos, 1983).

من خلال استقراء الإنتاج الفكرى فى مجال المهارات الاجتماعية تضح تلك الأهمية التى يتلقاها الإدراك الاجتماعى سواء بوصفه أحد مكونات تلك المهارات وعنصرًا محوريًا فى تعريفها، أو بوصفه عملية معرفية تسهم فى تشكيل السلوك الاجتماعى المهارى، وأن أى خلل أو قصور فيها يؤثر سلبيا فى كفاءة هذا السلوك، ومن هنا تبرز عدة تساؤلات فى الذهن : ما هى طبيعة العلاقة بين الإدراك الاجتماعى كمكون للمهارات الاجتماعية، وكمحدد لها فى الوقت نفسه ؟، ولماذا لم يركز باحثو الإدراك الاجتماعى على العلاقة بين مراقبة (إدراك) الذات، وإدراك الآخرين فكل منهما يؤدى للآخر، ومن شأن تناول كل منهما بصورة منفصلة إفقادنا معلومات خصبة تيسر فهم طبيعة تلك العلاقة بصورة أفضل، وما تأثير تفاعلهما على المهارات الاجتماعية، وما هو دور المخططات المعرفية فى معالجة البيانات المدركة وإضفاء معانٍ معينة عليها على نحو قد يوجه الاستجابة وجهة بعينها ؟

٦- التعقد التصورى Conceptual Complexity :

يعرف بأنه « مجموعة من الأبنية المعرفية (القواعد والمخططات) المترابطة التى تساعد الفرد فى تمييز، وترميز، والاستفادة من المعلومات المستمدة من البيئة الاجتماعية فى التعامل مع المواقف الاجتماعية، وتفسير سلوك الآخرين فيها (Bruch et al., 1981; Walden & Applegate, 1994).

ويتضمن هذا المفهوم العناصر الفرعية التالية :

- القدرة على التمييز الدقيق بين الهاديات الموقفية بما يسمح باعتبار مدى أوسع من وجهات النظر المتعارضة.
- الاعتماد المتزايد على معايير داخلية، ولكن منطقية، لحل المشكلات.
- القدرة على دمج واستيعاب قدر كبير من المعلومات للتعامل مع الموقف. (Rakos, 1991, 50 - 51) . وهى تمكن الفرد فى مواقف الصراع من الإحاطة بمدى أوسع من وجهات النظر، ووجد « بروش » أن المرتفعين عليها أكثر معرفة بالمحتوى التوكيدى، واستخداما للعبارات الاعتذارية، ومرونة وتعددا للمناظير (Schroeder & Rakos, 1983).

وتشير نتائج البحوث التى أجريت على هذه القدرة أن المرتفعين عليها أكثر توكيدا، وخاصة فى المواقف الصعبة حيث إنها، كما يقول بروش، تمكن الفرد من الاحتفاظ باستجابة مرنة على الرغم من التصعيد المحتمل للصراع من جانب الآخرين فضلا عن أنهم أكثر قدرة على التنبه للمسألة الرئيسية، وابتكار أساليب بديلة للتعامل مع الآخرين (Bruch et al ., 1981). وتشير نتائج دراسة أجراها «مونتوجمرى » Montogomery أن الأطفال الأكثر تعقدا تصوريا كان لديهم عدد أكبر من الأصدقاء (Vaugh et al ., 2000)، ولكن على الرغم من حداثة هذه الدراسة إلى أن نتيجتها يجب أن تؤخذ بحذر، فأفراد عينتها كانوا صغار السن جدا تتراوح أعمارهم بين ٤ - ٧ سنوات، وهو عمر يصعب فيه تصور ارتقاء هذه القدرة

على النحو الذى تمارس فيه ذلك الدور المحورى، وخاصة أنه وفقا لنظرية بياجيه فى الارتقاء المعرفى فإن تلك القدرات التجريدية المعقدة تنمو فى أعمار لاحقة. وحين نتحدث عن أهمية تلك القدرة بشكل عام فهى محورية إلا أنها تشمل مدى واسعًا من العمليات المعرفية بدءًا من الانتباه والإدراك، والتفسير والتنفيذ، وهو ما يوحى بأنها أوسع مما يجب أن تتضمنه قدرة واحدة، فضلا على أن الدراسات لم تتعامل مع عناصرها الفرعية، ولعل هذا يفسر عدم ذيوع وانتشار البحوث فى مجال تلك القدرة فى الساحة البحثية حيث إنها تتسم بالندرة.

(٢) الأبنية والعمليات المعرفية :

بينما عنيت الجهود السابقة بدور بعض المتغيرات الأحادية بالإسهام فى المهارات الاجتماعية، وبما أن أكثر أوجه النقد التى وجهت إليها أنه يصعب فهم وتفسير مستوى المهارات الاجتماعية من خلال منظور أحادى، فضلا على أن تلك المتغيرات تتفاعل مع بعضها ويسهم المزيج الناتج عن هذا التفاعل فى مزيد من الفهم الأكثر عمقا لتلك المهارات، بالإضافة إلى أن هناك عناصر معرفية ذات طابع مركب لم يتم تسليط الضوء عليها مثل الأبنية المعرفية، والعمليات الاستدلالية ؛ لذلك فإنه من الضرورى أن نعرض لدور تلك العناصر، وخاصة أنها تشكل مصدرا مهما، لم يدرس بشكل كافٍ بعد، مؤثرا فى المهارات الاجتماعية، ويعد التصدى لدراسة دورها تطورا مفيدا فى إثراء فهمنا لتلك المهارات، وتتمثل أبرز تلك العناصر المعرفية فى :

١- المخططات المعرفية الاجتماعية.

٢- الاستدلال الاجتماعى.

٣- العزو.

وفيما يلى نقدم نبذة عن دور كل منها كمحدد للمهارات الاجتماعية :

١- المخططات المعرفية الاجتماعية:

تتمثل أهمية المخططات المعرفية سواء كانت حول الأشخاص، أو الأحداث، أو المواقف، أو الذات فى أنها تسهم فى توجيه سلوكنا فى مو اقف التفاعل الاجتماعى، وبالتالى تحدد مستوى مهاراتنا الاجتماعية فيها، إن إيجابا أو سلبا، ونظرا لتلك الأهمية فقد نشطت البحوث، ولكنها ما زالت قليلة، لدراسة ذلك الدور، فعلى سبيل المثال اهتم « بالدوين » Baldwin بدراسة أثر تلك المخططات، بشكل عام، على فهم ومعالجة المعلومات فى العلاقات الشخصية، وأجرى « فيتنيس » Fitness دراسة عام ١٩٩٦ حول أثر مخطط الأحداث فى طبيعة العلاقات الشخصية للفرد (Finchan & Beach, 1997). ونظرا لتعدد أنواع المخططات، كما أوضحنا سابقا فى معرض مناقشتنا لها، يتوقع أن تتنوع مظاهر هذا التأثير وفيما يلى أمثلة لذلك :

- **حين نتبنى** مخططا لشخص ما فى أذهاننا، ويكون هذا المخطط ذات طبيعة سلبية (متهور، أنانى، لا يحترم إلا القوة، منحل أخلاقيا)، فمن المتوقع أن يسهم هذا المخطط فى تشكيل سلوكنا اللاحق معه، بحيث قد يصبح عدائيا، أو تجنبيا، وقد لا يكون هذا هو الأسلوب الأمثل فى التعامل معه، وخاصة حين يكون ترميز المخطط قائمًا على أسس ومعلومات غير دقيقة، بل هناك سوء إدراك لبعض جوانب سلوكه، وثمة تحيزات شابت عملية الاستدلال من سلوكه على تلك الصفات من قبيل إساءة استخدام قاعدة التمثيل حيث إننا رمزنا هذه الصفات فى المخطط الخاص به من خلال تصرفات قليلة غير ممثلة، ولم نراع تفهم الظروف، والسياقات التى صدرت فيها، وعزونا له هذه الصفات بطريقة متأثرة بتحيزات الفاعل / الملاحظ. بمعنى أننا تجاهلنا تأثير الظروف ونسبنا هذه التصرفات إلى سماته الشخصية، وهو يكشف عن، ويترتب عليه أيضا، قصور فى المهارة الاجتماعية حينئذ.

- **من شأن انخفاض** وعينا بمخطط النص المكتوب (سيناريو الحدث) لموقف أو حدث ما (زيارة مريض، حل نزاع عائلى)، والذى يتمثل فى عدة مظاهر من بينها

عدم وضوح التسلسل الصحيح للأحداث فيه، أو عدم تذكر ترتيبها، أو عدم ترميزها جيدا، أى إسقاط بعض الخطوات منها - أن يؤدى إلى استجابة غير ماهرة اجتماعيا فعلى سبيل المثال أن المخطط الخاص بحدث مثل إدارة عملية حل صراع أو التفاوض حول مسألة خلافية معينة قد يجعلنا نبدأ بداية غير موفقة، و غير مطلوبة أو غير محددة فى السيناريو، كأن نستهل الطرف الآخر باللوم بدلا من تحيته وإظهار قيمته ومدى حرصنا على العلاقة معه، مما يفسد الموقف، وهو ما يعد مؤشرا لانخفاض المهارة الاجتماعية.

- **هناك أيضا** مسألة تصلب المخطط، وصعوبة تغييره بعد تخزينه فى الذاكرة كدالة لتغير السلوكيات الخاصة بموضوعه مما يقلل من احتمال تعديل سلوكنا اللاحق مع الشخص الخاص به فى ضوء تلك المعلومات الجديدة، كأن نبقى على مخطط شخص معين (زميل) على أنه متفوق، ومتدين على الرغم من أن ثمة سلوكيات سلبية بدأت تصدر عنه تتعارض مع ذلك المخطط من قبيل إهمال بعض واجباته، وعدم التركيز أثناء الشرح، والتلفظ بألفاظ بذيئة والاختلاط برفقاء السوء، وبطبيعة الحال فإن عدم ترميز تلك السلوكيات فى المخطط، ومن ثم عدم تغييره، من شأنه أن يؤدى إلى تعاملنا معه بصورة غير ماهرة اجتماعيا كأن نشترك معه فى واجب علمى صعب يكلفنا به الأستاذ، أو نأتمنه على أسرارنا، والعكس صحيح كذلك، أو مثلما الحال عندما يظل الوالدان محافظين بشكل متصلب على مخطط الشخص - الطفل لابنهما على الرغم من أنه أصبح مراهقا ولا يلتفتا إلى سلوكيات عديدة بدأ يظهرها (تمرد، رغبة فى الاستقلالية، إخفاء خصوصيات) مما يؤدى إلى سلوك غير توافقى معه ما كان له أن يحدث، وما يترتب عليه من مشكلات، لو قاما بتعديل المخطط الخاص به فى عقليهما، وترميز تلك السلوكيات فيه على نحو يسرع بتغييره فى الاتجاه الصحيح، ومن ثم يوجه أسلوب تعاملهما الجديد معه فى الوجهة المرغوبة، مما يعد مؤشرا أيضا على ارتفاع المهارة الاجتماعية لو حدث، وانخفاضها

فى حالة عدم حدوثه، وهو ما يكشف عن دور متغير التصلب المعرفى للمخطط فى تشكيل السلوك الاجتماعى.

- إن **خصائص** المثال النموذجى Prototype التى نرمزها فى المخطط الخاص به فى مجال معين، الزوج النموذجى، المعلم، القائد، الأب داخل عقولنا يسهم فى توجيه سلوكنا حيال أحد أفراد الفئة التى يمثلها، فعلى سبيل المثال إذا كان المثال النموذجى للمتحدث أنه استفزازى، مسيطر، يحاصر الآخر بالانتقادات، ويركز بصره عليه بصورة مبالغ فيها معظم الوقت، فمعنى هذا أن الفرد سيميل لممارسة تلك السلوكيات أثناء المحادثة مما يحدو بالآخرين لإصدار حكم عليه بأنه متحدث غير ماهر اجتماعيا. وكذلك إذا تبنينا مواصفات إيجابية للمثال النموذجى لمرتكب فعل سلبى مثل التلميذ المشاغب فى الفصل (فهو خفيف الظل، وواثق من نفسه) فسنميل لفعل ذلك فى الفصل، وخاصة إذا أدركنا أن ثمة تشابها بيننا وبينه.

ومن هنا يتضح كيف أن المخططات قد تمارس آثارًا إيجابية أو سلبية فى سلوكنا فى المواقف الاجتماعية، والذى يتحدد فى ضوئه مدى مهارتنا الاجتماعية، ويرى الباحث أن هذا مجال خصب لإجراء المزيد من البحوث حوله فى ثقافتنا المصرية بوجه خاص، والعربية بشكل عام.

٢- الاستدلال الاجتماعى Social Inference :

يشير « روزرام » إلى أن الاستدلال من بين المكونات المعرفية للمهارات الاجتماعية (Rotheram, 1986)، وقد نجح علماء المعرفة الاجتماعية فى إدخال المبادئ الاستدلالية في صلب المعرفة الاجتماعية بوصفها **آليات لإصدار أحكام**، وعمل استدلالات اجتماعية تتسم بالدقة النسبية، وعدم الإفراط فى التعميم، وتلتزم بمجموعة من المعايير الضرورية التى تحدد مدى صدقها. وتستخدم **الطرق الاستدلالية المختصرة** فى إطار الاستدلال الاجتماعى، ويفترض أن الشخص الأكثر مهارة اجتماعيا لديه قدرة على الاستخدام الأكفأ لتلك الطرق فى حياته اليومية فهو كما يشير

«نسبيت وروز» يحترم المبادئ والقواعد الإحصائية أثناء استدلاله من قبيل عدم تخطى تحيز العينة بتطبيق قاعدة « لا تحكم على كتاب من عنوانه »، أو «ليس كل ما يلمع ذهبًا »، وكذلك التزام قانون الأعداد الكبيرة فمقابلة لمدة عشرين دقيقة أفضل من خمس دقائق للحكم على مرشح، ونتيجة مسح أجرى على مائة مبحوث أفضل من عشرين (Nisbitt & Ross, 1983).

كذلك فإنه لا يقوم بإصدار حكم عام على شخصية فرد آخر فى ضوء صفات محدودة أو سلوكيات قليلة غير ممثلة لمجمل صفاته وسلوكه. وهو لا يتبنى أيضا اتجاهات عامة، إيجابية أو سلبية، نحو فئة معينة من البشر من خلال التعامل مع مفردة واحدة من تلك الفئة، وهى بالطبع لا تعكس ولا تمثل خصال كل أفرادها، وهناك شواهد أمبيريقية، كما فى حالات إصدار أحكام معممة جدا على شعب بأكمله من خلال التعامل مع أحد أفراده، أو وضع فرد فى فئة (الأنانيين مثلا) لمجرد أنه تصرف لمرة واحدة بطريقة مشابهة (أنانية) لأفراد هذه الفئة. وهناك أيضا شواهد تجريبية تدعم ذلك، ففى تجربة أجراها «هامل وزملاؤه» Hamill et al شاهد فيها نصف المبحوثين مقابلة بالفيديو مع حارس سجن رحيم، وشاهد النصف الآخر حارسا غليظا قاسيا، وأُخبر نصف كل مجموعة من المجموعتين أن الحارس ممثل لباقى الحرس، والنصف الآخر فى كل مجموعة أخبروا بأنه حالة متفردة غير ممثلة وتبين أن الاتجاهات فى المجموعة التى شاهدت الحارس الرحيم كانت إيجابية نحو باقى الحرس سواء الذين أخبروا بأنه ممثل لباقى الحرس، أو بأنه غير ممثل، وأن تلك الاتجاهات كانت سلبية فى المجموعة التى شاهدت الحارس القاسى حتى من علم منهم بأنه غير ممثل أى أنهم تبنوا اتجاها، وقاموا بتعميمه، بناء على حالة واحدة غير ممثلة، أى اتخذوا قرارًا بدون بيانات دقيقة وتجاهلوا البيانات المتاحة الدقيقة (Nisbitt & Ross, 1982, 453)، وعلى الشخص الماهر اجتماعيا، كذلك، أن يعتمد فى إصدار أحكامه على قواعد بيانات، وعليه فى حديثه وحواره مع الآخرين أن يعتمد كما يشير « جريس » Grice، على مجموعة من **القواعد** حتى يصبح فعالاً ألا وهى :

- قاعدة الكم : لا تقل أكثر أو أقل من المطلوب، وراعى أن تتناسب جرعة المعلومات التى تقدمها للآخر مع طبيعته، واستعداده، وزاوية اهتمامه.

- قاعدة الكيف : لا تقل إلا ما تعرف، ويكون لديك عليه دليل، فعلى سبيل المثال : على الطبيب غير المتأكد من تشخيص مريضه الا يصدر حكمًا بشأن مرضه.

- قاعدة التعلق بالموضوع : لا تذكر إلا معلومات متصلة بأهداف التفاعل، وتجنب غير المتعلقة بالموضوع.

- قاعدة الأسلوب Manner : حاول أن تكون مختصرًا، منظمًا، وواضحًا. (Argyle, 1986; Hilton, 1995 ; Nofsinger, 1991, 37- 39).

وعليه أن يراعى **قاعدة الإتاحة** فى حكمه على الأمور بمعنى ألا يعتمد على آخر السلوكيات الصادرة من زميل فى الحكم عليه متجاهلا مجمل تصرفاته السابقة ذات الطابع المختلف حتى يقيم علاقات متوازية اجتماعيا مع المحيطين به، كذلك على الفرد الاستخدام الأمثل **لقاعدة الإرساء والتعديل** حيث يميل، عادة، لاختيار النقطة المناسبة كبداية لعمليات التفاوض الاجتماعى (تسوية نزاع، المساومة مع بائع) حتى يصل إلى النقطة السواء فى نهاية تلك العملية، ومن ثم يصبح هامش خسارته محدودا، واحتمالات نجاحه أكبر، وهى بطبيعة الحال من مؤشرات المهارة الاجتماعية. وفى المقابل فإننا حين نتعامل مع، ونحلل أداء غير الماهرين اجتماعيا فإننا سنجد كما يوضح « هولين وتراور » العديد من الأخطاء الاستدلالية (Hollin & Trower, 1986)، ومن شأن هذه الأوجه من القصور والتحيز فى عمليات الاستدلال الاجتماعى أن تعوق الوصول إلى استدلالات دقيقة، ويشير الباحثون إلى أن معوقات الاستدلال هذه تنقسم إلى قسمين: **أخطاء الاستدلال** وهى غير مقصودة، وتحيزات الاستدلال وهى عمليات دافعية مقصودة، ومن هذه الأخطاء. أن الإنسان كما يقول « تفرسكى وكانيمان » صانع قرار سيئ حيث يعتمد على معلومات، وخبرات شخصية حول الموضوع بدلا من الاعتماد على بيانات قاعدية لاتخاذ قرار

وإصدار حكم بشأنه (Hilton, 1995)، وهناك الإجماع المتوهم False - consensus أى الميل الافتراضى أن الآخرين يفكرون مثله، وهو غير صحيح، كميل المدخنين لتضخيم نسبة المدخنين فى المجتمع، فهذا من شأنه أن يزيد من ثقتهم فى صحة موقفهم، كذلك قد يعزى هذا لأثر الإتاحة حيث إنه من السهل على الفرد استحضار وتذكر الحالات المؤيدة والمشابهة (Baron & Byrne, 1997, 84)، وهناك الاعتقاد بالتصاحب الخادع حيث يحكم بعض الناس على متغير بأنه سبب لآخر بمجرد تصاحبهما مع أن الأمر ليس كذلك مثلما الحال فى العلاقة بين جمال الفتاة وعدم اهتمامها بالقراءة، وهناك كذلك أثر الهالة، والانحدار.

أما عن مظاهر **التحيزالاستدلالى** فهى متعددة، منها التحيز فى الحكم، فعلى حد قول « فرى » Frey فإنه يصعب على الفرد عندما يعالج معلومات معينة استبعاد تفضيلاته بشأنها، أو رغبته للوصول إلى نتيجة بعينها، ومن ثم فإنه يميل لتقييم تلك المعلومات بطريقة متسقة مع النتيجة المرغوبة ويكون، كما تقول كوندا Kunda، أكثر نقدا للمعلومات المتعارضة معها أى أن التحيز يؤثر فى إدراكات الناس وتعليلاتهم، بيد أنه يجب على متخذ القرار الموازنة بين ميله للوصول إلى نتيجة معينة، ومراعاته أن تكون تلك النتيجة معقولة فى ضوء البيانات المتاحة أى أن معيار المعقولية يقيد الرغبة للتوصل إلى نتيجة معينة (Boiney et al ., 1997) وبطبيعة الحال فإن الأقل مهارة اجتماعيا هم الأكثر عرضة للتأثر بهذه التحيزات، والأقل قدرة على الوعى بها، أو ضبطها.

٣- العزو Attribution :

يقول « سقراط » إن كل الأفعال الإرادية منطقية مبررة بمعنى أن الشخص لديه أسباب معقولة لأفعاله، وأنه من المستحيل عليه الاستجابة بطريقة إرادية ينتفى فيها وجود أسباب معقولة لها، بالنسبة إليه على الأقل (Rakos, 1991, 2)، ويسعى كل فرد من خلال العزو، لفهم هذه الأسباب، سواء بالنسبة لسلوكه أو سلوك الآخرين، فالعزو عبارة عن عمل استدلالات، واستنتاجات حول أسباب سلوك الفرد،

والآخرين، والأحداث أيضا (Batson, 1998)، وحيث إن عدد الأسباب المفسرة لحدث ما كثيرة جدا، أو غير محددة، فإنه يمكن للفرد من خلال رصد عمليات التزامن والاختلاف الاحتمالى بين المتغيرات المستقلة (الأسباب) والتابعة (النتائج) وتحديد ما هو ضرورى للحدث وكافٍ، فهم السببية. (Bierhoff & klein, 1989, 216)، وتتمثل قوة منحى العزو فى أنه استعار **مبادئ السببية**، والاستدلال المنطقى، وطبقها على الظواهر النفسية والاجتماعية، ومن ثم أمكن له الوقوف على أسبابها وطبيعة العمليات المؤدية لها. ولا يقتصر العزو على البحث فى علاقة سبب واحد بنتيجة واحدة فقط، بل إنه يعنى بالعلاقات السببية بين سببين أو أكثر ونتيجة واحدة، وهو ما يشير إليه « كيللى » بمفهوم **المخططات السببية** Causal Schemata ويعرفها بأنها « تصور عام لدى الشخص حول تفاعل أنواع مختلفة من الأسباب لتؤدى إلى نتيجة نوعية »، وفى هذه الحالة، أى وجود أكثر من سبب، فإن الفرد يستخدم عمليات إضافية لتحديد مسئولية كل منها عن الحدث من بينها :

– الترجيح Augmentation : فإذا كان هناك سببان يمكن لكل منهما منفردًا إحداث نتيجة معينة فينشأ حينئذ عدم تيقن عندما نجيب عن سؤال أيهما مسئول عن تلك النتيجة، ومن ثم يلجأ الفرد لعملية الترجيح والتى بموجبها يزيد احتمال مسئولية أحدهما عنها.

– التقليص Discounting : ويعنى انخفاض احتمال مسئولية سبب معين عن الحدث إذا ما كان هناك سبب آخر أكثر اعتبارًا (Ibdi, 163 - 167)، أى تقليص احتمال مسئولية سبب ما عن الحدث.

وحرى بالذكر أنه إذا تمت عملية العزو بصورة دقيقة ومطابقة للواقع الفعلى كان سلوك الفرد الناتج عنها أكثر مهارة والعكس صحيح، فعلى سبيل المثال إذا فسر الابن السلوك الصارم للأب بأنه رغبة فى الحفاظ عليه، وخوف على مستقبله، فقد يتقبله، ويتوافق فى ظله مع أبيه، أما إن فسره على أنه أحد أشكال التعسف وعدم

احترام آدميته فستصدر عنه ردود فعل سلبية تعكس قدرًا منخفضًا من المهارة الاجتماعية فى التعامل مع مثل تلك الحالات.

ومما يجدر التنويه إليه أن هناك بعض **التحيزات** التى تحدث إبان عمليات العزو والتى تؤثر، سلبا عادة، فى طبيعة السلوك الاجتماعى للفرد، ومن ثم مدى مهارته، وتتمثل فى :

– **خطأ العزو الأساسى** The Fundamental Attribution Error : حيث يميل الفرد إلى عزو الأحداث إلى عوامل داخلية (استعدادات). والتقليل من أو تجاهل دور العوامل الخارجية (الموقفية) مع أن دور الثانية واضح، كأن يعزو حوادث الطرق للسائقين بدلاً من السيارة أو الطريق، والعطالة للشخص وليس للظروف. وقد يرجع ذلك إلى عدد من العوامل منها :

– البروز، فالفاعل وسلوكه عادة ما يكون المعلم البارز فى الحدث وليس البيئة.

– يميل الناس لنسيان ظروف الموقف، وتذكر الظروف الداخلية عبر الزمن (Hogg & Vaughan, 1998 , 56)، فضلاً عن أن السلوك يتسق عبر المواقف مما يقلل من تعليل الفرد للسلوك بعوامل موقفية (Nisbitt & Ross, 1980).

– **أثر الفاعل الملاحظ** The Actor - Observer Effect : الميل لعزو سلوكنا لعوامل خارجية، وسلوك الآخرين لعوامل داخلية، فعلى سبيل المثال حين يكون أحد الأشخاص صفيقًا معك فلأنه شخص سيئ (عوامل شخصية) أما حين تتعامل أنت معه بنفس الأسلوب فإن ذلك يُعزى للظروف الوقتية وضغوط الحياة عليك (عوامل خارجية)، ومن هذا المنطلق فإن سلوك الآخر أكثر ثباتًا، وبالتالى فإن ما ننسبه إليه من صفات، سلبية عادة، يصعب تغييره، وقد يعزى هذا الأثر إلى :

• بؤرة الانتباه : فالشخص لن يستطيع رؤية نفسه، ومن ثم يركز على العوامل الموقفية.

• الفروق المعلوماتية : فالفاعل لديه معلومات وفيرة عن الموقف ودوافعه بعكس الملاحظ (Taylor, 1998).

– **تحيزات خدمة الذات** Self - Serving Biases : يقوم الفرد وفقا لهذه التحيزات بتعظيم احترامه لذاته، وتحسينها، وحمايتها من خلال عزو نجاحه إلى عوامل داخلية (تحيز تحسين الذات Self Enhancement Bias) وإنكار مسئوليته عن الفشل وعزوه إلى عوامل خارجية (تحيز حماية الذات Self Protection Bias)، والتحيز الأول أكثر شيوعا من الثانى (Ibid). ومن أمثلة تحيز تحسين الذات أن الآخرين يتعاملون معى بلطف لأننى شخص لطيف، ومن النماذج المعبرة عن تحيز حماية الذات أن المسئول عن خصامى مع زميلى هو سلوك الزميل وليس سلوكى. ومع الاعتراف بدور تلك التحيزات فى عمليات تفسير السلوك الاجتماعى، وما تؤدى إليه فى حالة تشبعها بعوامل التحيز الثلاثة السابقة من انخفاض المهارة الاجتماعية فإن ثمة بعض **أوجه النقد** التى يلزم تسجيلها بصددها هى :

– هل تلك التحيزات تتم بصورة منفصلة، أم أنها قد توجد جميعها، وتتفاعل، معا فى تفسير الموقف أو الحدث الواحد ؟، وماذا سيكون عليه أثرها حينئذ : هل سيكون سلبيا أم إيجابيا ؟ فعلى سبيل المثال إن قام الفرد وفقًا لتحيز الفاعل الملاحظ بالاعتراف بمسئوليته الشخصية أيضا عن الفشل مثلما الاعتراف بدور الآخر فهل سيصبح الأمر حينئذ تحيزًا أصلاً ؟ وأليس هذا ما يحدث فى الواقع فى الكثير من الحالات، أى العزو المتعدد للأسباب ؟ ومما يدعم هذا التصور احتمال شيوع مفهوم التعاطف لدى الأفراد على نحو يجعل الفرد أكثر قابلية لتفسير سلوك الآخر على نحو مشابه لتفسيره لسلوكه.

– إن تأثير السياق الثقافى قد يساعد على تضاؤل ذلك التحيز، ففى دراسة أجراها « شوى وماركوس » Choi & Markus تبين أن الكوريين يميلون للاعتقاد بأن الاستعدادات الشخصية تتشكل بواسطة السياق المحيط (الموقفى)، حتى إنهم

حين يفسرون حادث قتل، مثلا، يذكرون العوامل الداخلية مقرونة بالظروف المحيطة التى أثرت فيها، وهو تصور شائع فى شرق آسيا حيث يركز الناس على السياق الكلى للسلوك Contextualism (وهى حالة يفترض فيها انخفاض شيوع تحيز الفاعل) فى حين أنه فى الغرب يتم التركيز على الفرد أى أن العزو يتركز على الشخص : اتجاهاته، وتفضيلاته، ودوافعه (وهو موقف يتوقع فيه شيوع تحيز الملاحظ) (Choi et al ., 1999).

يمكننا القول بناء على هذه النتائج أن هذه التحيزات قد تكون متأثرة بالسياق الثقافى، وهو ما يدعونا إلى دراسة طبيعتها عبر الثقافات، وطبيعة إسهامها فى العديد من المشكلات إبان تفاعل أبناء الثقافات المختلفة معًا.

– هناك تساؤل آخر يمكن أن يثور فى هذا السياق أيضا من قبيل : أليس بمقدورنا تلافى الآثار السلبية لتلك التحيزات من خلال تدريب الأفراد على التفسير العزوى متعدد العوامل لأسباب الأحداث المحيطة بهم ؟

أما فيما يتصل **بتطبيقات ودور العزو** فى المهارات الاجتماعية والعلاقات الشخصية فإنه يتمثل فى عدة صور منها :

– **النمط العزوى والمهارات الاجتماعية** : من المعروف أن لدى كل فرد استعدادًا لعمل أنماط معينة من العزو السببى للسلوك، والتى توجه سلوكه اللاحق فيما بعد، وجدير بالذكر أن من أوائل الباحثين الذين اهتموا بذلك « روتر » Rotter 1966 من خلال طرحه لمفهوم وجهة الضبط، وقد ظهرت من بعده مقاييس أكثر تعقدًا لقياس النمط العزوى منها مقياس « سيلجمان » Seligman 1979، ومقياس «بيترسون » وزملائه Petterson et al وهى تقيس أنماط العزو، التى شكلت الركيزة الأساسية لنظرية « وينر » فى العزو، والتى تعد محصلة تفاعل ثلاثة أبعاد هى :

العزو الداخلى – الخارجى / المستقر – غير المستقر / المتحكم فيه – غير المتحكم فيه. ومن المعتقد أن نمط العزو من المفاهيم المفيدة فى فهم عملية تكوين

واستمرار وإنهاء العلاقات الشخصية، ويشير « فيرنهام وبيتش » فى هذا المقام إلى أن المنظور المعرفى المعتمد على العزو أثرى فهمنا للعلاقات الوثيقة والطريقة التى يفسر بها الشريك الرضا الزواجى، أو الصعوبات الزواجية (Furnham & Beach , 1999)، ففى الزواج السعيد، على سبيل المثال، يعزو أطرافه كما يوضح « هولتزمان» Holtzman et al السلوك الإيجابى للطرف الآخر لعوامل داخلية مستقرة متحكم فيها (إنه حريص على العلاقة) أما السلبية فلأسباب خارجية غير مستقرة وغير متحكم فيها (ضغوط عمله)، وهو ما يقلل غضبه بدرجة يسهل فى ظلها تجنب إثارة نزاع مع الطرف الآخر، ومن ثم يسهم فى الحفاظ على العلاقة، وهو تصرف ينم عن قدر مرتفع من المهارة الاجتماعية، (Fletcher et al ., 1997; Hogg & Vaughan , 1998, 116)، ويسلك الأزواج غير الراضين على شاكلة مختلفة ففى دراسة أجراها «أورفيس وزملاؤه » Orvis et al لفهم الصراع الزواجى حيث قاموا بتحليل إجابات (٤١) زوجًا تبين أنهم يميلون لعزو سلوكهم للظروف الخارجية (ضغوط العمل - أزمات مالية)، وعزو سلوك الطرف الآخر لعوامل داخلية (اتجاهه السلبى نحوى، شعوره بالعجز) أى أن هذا النمط العزوى من شأنه أن يسهم فى تفاقم الصراع حينئذ (Bierhoff & Klein, 1989, 219)، ومن الشواهد الإضافية لتأثير النمط العزوى سلبًا فى المهارات الاجتماعية أن الفاشلين اجتماعيا يعللون فشلهم بأسباب داخلية ثابتة غير متحكم فيها مثل سمات الشخصية (أنا خجول جدا)، أو الاستعداد الاجتماعى الضعيف (يصعب على عقد صداقات) أما نجاحهم فى إقامة علاقة وثيقة مثلا، فيعزونه لعوامل خارجية مثل سمات الآخر فى العلاقة (أنه شخص يشجع على عقد صداقة معه)، وهو ما يقلل من فرصهم فى الشعور بالكفاءة الذاتية.

وقد وجد « جريك ولاد » Crick Ladd أن العدوانيين يعزون سلوكهم العدوانى لأسباب خارجية غير متحكم فيها (الحظ، طرف ثالث) بدلا من الداخلية غير المستقرة، والمتحكم فيها (نقص المجهود الشخصى) (Carlyon , 1997). وهو ما يحول دون محاولتهم التغلب على أوجه القصور المسئولة عن تلك السلوكيات

الاجتماعية السلبية، وهو ما يقلل من احتمال حل مشكلاتهم فى العلاقات الشخصية، ومن فرصة تنمية مهاراتهم الاجتماعية، نظرًا لإغضائهم عن مسئوليتهم عن حدوث تلك المشكلات.

- **العزو والإدراك الاجتماعى** : قد يسهم العزو إما فى إدراك سلوك الآخر بطريقة إيجابية مشجعة على التفاعل الصحى معه، أو سلبية، ومن ثم تثير شقاقًا فى العلاقة، فعلى سبيل المثال قد يُدرَك المُفصح على أنه أكثر ودا وصداقة بيد أن العزو يتدخل بصورة مختلفة فيفسر الآخر إفصاحه على أنه يعزى إلى ظروف موقفية دفعته إلى ذلك (Collins & Miller, 1994)، أو أنه يستدرجنى للحصول على معلومات معينة، ومن ثم فإن إفصاحه سيثير الريبة حينئذ، ومن المتوقع أن يمارس العزو دورًا بارزًا أيضا فى إثارة وإدارة الصراعات فى العلاقات الشخصية، وفى فهم عمليات التأثير بين الأقران، واستراتيجيات القادة فى إدارة مرءوسيهم، وكذلك فى عمليات تخطيط الأساليب الإقناعية، وهى موضوعات يؤمل التمكن من بحثها فى دراسات لاحقة.

(د) المنحى المعرفى والتدريب على المهارات الاجتماعية:

نظرًا لأوجه النقد المتعددة التى وجهت لبرامج التدريب على المهارات الاجتماعية ذات المنحى السلوكى بداية ومنتصف السبعينات، والتى يتمثل أبرزها فى أنها لا تتضمن، ولا تعطى أهمية تذكر إلى، مكونات معرفية واضحة، وأن اهتمامها انصب فى المقام الأول على تغيير المكونات السلوكية فى المهارات الاجتماعية من قبيل تحسين قدرة الفرد على التحكم فى الرسائل غير اللفظية (نظرات العين، الصوت، وضع الجسم) مثلما الحال فى نموذج أرجايل الذى ركز على الاستجابات الحركية فى حين أولى اهتمامًا ضئيلاً بالمكونات المعرفية (Morley, 1983)، مما قلل من فعالية تلك البرامج، وهو ما دعى العديد من الباحثين مثل « سبنس »، و«بندليتون وفيرنهام » Spence ; Pendleton & Funham,1981 إلى ضرورة النظر للمتغيرات المعرفية فى المهارات الاجتماعية، والتى تحدد كيف يتصرف الفرد فى

مواقف التفاعل الاجتماعى، ووضعها فى الاعتبار إبان صياغة برامج تنميتها (Furnham , 1983)، ومن منطلق أن فهم العمليات المعرفية الكامنة خلف المهارات الاجتماعية، وهو الدور المنوط بالمنحى المعرفى، من شأنها تمكيننا من توظيف ذلك الفهم فى تصميم وإدارة برامج تنمية المهارات الاجتماعية، تلك البرامج التى تهدف إلى التغلب على أوجه القصور فى تلك المهارات ؛ ومن ثم فقد أصبح تعديل الجوانب المعرفية عنصرًا رئيسيا فى تلك البرامج، ويوضح « شيير » Scheier ذلك الموقف بقوله إن المنحى المعرفى فى علم النفس طور برامج التدريب على المهارات الاجتماعية(SST) Social Skills Training ومارس تأثيرًا مهما فيها، ولا غرابة فى ذلك فالعمليات المعرفية على حد قول «ياردلى»، Yardly متضمنة فى السلوك الاجتماعى وتعد جزءًا لا يتجزأ منها ؛ لذا يجب أن تكون من بين المكونات الأساسية فى تلك البرامج (Hollin & Trower, 1986)، ومن المفترض وجود مظاهر متعددة تعكس تأثير المنحى المعرفى فى تصميم وتحديد مكونات برامج التدريب على المهارات الاجتماعية تتمثل فيما يلى :

- **التدريب على تعديل الإدراك الاجتماعى** : بما أن الإدراك الاجتماعى يعنى القدرة على التقاط، وتفسير الهاديات غير اللفظية التى يصدرها الآخرون فى موقف التفاعل الاجتماعى، وأن تمييز تلك الهاديات، والتقاطها، يعد عنصرا مميزا للماهرين اجتماعيا ؛ لذا فقد أصبح هذا الجانب من الأهداف الأساسية لبرامج التدريب على المهارات الاجتماعية ومن بين مكوناتها الرئيسية (Carlyon, 1997; Quinn et al ., 1995) ؛ وقد بذلت جهود متنوعة لتدريب الملتحقين بتلك البرامج على التنبه لتلك الهاديات، وتفسيرها، بشكل عام، وهو ما حاول « ماكفال»، وروزنثال فعله، Mcfall & Rosenthal فضلا عن التركيز على تنمية جوانب نوعية فيه مثل القدرة على تذكر الوجوه كما فى أعمال «بادللى ودهيد» , Hollin & Trower) 1986) Baddeley & Wodhead، ومن المفترض أن دراسات الإدراك فى علم

النفس المعرفى والتى تشمل مدى واسعًا من جوانب ذلك المتغير قد تكون مفيدة فى تطوير دراسات الإدراك الاجتماعى، وهو مجال واعد مستقبلاً .

- **التدريب على عمليات العزو** : إننا فى حاجة للاستفادة من المنحى العزوى فى تصميم برامج التدريب على المهارات الاجتماعية فهو منحى واعد، فالعزو لديه الكثير ليقدمه فى مجال تنمية المهارات الاجتماعية من خلال مساعدة الفرد على تعديل تصوراته، فى وجهة إيجابية، حول أسباب ومعانى الظواهر الاجتماعية، (Carlyon, 1997)، كذلك فإنه من شأن زيادة وعى الفرد بأخطاء العزو أن يتجنب الوقوع فيها وهو بصدد تفسير سلوكيات أقرانه فى العلاقات الوثيقة (Bierhoff & Klein, 1989, 248)، وبالفعل فقد بذلت محاولات للتغلب على أخطاء العزو المختلفة حتى يُستخدم على نحو فعال يقلل احتمال نشوء المشكلات فى العلاقات الشخصية من جهة، ويحجم آثارها السلبية من خلال التفسيرات العقلانية من جهة أخرى، فعلى سبيل المثال أشار « فرانك وجيلوفتش » Frank & Gilovich إلى **إمكانية تعديل** خطأ عزو الفاعل / الملاحظ من خلال حث الفرد على أن يضع نفسه موضع الآخر (تبنى منظور الآخر) فيتغير الموقف وينخفض هذا التحيز (Hogg & Vaughan, 1998, 97)، وقام «لاد» Ladd بإجراء دراسة حول تغيير النمط العزوى فى سياق تدريب مجموعة من الأطفال على المهارات الاجتماعية حيث قام بتدريبهم على تحليل وتعليل مجموعة من الأحداث المحيطة فى مواقف التفاعل الاجتماعية مع آخرين، وحثهم على الابتعاد عن العزو الداخلى غير المتحكم فيه، والتركيز بدلا من ذلك على العزو الموجه نحو الجهد أى الداخلى المتحكم فيه (Carlyon, 1997)، وفى دراسة أخرى أجراها « لاد وميز » Ladd & Mize عرض على مجموعة من المتدربين الأطفال بعض المشاهد لمواقف افتراضية يتفاعل فيها كل منهم مع آخرين وسألهم تعليلها، وناقشهم فى طبيعة تلك التعليلات، ومدى منطقيتها، مثال : لماذا استدار الطرف الآخر بعيدا عنك عندما طلبت أن تلعب معه (ما سبب ما حدث ؟) وهل ما حدث يرجع إلى سبب يتصل بك أم بشىء آخر (عزو داخلى - خارجى)، وهل هذا

يحدث دومًا ؟ (مستقر - غير مستقر)، وهل تملك فعل شيء من جانبك للتغلب على السبب الذى تعتقده لهذا السلوك (قابل للتحكم فيه - غير قابل للتحكم فيه). **وبذا يدرب الفرد** على النمط العزوى الفعال كبديل عن النمط السابق غير الفعال أى توليد الإعزاءات التوافقية، واستبعاد غير التوافقية مثل تدريب الطفل الذى يُعزى فشله الاجتماعى فى إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين إلى عوامل داخلية مستقرة غير متحكم فيها (أنا غير محبوب بسبب شخصيتى الخجولة) فهى صعبة التغيير، وطرح أخرى بدلاً منها داخلية غير ثابتة ومتحكم فيها (مثل أنا لا أتقرب منهم بالقدر الكافى) (Ibid). ومن ثم يتوقع حدوث تحسن فى المهارات الاجتماعية للفرد كدالة للتغير الإيجابى فى نمطه العزوى.

- **التدريب على الاستدلال الاجتماعى** : هناك العديد من مصادر الخطأ فى عمليات الاستدلال الاجتماعى المعيارية، والمختصرة، من شأن الوعى بها، وتدريب الأفراد عل تلافيها أن يجنب الفرد الوقوع فى العديد من المشكلات فى العلاقات الشخصية الناجمة عن تلك الأخطاء فضلا عن زيادة احتمال التغلب عليها فى حال حدوثها، ومن بين تلك الأخطاء التفكير السحرى (الاعتقاد بانتقال الصفات السلوكية بالعدوى)، والتفكير النادم، والتفاؤل أو التشاؤم غير الواقعى، وأثر الإجماع المتوهم، والذى يشير إلى الميل لرؤية سلوك الفرد أكثر مثالية مما هو عليه، وتطابقًا مع الآخرين الذين سيفعلون ذلك إذا وضعوا فى نفس الظرف مما يشجع الفرد على تبرير صحة أفعاله، والشعور بالمساندة لأن هناك من يشبهه فيما يفعل، (Baron & Byrne, 1997, 90 - 91)، وكذلك التنبه لآثار الأولية، والآخرية فى تكوين الانطباعات، والأحكام على الآخرين. وعلى الجانب الآخر فإن تدريب الأفراد على **الاستراتيجيات الاستدلالية** من خلال مهام استدلالية واقعية، وتعريفهم بنظرية الاحتمالات، ومفاهيم كالعشوائية، والصدفة، وتقدير نسبة الخطأ، والوقوف على مبادئ الاستقراء، والتعميم، والتنبؤ فى ضوء قواعد بيانات كل ذلك من شأنه أن يحسن كفاءة تلك العمليات على نحو يرفع من أداء الفرد فى مواقف التفاعل

الاجتماعى (Nisbett & Ross , 1980, 281; Nibett et al., 1983)، ومن المفيد أيضا أن نمزج بين العزو والاستدلال بحيث تصبح الأسباب التى تفسر بها السلوك أكثر منطقية، والنتائج أكثر ارتباط بمقدماتها.

- **التركيز على تغيير البنية المعرفية** وإعادة تشكيلها فى الاتجاه الصحيح : من قبيل تعديل المعتقدات غير المنطقية، أو استبعادها، وإحلال أخرى منطقية محلها حتى تساعد الفرد على التوافق فى علاقاته الاجتماعية، وتدريب الفرد على إصدار المزيد من العبارات الداخلية الإيجابية بدلا من السلبية، فبدلا من أن يقول: « إن الآخرين سيلومونني إذا كنت صريحا معهم، وأخبرتهم بالأسباب الحقيقية لاعتذارى عن الدعوة » عليه أن يقول لنفسه « سأكسب مصداقيتهم حين أحاول أن أكون صريحا معهم »، والعمل كذلك على تغيير المخططات والأمثلة النموذجية فى الوجهة التوافقية من خلال تزويد الفرد بسمات جديدة واقعية بدلا من القديمة التى قد تعوق علاقاته الاجتماعية. فعلى سبيل المثال، يمكن تغيير سمات الصديق النموذجى فبدلا من كونه مضحيا. ومؤيدا لمواقفى على طول الخط، وصبورا على مضايقاتى مهما بلغت يمكن أن تصبح « متعاونا، ومتفهما، ومتحكما فى انفعالاته إلى حد ما »، وهو ما يسهم فى أن يتعامل الفرد بصورة أكثر واقعية مع أصدقائه، ولايصاب بالإحباط من بعض تصرفاتهم فى حالة عدم انطباقها مع المثال النموذجى السابق.

ثالثا: المنحى المعرفى والمهارات الاجتماعية: تقييم ونظرة مستقبلية:

(أ) تقييم عام لدور المنحى المعرفى فى المهارات الاجتماعية:

ابتداء تجدر الإشارة إلى نجاح الدراسات المتنوعة التى أجريت حول العلاقة بين المنحى المعرفى والمهارات الاجتماعية فى إبراز الدور المهم الذى تمارسه الجوانب المعرفية فى تعريف، وقياس، وتفسير، وتنمية المهارات الاجتماعية فضلا عن تطبيقاتها فى مجالات متنوعة كتكوين الصداقات، والتوافق الزواجى، وحل الصراعات، إلا أنه على الرغم من ذلك توجد بعض التساؤلات وأوجه التحفظ حرى بنا تسجيلها إزاء تلك الجهود تتمثل فى :

- **مع أن العديد** من الباحثين قاموا بدراسة دور المتغيرات المعرفية فى المهارات الاجتماعية بشكل منفرد، مثلما فعل « شوارتز وجوتمان » فى حالة الحوار الداخلى، و« الدان وكاب » بالنسبة للمعتقدات غير المنطقية، و« بروش وزملاؤه » فيما يتعلق بالتعقد التصورى، إلا أن الواقع الدينامى لمحددات المهارات الاجتماعية يكشف بوضوح عن إمكانية وجود علاقات دالة فيها، أو بين بعضها، على الأقل كما يشير «لينهان وايجان»، من قبيل المعتقدات غير المنطقية، والحوار الذاتى، وتوقع عواقب السلوك فهى قد تؤدى مجتمعة إلى كف السلوك التوكيدى فى مواقف عديدة (Linehan & Egan, 1979)، وهو ما يدعونا إلى التفكير فى وضع خريطة أو منظومة معرفية تتضمن المحددات المعرفية المؤثرة فى المهارات الاجتماعية، والوزن النسبى لكل منها فى تشكيلها، كما يظهر من خلال تحليل الدراسات والأطر المطروحة التى جمعت أكثر من عنصر منها فى طياتها، وطبيعة العلاقات فيما بينها، وما أثر تفاعل أكثر من متغير منها معا، أو كلها مجتمعة. ودوره فى تحديد تأثيرها فى المهارات الاجتماعية فهل من شأنه تعظيم تأثيرها أم ثمة آثار سلبية قد تنتج عن ذلك. فعلى سبيل المثال ما طبيعة العلاقة بين المعتقدات غير المنطقية والعزو. ذلك أن تلك المعتقدات تتضمن، كما يشير هوران، تعليلات حول سلوك الفرد والآخرين (Horan , 1996)، أى أن العزو قد يسهم فى نشأة المعتقدات غير المنطقية التى تؤثر بدورها فى تحديد مستوى المهارات، وكذلك ما هى طبيعة التأثير الذى تمارسه التحيزات العزوية فى بنية المخططات المعرفية .

- **هناك بعض** المتغيرات والجوانب المعرفية التى لم يتم التطرق إلى طبيعة علاقتها بالمهارات الاجتماعية بدرجة كافية، سوى بصورة محدودة من قبيل دور الذاكرة طويلة المدى فى عمليات الاستدلال، وعلاقة ذلك بالمهارات الاجتماعية فى العلاقات الشخصية (Taylor, 1998)، كذلك طبيعة إسهام الإبداع فى التغلب على أوجه القصور فى المهارات الاجتماعية للفرد بابتكار أساليب متنوعة، ومستحدثة،

لإدارة العلاقات مع الآخرين وحل الصراعات الناشئة معهم. وهو عنصر من الضرورى إدراجه فى أهداف برامج تنمية المهارات الاجتماعية، ومن ثم محتوياتها، فمن المتوقع، على سبيل المثال، أن تؤدى تنمية الإبداع الشخصى للفرد إلى التأثير إيجابًا فى مهاراته الاجتماعية.

– **فيمايتصل** بالطرق الاستدلالية المختصرة ودورها فى التأثير فى المهارات الاجتماعية هناك عدة جوانب ينبغى تناولها بشكل أعمق منها : ما طبيعة علاقاتها بالطرق الاستدلالية المعيارية، وما هى الظروف التى يتم فيها اللجوء إليها كبديل عن الطرق المعيارية، وكيف يمكن اختبار دورها فى سياقات أكثر واقعية فمن الملاحظ على تجارب أشهر الباحثين فى هذا المجال من أمثال « تفرسكى وكانيمان» أنها أجريت باستخدام أمثلة ذات طابع أقل واقعية، كما الحال فى مواقف تمثيل الدور، من الموجود فى الحياة اليومية، التى يمارس فيها الناس ويستخدمون الطرق الاستدلالية المختصرة، ومن ثم فنحن بحاجة إلى أمثلة، تشبه الاختبارات الموقفية، تحتوى على مشكلات واقعية قد تتضمن طرقًا استدلالية مختلفة، ومتعددة، غير التى أشارت إليها تلك البحوث.

– **إن الأطر** المتاحة لفهم العمليات المعرفية لا تستدمج العمليات الوجدانية بشكل كاف مع أن كلا منهما يعتمد على الآخر، فعلى سبيل المثال عندما ينتهك صديق المثال النموذجى المعرفى للصداقة (حين لا يقف بجانب الفرد فى أزمة) فمن المتوقع أن يقرر الفرد أنه صديق غير حقيقى ويشعر بالأذى من جراء ذلك (وجدان). وثمة صور أخرى لتفاعل المخططات المعرفية مع الوجدان، فالمخطط لشخص ما يتضمن عناصر انفعالية (فهو مرح، مستفز)، والانفعال قد يكون نتاج أفكار وتصورات معرفية معينة، فنحن كما يقول « بلانالب وفيتنس » قد نسير وراء عقولنا فى مواقف معينة ضد رغباتنا، كالتى تتحمل زوجًا تكرهه حتى لا يفشل الأبناء، أو ننساق وراء العواطف ضد العقل كالذى يترك مهنة مرموقة لأنه لا يحبها (Planalp & Fitness, 1999)، وهو ما يدعونا إلى ضرورة المزج بين أكثر من منظور للفهم

الأكثر واقعية للمهارات الاجتماعية من قبيل المنحى الوجدانى، والسلوكى والموقفى، لأنه يخشى أن يصبح المنحى المعرفى كالسلوكى سابقا، منصبًا على دور المتغيرات المعرفية فى المهارات الاجتماعية على الرغم مما لمحددات السلوك الاجتماعى الأخرى مثل الوجدانية، والبيئية، والموقفية من وزن نسبى جوهرى فى صياغته. وهو ما ينبه إليه « ستراومان» بقوله « إن السلوك لا يتحدد فقط بواسطة معارف الفرد بل ثمة جوانب أخرى عديدة مؤثرة فيه » (Strauman, 1994).

– **على الرغم** من أن الباحثين تناولوا جوانب معرفية متعددة من بين مكونات المهارات الاجتماعية إلا أنه تبقى بعض الجوانب فيها لم تلق الاهتمام الكافى من قبيل ما يمكن أن يسميه الباحث **الاستبصار الاجتماعى**، والذى قد يتضمن مهارات من بينها اختيار الاستجابة المناسبة للموقف، وتنفيذها، بطريقة متُقنة، فى التوقيت المناسب مع الشخص المطلوب. وحرى بالذكر أن تلك المهارات المركبة، تختلف عن مهارة الاستشعار الاجتماعى، والتى ركز عليها الباحثون بدرجة كبيرة، والتى تتعلق بقدرة الفرد على التقاط وتفسير رسائل الآخرين، فى أن مهارة الاستبصار تعنى بوعى الفرد وقدرته على اتخاذ قرار سلوكى وتنفيذه كدالة لمعالجته للمعلومات المحيطة وهى مهارة مقترحة يلزم لقياسها والتحقق من بنيتها العاملية كأحد مكونات المهارات جهود بحثية إمبيريقية يؤمل التمكن من القيام بها مستقبلا.

(ب) خلاصات واستدلالات:

نخلص من الاستعراض الناقد السابق للمهارات الاجتماعية من المنظور المعرفى إلى عدد من الخلاصات قوامها ما يأتى :

– **صعوبة الفصل** بين الجانب السلوكى والمعرفى فى المهارات الاجتماعية فحين ينتهى المعرفى يبدأ السلوكى، والعكس صحيح، وتفصيل ذلك أن المتغيرات المعرفية تؤثر فى تشكيل الجانب السلوكى فى المهارات، ذلك أنه يصعب تصور وجود سلوك بدون جانب معرفى يوجهه أو يعد تنفيذاً لترميز وتصور معرفى مسبق، كذلك فإنه

عندما يصدر الجانب السلوكى يتلوه المعرفى أيضا كدالة للعائد الناتج عن هذا السلوك من خلال رصد عواقبه، ومطابقة مدى تماثلها مع ما هو متوقع معرفيا، وترميز ذلك عقليا لتوجيه السلوك المهارى، المعدل، لاحقًا، أى أنهما كالسبيكة، أو النسيج، يتفاعلان معًا بحيث يصعب تصور أحدهما بمعزل عن الآخر.

ويبدو التداخل الوثيق بين العناصر المعرفية والسلوكية من زاوية أخرى قوامها أن سلوك الآخرين لا يؤثر فى الفرد مباشرة بل من خلال وسيط هو عملية الإدراك، والترميز المعرفى، وهو ما يحدد مدى تأثر الفرد بها ورد فعله حيالها، فالسلوك الغامض من زميل قد يُدرك، ويرمز، معرفيا على أنه يعانى من أزمة خانقة ؛ لذا يجب تحمله، أو على أنه عجز عن التحكم فى الذات، فكلنا يعانى من أزمات مثله ؛ لذا يجب وقفه عند حده أو مقاطعته. ويضرب « همبرج وبيكر » مثالاً آخر على ذلك بقولهما : إن المعرفيين ينظرون إلى التدعيم، وهو العملية الرئيسية التى يجادل السلوكيون بأنه يعزى لها تشكيل السوك كبديل عن العمليات المعرفية الوسيطة، على أنه عملية معرفية فإدراك الفرد للتدعيم وفهم مغزاه هو الذى يحدد أثره (Heimberg & Becker, 1981).

– **إن الجانب المعرفى** لا يسهم منفردًا فى تشكيل طبيعة المهارات الاجتماعية بل إن هناك جوانب أخرى قد تؤثر سواء بطريقة مباشرة فى صياغتها من قبيل متغيرات البيئة الاجتماعية، والثقافية، والطبيعية. والعمليات البيولوجية الداخلية بما تحتويه من عناصر فرعية متعددة، من قبيل خصال الطرف الآخر، وخصائص موقف التفاعل، ومدى أهميته، وطبيعة الحاضرين فيه، واتجاهات الثقافة نحوه، ومدى تدعيمها للسلوك المهارى، وكذلك فإن تلك المتغيرات قد تؤثر فى المهارات بطريقة غير مباشرة أيضًا من خلال طبيعة إدراكها وتمثيلها معرفيا من قبل الفرد.

– **إن المتغيرات المعرفية** تؤثر بصور متنوعة فى المهارات الاجتماعية فهى تعد جزءًا من مكونات المهارات الاجتماعية، كالإدراك والاستشعار الاجتماعى، وتؤثر أيضا فى

محتوى مقاييس وأسلوب قياس المهارات الاجتماعية، كما أنها تعتبر بمثابة محددات تسهم فى تشكيل المستوى الراهن للمهارات الاجتماعية مثلما الحال فى الحوار الداخلى، والمعتقدات غير المنطقية، وتوقع العواقب، ومدى معرفة السلوك الاجتماعى الملائم، والمخططات المعرفية، والعزو، والاستدلال الاجتماعى، كذلك فهى تمارس تأثيرًا ملحوظًا فى كيفية تصميم وصياغة برامج التدريب على المهارات الاجتماعية من خلال عمليات إعادة التشكيل المعرفى، والتدريب على عمليات العزو كمكونات رئيسية فى تلك البرامج.

- **مع اعترافنا بأن** المنحى المعرفى أثر فى تناولنا لموضوع المهارات الاجتماعية بحيث أصبحت تعريفاتنا لها أكثر واقعية، وتفسيرنا إياها أكثر عمقًا، وبرامجنا لتنميتها أكثر فعالية وأثرًا على المدى القريب والبعيد، وإمكانية تعميم آثارها أكثر احتمالاً إلا أنه ما زالت هناك بعض النقاط التى تحتاج إلى مزيد من الإيضاح وإلقاء أضواء إضافية عليها، ذلك أنه نظرًا للحداثة النسبية لهذا المنحى لم يتم التطرق إليها بالقدر الكافى من قبيل طبيعة الأثر المتوقع للتفاعل بين تلك المكونات المعرفية من جهة والجوانب المزاجية والدافعية من الجهة الأخرى فى تعظيم أو تحجيم تأثيرها فى المهارات الاجتماعية. فضلا عن أثر البعد الثقافى فى صياغة تلك العلاقات وتحديد مردودها فى المهارات، بالإضافة إلى ضرورة إدخال بعض المتغيرات المعرفية فى الاعتبار وخاصة التى تكاد تكون متجاهلة حتى الآن من قبيل دور الدين، وتعليماته، وقواعده، وتمثيل الفرد معرفيا لها، والوعى الدينى كمتغير معرفى فى تحديد مستوى مهاراته، وكذلك عمليات النقد الذاتى والتنمية الذاتية لتلك المهارات، وطبيعة النمط الارتقائى لها كدالة للعمر من جهة، والارتقاء فى المتغيرات والعمليات المعرفية من جهة أخرى، فكما هو معروف أن هناك عملية ارتقاء معرفى تحدث وخاصة فى المراحل العمرية المبكرة حتى المراهقة، ومن المفترض أنه يوازيها، ولكن ليس بالضرورة بنفس القدر، ارتقاء فى المهارات الاجتماعية، ومن ثم فنحن فى حاجة لإلقاء مزيد من الضوء على تلك العمليات فهل

هى متوازية،ومتوازنة، أم ثمة خلل يطرأ عليها بما يخل بذلك التوازن، وما هى عواقب ذلك، وكيفية التدخل لإحداث توازن بينها. كلها قضايا تحتاج إلى برامج بحثية متكاملة للتعامل معها بقدر من الدقة المنهجية يتساوى مع أهميتها الواقعية.

(جـ) تساؤلات وأطروحات مستقبلية:

يكشف لنا الاستعراض السابق للأطر النظرية والدراسات المتصلة بدور المنحى المعرفى فى المهارات الاجتماعية عما أدى إليه هذا المنحى من عائد خصب على المستوى التنظيرى والتطبيقى، وفتح لآفاق جديدة للموضوعات البحثية حرى بنا ارتيادها مستقبلا لتحقيق مزيد من التقدم فى هذا المضمار، وتتمثل أبرز هذه الآفاق المستقبلية لدراسات المهارت الاجتماعية من المنظور المعرفى فى الموضوعات التالية :

- **فحص طبيعة** الفروق فى بنية المخططات المعرفية بأنواعها المتعددة لدى الأكثر والأقل مهارة اجتماعيا، ومدى تعديلها كدالة للخبرات الاجتماعية، فضلا عن دور تلك المخططات فى التصرف بفعالية فى المواقف الاجتماعية المختلفة، وبوجه خاص، مواقف الصراع، والمواقف غير المألوفة، والمأزقية، وكذلك الوقوف على طبيعة الفروق عبر الثقافة فى تلك الجوانب.

- **انصب اهتمام** الباحثين بكيفية تأثير الجوانب المعرفية فى المهارات الاجتماعية، ولكن ماذا عن الكيفية التى تؤثر بها المهارات الاجتماعية فى الجوانب المعرفية، فالسلوك الاجتماعى الماهر قد يغير من طبيعة المخططات المعرفية الخاصة بالأشخاص حين ينجح الفرد فى تغيير سلوكهم نحوه، أو قد يعدل الفرد من نمطه العزوى فى تفسير بعض مشكلاته فى علاقاته الشخصية حين تؤدى إلى أن يسلك فيها بصورة غير ماهرة اجتماعيا، بحيث يدفعه هذا السلوك غير الفعال إلى مراجعة ذلك النمط وتبنى آخر، ومن المؤشرات المهمة أيضا لتلك العلاقة التفاعلية، والتى يجب أن نضعها فى قائمة اهتماماتنا البحثية لتقييمها مستقبلا، طبيعة التغير الذى يطرأ على الجوانب المعرفية للفرد كدالة لتعرضه لبرامج التدريب على المهارات الاجتماعية، والتى يتوقع أن تنمى تلك المهارات.

- **نظرا للمكانة** المهمة للعزو بوصفه العملية التى يقوم الفرد من خلالها بتفسير سلوكه وسلوك الآخرين، والذى يعد فيما بعد أساسًا رئيسيا لتحديد سلوكه فى مواقف التفاعل الاجتماعى معهم، ومن ثم يحدد درجة مهاراته الاجتماعية فيها؛ لذا فقد أجريت بعض البحوث فى هذا الميدان بيد أنها ما زالت قليلة، ومن ثم فلا يزال هناك بعض النقاط الواجبة البحث حول علاقة العزو بالمهارات الاجتماعية حتى نفهم تلك العملية بصورة أدق، ومن ثم توظيفها على نحو أكثر فعالية فى تنمية المهارات من قبيل تغيير النمط العزوى كوسيلة للتعامل الأكثر مهارة فى مواقف مشكلات التفاعل الشخصى، ودور أخطاء العزو فى تفسير سلوك الأقران، واتخاذ القرارات فى العلاقات الوثيقة، والعلاقة بين أو أثر المزج بين أسلوب المفاكرة لتنمية الإبداع والعزو لمساعدة الفرد على طرح أكبر قدر من الأسباب المتنوعة لتفسير سلوك الآخرين، ودور الاستدلال المنطقى فى استبعاد التفسيرات غير المنطقية فى مواقف الصراع فى العلاقات الشخصية.

- **على الرغم** من الدور المهم للمعرفة المخزنة فى الذاكرة طويلة المدى، بوجه خاص، فى التأثير فى السلوك اللاحق، كما يشير « ويز » , Fincham & Beach) (1999 وفى تشكيل السلوك الماهر اجتماعيًا، بالتالى، فالاتصال الكفء، على سبيل المثال، يتطلب عناصر معرفية فى مقدمتها استرجاع الحجج الفعالة من الذاكرة طويلة المدى (Walden & Applegate, 1994)، إلا أنه من الملاحظ أن البحوث المتعلقة بدورها فى المهارات الاجتماعية ما زالت محدودة وهو ما يستدعى ضرورة القيام ببحوث متنوعة فى هذا الميدان.

- **تأثير التفاعل** بين الوجدان والمعرفة فى المهارات الاجتماعية : لقد زاد الاهتمام فى الحقبة الحالية بالعلاقة بين الوجدان والمعرفة كما يرى « فيسك وتايلور Fiske & Taylor »، ويفترض الباحثون وجود علاقة تفاعلية بينهما فالوجدان يحدد المعرفة فى وقت ما، وتحدده المعرفة فى وقت آخر (Jones , 1998)، ومن شأن ذلك التفاعل أن يمارس، بصورة غير مباشرة، تأثيرا فى بعض عناصر المهارات

الاجتماعية من قبيل إصدار لأحكام غير دقيقة على الآخرين، أو التعبير عن الغضب بصورة غير ملائمة، أو نشأة حوارات داخلية غير توافقية، فعلى سبيل المثال من شأن تفاعل التحيزات المدفوعة Motivated Biases مع العزو أن تدعو الفرد حين يخطئ صديقه أن يعزو ذلك للظروف، ومن ثم يتجاوز عن هذا الخطأ، أما حين يخطئ منافسه فيعزو ذلك بأنه شخص سيئ مما يفسد العلاقة بينهما وهو تصرف أقل مهارة (Buss & Kenrich, 1998)، وقد يثير الانفعال المفرط الاضطراب فى تفكيرنا مما يعوق من قدرتنا على تطبيق وتنفيذ مهاراتنا (Linehan & Egan, 1983)، وكذلك فإن المعرفة تسهم فى إدارة والتحكم فى المؤشرات الانفعالية فى مواقف التفاعل مع الآخرين على نحو يجعل سلوك الفرد فى إدارة العلاقات الشخصية أكثر مهارة وهى مسألة عنيت بها نظرية معاصرة ألا وهى «الذكاء الوجدانى » Emotional Intelligence اقترحها كل من « بيتر سالوفى، وجون ماير» عام (١٩٩٠) Peter Salovey & John Mayer (روبينز وسكوت، ٢٠٠٠، ٤١ ,Karoly 1993;)، ومن ثم فنحن فى حاجة إلى بحث طبيعة العلاقة بين تفاعل كل من الوجدان والمعرفة من جانب والمهارات الاجتماعية من جانب آخر، يضاف إلى ذلك دراسة العلاقة بين الذكاء الوجدانى والمهارات الاجتماعية ذلك أن «سالوفى وماير» قدما مفهوم الذكاء الوجدانى بوصفه أنه ليس سمة اجتماعية (أن تكون ودودًا اجتماعيا) ولكنه مهارة عملية تتضمن القدرة على إدراك وتفسير انفعالاتك، وانفعالات الآخرين بدقة، والاستخدام الذكى للاستدلال الانفعالى فى الحياة اليومية وهو مزيج من القدرة على الإدراك، والتقييم الدقيق، والتعبير عن فهم الانفعال، وتوليد المشاعر، والوضوح الانفعالى (Planalp & Fitness, 1999). ويرى « دانيل جولمان » Daniel Golman أن هناك خمسة أبعاد للذكاء الوجدانى هى : الوعى بالذات، ومعالجة الجوانب الوجدانية، والدافعية والتفهم، والمهارات الاجتماعية (روبيز وسكوت، ٢٠٠٠، ٦٨ - ٧٠)، وهى مكونات كما يبدو يتداخل بعضها بصورة ملحوظة مع مكونات المهارات الاجتماعية كما وردت فى ظل المنحى المعرفى، ومن ثم

فنحن فى حاجة لدراسة طبيعة العلاقة بينها على كل من المستوى النظرى والعملى، والإمبيريقى.

- **الحكمة والمهارات الاجتماعية :** هل الحكمة Wisdom هى المستوى المرتفع من المهارة الاجتماعية مثلما العبقرية من الذكاء، أم أنهما متماثلتان أم أن المهارات جزء من الحكمة ؟ وإحدى صور التعبير عنها ؟ : هذا السؤال المركب يحتاج إلى إجابات تقوم على أساس علمى، وخاصة فى ظل تنامى الاهتمام ببحوث الحكمة، ووضعها تحت المنظار البحثى النفسى بصورة ملحوظة منذ أصدر «سترينبرج» كتابه الرائد عن الحكمة عام (١٩٩٠) وتعرف الحكمة بأنها : القدرة على فهم الطبيعة البشرية، والمعرفة الخبيرة بأساليب الحياة العملية والاستبصار بالوسائل والغايات المؤدية للنجاح فيها، (ومنها : القدرة على الإنصات، والتقويم، وإسداء النصح، والقدرة المرتفعة على الحكم والوعى بحدود المعرفة، ومعنى الحياة)، وتوظيف تلك المعرفة لحسن حال الفرد والآخرين (Baltes & Staudinges , 2000)، وتتمثل أهمية تلك النقطة، فيما يعتقد الباحث، أن موضوع الحكمة يعد امتدادا تطوريا طبيعيا للمهارات الاجتماعية ؛ لذا فإنه يؤمل القيام بمزيد من البحوث فى هذا المجال الواعد على نحو يصبح معه تنمية الحكمة واقعًا ملموسًا، وليس مجرد طموحات مفرطة فى التفاؤل.



قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا - المراجع العربية:

- أبو سريع ، أسامة (١٩٨٦) ، **اضطراب المهارات الاجتماعية لدى المرضى النفسيين** . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة (غير منشورة) .
- الزيات ، فتحي مصطفى (١٩٩٦) ، **سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي** ، القاهرة : دار النشر للجامعات .
- الزيات ، فتحي مصطفى (١٩٩٨) ، **الأسس البيولوجية والنفسية للنشاط العقلي المعرفي**، القاهرة : دار النشر للجامعات .
- السيد ، عبد الحليم محمود (١٩٩٠) : التذكر والنسيان ، في السيد ، عبد الحليم محمود وآخرين ، **علم النفس العام** ، القاهرة : دار غريب ، ٢٨٧ - ٣٢٨ .
- السيد ، عزيزة (١٩٩٥) ، **التفكير الناقد: دراسة في علم النفس المعرفي** ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- الشمسان ، منيرة عبد الله محمد (١٩٩٦) ، **التفكير اللاعقلاني وعلاقته بالأعراض المرضية لدى طالبات جامعة الملك سعود**، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود (غير منشورة)/
- العنزي ، فلاح محروت (٢٠٠٠) ، **علم النفس الاجتماعي** (ط٢) ، الرياض : مطابع التقنية .
- جابر ، عبد الحميد جابر وكفافي ، علاء الدين (١٩٨٩) ، **معجم علم النفس والطب النفسي** ، القاهرة : مطابع الزهراء للإعلام العربي .
- خليفة ، عبد اللطيف (١٩٨٩) ، الإدراك الاجتماعي ، في السيد ، عبد الحليم وآخرين ، **علم النفس الاجتماعي** ، القاهرة : دار آتون ، ٤٠٥ - ٤٢٩ .
- خليفة ، عبد اللطيف (١٩٩٦) ، المهارات الاجتماعية في علاقتها بالقدرات الإبداعية وبعض المتغيرات الديموجرافية لدى طالبات الجامعة ، **حوليات كلية الآداب** ، الحولية السابعة عشرة ، الرسالة السادسة عشرة بعد المائة .
- روبيز ، بام؛ سكوت ، جان ، ترجمة : الأعسر ، صفاء وكفافي ، علاء الدين (٢٠٠٠) **الذكاء الوجداني** ، القاهرة : دار قباء .
- زيدان ، محمود (١٩٨٩) ، **نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين** ، بيروت: دار النهضة العربية .

- سولسو، روبرت ، ترجمة : الصبوة ، محمد نجيب وكامل ، مصطفى ؛ والدق ، محمد الحسانين (١٩٩٦) ، **علم النفس المعرفي** ، الكويت : دار الفكر الحديث .
- شوقي ، طريف (١٩٨٨) ، المهارات الاجتماعية ، في عبد الحليم محمود وآخرين، **علم النفس الاجتماعي**، القاهرة : دار آتون ٤٤٣- ٤٨١ .
- شوقي ، طريف (١٩٨٨) ، **أبعاد السلوك التوكيدي** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة : (غير منشورة) .
- شوقي ، طريف (١٩٩٨) ، **توكيد الذات، مدخل لتنمية الكفاءة الشخصية** ، القاهرة : دار غريب .

ثانيا- المراجع الأجنبية:

- Argyle, U (1986) Social Skills and the analysis of situations and conversation, in Hollin , C. & trower, P, **Handbook of social skills training**, Vol . 2, Oxford : pergamon press 185 - 216 .
- Avia , M. D. ; Bernardos, S, U, ; lanz , J. C. & Rojo, W (1998) Self Presentation strategies and the five factor model , **journal of research in prersonality**, 32, 108 - 114 .
-Baltes , P. B. & staudinger, U, M (2000) , wisdom. Ametaheuristic (pragmatic) to orchestrate mind and virtue toward excellence, **American Psychologist**, january, 99, 1, 122 - 136 .
- Banse, R (1999) Automatic evaluation of self and significant others effective priming in close relationships , **journal of social and personal relationships**, 16 (6) 802 - 821 .
- Baron, R. A. & Byrne, D (1997) **social psychology** , (7 ed) Boston : allyn and bacon .
- Batson, C. D (1998) Altruism and prosocial behavior , in gilbert, D. ; T; fiske, S . T. & lindzey , G, **The handbook of social psychology** (4 ed) vol 11. Boston : the Mcgrow - Hill co, Inc , 280 - 316 .
- Bellack, A. S (1983) Recurrent problems in the behavioral assessment of Social skill, **Behav . Res. ther**, 21, 29 - 41 .
-Bierhoff, H. & Klein, R (1989) **person perception and attribution**, London : springer - verbag .
- Boiney , L, G; Kenredy , j. & Nye, P (1997) Instrumental bias in motivated reasoning: more when more is needed ., **organizational behavior and human decision processes**, 72, 1, October, 1 - 24 .

- Bruch, M, A.; Bivet, K, M; Heo , berg. R. G' Heimberg, R. G. Hunt, A. & Mchntpsj. B (1999) shyness and sociotrophy : Additive and interactive relations in Predicting interpersonal concerns , **journal of personality**, 67, 2, April , 373 - 406 .

- Bruch., A.; Heisler, B. D., & conray , C. G. (1981) Effects of conceptual complexity on assertive behavior. **journal of counseling Psychology**, 28, 5, 377 - 385 .

- Bruno, F . J. (1980) . **Behavior and life**. New york: John Wiley & sons, Inc .

- Buren , A , B. & nowicki, S (1997) awareness of interpersonal style and self evaluation, **the juonal of social psychology**, 127 (4) , 429 - 434 .

- Buss, D, M . & kenrick, D. T (1998) evolutionary social psychology in , gilbert, D. T. fiske, S. T . & lindzey, G, **The Handbook of social psychology** (4ed) vol 11, Boston : the Mcgrow - Hill co, Inc , 982 - 1026 .

- Carlyon, W. D (1997) Attribution retraining : implications for its integration into perspective skill Traninıng. **social psychology Review**, 26, 1, 61 - 73 .

- Chan , D. W(1993) components of assertiveness : their relationships with assertive rights and depressed mood among chinese college Students in Hong Kong, **Behavior Res. the** , 31, 5, 529 - 538 .

- Choe, I . E. Nisbett, R, E, & Norenzayan, A(1999) causal attribuation across cultures : variation and universality , **psychology**, 39, 2, 278- 284 .

- Fincham, F. D. & Beach, S. R (1999) Marriage in the new millenneum : is there aplace for social cognition in marital research , **journal of social and Personal relationships** , 16 (6) 685 - 704 .

- Fine, M, A (1999) social cognition into the next mellenium: introduction to the special Issue, **Journal of social and personal relationships** , 16 (6) 683 - 684 .

- Fletcher, G.; thomas , G., & dirramt. R (1999) cognitive and behavioral accomodation in close relationships , **journal of social and personal relationships** , 16 (6) 709 - 730 .

- Forgas, j. p (1981) what is social about social cognition, in forgas, j. p (Eds.) **social cognition**, London : Academic press, 1- 26 .

- Furnham, A. (1983) situational determinants of social skill, in Ellis, R. & whitington, O. **New direction in social skill training** ,London: Methuen inc, 75 - 109 .

- Gable , S. L. & Shean, G. D (2000) Perceived social competence and depression, **journal of social and personal relationships** , 17 (1) 137 - 150 .

- Gambrill, E. D. (1977) . **Behavior modification** : intervention and evaluation. San Francisco : jossey - Bass pulishers .

- Goldenson ,R. M. (1984) **Longman dictionary of psychology and psychiatry**, New York : Longman .
- Greenwood, J. v. (1989) **Explanation and experiment in social psychological science**, New york : springer - berlag .
- Gude , T ; Moum , T, Kakdestod, E. & priis, s (2000) inventory of interpersonal problems : a three dimensional balance and scalable 48 - item version, **journal of personality assessment**, 74 (2) 296 - 310 .
- Harrison, A.; W. Rainer, R, K, Hochwater, W. H , & Thompson , K (1997) Testing the self - efficacy performance linkage of social cognetive theory , **The Journal of social psychology**, 10, 79 - 87 .
- Hasselt, V. B. Hersen, M; whitchill, M . B. & Bellack, A. S (1979) social skill assessment and training for children : an evalative review. **Behav. Res. therapy**, 17, 413 - 437 .
- Heimberg, R, G. & Becker, R. E. (1981) . Cognitive and behavioral models of assertive behavior : Review, analysis and integration. **Clinical psychology Review**, 1. 353 - 373 .
- Hersen, M. J.; Kazdin, A. E; Bellack, A. S . & Turner, S. M (1979). Effects of live modeling, covert modeling and rehearsal on assertiveness in pyschiatric patients . **Behav. Res. & Therapy**, 17, 369 - 377 .
- Hewstone, M (1989) **Causal attribution from cognitive proceses to collective beliefs**, New York : Basil Blackwell .
- Higgins, E . T (1996) the self - digest , self - Knowledge serving self regulatory functions , **Journal of personality and social psychology**, 71, 6, 1062 - 1083.
- Hilton, O, J (1995) the social context of reasoning : converstional enference and rational judgment, **psycholoical Bulletin** , 118 , 2, 248 - 271 .
- Hogg, M, A. & vaughan, G, M (1998) **social psychology**, (2ed), London: prentice - Hall Euroe.
- Hollin, C. R. & Trower, P (1986) social skill training : critique and feature development, in Hollin, C. R. & Trower, P , **Handbook of social skill training**, Qxford : rergamon press, 237 - 257 .
- Hong , Y; Morris, M , W; chiu, C. & Martinez, V. (2000) Multicaltural minds : A dynamic constructive aprroach to culture and cognition, **American psychologist**, July, 55, 7, 709 - 720 .
- Hope, O. A. & Mindell , j. A (1994) global social skill training : measures of social behavior of physical attractiveness, **Behav. Res. ther**, 32, 4, 463 - 469 .

- Horan, j, j. (1996) effects of computer based cognitive restructuring on rationally mediated self - esteem , **journal of counseling psychology** , 43, 4, 371 - 375 .
- Irvin, L, K; walker, H. M. Noell, j; siner, G. H. srvine, A. B; Marquez, K & Britz, B (1992) measuring children's social skills using microcomputer based - videodisc assessment, **Behavior modification** , 16, 4, October, 475 - 503 .
- Jenkins, R (1999) social skills, social research skills sociological skills : teaching rel reflexivity. **Teaching sociology** , 23 (January) 16 - 27 .
- Jones, E, E (1998) Major development in five decades of social peychology in, gilbert, D. T: fiske, S. T. & lındzey, G, **The Handbook of social psychology** (4ed) vol 11, Boston : the Mcgrow Hill vo , Inc , 58 - 95 .
- Kendall, p. C. (1982) Behavioral assessment and methodology , In Franks , C. M. whision, G. Z; Kendall, P. C. & Brovnell, K. S. (Eds) **annual Review of behavior Therapy : Theory and practice** , vol . 8 New York : The Guklford press .
- Lange, A. j & Jakubowski, p (1976) **responsible assertive behavior : cognitive Behavioral procedures for trainers** : Ilinois : Research press .
- Langston, C. A & sykes , W. E (1997) Beliefs and the bıg five : cognitive bases of broad individual dıfferences in personality, **journal of researh in personality**, 31, 141 - 169 .
- Lennox, R, d. & Wolfe, R.N (1984) Revısion of the self - monitoring Scale, **Journal of personality and social psychology**, 46, 6, 1349 - 1364 .
- Lınehan, M Y & Egan, K (1983) **Asserting yourself** , London : century publishing .
- Linehan, M. M . & Egan, K. J. (1979) Assertion training for women, In Bellack A. S. & Hersen, M , (Eds) . **Research and practice in social skill Trining** . New York : plenum press, 237 - 269 .
- Lorr, M; youness, R. P. & stefie, E. c, (1991) An Inventory of social skills , **journal of personality Assessment** , 57 , 3, 506 - 520 .
- Mcguire , W. J (1999) **constructing social psychology : creative and critical processes** , London : Cambridge University press.
- Matlack, M, E; Mcgreeny , M, M; Rouse, R, E; flatter, C. & Marcus, R. F (1994) family correlates of social skill deficits in incarcerated and nonincarcerted adolescents , **Adolescence** , 29, 113, spring, 117 - 131 .
- Medcof, J. W (1990) peat : an integrative model of attrıbuation processes in Zanna , M, P (Eds) **Advances of experimental social psychology** , (vol23) , san diego' Academic press, 111 - 209 .

- Miller, R. s (1995) on the nature of embarrassability : shyness, social evaluation, and social skill, **journal of personality** , 63 2 , June, 315 - 339 .
- Morley, S; shepherd , G, & spence, s (1983) **cognitive approaches to social skills training,** London : Academic press , 309 - 333 .
- Nisbett, R, E, Krantz, D, H. Jepson. C. & Kunda Z. (1983) The use of statistical heuristics in everyday inductive reasoning , **psychologyical Review**, 90, 4, 339 - 363.
- Nisbett, R, G & Ross , L (1980) **Human inferences : strategies and shortcomings of social judgment**, New Jersey : Prentice Hall, Inc.
- Nisbett, R; Krantz, D, H; Jepson, C & Fong, G. T (1982) Improving induction inference, in Kahneman , D; C, A & Tversky, A. **judgment under uncertanity : Heuristics and baises** , Cambridge : Cambridge university press, 445 - 459 .
- Nishida , H; Hammer, U, R. & wiseman, R, , L (1998) cognitive differences between japanese and Americans in their perceptions of difficult social situations, **journal of cross - cultural psychology** , 29 , 4, july. 499 - 524.
- Nofsinger. R, E. (1991) **Everyday conversation** , London : Sage publications
- Onoda, L . & Gassert , L. (1978) . Use of assertion training, to improve job interview behavior. **The personnel and Guidance journal** . 56 8, 492-495 .
- Pedler, L. M (1992) development of self - monitoring behavior from early to late adolescence. **adolescence** , 27, 106 , Summer, 329 - 338 .
- Planalp , S. & fitness, j (1999) thinking / feeling about social personal relationships. **journal of social and personal relationships** , 16 (6) 731 - 750 .
- Quinn, R, E. & spreitzer , G, M (1997) the road to empowerment : seven questions every leader should consider, **organizational dynamics**, autumn, 37 - 49 .
- Rakos, R. F (1991) **Assertive behavior : theory, research and training** , London :routledge .
- Rathjen, D. P (1980) an overview of social competence, in Rathjen, O, P. & foreyt, j, p. (Eds) . **social competence**, New York : pergaman press,1 - 23 .
- Roberts, M. J; Gilmore, O. J. & Wood, D. F (1997) individual differences and strategy selection in reasoning, **British journal of psychology**, 88, 437 - 452 .
- Roskos - woldsen, D, R, (1997) implicit theories of persuasion, **Human communication Research**, 24, 1, september, 1, 31, 63 .
- Rotheram, M, j (1980) social skills training programs in elementary and high school classrooms , in rathjen, D. p. & foreyt, **social competence**, New York: pergaman press, 69 - 112 .

- Schmidt, J. L. & meneley, G. R (1990) **talking and listening**, New York : the institute of financial education .
- Schroeder, H. E. & Rakos, R. F (1983) , the identification and assessment of social skills in Ellis , R & whitington, D, **New direction in social skill training**, , London : Methyuen inc, 119 - 188 .
- Schwartz, O; dodge, K, A. case, J. O; Hubbasd , J. A; cillessen , N, A; lemerise, E. A. & Bateman , H (1998) social cognitive - and behavioral correlates of aggression and vectimization in Boy's play groups, **journal of Abnormal child psychology** , 26, 6, 431 - 440 .
- Schwartz. R. M. & Gottman, J. M (1977) Toward task analysis of assertive behavior. In Franks, C. M & Wilson T. (Eds) **Annual review of behavior therapy : Theory & practice**. New York : Brunner Mazel publisher .
- small, M, Y (1990) **cognitive development** , New york : Harcourt brace jovanovich, pub .
- Straumanm, T. j (1994) Introduction - social cognition, psychodynamic psychology, and the representation and processing of emotionally significant information, **journal of personality**, 62 : 40 , decembes, 451 - 458 .
- Taylor, S. E. (1998) The social being in social psychology in gilbert , O, T; fiske, S, T. Lindzey, G (Eds) , **The Handbook of social psychology**, Vol. 11, (ed) Boston : the mecgrow - Hill, co. Inc . 3 - 57 .
- - Trower , P (1986) social skill training and social anxiety , in Hollin , C. & Trower , P . **Handbook of social skill training** (vol. 2) Oxford : pergamon press., 39 - 69 .
- Tversky , A & Kahneman, D (1982) judgment under uncertainty : Heuristics and biases, in Kahneman, D; Slovic , P & Tversky , A **Judgment under uncertainty**, cambridge : Cambridge university Press,3 - 20.
- Vaughn, B, G; Azria, U. R; Krzysik , L; caya, L. R' Bost, K, K' wewell, W. & Kazura, K. L (2000) friendship and social competence in a Sample of preschool children attending head start, **developmental psychology**, 36, 3, 326 - 338 .
- Wafford, J. C (1994) getting inside the leader's Head : a cognitive processes approach to Leadership, **SAM Advanced Management Journal** ,Summer, 4- 9 .
- Waldron, V. R. & Applegate, J. L (1994) Interpersonal construct differentiation and conversational planneng : an examination of two cognitive accounts for the production of competent - verbal disagreenment tactics . **Human communication research** , 21, 4, Septimber , 3, 3- 35 .

- Wampold, B, E; Ankarlo, G. Mondin, G' carrillo, M, T; Bamler, B. & prater, K (1995) social skills of environments produces by different holland types : A social perspective on person - environment fit models , **journal of Counseling psychology** , 42, 3, 1369 - 1379 .
- Watson, A . C; Nixon, C. B. J wilson, A. & capage , L (1999) social interaction skills and theory of mind in young children , **developmental psychology**, 35, 2, 386 - 391 .





محــددات السلــوك التوكيــدى

دراسة لحجم ووجهة الآثار (*)

(*) نشر هذا البحث فى مجلة علم النفس، العدد الخامس والعشرون، السنة السابعة، ١٩٩٣، ٥٤-٧١ .

انصب اهتمام باحثى السلوك التوكيدى (*) على **عدد من المجالات** التى تتمثل فى:

- وصف هذا السلوك، ومحاولة التوصل إلى الأبعاد الرئيسية التى ينتظم فيها.
- التعامل معه كمتغير تابع بغية الوقوف على أبرز المتغيرات التى تسهم فى تشكيله (محدداته) وتحديد طبيعته.
- تقويم فعاليته.
- تنميته من خلال برامج التدريب التوكيدى.

ومن الملاحظ أن الدراسات الخاصة بوصف **السلوك التوكيدى** [1]، وأساليب تقويم فعاليته، وطرق تنميته نالت القسط الأكبر من العناية، فى حين لم يلق الجزء الخاص بمحدداته اهتماما مماثلا، على الرغم من أهمية تلك المحددات فى تفسير نشأته وكيفية ارتقائه، فضلا عن إمكانية استثمارها ـ وبوجه خاص أكثرها إسهاما فى تشكيله ـ وتوظيف وعينا بدورها على نحو فعال فى تصميم برامج التدريب التوكيدى التى تهدف إلى تنمية هذا السلوك.

ومن المفترض أن تتجمع تلك **المحددات** [2] فى أربع فئات تتضمن ما يأتى :

- محددات خاصة بالفرد
- محددات خاصة بالطرف الآخر.
- محددات خاصة بالسياق الثقافى ـ الاجتماعى.
- محددات خاصة بالسياق الموقفى ـ النـوعى.

(*) يعرف السلوك التوكيدى بأنه «مهارة الفرد فى التعبير عن آرائه سواء كانت متفقة أو مختلفة مع الآخرين، والإفصاح عن مشاعره الإيجابية (مدح) أو السلبية (غضب) حيالهم ، والدفاع عن حقوقه الخاصة ، والمبادأة والاستمرار فى إنهاء التفاعلات الاجتماعية ، ومقاومة ضغوط الآخرين لإجباره على إتيان سلوك لا يرغبه (شوقى، ١٩٨٨) .

(١) Assertive Behavior

(٢) Determinants

وقد تزايد اهتمام الباحثين منذ منتصف السبعينيات بتلك المحددات وقاموا بدراسة دور البعض منها إمبيريقيا ـ سواء منفردا أو فى تفاعله مع البعض الآخر ـ بيد أن فحص التراث المتصل بتلك الدراسات يثير **عددا من الملاحظات** يمكن أن نوجزها فيما يلى:

١ - **حظيت فئتا** المحددات المتصله بالفرد، وبالطرف الآخر بالقدر الأكبر من جهود الباحثين، فى حين لم تحظ فئتا المتغيرات المتصله بالسياق الثقافى ـ الاجتماعى، والموقفى ـ النوعى سوى بالنذر اليسير من هذه الجهود.

٢ - **تركزت البحوث** داخل كل فئة من الفئات الأربع الكبرى على محددات دون غيرها ففيما يتصل بالمحددات الخاصة بالفرد، على سبيل المثال، نجد أن البحوث عنيت بالبعض منها : كالقلق الاجتماعى. (Watson & Friend , 1969)، والحوار الداخلى الإيجابى والسلبى (Schwartz & Gottman , 1976)، والمعتقدات غير المنطقـــيـــة (Alden & Cappe , 1981 ; Cianni & Horan , 1990)، وتوقع العواقب (Gambrill, 1977)، ومفهوم الذات (Goddard , 1981) ونوع الفرد (قطان، ١٩٨٠ ؛ Hess etal , 1980)، فى حين **لم يتطرق البحث**، فى معظم الحالات، إلى محددات أخرى تدانيها فى الأهمية مثل : مستوى التدين (وهو متغير ذو أهمية خاصة فى ثقافتنا نظرا لما للدين الإسلامى من توجهات فى حث أتباعه على أن يسلكوا على نحو مؤكد) (*)، والانفتاح على الخبرة، وتصورات الفرد حول عائد التوكيد. وفيما يتصل بالمحددات الخاصة بالطرف الآخر فقد أجريت بحوث عديدة حول دور كل من نوع الآخر، وسلطته، ومدى الألفة به فى تحديد مستوى التوكيد (Hollandsworth, 1977; SUe etal , 1983; Hersen & Bellack, 1976) فى حين لم تنل محددات مثل: عمر الآخر ومكانته الاجتماعية، وانتمائه العرقى والطائفى قدرا مماثلا من العناية.

(*) ثمة أحاديث عديدة للرسول عليه الصلاة والسلام تحث المسلمين على تلك النوعية من السلوكيات التوكيدية كقوله عليه السلام « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (التعبير عن الرأى) ، « ومن قتل دون ماله فهو شهيد » (الدفاع عن الحقوق الخاصة) ، و« إذا أحب الرجل أخاه ، فليخبره أنه يحبه » (التعبير عن المشاعر الإيجابية) (رياض الصالحين ، للإمام النووى) .

٣ - **شاب بعض** تلك الدراسات عدد من أوجه القصور المنهجية التى تدعونا للحيطه في الأخذ بنتائجها أو تعميمها. ونورد فيما يلى بعض نماذج تجسد ذلك الموقف نابعة من بحوث تناولت دور كل من متغير الاقتداء وأسلوب التنشئة الأسرية.

- **دراسات الاقتداء** : أشار "راكوز" إلى أن السلوك التوكيدى يتم اكتسابه من خلال آليات متعددة منها : الاقتداء سواء كان واقعيا [١] (مشاهدة نماذج ذات أهمية للفرد مثل : الوالدين، نماذج السلطة الإدارية أو السياسية)، أو متخيلا [٢] (السماع عن أو القراءة عن نماذج معاصرة أو تاريخية فى المجال الدينى أو الفكرى أو السياسى) (Rakos, 1991,P.126). وحيث إن الاقتداء إما أن يكون واقعيا أو متخيلا فقد أجريت عدة دراسات للمقارنة بين كفاءة كل منهما فى حث السلوك التوكيدى، ومن أبرز تلك الدراسات تلك الدراسة التى قام "كازدين" بإجرائها والتى خلص منها إلى أنهما متساويان فى الفعالية (Kazdin, 1980 ; 1982). بيد أن ثمة تحفظات عديدة يمكن أن تثار إزاء تلك النتيجة مفادها أن تلك الدراسات ذات طابع معملى أجريت على قطاع محدود من النماذج السلوكية التى تحدث فى مدى زمنى ضيق، وتقتصر على السلوكيات التى يتاح التعامل معها فى المعمل، ومن ثم فهى تشكل نسبة ضئيلة مقارنة بالكم العريض من النماذج والسلوكيات المحتمل أن يتعرض لها الفرد فى الواقع يضاف إلى ذلك أن فعالية الاقتداء تتوقف على متغيرات أخرى عديدة لم توضع فى الحسبان فى تلك التجارب مثل : وعى الفرد بمدى التشابه الفكرى والقيمى مع النموذج، وتصوره لمدى واقعية ذلك السلوك المعروض أمامه، ومعدل ذلك التعرض أيضا.

- **دراسات أسلوب التنشئة الأسرية** : يشير " ولبه " Wolpe فى معرض تفسيره لاكتساب السلوك التوكيدى إلى أن انخفاض التوكيد ــ أو ارتفاعه ــ يعزى إلى التعلم من خلال الوالدين (Galasi & Galasi, 1978)، وفى دراسة أجراها " بلاكس

---

(١) Covert Modeling

(٢) Covert Modeling

وآخرون " حول الكيفية التى يتشكل بها توكيد الأبناء من خلال الوالدين تبين أن ادراك الابناء لمستوى توكيد والديهم يرتبط بمستوى التوكيد لديهم، وإن إدراكهم أن والديهم يثابون حين يسلكون على نحو مرتفع التوكيد يجعلهم أكثر توكيدا، فى حين أن إدراكهم أن والديهم يعاقبون حين يسلكون على هذا النحو يجعلهم أقل توكيدًا (plax et al, 1985). وتطرق دراسة أخرى أجريت على مجموعة من الأطفال المكسيكيين والأمريكيين زاوية أخرى فى الموضوع حيث أشارت نتيجتها الرئيسية إلى أن الاطفال المكسيكيين أقل توكيدا من نظرائهم الأمريكيين، وقد عزى الباحث ذلك الفارق إلى أن الأسر المكسيكية ترسخ مفاهيم كوجوب طاعة الوالدين، وتلجأ فى بعض الأحيان إلى إنزال العقاب البدنى بالأبناء مما يؤثر سلبا فى مستوى توكيدهم (Kagan & Carlson, 1975). وعلى الرغم من أهمية تلك الدراسات وما توصلت إليه من نتائج، إلا أن هناك **بعض المآخذ** عليها، ففى الدراسة الأولى اعتمد الباحثون لتحديد مستوى توكيد الوالدين على بند واحد قاموا بتوجيهه إلى الأبناء، حول مدى إدراكهم لدرجة توكيد والديهم، وهو مؤشر ليس كافيا، ولا موضوعيا، لتقدير مستوى توكيد الوالدين، فضلا عن أنهم طالبوا الأبناء بتقرير طبيعة العائد الذى يتلقاه الوالدين (دعم ـ عقاب) على سلوكهم التوكيدى، وبطبيعة الحال فإن هذا الإدراك لا يتطابق بالضرورة مع العائد الفعلى الذى تلقاه والديهم. أما فيما يتعلق بالدراسة الأخرى فإنها أجريت على أطفال فى سن صغيرة (من ٨ إلى ١٢ عاما)، وتم تقدير مستوى توكيد الأبناء فيها أثناء أداء الدور فى مواقف اللعب، مما يثير احتمالين يقللان من مصداقية تلك النتائج يتصل أولهما بمدي تمثيل المواقف لجوانب التوكيد المتعددة، ويتعلق ثانيهما بمدى ثبات ومصداقية تلك التقديرات عبر الباحثين القائمين بعملية التقدير.

٤ - **على الرغم** من أن الباحثين عنوا بدراسة آثار بعض المحددات على التوكيد، إلا أن الغالبية منهم لم تعن بدراسة القدرة التنبؤية لكل محدد على حدة، أو لمجموعة من المحددات معا بالتوكيد.

٥ – **نظراً لأن** السلوك التوكيدى يتشكل وفقا لمحددات شخصية وثقافية واجتماعية وسياقية، وحيث إنه يصعب فهمه فى ضوء عدد قليل من المتغيرات (Stefank & Eisler , 1983) ؛ لذا فالحاجة ماسة للتعامل مع عدد أكبر من تلك المتغيرات فى الدراسة الواحدة (Kirchner&Galassi , 1983)، وحيث إن الباحث قام بإجراء دراسة حول بعض محددات التوكيد اقتصر فيها على تناول عدد قليل من تلك المحددات (القلق، الحوار الداخلى، عمر الفرد، ونوعه مقابل نوع الطرف الآخر، وسلطته، ومدى الألفه به) ذلك أن مناط الاهتمام الأساسى لتلك الدراسة كان الكشف عن الأبعاد الرئيسية للسلوك التوكيدى (شوقى، ١٩٨٨)، لذا فقد رؤى أعمالا لمبدأ تراكمية المعرفة العلمية إجراء دراسة أخرى مكملة للأولى يتم فيها تناول بعض المتغيرات التى لم يتمكن الباحث من دراستها فيما سبق حتى تصبح معالم الموقف أكثر اكتمالا ووضوحا.

٦ – **يشكل ماسبق** المبررات المستمدة من الواقع التى تحدونا لإجراء الدراسة الحالية بيد أن هناك مبررا آخر يقدم قوة دفع إضافية للمضى قدما فى هذا السبيل، يتمثل فى أن المحددات التى لم يتم التعرض لدراستها إمبيريقيا ـ من بين التى سبق بيانها ـ لم يتم تجاهلها كلية، بل إن بعض الباحثين أشاروا إلي أهميتها وطبيعة دورها فى سياق تفسير العملية التى يتم من خلالها اكتساب وارتقاء التوكيد، لكن ذلك اقتصر على المستوى النظرى فقط، ومن ثم فإن هذه الإشارات تعد بمثابة معين خصب من الفروض التى يمكن التحقق منها فيما بعد، وهو ما نسعى ـ بالفعل ـ لوضعه موضع التنفيذ فى تلك الدراسة، وتوجد أمثلة عديدة تعبر عن هذا الموقف نوردها فيما يلى :

(أ) **تصورات الفرد حول عائد التوكيد:** يتوقع تبعا لنظرية " آركن " Arken فى تقديم الذات أن منخفضى التوكيد سيتجنبون السلوك على نحو مرتفع التوكيد فى مواقف التفاعل الاجتماعى اعتقادا منهم أنه سيثير عدم الاستحسان لدى الآخرين (Phillip & Bruch, 1988)، أي أن تصورات الفرد حول العواقب السلبية للتوكيد المرتفع

(الخوف من التقويم السلبى من الآخرين) تسهم فى تحديد مستوى توكيده، وفى المقابل فإن إدراك الفرد للدعم المتوقع الحصول عليه فى حالة إصدار السلوك السابق يحثه على أن يكون مرتفع التوكيد، وفى هذا الصدد يفترض " رازوس " Rathus أن الأفراد الذين يدركون بيئتهم على أنها تدعم هذا السلوك يتعلمونه على نحو أسرع ممن يدركون أنها لا تدعمه (Stake & Pearlman, 1980) ومن ثم فإنه يمكن تنمية التوكيد من خلال تعديل تصورات الفرد حول العواقب السلبية التى يتوقع صدورها من الآخرين حين يسلك على نحو مرتفع (Barrow & Hayashi , 1980).

(ب) **العائد الفعلى للتوكيد** : يشير كل من " ماكفال وتوينتيمان " Mcfall & Twentyman إلى أن العائد الفعلى للتوكيد يمارس دورا جوهريا فى إصدار الاستجابات التوكيدية (Heimberg & Becker, 1981) وتجدر الإشارة إلى أن هذا العائد قد يكون إيجابيا : متمثلا فى كل من الدعم الذاتى النابع من ملاحظة الفرد لذاته وتقويم أدائها، أو الدعم الخارجى الذى يقدمه الآخرون للفرد حين يسلك على نحو مرتفع أو منخفض التوكيد (Rakos, 1991, r. 131). وقد يكون هذا العائد سلبيا متمثلا فى العقاب إما على السلوك المرتفع أو المنخفض التوكيد – مصدره الذات أو الآخرون أيضا.

(جـ) **التفاعل المكثف مع الآخرين** : يفترض كل من " إليوت وكوران " أن دائرة اتصالات وعلاقات مرتفعى التوكيد مع المحيطين بهم تكون أكثر اتساعا من تلك الدائرة التى يتحرك فى أرجائها منخفضو التوكيد (Elliott &Coran, 1991) ويدعم كل من "همبرج وبيكر" ذلك الافتراض بقولهما : إن انخفاض التوكيد قد يعزى إلى نقص فرص التفاعل مع الآخرين (Heimberg & Becker, 1981).

على أيه حال، فنحن فى حاجة لكى نتحقق من طبيعة العلاقة السببية بين اتساع مساحة دائرة العلاقات الاجتماعية ومستوى التوكيد ـ إلى تحكيم الواقع لدراسة تلك العلاقات بالأدوات والأساليب المنهجية الملائمة.

(د) **الانفتاح على الخبرة** : إن استجابات الأفراد للمواقف المختلفة يتم تعلمها من خلال الخبرات المتعددة التى يتعرضون لها (Lafromlaise & Row, 1983)، والتوكيد بوصفه استجابة فمن المفترض أنه لا يتحدد ولا يرتقى بالضرورة تبعا للمدى العمرى للفرد بل إنه دالة لحجم ما يتعرض له ذلك الفرد من خبرات يكتسبها من خلال التفاعل المكثف مع كل من الأفراد والأفكار والموضوعات والأشياء، أى أن مناط الأمر في تحديد مستوى التوكيد، ومعدل ارتقائه ليس العمر بل الخبرات التى يتم تحصيلها عبر ذلك العمر، بيد أن الأمر لا يقتصر على كم الخبرات فقط، بل يشمل أيضا مضمون تلك الخبرات، فهل هى خبرات متجانسة، بمعنى أن الطابع الغالب عليها ينطوى على حث التوكيد أو قمعه، أم أنها خبرات متعارضة ومتصارعة يميل بعضها لحثه فى حين يذهب البعض الآخر نحو قطب القمع مما يقلل فى النهاية من فعاليتها.

وفى كل الحالات فإن الأمر يتطلب فحصا إمبيريقيا لكم ومحتوى تلك الخبرات للوقوف على طبيعة دورها فى تحديد مستوى التوكيد، وهو ما يؤمل إنجازه فى البحث الحالى. يشكل ما سبق ذكره المبررات الأساسية التى حدت بالباحث لإجراء دراسة حول دور بعض محددات التوكيد، روعى فيها أن تأخذ فى الحسبان عددا من المتغيرات التى لم تدرس على نطاق واسع فيما سبق من دراسات، بغية الإجابة عن **ثلاثة أسئلة** رئيسية هى :

١ - ما طبيعة الدور الذى تؤديه المحددات التالية : التنشئة الأسرية، والاقتداء، وتشجيع الأقران، والانفتاح على الخبرة، والتدين، والتفكير بطريقة نقدية، ومعدل التفاعل مع الآخرين، والتصورات حول عائد التوكيد، والعائد الفعلى للتوكيد - فى تحديد مستوى التوكيد لدى الفرد ؟

٢ - ما القدرة التنبؤية لكل من تلك المحددات منفردا بالتوكيد ؟

٣ - ما أفضل مجموعة من تلك المحددات تنبؤاً بالتوكيد ؟

وحتى تتأتى الاجابة عن تلك الأسئلة رئى صياغتها فى صورة **فروض صفرية** رئيسية ثلاثة هى :

(أ) لا توجد آثار رئيسية دالة لتلك المحددات - كل على حدة - على مستوى التوكيد

(ب) لا يمكن التنبؤ من الدرجة على تلك المحددات - كل على حدة - بمستوى التوكيد.

(جـ) لا تزيد القدرة التنبؤية لتلك المحددات مجتمعة بالتوكيد على القدرة التنبؤية لكل منها منفردا به.

بغية التحقق من تلك الفروض سيقوم الباحث باستخدام المنهج العلمى الملائم والذى يمكن تفصيل خطواته فيما يلى :

أولا - المنهـــج:

١ - العينـة:

تكونت عينة البحث من (٢٨٨) طالب وطالبة بالمرحلة الثانوية والجامعية، من المقيمين بمدينة بنى سويف، وكانت نسبة الطلاب (٥٧,٣ ٪) من إجمالى حجم العينة (ن = ١٦٥)، والطالبات ٤٢,٧ ٪ (ن = ١٢٣).

وقد بلغ متوسط عمر الطلاب (١٨,٨ ± ٣,٤) عام، والطالبات (١٨,٢ ± ٥,٨) عاما. وقد شكل المسلمون (٩٤ ٪) من إجمالى حجم العينة مقابل (٦٪) من المسيحيين.

٢ - الأدوات:

تم استخدام مقياسين فى هذه الدراسة هما :

أ - **مقياس أبعاد السلوك التوكيدى** : وقد أعده الباحث وقننه فى دراسة سابقة على عينة مصرية قوامها ثمانمائة فرد. ويتكون المقياس من ثمانين (٨٠) بندا تقيس عشرين (٢٠) مهارة فرعية من مهارات التوكيد، فضلا على درجة التوكيد العام، يشير كل بند منها إلى سلوك معين يطلب من المبحوث تحديد معدل حدوثه على متصل من خمس نقاط يبدأ من هذا السلوك يحدث دائما وينتهى بفئة لا يحدث (لمزيد من التفاصيل انظر شوقى، ١٩٨٨).

- **ثبات المقياس**: تم حساب ثبات المقياس بطريقة إعادة التطبيق بفاصل زمنى مقداره عشـرة أيام، على ثلاثين (٣٠) طالبا وطالبـة. وكان معامل الارتباط بين التطبيقين (٨٤,) وهو معامل ثبات يعد مرتفعا.

- **صدق المقياس** : تأكد فى دراسة سابقة صدق المقياس التكوينى حيث اتسقت نتائجه مع العديد من التصورات التراثية التى تشير إلى وجود فروق بين الذكور والإناث على المهارات النوعية للتوكيد، وكذا أثبت اتسامه بالصدق العاملى [1] حيث كان البناء العاملى لعينة الذكور مختلفا عنه لدى عينة الإناث، فضلا على أن ذلك البناء اختلف أيضا عبر العمر حيث كان أكثر تمايزا فى المراحل العمرية الأعلى مما يدعم من التصور الذى أصبح مجمعا عليه فى تراث بحوث التوكيد من أن التوكيد يرتقى عبر العمر.

ب - **مقياس محددات التوكيد** : قام الباحث فى ضوء اطلاعاته على التراث النظرى الخاص بمحددات التوكيد - فضلا على تصوراته واستبصاراته حول هذا الموضوع - بإعداد قائمة بتلك المحددات التى تتسم بالأهمية، والتى لم تلق اهتماما كافيا من قبل الباحثين فى الدراسات السابقة، وقد بلغ عدد تلك المحددات تسعة، تم قياس كل منها بعدد من البنود التى يجاب عنها على متصل من خمسة مستويات للشدة، وقد بلغ عدد تلك البنود واحداً وثلاثين بندا (٣١)، يبينها الجدول التالى رقم (١) :

جدول رقم (١)

يتضمن بنود مقياس محددات السلوك التوكيدى

م	البنـــــد
١	تعبيرك عن مشاعرك بتلقائية يفقدك أصدقاءك .
٢	وجود أفراد من الجنس الآخر يعبرون عن آرائهم ومشاعرهم بسهولة يشجعك على ممارسة ذلك السلوك .
٣	الأساتذة يشجعونك على التعبير عن رأيك .

(١) Factorial Validity

تابع جدول رقم (١)

يتضمن بنود مقياس محددات السلوك التوكيدى

م	البنـــــد
٤	لا تصدق كل ما يقال إلا بعد الفحص والتمحيص .
٥	تنتبه للأسلوب الذى يدير به أساتذتك الحوار مع الزملاء لتستفيد منه فيما بعد .
٦	تخشى أن يغضب الآخرون منك إن اختلفت فى الرأى معهم .
٧	حين تريد تكوين رأى فى موضوع ما تسعى إلى الاستماع إلي وجهات نظر مختلفة حوله .
٨	أصدقاؤك يشجعونك على التعبير عن رأيك ومشاعرك بشكل مباشر ودون خجل .
٩	أسرتك تشجعك على التعبير عن وجهة نظرك فى معظم القضايا الخاصة بها .
١٠	والدك يعودك على تحمل المسئولية .
١١	تحضر ندوات ثقافية ولقاءات فكرية .
١٢	الأساتذة يهينونك حين تختلف فى الرأي معهم .
١٣	أسرتك تشجعك على الدفاع عن حقوقك ضد كل من يحاول انتهاكها .
١٤	تلاحظ الزملاء الذين يجيدون التعبير عن أنفسهم فى المناقشات التى تحضرها وتتعلم منهم .
١٥	الكثير من أصدقائك يحرصون على التعبير عن آرائهم ومشاعرهم بتلقائية (دون حرج) .
١٦	الأساتذة يعاقبون من يختلف فى الرأى معهم .
١٧	تحرص على الالتزام بأداء الشعائر الدينية .
١٨	تحاسب نفسك حين تفشل فى التعبير عن رأيك .
١٩	تسعى لمعرفة رأى الدين فى الكثير من أمور المعاملات والعبادات .
٢٠	تقرأ عن نماذج (شخصيات) تاريخية أو معاصرة تتميز بالقدرة على التعبير عن آرائها ومشاعرها .
٢١	قدرتك على التعبير عن أرائك ومشاعرك تثير اعجاب الآخرين .
٢٢	تحترم من يستطيع أن يعبر عن اختلافه مع الآخرين مادام مقتنعا بوجهة نظره .
٢٣	إن الذين يستطيعون التعبير عن أنفسهم يحصلون على مزايا عديدة .
٢٤	الدين يشجع الفرد على التعبير عن رأيه .

تابع جدول رقم (١)

يتضمن بنود مقياس محددات السلوك التوكيدى

م	البنـــد
٢٥	إن الاختلاف لا يفسد للود قضية .
٢٦	قوة الصلة بالله تجعل الفرد أكثر قدرة على مواجهة الآخرين والتعبير عن آراء تختلف مع ارائهم .
٢٧	اتساع أفقى جعلنى أكثر قدرة على التعبير عن آرائى .
٢٨	معلوماتى زادت بدرجة كبيرة .
٢٩	أصبحت أقرأ فى مجالات متعددة .
٣٠	أتعامل مع زملاء من محافظات مختلفة .
٣١	عدد الأفراد الذين أتعامل معهم زاد بدرجة كبيرة .

وفيما يلى نقدم التعريف الإجرائى الذى اعتمدنا عليه فى الدراسة لكل محدد من تلك المحددات التسعة وهو :

- **التشجيع:** مقدار ما يلقاه الفرد من تشجيع من المحيطين به (الاقران - الأساتذة) ليسلك على نحو مرتفع التوكيد. ويقيس هذا المتغير البندان ٣، ٨ من المقياس.

- **الاقتداء:** مشاهدة الفرد لنماذج تسلك على نحو مؤكد (زملاء، أقارب، نماذج السلطة)، أو تخيله لتلك النماذج من خلال القراءة، أو السماع عنها مما يحثه على الاقتداء بها. ويقيس هذا المتغير البنود رقم : ٥، ١٤، ١٥، ٢٠.

- **تصورات الفرد حول عائد التوكيد:** تصورات الفرد حول العائد المتوقع من الآخرين (إيجابى - سلبى) حين يسلك على نحو مؤكد، فضلا عن تصوراته الشخصية حول الأفراد مرتفعى التوكيد. ويقيس هذا المتغير البنود رقم : ٦، ٢٢، ٢٣.

- **العائد الفعلى للتوكيد:** مقدار ما يحصل عليه الفرد من عائد إيجابى (دعم إيجابى أو سلبى)، أو سلبى (عقاب - حرمان من الدعم) كنتيجة لسلوكه المؤكد سواء من الأصدقاء، أو نماذج السلطة (الآباء - الأساتذة) ويقيس هذا المتغير البنود رقم : ١، ١٢، ١٦، ٢١.

-**التنشئة الأسرية**:أسلوب التنشئة داخل الأسرة الذى يدفع الفرد إلى إصدار الاستجابة التوكيدية من خلال وسائل من قبيل : تشجيعه على أن يعبر عن آرائه فى المسائل الخاصة بالأسرة، وتدريبه على تحمل المسئولية، واتخاذ القرارات، والدفاع عن حقوقه ضد كل من يحاول انتهاكها. ويقيس هذا المتغير البنود رقم : ٩، ١٠، ١٣.

-**الانفتاح على الخبرة**:مقدار ما يتعرض له الفرد من خبرات متنوعة سواء كان مصدرها الاتصال المباشر مع آخرين، أو اللقاءات الفكرية، أو القراءة أو المشاهدة، فضلا مدى شعوره بتوفر قدر مناسب من الخبرة لديه يمكنه من مواجهة الآخرين، وإدارة التفاعلات معهم على نحو مؤكد. ويقيس هذا المتغير البنود رقم : ١١، ٢٧، ٢٨، ٢٩.

-**التفكير النقدى**:قيام الفرد بفحص وتمحيص الأفكار والآراء التى يتعرض لها وفق المعايير والقواعد المنطقية، وحرصه على الاستماع إلى وجهات النظر المختلفة حول الموضوعات التى يريد تكوين رأي فيها، بالإضافة إلى قدرته على توجيه النقد لذاته وللاخرين. ويقيس هذا المتغير البنود رقم : ٤، ٧، ١٨، ٢٥.

- **التدين** :مستوى تدين الفرد كما يكشف عنه حرصه على الالتزام بممارسة الشعائر الدينية، وسعيه لتحصيل المعلومات الدينية، فضلا على إدراكه لدور الدين فى الحث على التوكيد. ويقيس هذا المتغير البنود رقم : ١٧، ١٩، ٢٤، ٢٦.

-**التفاعل مع الآخرين**:اتساع دائرة التفاعلات الاجتماعية للفرد، والذى يتمثل فى كل من زيادة عدد من يتعامل معهم، وتنوع خصالهم (النوع، موطن النشأة). ويقيس هذا المتغير البنود رقم : ٢، ٣٠، ٣١.

ثبات المقياس:

أجرى الثبات بإعادة التطبيق بفاصل زمنى عشرة أيام (١٠) على مجموعة مكونة من ثلاثين فردا (٣٠)، وقد حسب الثبات بأسلوبين هما :

١ – تم حساب معامل الاتفاق على مستوى المحددات، التى يتكون كل منها من عدة بنود. ويبين الجدول التالى رقم (٢) قيم تلك المعاملات.

جدول رقم (٢)

يبين معاملات الاتفاق بين التطبيق الأول والثانى على محددات التوكيد

م	المتغير	معامل الاتفاق	م	المتغير	معامل الاتفاق
١	التشجيع	٦٢٪	٥	أسلوب التنشئة الأسرية	٨٢٪
٢	الاقتداء	٦١	٦	التفكير النقدى	٦٢
٣	تصورات الفرد حول عائد التوكيد	٧٦	٧	الانفتاح على الخبرة	٧٦
			٨	التدين	٨٤
٤	العائد الفعلى للتوكيد	٦٨	٩	التفاعل مع الآخرين	٧٦

٢ - اعتمد الباحث على أسلوب آخر لحساب الثبات باستخدامه معادلة (ت) لدلالة الفارق بين متوسطين مرتبطين، حيث قام بحساب دلالة الفارق بين متوسط الدرجة على المحددات فى كل من التطبيق الأول والثانى، علي أساس أن عدم وجود فارق دال بين هذين المتوسطين إنما يشير إلى عدم حدوث تغيرات جوهرية فى الدرجة على المقياس عبر مرتى التطبيق، مما يعنى ثبات الأداء، بيد أن هذا الأسلوب لن يعطينا تقديرًا محددًا للثبات، وانما سيجعلنا قادرين على أن نقرر إن كان الأداء ثابتا (في حالة عدم وجود فارق دال) أم غير ثابت (فى حالة وجود فارق دال). وان كان هذا لا يحول دون أن نستدل بطريق غير مباشر - وهو تصور مقترح - من خلال قيمة (ت) على مدى استقرار الأداء، علي أساس أنه كلما انخفضت قيمة (ت) كلما دل هذا على ضآلة الفارق، مما يعد مؤشرا لارتفاع الثبات والعكس صحيح. ويبين الجدول التالى رقم (٣) مؤشرات الثبات المستمدة من قيم (ت)

جدول رقم (٣)

يبين دلالة الفروق بين متوسطات أفراد العينة على محددات التوكيد عبر مرتى التطبيق

م	رقم التطبيق / المحدد	التطبيق الأول		التطبيق الثانى		قيمة ت	مستوى الدلالة
		م	ع	م	ع		
١	التشجيع	١٠,٥	٢,٧	١٠,٩	٢,٥	,٨٣	غير دال
٢	الاقتداء	١٣,١	٣,٢	١٢,٤	٢,٢	١,٦٣	غير دال
٣	التصورات حول عائد التوكيد	١٤,٤	٢,٨	١٤,١	٣,٣	,٣٧	غير دال
٤	العائد الفعلى للتوكيد	١٥,٨	٢,٤	١٥,٤	٢,٥	,٤٩	غير دال
٥	التنشئة الأسرية	١٥,٧	٢,٢	١٥,٥	٢,٢	,٦٦	غير دال
٦	التفكير النقدى	١٤,٨	٢,٤	١٤,٨	٢,٤	-	غير دال
٧	التدين	٩,٩	٢	١٠,١	٢	- ,٥٤	غير دال
٨	التفاعل	١٧,٨	٢,٧	١٨,١	٢,٢	- ,٤٦	غير دال
٩	الانفتاح على الخبرة	١٢,٧	١,٦	١٢,١	٢,٢	١,٤٧	غير دال
١٠	التوكيد العام	٢٩٦,٧	٢٣,٤	٢٩٥	٢٧,٥	,٦٢	غير دال

صدق المقياس:

اعتمد الباحث على صدق المحتوى لإثبات صدق القياس على أساس أن محتوى البنود مستمد من التعريف الإجرائى للمحددات، المستمدة بدورها من التراث النظرى المتصل بالموضوع. يضاف إلى ذلك أنه من المتوقع أن تقدم النتائج مؤشرات للصدق التكوينى فى حالة وجود فروق جوهرية فى مستوى التوكيد فى ظل المستويات المتنوعة من الدرجة على محددات التوكيد، وهو ما يمكن أن نطلق عليه صدقا لاحقا.

٣ - الإجراءات:

تم جمع البيانات بواسطة الاستخبار الذى تم تطبيقه جمعيا على المبحوثين

فى قاعات الدرس(*)، وقد استغرقت جلسة التطبيق على كل مجموعة ساعة من الزمن، وتجدر الإشارة إلى أنه توفيرا لمناخ من الطمأنينة، والتى يفترض أن تنعكس على صدق الإجابات، لم يطلب من المبحوث كتابة اسمه على الاستمارة(**).

٤ - التحليل الإحصائى للبيانات:

نظرا لاعتبارات عملية عديدة مستمدة من تراث بحوث محددات التوكيد، روعى تحليل بيانات عينة الذكور والإناث كل على حدة. وقد قام الباحث باستخدام بعض الأساليب الاحصائية التى توقع أنها الأكثر ملاءمة فى اختبار فروض البحث، وقد تمثلت تلك الأساليب فيما يلى :

- تحليل التباين فى اتجاه واحد، وقد أعقبه إجراء اختبار « دانكان » للمقارنة الثنائية للكشف عن دلالة الفروق بين كل مجموعتين من مجموعات التباين الثلاث على التوالى.
- تحليل الانحدار البسيط لتحديد القدرة التنبؤية للمحددات كل منها على حدة بالتوكيد.
- تحليل الانحدار التدريجى لتحديد القدرة التنبؤية لمجموعة المحددات مجتمعة بالتوكيد.

(*) يتوجه الباحث بالشكر الجزيل إلى الأساتذة : حسام جابر ، ورشدى رجب ، وناهد فتحى ، على جهودهم المخلصة فى جمع بيانات الدراسة من الميدان وتجهيزها لعمليات الحساب الآلى .

(**) للتغلب على مشكلة عدم معرفة اسم المبحوث ، والرغبة فى الوقت نفسه فى تطبيق استمارة البحث عليه مرة ثانية لتقدير الثبات ، فقد طلب منه كتابة رقم معين على الاستمارة فى التطبيق الأول وتم إعطاؤه ورقة عليها نفس الرقم ، وأبلغ بضرورة الاحتفاظ بها لأن الباحث سيستعيدها ثانية ، وأثناء التطبيق الثانى ، والذى ابلغ بموعده بشكل ضمنى سلفا ، كان يتم استعادة تلك الورقة وكتابة الرقم الموجود عليها على الاستمارة الثانية أثناء تقديمها إليه ، وبذا أمكن التعرف على استمارتى المبحوث فى المرتين بدون الحاجة إلى معرفة اسمه .

ثانيا - النتائج :

١ - نتائج تحليل التباين فى اتجاه واحد.

١- نتائج عينة الذكور :

للكشف عن الآثار الرئيسية لكل محدد ـ منفردا ـ على مستوى التوكيد العام من خلال استخدام أسلوب تحليل التباين فى اتجاه واحد، قام الباحث بإجراء الخطوات التالية :

- تم تصنيف أفراد العينة إلى ثلاثة أقسام تبعا للدرجة على كل محدد باستخدام أسلوب التكرار المتجمع الصاعد فأصبح لدينا ثلاث مجموعات : مجموعة منخفضة (الثلث الأدنى)، ومجموعة متوسطة (الثلث الأوسط)، ومجموعة مرتفعة (الثلث الأعلى)، ويلاحظ أن عدد أفراد المجموعات لن يكون متساويا بالضرورة فى كل الحالات.
- تم تحليل التباين فى التوكيد العام بين المجموعات الثلاث تبعا لكل محدد.
- عقب ذلك تم إجراء اختبار لاحق[١] لتحليل التباين لحساب دلالة الفروق بين كل مجموعتين من المجموعات الثلاث فى التوكيد على التوالى باستخدام اختبار «دانكان ».

ويبين الجدول التالى رقم (٤) نتائج تحليل التباين والمقارنات الزوجية اللاحقة.

---

(١) Post Hoc test

جدول رقم (٤)

يبين نتائج تحليل تباين فى اتجاه واحد لمستوى التوكيد لدى ثلاث مجموعات من الذكور منخفضة ومتوسطة ومرتفعة على محددات التوكيد

م	العينـــة / المحـــدد	منخفضون		متوسطون		مرتفعـــون		قيمة ف	مستوى الدلالة	الفرق بين المجموعة		
		م	ع	م	ع	م	ع			المنخفضة والمرتفعة	المنخفضة والمرتفعة	المتوسطة والمرتفعة
١	التشجيع	٢٧٠,٤	٣٤,٧	٢٨٤,٧	٢٢,٣	٢٩٤,١	٢٥,٨	٧,٧	,٠٠٠٧	دال	دال	-
٢	التنشئة	٢٧٤,٨	٢٨	٢٨٤,٣	٢٧,٩	٢٨٩,٧	٢٥,٢	٤,٣	,٠١	-	دال	-
٣	الاقتداء	٢٧٠,٢	٢٦,٩	٢٨٨,٢	٢٥,٤	٢٩٠,٤	٢٧,٤	٩,١	,٠٠٠٢	دال	دال	-
٤	الانفتاح على الخبرة	٢٦٩,١	٢٩,١	٢٨٥,٨	٢٥,٢	٢٩٦,٥	٢٣	١٢,٧	,٠٠٠١	دال	دال	دال
٥	التفكير النقدى	٢٦٨,٧	٢٧,٧	٢٨٣,٧	٢٢,٥	٢٩٥,٨	٢٦,٩	١٤,٨	,٠٠٠٠١	دال	دال	دال
٦	التفاعل	٢٧٤,٨	٣٠,٢	٢٨٤,٢	٢٥,٨	٢٨٩,٨	٢٦,٥	٣,٤	,٠٣	-	دال	-
٧	التصورات	٢٨٣,٧	٣٢,٨	٢٨٣,٧	٢٥	٢٧٩,٧	٣٠,٦	٠,٣	غير دال	-	-	-
٨	التدين	٢٧٣,٣	٢٤,٧	٢٨١,٥	٢٨,٤	٢٩٦,٧	٢٣,٤	٧,٨	,٠٠٠٦	-	دال	دال
٩	العائد	٢٧١	٢٩,٤	٢٨٤,٤	٢٧	٢٩٤,٣	٢١,٦	٦,٣	,٠٠٢	دال	دال	-

تشير نتائج الجدول السابق رقم (٤) إلى أن قيمة ف بالنسبة لجميع المحددات – عدا محدد التصورات حول عائد التوكيد – كانت دالة مما يعنى وجود آثار رئيسية دالة لتلك المحددات على التوكيد.

عقب ذلك قام الباحث بإجراء اختبارات المقارنات الثنائية اللاحقة لتحليل التباين للكشف عن حجم ووجهة الفروق بين كل من المجموعات الفرعية الثلاث على التوالى باستخدام اختبار " دانكان " (*)، وقد بينت النتائج التى يحويها نفس الجدول السابق رقم (٤) وجود فروق دالة بين المجموعة المرتفعة والمنخفضة على جميع المحددات ــ عدا التصورات حول عائد التوكيد ــ فى مستوى التوكيد العام. ويشير مضمون تلك الفروق إلى أنه فى ظل الدرجة المرتفعة على المحددات يرتفع مستوى التوكيد، وأنه فى ظل الدرجة المنخفضة عليها ينخفض مستوى التوكيد.

٢ - نتائج تحليل التباين فى اتجاه واحد لدى عينة الإناث:

تم إجراء نفس الخطوات التى أجريت فى تحليل التباين فى اتجاه واحد لدى عينة الذكور، على عينة الإناث، ويبين الجدول التالى رقم (٥) نتائج ذلك التحليل.

(*) توجد سبعة اختبارات ، على الأقل ، لإجراء مقارنات زوجية لاحقة بين المجموعات التى يتم تحليل التباين فيما بينها ، وعلى الرغم من أن اتخاذ قرار بأفضلية أى منها ، ومن ثم استخدامه، يتوقف على مدى ملاءمته لطبيعة البيانات ، وهدف الباحث ، وطبيعة الإطار النظرى الذى يتبناه وينوى اختباره إلا أن البعض يرتبها ترتيبا تنازليا من حيث القوة – فى حالة تساوى احتمالات صلاحياتها للاستخدام – على النحو التالى:

1- Least - signficant difference .
2- Duncan's multiple Rang test .
3- Student'sNewman- Keuls (S.N.K) .
4- Tukey's alternate procedurs (Tukey B) .
5-Honestly signifcant difference (Tukey HSD) .
6-Modefied L. S. D .
7- Scheffe .

(for more details see : Nil et al , 1975, PP. 427 - 428)

جدول رقم (٥)

يبين نتائج تحليل تباين فى اتجاه واحد لمستوى التوكيد لدى ثلاث مجموعات من الإناث منخفضة ومتوسطة ومرتفعة على محددات التوكيد

م	العينة / المحدد	منخفضون		متوسطون		مرتفعون		قيمة ف	مستوى الدلالة	الفرق بين المجموعة		
		م	ع	م	ع	م	ع			المنخفضة والمرتفعة	المنخفضة والمرتفعة	المتوسطة والمرتفعة
١	التشجيع	٢٦٢,٨	٢٥,٤	٢٧٤,٦	٢٩,٨	٢٨٥,٨	٢٨,٦	٤,١	,٠١	–	دال	–
٢	التنشئة الأسرية	٢٦٢,١	٢٤,٩	٢٧٣,٥	٢٩,٦	٢٨٦,١	٢٨,٨	٦,٦	,٠٠١	–	دال	دال
٣	الاقتداء	٢٥٤,٧	٢٩,٢	٢٧٣,٣	٢٢,٧	٢٨٨,٤	٢٧,٩	١٥,١	,٠٠٠١	دال	دال	دال
٤	الانفتاح على الخبرة	٢٥٤,٧	٢٣	٢٧٧,١	٢٧,٤	٢٩٢,١	٢٦,٤	١٨,١	,٠٠٠٠١	دال	دال	دال
٥	التفكير النقدى	٢٦٠,٦	٢٧,١	٢٦٩,٩	٢٧,٣	٢٩٢,٥	٢٥,٩	١٢,١	,٠٠٠١	–	دال	دال
٦	التفاعل	٢٦٥,٨	٢٦,٩	٢٧١,٦	٢٧,١	٢٨٦,٤	٣٣,٥	٤	,٠٢	–	دال	دال
٧	التصورات حول عائد التوكيد	٢٦٦,٥	٢٣,٨	٢٧٩,٢	٣٠,٤	٢٧٣,٣	٣٠,٤	٢	غير دال	–	–	–
٨	العائد الفعلى للتوكيد	٢٥٩	٢١,٨	٢٧٢,٦	٢٨,٢	٢٨٥,٧	٣١	٧,٩	,٠٠٠٦	دال	دال	دال
٩	التدين	٢٦١,٥	٣٥,١	٢٧٣,٣	٢٤,٥	٢٨١,٧	٢٨,٤	٤,٤	,٠١	–	دال	–

يشير الجدول السابق رقم (٥) إلى أن قيمة (ف) دالة بالنسبة لجميع المحددات ـ ماعدا التصورات حول عائد التوكيد ـ مما يعنى وجود آثار رئيسية دالة لتلك المحددات على التوكيد. وهناك،

أما بالنسبة للمقارنات الزوجية بين المجموعات فقد بينت النتائج الموجودة فى نفس الجدول السابق وجود فروق دالة بين المجموعة المرتفعة والمنخفضة على كل المحددات ـ ماعدا محدد التصورات حول عائد التوكيد ـ فى مستوى التوكيد العام، ويشير مضمون تلك الفروق إلى أنه فى ظل الدرجة المرتفعة على المحدد يرتفع مستوى التوكيد وأنه فى ظل الدرجة المنخفضة على المحدد ينخفض مستوى التوكيد.

٢ - نتائج تحليل الانحدار:

يعرف تحليل الانحدار بأنه إسلوب احصائى لتحليل العلاقة بين متغيرين أو أكثر بهدف التنبؤ بدرجات أحدهما (المتغير التابع أو المحكى [*][١]) فى ضوء درجات المتغير أو المتغيرات الأخرى (المتغير المستقل أو المنبئ)[٢]، اعتمادا على درجة الارتباط بينهما، ومن المفترض أنه كلما ارتفعت تلك الدرجة كلما كان التنبؤ دقيقا (Hinkle et al , 1988).

تجدر الإشارة إلى أن هناك عدة أنواع من تحليل الانحدار، وقع الاختيار على اثنين منها فقط يتوقع الحصول على البيانات الكفيلة بالتحقق من فروضنا البحثية من خلالهما، هما :

١ - تحليل الانحدار البسيط[٣] : وفيه نحصل على تقدير لمعامل انحدار المتغير التابع (التوكيد) على كل متغير من المتغيرات المستقلة (المحددات) على حدة، مما يمكننا من الكشف عن القدرة التنبؤية لكل محدد بالتوكيد، والذى يتأتى لنا بموجبه ترتيب المتغيرات المستقلة ترتيبا تنازليا من حيث قدرتها التنبؤية بالتوكيد.

(*) فى تحليل الانحدار يجب الا يزيد عدد المتغيرات التابعة تنازليا على متغير واحد فقط .

(١) Criterion Variable   (٢) Predictive Variable

(٣) Simple Regression

٢ - تحليل الانحدار التدريجى : ويتأتى من خلاله تحديد أفضل مجموعة من المحددات ذات قدرة تنبؤية بالتوكيد.

قبيل الشروع فى اجراء تحليل الانحدار يجب التأكد من توفر عدة شروط سنقتصر على ذكر أهمها موضحين كيفية استيفائها فى تلك الدراسة، وهى :

- أن تكون نسبة عدد أفراد العينة إلى المتغيرات الداخلة فى معادلة الانحدار متوازنة، بمعنى ألا تقل عن (٥) إلى (١) على أقل تقدير (Tabachnick & fidell. 1983 , p.92)، وهو ما تم استيفاؤه، حيث بلغت النسبة فى عينة الذكور (١٦) إلى (١)، وفى عينة الإناث (١٢) إلى (١).

- عدم وجود التواء دال (موجب، أو سالب) فى المتغيرات المستقلة، وقد أشارت بيانات معاملات الالتواء كما يكشف عنها الجدول رقم (٦) إلى عدم وجود التواء دال عند مستوى (٠,٠١) (*) فى جميع متغيرات عينة الذكور، وكذا الإناث (فيما عدا متغير التدين).

جدول رقم (٦)

يبين قيم معاملات الالتواء لدى كل من الذكور والإناث على محددات التوكيد

م	البند	ذكور	إناث	م	البند	ذكور	إناث
١	التشجيع	,٤٦-	,٦١-	٦	التفاعل	,١٢-	,٠٤-
٢	التنشئة الأسرية	١,٢٦-	١,٤-	٧	التصورات حول عائد التوكيد	-٠٣,	,٦٨-
٣	الاقتداء	,٣٤-	,٦٨-				
٤	الانفتاح على الخبرة	,٤٤-	١,٢٤-	٨	العائد الفعلى	,٣٣-	,٨٥
٥	التفكير النقدى	,٤٠-	,٩٩-	٩	التدين	١,٠٧-	٢,٧ *

* معامل التواء دال عند مستوى ٠,٠١ (Tabachnick & Fidell. 1983, P. 79)

(*) من المعروف أن توزيع درجات الأفراد على المحددات يكون اعتداليا كلما اقترب معامل الالتواء من الصفر، ويصبح التوزيع غير اعتدالى إذا زادت قيمة هذا المعامل عن ـ ٢,٥٨.

- عدم وجودازدواج خطى (*) بين المتغيرات المستقلة (المحددات)، لذا فقد تم حساب قيم معاملات الارتباط بين تلك المحددات التسعة ويبين الجدول التالى رقم (٧) تلك المعاملات.

جدول رقم (٧)

يبين قيم معاملات الالتواء لدى كل من الذكور والإناث على محددات التوكيد

م	بيانات العينة / فئة قيم معاملات الارتباط	الذكــــور		الإنــــاث	
		عدد المعاملات	٪	عدد المعاملات	٪
١	أقل من ٢,	٢٩	٨٠,٦	٢٠	٥٥,٦
٢	٢, - ٢٩,	٤	١١,١	٩	٢٥
٣	٣, - ٣٩,	٣	٨,٣	٣	٨,٣
٤	٤, - ٥٥,	-	-	٤	١١,١
٥	أكثر من ٥٥,	-	-	-	-
	المجموع الكلى	٣٦	١٠٠	٣٦	١٠٠

تشير نتائج الجدول السابق رقم (٧) إلى أن قيم معاملات الارتباط بين المحددات يغلب عليها الانخفاض مما يعنى أن ظاهرة الازدواج الخطى غير موجودة (يلاحظ أن أى معامل ارتباط بين متغيرين لم يبلغ القيمة التى تؤكد وجود ازدواج خطى وهى ٨,)، مما يدعم من افتراض استقلال المحددات فيما بينها.

عقب التأكد من استيفاء البيانات لشروط إجراء تحليل الانحدار قام الباحث بتحليل بيانات كل من الذكور والإناث بهذا الأسلوب، وفيما يلى عرض موجز لنتائج تلك التحليلات.

(*) يعرف الازدواج الخطى Multicolinearity بأنه « الارتباط المرتفع بين المتغيرات المستقلة ، ويتم التأكد من وجوده ، حين يزيد معامل الارتباط بين أى متغيرين على (٨) حينئذ يجب استبعادهما من التحليل (عامر ، ١٩٨٩ ص ٩٦) .

١- نتائج تحليل الانحدار البسيط :

تم إجراء تحليل الانحدار البسيط لتقدير معامل انحدار التوكيد على كل محدد من المحددات، علي حدة، لدى كل من عينة الذكور والإناث للاستدلال على القدرة التنبؤية لكل منهما بالتوكيد. يلاحظ أن تحليل الانحدار يقدم بيانات متعددة بيد أننا سنقتصر علي عرض أكثرها إسهاما فى التحقق من فروض الدراسة الحالية، وفيما يلى بيان بتلك النتائج كما يبينها الجدول رقم (٨).

جدول رقم (٨)

يبين نتائج تحليل الانحدار البسيط للتوكيد على المحددات لدى كل من عينة الذكور والإناث

م	العينة / المحدد	ذكور				إناث			
		معامل الارتباط المتعدد (١)	معامل التحديد (*)	معامل الانحدار المعياري (٢)	دلالة معامل الانحدار	معامل الارتباط المتعدد	معامل التحديد	معامل الانحدار المعياري	دلالة معامل الانحدار
١	التشجيع	,٣١	,٠٩	,٣١ (**)	,٠٠١	,٢٢	,٠٥	,٢٢	,٠١
٢	التنشئة الأسرية	,٣٢	,١١	,٣٢	,٠٠١	,٣١	,١٠	,٣١	,٠٠١
٣	الاقتداء	,٣٣	,١١	,٣٣	,٠٠١	,٣٩	,١٥	,٣٩	,٠٠١
٤	الانفتاح على الخبرة	,٤٣	,١٩	,٤٣	,٠٠١	,٤١	,١٧	,٤١	,٠٠١
٥	التفكير النقدى	,٤٢	,١٨	,٤٢	,٠٠١	,٣٤	,١١	,٣٤	,٠٠١
٦	التفاعل	,١٨	,٠٣	,١٨	,٠٢	,٢٦	,٠٧	,٢٦	,٠٠٣
٧	التصورات حول التوكيد	,٠٣	,٠٠١	,٠٣	غير دال	,١٠	,٠١	,١٠	غير دال
٨	العائد الفعلى للتوكيد	,٣٤	,١١	,٣٤	,٠٠١	,٢٩	,٠٨	,٢٩	,٠٠١
٩	التدين	,٢٩	,٠٨	,٢٩	,٠٠١	,١٧	,٠٣	,١٧	,٠٥

(١) Multi - Correlation.

(*) يعرف معامل التحديد Determination Coefficient بأنه نسبة مجموع مربعات الانحدار إلى مجموع المربعات الكلى بعد استبعاد مجموع مربعات الخطأ ، أي أنه يعبر عن إسهام المتغير أو المتغيرات المستقلة فى تباين المتغير التابع (عامر ، ١٠٨٩ ، ص ٣٧).

(٢) Standard Regession coefficient (Beta)

(**) فى الانحدار البسيط فإن معامل الانحدار المعيارى يساوى معامل الارتباط المتعدد بين المتغيرين ، والذى يعرف بأنه الجذر التربيعى لمعامل التحديد .

تشير نتائج الجدول السابق رقم (٨) إلى أن كل المحددات ذات قدرة تنبؤية بالتوكيد - ماعدا التصورات حول عائد التوكيد - وذلك لدى كل من الذكور والإناث. وفيما يتصل بالترتيب التنازلى للقدرة التنبؤية لتلك المحددات بالتوكيد، فقد قمنا بإجرائه بناء على قيم معاملات التحديد الخاصة بكل منها، والتى تعكس مقدار إسهامها فى تباين التوكيد، ويبين الجدول التالى رقم (٩) ذلك الترتيب :

جدول رقم (٩)

يبين الترتيب التنازلى للقدرة التنبؤية للمحددات بالتوكيد لدى كل من الذكور والإناث

م	الترتيب التنازلى للقدرة التنبؤية للمحددات بالتوكيد لدى الذكور	م	الترتيب التنازلى للقدرة التنبؤية للمحددات بالتوكيد لدى الإناث
١	الانفتاح على الخبرة	١	الانفتاح على الخبرة
٢	التفكير النقدى	٢	الاقتداء
٣	العائد الفعلى للتوكيد	٣	التفكير النقدى
٤	الاقتداء	٤	التنشئة الأسرية
٥	التنشئة الأسرية	٥	العائد الفعلى للتوكيد
٦	التشجيع	٦	التفاعل
٧	التدين	٧	التشجيع
٨	التفاعل	٨	التدين

٢- نتائج تحليل الانحدار التدريجى [١] :

بغية تقدير القوة التنبؤية لكل المجموعات المحتملة من المحددات بالتوكيد، بهدف التوصل إلى أفضل مجموعة من المحددات ذات قدرة تنبؤية مرتفعة به، قام الباحث بإجراء تحليل الانحدار التدريجى، وفيه تدخل المحددات فى معادلة الانحدار على التوالى، ويبين الجدول التالى رقم (١٠) أبرز النتائج التى تم الحصول عليها من خلال ذلك الأسلوب.

(١) Stepwise Regression

جدول رقم (١٠)

يبين نتائج تحليل الانحدار التدريجي للتوكيد على المحددات لدى كل من عينة الذكور والإناث

الذكـــور

رقم الخطوة	المحددات الداخلة معادلة الانحدار / بيانات العينة	معامل الارتباط المتعدد	معامل التحديد	مقدار التغير في معامل التحديد	دلالة التغير في معامل التحديد	معامل الانحدار المعياري	دلالة معاملة الانحدار المعياري
١	الانفتاح على الخبرة	,٤٣	,١٩ *	,١٩	,٠٠٠١	,٤٣	,٠٠٠١
٢	الانفتاح + التفكير النقدي	,٥٣	,٢٨	,٠٩	,٠٠٠١	,٣٢	,٠٠٠١
٣	الانفتاح + التفكير + التنشئة الأسرية	,٥٧	,٣٣	,٠٥	,٠٠١	,٢٣	,٠٠٠٨
٤	الانفتاح + التفكير + التنشئة + العائد الفعلي للتوكيد	,٦٠	,٣٦	,٠٣	,٠٤	,١٩	,٠٠٤
٥	الانفتاح + التفكير + التنشئة + العائد + التدين	,٦١	,٣٨	,٠٢	,٠٤	,١٤	,٠٤
٦	الانفتاح + التفكير + التنشئة + العائد + التدين + التفاعل	,٦٣	,٤٠	,٠٢	,٠٤	,١٤	,٠٤
٧	الانفتاح + التفكير + التنشئة + العائد + التدين + التفاعل + التشجيع	,٦٥	,٤٢	,٠١	غبر دال	,٠٩	غير دال
٨	الانفتاح + التفكير + التنشئة + العائد + التدين + التفاعل + التشجيع + التصورات حول عائد التوكيد	,٦٦	,٤٤	,٠١	عير دال	-,٠٨	غير دال
٩	الانفتاح + التفكير + التنشئة + العائد + التدين + التفاعل + التشجيع + التصورات	,٦٦	,٤٤	,٠١	غير دال	-,٠١	غير دال

الإنـــاث

رقم الخطوة	المحددات الداخلة معادلة الانحدار / بيانات العينة	معامل الارتباط المتعدد	معامل التحديد	مقدار التغير في معامل التحديد	دلالة التغير في معامل التحديد	معامل الانحدار المعياري	دلالة معاملة الانحدار المعياري
١	الانفتاح على الخبرة	,٤١	,١٧	,١٧	,٠٠٠١	,٤١	,٠٠١
٢	الخبرة + الاقتداء	,٤٦	,٢١	,٠٤	,٠١	,٢٤	,٠١
٣	الخبرة + الاقتداء + التفاعل مع الآخرين	,٤٨	,٢٣	,٠٣	,٠٥	,١٦	,٠٥
٤	الخبرة + الاقتداء + التعامل + التدين	,٤٩	,٢٤	,٠١	غير دال	-,١١	غير دال
٥	الخبرة + الاقتداء + التفاعل + التدين + أسلوب التنشئة الأسرية	,٥٠	,٢٥	,٠١ ,٠١	عير دال	,١٤	عير دال
٦	الخبرة + الاقتداء + التفاعل + التدين + التنشئة + العائد + التفكير للتوكيد	,٥١	,٢٦		غير دال	,٠٥	غير دال
٧	الخبرة + الاقتداء + التفاعل + التدين + التنشئة + العائد + التفكير النقدي	,٥١	,٢٦	,٠١	غير دال	,٠٤	غير دال
٨	الخبرة + الاقتداء + التفاعل + التدين + التنشئة + العائد + النقد + التصورات حول عائد التوكيد	,٥١	,٢٦	,٠١	غير دال	-,٠٣	غير دال

* كل قيم معاملات التحديد في الجدول دالة عند مستوى ٠,٠٠١

ثمة بعض النقاط المهمة التى تنطوى عليها نتائج تحليل الانحدار التدريجى تتمثل فيما يلي :

أ - يلاحظ أن قيم معاملات الارتباط المتعدد (وهى عبارة عن درجة ارتباط مجموعة المتغيرات المستقلة بالمتغير التابع) لدى كل من الذكور والإناث ترتفع - بشكل عام - كلما دخل متغير جديد فى معادلة الانحدار، مما يشير إلى دور المتغير (المحدد) المضاف فى تحديد حجم العلاقة بين باقى المحددات والتوكيد.

ب - يشير معامل التحديد (الذى يعبر عن نسبة إسهام مجموعة المحددات فى تباين التوكيد) إلى أن هذا المعامل يزيد فى حالة دخول بعض المتغيرات إلى المعادلة الانحدارية فى حين لا يطرأ عليه أية زيادة دالة فى حالة دخول البعض الآخر، مما يعنى إسهام المجموعة الأولى إسهاما دالا فى تحديد مستوى التوكيد دون الثانية.

حين نفحص المجموعة الأولى من المتغيرات لدى كل من الذكور والإناث فحصا مفصلا سنجد ما يلى :

- بالنسبة للذكور فإن التغير فى قيمة معامل التحديد ازداد على نحو دال في حالة دخول كل من متغيرات الانفتاح على الخبرة، والتفكير النقدى، والاقتداء، والتدين، والعائد الفعلى للتوكيد، والتفاعل، فى حين أن دخول كل من متغير التشجيع، والتصورات حول عائد التوكيد، والتنشئة الأسرية لم يؤد إلى حدوث تغير دال فى قيم معامل التحديد مما يعنى عدم إسهام تلك المتغيرات فى إحداث تغير جوهرى فى مستوى التوكيد لديهم.

- فيما يتصل بالإناث فإن قيمة معامل التحديد ازدادت على نحو دال فقط فى حالة دخول كل من متغيرات : الانفتاح على الخبرة، والتنشئة الأسرية، والتفاعل المعادلة الانحدارية، فى حين لم يؤد دخول المتغيرات الستة الأخرى (التفكير النقدى والاقتداء، والتشجيع، والتدين، والعائد الفعلى للتوكيد، والتصورات حول عائد التوكيد) إلى حدوث تغير دال فى قيمة معامل التحديد مما يعنى عدم إسهام تلك المجموعة من المتغيرات فى زيادة القدرة التنبؤية بالتوكيد.

جـ - بلغت قيمة معامل التحديد فى حالة دخول كل المتغيرات فى معادلة الانحدار لدى الذكور (٤٤,)، مقابل (٢٥,) فى حالة الإناث مما يعنى أن (٤٤,) من التغير فى التوكيد لدى الذكور يعزى إلى التغير فى المتغيرات المستقلة (المحددات) مقابل (٢٥٪) فى حالة الإناث. ومن المحتمل أن هذه النسبة المنخفضة من التباين التى تفسرها المتغيرات ترجع إلى أن هناك متغيرات مستقلة (محددات) أخرى يمكن أن تفسر التغير فى التوكيد يجب وضعها فى الحسبان فى دراسة لاحقة.

ثالثا : مناقشة النتائج :

ثمة محاور ثلاثة ـ موازية لفروض الدراسة الثلاثة ـ ستتم مناقشة النتائج وفقا لها بهدف الوقوف على ما تحقق من تلك الفروض، وهذه المحاور هي :

(١) آثار المحددات، كل على حدة، على التوكيد.

(٢) الترتيب النسبى للقدرة التنبؤية للمحددات بالتوكيد.

(٣) أفضل مجموعة من المحددات تنبؤا بالتوكيد.

١ - آثار المحددات، كل على حدة، على التوكيد :

أشارت نتائج تحليل التباين لكل من عينة الذكور والإناث إلى أن كل المحددات ـ ماعدا متغير التصورات حول عائد التوكيد ـ لها آثار دالة على التوكيد، وكشفت نتائج المقارنات الزوجية اللاحقة لتحليل التباين عن حجم ووجهة تلك الآثار حيث تبين أن مستوى التوكيد ـ فى جميع الحالات ـ يرتفع فى ظل الدرجة المرتفعة على المحددات، وينخفض فى ظل الدرجة المنخفضة عليها، مما يشير إلى الدور الجوهرى لتلك المحددات فى التأثير على مستوى توكيد الفرد بغض النظر عن نوعه ذكرا كان أم أنثى. بهذا يمكننا القول بأن تلك النتائج تقدم أدلة إمبيريقية تعضد صحة بعض التصورات النظرية السابقة حول آثار بعض المحددات على التوكيد، فعلى سبيل المثال، دعمت النتيجة الخاصة بالدور الإيجابى للتفاعل المكثف للفرد مع

الآخرين فى زيادة مستوى التوكيد لديه ـ صحة الافتراض الذى طرحه " راكوز " والذى يشير فيه إلى أن زيادة حجم من يتعامل معهم الفرد يزيد من فرص اكتساب وتنمية مهاراته التوكيدية (rakos , 1991 , P. 145).

كذلك اتسقت نتائج الدراسة الحالية حول الآثار الجوهرية لأسلوب التنشئة الأسرية على التوكيد، مع ما توصلت إليه دراسة مصرية أجرتها " أمينة بدوى " حول موضوع الخوف من نماذج السلطة (الأب - المعلم - رجل الشرطة)، بوصفه أحد محددات التوكيد، حيث تبين أن أسر منخفضى التوكيد تحث أفرادها على اتيان هذا السلوك، وتثبط لديهم الرغبة فى إصدار السلوك المؤكد للذات (*).

وقد قدمت الدراسة الحالية كذلك دعما إمبيريقيا للتصور القائل بأن العائد الإيجابى الذى يقدمه الآخرون ـ ذوو الأهمية للفرد ـ حين يسلك على نحو مرتفع التوكيد يعد من محددات التوكيد (lorr et al , 1991).

واتفقت النتيجة التى تم التوصل إليها فى تلك الدراسة، والتى يشير منطوقها إلى أن الاقتداء سواء كان فعليا أم متخيلا يؤثر على نحو دال على التوكيد ـ مع ما أشار إليه " كوتيللا " من أن الاحداث المتخيلة تتبع نفس القانون الذى تتبعه الأحداث الحية، وأن آثار الاقتداء يمكن الحصول عليها بدون التعرض لنماذج حية (Cautela,1979) ، ومع نتائج دراسة " كازدين " التى كشفت عن أن كلاً من أسلوب الاقتداء التخيلى والفعلى قد أديا إلى تحسن مهارات التوكيد، وأن ذلك التحسن شمل مواقف أخرى لم يتدرب عليها الفرد من خلال عملية انتقال أثر التدريب (Kazdin . 1980).

تجدر الإشارة إلى أن أهمية تلك النتائج تتمثل فى إمكانية استثمارها فى تنمية التوكيد من خلال الجهود المخططة للمؤسسات التربوية والإعلامية، وذلك

(*) كرر أحد المبحوثين أن والده دائما ما يكرر عليه العبارة التالية: «احنا ناس فى حالنا ، ومش قد المشاكل ، وما تقدرش تقف قدام حد» (بدوى ، ١٩٩٠ ، ص ١٦٥) .

بتعريض الأفراد بشكل متكرر سواء عن طريق القراءة، أو السماع، أو المشاهدة لنماذج تسلك على نحو مرتفع التوكيد بغية دفعهم إما إلى تكرار سلوكها مباشرة، أو استدماجها علي المستوى التخيلى ومحاولة التأسى بها فيما بعد بحيث تشكل تلك النماذج إطارا مرجعيا يعاير الفرد سلوكه اللاحق وفقا له، يضاف إلى ذلك تشجيع هؤلاء الافراد على تحصيل الخبرات المتنوعة، والانفتاح عليها، وتنمية التفكير النقدى لديهم بوصفها من أكثر العناصر إسهاما فى تحديد مستوى التوكيد.

بيد أن النتيجة التى تحتاج إلي مزيد من الإيضاح تتمثل في أن متغير التصورات حول عائد التوكيد لم يؤثر بشكل دال فى التوكيد، وهو ما يتعارض مع ما توصلت إليه بعض الدراسات السابقة من أن الخوف من التقييم السلبى من الآخرين - بوصفه أحد مظاهر التصورات حول عائد التوكيد - يؤثر سلبا على مستوى التوكيد. فالفرد الذى يتوقع عائدا سلبيا حين يسلك على نحو مرتفع التوكيد سيميل إلى أن يكون منخفض التوكيد حتى يتجنب عدم تقبل الآخرين (Phillips &Bruch,1988) ومن المحتمل أن يعزى هذا التعارض بين النتائج إلي الأسباب التالية :

أ - أن تصورات الفرد حول عائد التوكيد تكون بمثابة فروض لا يكون الفرد متيقنا منها بشكل كامل، ومن ثم فإنه لا يعول عليها كثيرا فى تشكيل سلوكه، ويسلك وفق اعتبارات أخرى عديدة إلى أن تصبح تلك التصورات حقيقة قائمة ـ حين يتلقى العائد الفعلى للتوكيد ـ وحينئذ فإنها تسهم على نحو دال فى تشكيل سلوكه، وهو ما أشارت إليه النتائج الخاصة بفعالية متغير العائد الفعلى للتوكيد

ب - أن تشتت درجات الأفراد حول متوسط متغير التصورات محدود المدى ومن ثم فإن الفروق بين المرتفعين والمنخفضين عليه تعد ضئيلة. وللتحقق من ذلك الفرض قام الباحث بفحص متوسط المجموعتين، المنخفضة والمرتفعة من الإناث - على سبيل المثال - على متغير التصورات فوجده ١١و ١٠ درجة على التوالى.

وهو فارق ضئيل يفسر عدم وجود فروق دالة فى تصورات هاتين المجموعتين حول عائد التوكيد. أى أنهما لا يختلفان فى تصوراتهما حول العائد، وإنما فيما يتلقيانه من عائد فى المواقف الفعلية، أو أن تلك التصورات تؤثر على التوكيد لديهما بشكل متساو تقريبا.

جـ - أن البحوث السابقة - عنيت فى معظم الأحيان - بدراسة التصورات حول العائد السلبى للتوكيد فى حين أن البحث الحالى عنى بكل من العائد السلبى والإيجابى لكل من التوكيد المرتفع والمنخفض، وهذا الاختلاف فى زوايا النظر ومجالات الاهتمام يفقد المقارنة بين نتائج تلك البحوث والبحث الحالى سندها المنطقى لعدم وجود خط الأساس الذى يسمح بإجراء المقارنات بينهما.

(٢) الأهمية النسبية للمحددات فى التنبؤ بمستوى التوكيد:

أ - أشارت نتائج تحليل الانحدار البسيط للتوكيد على المحددات إلى أن أكثر هذه المحددات قدرة على التنبؤ بالتوكيد لدى الذكور هى :

الانفتاح على الخبرة، يليه التفكير بطريقة نقدية، ثم العائد الفعلى للتوكيد الذى يتلقاه الفرد، فالاقتداء بالنماذج المحيطة به، يعقبه أسلوب التنشئة داخل الأسرة ومدى تشجيعها لهذا النمط من السلوك، ويأتى فى ذيل قائمة المحددات كل من تشجيع الاقران والمحيطين بالفرد من خارج الأسرة، وتدين الفرد ومدى إدراكه للدين على أنه يشجع على السلوك المؤكد، وتختتم القائمة بمتغير التفاعل مع الآخرين.

يلاحظ أن المحددات التى تقع على رأس القائمة تتسم بأنها ذات طابع شخصى للفرد فيها دور إيجابى، فهو يبادر بالانفتاح على الخبرات، ويسعى إلي ممارسة التفكير النقدى، ويختار النماذج التي يقتدى بها، فى حين تأتى المحددات ذات الطابع الخارجى والتى تتمثل فى التنشئة الأسرية، وتشجيع الأقران فى المرتبة الثانية.

قد يعزى ذلك الترتيب إلى أن أفراد العينة فى مرحلة المراهقة المتأخرة، وعلى أعتاب مرحلة الرشد المبكر، ومن ثم فهم يميلون إلى عدم تحبيذ الأساليب الخارجية

فى حث التوكيد لديهم، حيث يدركونها أحد أشكال الوصاية عليهم فى حين يميلون إلى تبنى أو التأثر بالأساليب التى تبرز دورهم الفعال وتكرس هويتهم المستقلة.

تكمن أهمية تلك النتيجة فى أنه عند الرغبة فى إجراء برامج علي نطاق عام ـ خارج المعمل ـ لتنمية التوكيد فإنه يفضل الاعتماد بصورة أساسية على المتغيرات المتصلة بالفرد والتى من شأنها شحذ طاقاته الذاتية على المبادأة بالفعل، لما لها من قدرة أكبر على التنبؤ بسلوكه التوكيدى.

ب - أما بالنسبة للإناث فقد أتى على رأس قائمة المحددات الأكثر قدرة على التنبؤ بالتوكيد : الانفتاح على الخبرة، مثلما الحال لدى الذكور، مما يوحى بأهمية ذلك المتغير فى التنبؤ بالتوكيد ووجوب الاعتناء به وتضمينه فى برامج التدريب التوكيدى، سواء تلك التى تجرى داخل المعمل أو خارجه، يليه متغير الاقتداء بالآخرين. فيما يتصل بهذا المتغير فإن ارتفاع أهميته لدي الإناث، مقارنة بالذكور، قد تعزى إلى أنهن أكثر تعلقا، ومن ثم تأثرا بالنماذج المحيطة بهن نظرا لانخفاض كل من معدل تفاعلهن مع الاخرين، وانفتاحهن علي الخبرة مقارنة بالذكور (على الرغم من تساوى ترتيب أهمية ذلك المحدد لديهن ولدى الذكور)، ومما يدعم ذلك التصور أن متوسط درجات الإناث على هذين المتغيرين، التفاعل، والانفتاح علي الخبرة، كان أقل على نحو دال من متوسط درجات الذكور عليهما (بلغ متوسط الإناث على كل من متغير التفاعل، والانفتاح على الخبرة : ٧,٩ ± ١,٩، ١٦,٧ ± ٣,٩ فى حين بلغ متوسط الذكور عليهما ٩,٨ ± ٢,٢، ١٨,٣ ± ٣,٢، على التوالى، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى ٠٠١, حيث بلغت قيمة ت - ٣,٨، - ٣,٩ على التوالى)، ثم أتى متغير التفكير النقدى فى المرتبة الثالثة من الأهمية، يليه متغير أسلوب التنشئة الأسرية، الذى لوحظ أنه كان أكثر قدرة على التنبؤ بالتوكيد لدى الإناث، مقارنة بالذكور، وهو ما يتسق مع ما هو بارز فى الثقافة المصرية من أن الاسرة أكثر تأثيرا فى، وضبطا للعديد من جوانب سلوك الإناث - بما فيها التوكيد- مقارنة بالذكور. ثم أتى فى المرتبة الخامسة من الأهمية متغير العائد الفعلى

للتوكيد، ثم التفاعل مع الآخرين. فيما يتصل بهذا المتغير فإن هناك ملاحظة حرى بنا تسجيلها ألا وهى : أنه على الرغم من أن تفاعل الإناث مع المحيطين بهن أقل كثافة من الذكور (كما يكشف عن ذلك متوسطيهما على ذلك المتغير حيث بلغ متوسط الإناث ٧,٩ ± ١,٩، مقابل، ٨,٨ ± ٢,٢ للذكور، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى ٠٠١, حيث كانت قيمة ت ٣,٦) إلا أنه أكثر قدرة على التنبؤ بالتوكيد لديهن. أتى بعد ذلك فى ترتيب الاهمية متغير تشجيع الأقران (يلاحظ أنه شغل المرتبة السادسة لدى الذكور) والذى تعزى ضآلة أهميته لطبيعة الثقافة الفرعية للاناث التى يبدو أنها لا تحبذ التشجيع على السلوك المؤكد كنمط سائد لديهن، ثم أتى التدين بوصفه أقل المتغيرات تنبؤا بالتوكيد. فى معرض مناقشة النتيجة الأخيرة يلاحظ أن التدين أتى فى ذيل قائمة المحددات المنبئة بالتوكيد لدى كل من الذكور والاناث، مما قد يوحى بأن فهم كل منهما للدين لم يصل بعد إلى إدراك الدين بوصفه عنصرا مشجعا على التوكيد.

نخلص مما سبق إلى أن أهم المحددات التى شغلت المراتب الخمس الأولى فى القدرة التنبؤية بالتوكيد، لدى كل من الذكور والإناث ــ بغض النظر عن الفروق النسبية فى ترتيبها لديهما ــ تمثلت فى : الانفتاح على الخبرة، والتفكير النقدى، والعائد الفعلي للتوكيد، والاقتداء، والتنشئة الأسرية، مما يدعونا لأن نضع تلك المتغيرات فى الاعتبار ونحن بصدد صياغة وتصميم برامج تنمية التوكيد فيما بعد.

(٣) أفضل مجموعة المحددات تنبؤا بالتوكيد :

أشارت نتائج تحليل الانحدار التدريجى إلى أن أفضل مجموعة من المحددات تنبؤا بالتوكيد لدى الذكور تتكون من المتغيرات الستة التالية (مرتبة ترتيبا تنازليا تبعا لأهميتها النسبية) : الانفتاح على الخبرة، والتفكير النقدى، وأسلوب التنشئة الأسرية، والعائد الفعلى للتوكيد، والتدين، والتفاعل.

فى حين أن المجموعة الأفضل تنبؤا بالتوكيد لدى الإناث تكونت من المتغيرات الثلاثة التالية :

الانفتاح على الخبرة، والاقتداء، والتفاعل.

وفيما يلى بعض الملاحظات يجدر بنا تسجيلها ونحن بصدد مناقشة تلك النتائج هى :

أ - أن الترتيب النسبى لأهمية بعض المحددات في التنبؤ بالتوكيد قد تغير فى حالة تحليل الانحدار التدريجى عنه فى حالة تحليل الانحدار البسيط، وقد يعنى هذا أن التفاعل بين أكثر من محدد يغير من القدرة التنبؤية لكل منها منفردا بالتوكيد. فعلى سبيل المثال، أتى التدين فى المرتبة السابعة من حيث القدرة التنبؤية بالتوكيد، منفردا، لدى الذكور كما كشفت عن ذلك نتائج تحليل الانحدار البسيط، فى حين أن قدرته التنبؤية ازدادت (أتى في المرتبة الخامسة) فى ظل وجود (تفاعله مع) كل من متغير الانفتاح على الخبرة، والتفكير النقدى، وأسلوب التنشئة الأسرية، والعائد الفعلى للتوكيد ـ مما يوحى بأن التدين يأخذ طابعا مختلفا ويصبح أكثر عمقا ورشدا حين يصاحبه اتساع الخبرة والتعامل بشكل نقدى مع الأفكار، وتلقى المساندة والتشجيع من الأسرة ومن الآخرين ذوى الأهمية، أو من الذات، ومن ثم يصبح أكثر أهمية فى تشكيل السلوك التوكيدى.

من المفترض أن هذا التصور يجسد عملية التفاعل المتبادل بين المحددات حيث يزيد الانفتاح علي الخبرة من النماذج المتاحة للفرد ليقتدى بها، ويجعله التفكير النقدى أكثر قدرة على التعامل الانتقائى معها، ومن ثم أكثر استفادة منها بحيث يصل إلى أكثر الصيغ فعالية للسلوك التوكيدى، ويترتب على ذلك حصوله على مزيد من الدعم الخارجى، والداخلى، مما يرسخ هذا النمط من السلوك لديه.

ب - تبين ونحن بصدد المقارنة بين أفضل مجموعة المحددات المنبئة بالتوكيد لدى كل من الذكور والإناث أننا إزاء فروق جوهرية حيث كانت مجموعة المحددات الخاصة بالذكور تتضمن بشكل عام فئتين من المتغيرات تنطوى الأولى على العنصر المعرفى (الانفتاح على الخبرات، ونقد الأفكار)، فى حين يبرز العنصر الدافعى فى

الثانية (الدعم سواء كان داخليا أو خارجيا. من الأسرة أو الأقران، أو النظم الاجتماعية السائدة كالدين).

أما فيما يتصل بالإناث فإن العنصر التفاعلى الاجتماعى كان غالبا علي محددات التوكيد لديهن حيث اقتصرت مجموعة المحددات على متغيرات خاصة بالانفتاح على الخبرات، والتفاعل مع الآخرين، والاقتداء بهم.

نخلص من استعراض تلك النتائج إلي أن الذكور يتم حثهم على أن يكونوا مؤكدين لذواتهم من خلال مصادر أكثر تنوعا مقارنة بالإناث تتمثل فى تراكم الخبرات النابعة - بدورها - من الانفتاح على الأفكار، والتفاعل مع قطاع أكثر اتساعا من الأفراد، والاقتداء بالنماذج المحيطة بهم على نحو مرشد نظرا لما يمارسه التفكير النقدى لديهم من دور كمرشح انتقائى لسلوكيات تلك النماذج على نحو يجعل تلك العملية أكثر إثمارا، فضلا على الحصول على الدعم لذلك النمط من السلوك المؤكد من الأسرة، ومن الاقران. وهو مالا يتسنى للاناث حيث تقتصر المحددات التى تنبئ بالتوكيد لديهن على الانفتاح على الأفكار والخبرات، ومحاولة الاقتداء بالنماذج المحيطة بهن ـ وهي قليلة نسبيا ــ بصورة مباشرة فيها قدر كبير من التعميم مما قد يعود بالضرر عليهن نظرا لغياب الدور الفعال للعملية النقدية التي تقلل من التعامل الانتقائى مع السلوكيات التي تصدر عن تلك النماذج، بالإضافة إلى غياب الدعم الخارجى الآتى من الأسرة والمحيطين بهن مما يقلل من قدرتهن على السلوك على نحو مرتفع التوكيد.

الخلاصة:

١ - **أوضحت** النتائج أن ثمانية من المحددات التسعة التى تم دراستها لها آثار دالة على التوكيد، لدي كل من الذكور والإناث حيث تبين أن مستوى التوكيد يرتفع فى ظل الدرجة المرتفعة على المحددات، وينخفض فى ظل الدرجة المنخفضة عليها.

٢ - **بينت** النتائج أيضا أنه على الرغم من أن كل المحددات - ماعدا التصورات حول عائد التوكيد - كانت ذات قدرة تنبؤية دالة بالتوكيد إلا أن ترتيب أهميتها كان مختلفا لدى كل من الذكور والإناث، بيد أن المحددات التى جاء ترتيبها فى المقدمة بالنسبة لكل منهما - بغض النظر عن الفروق النسبية داخل هذا الترتيب - تمثلت فى الانفتاح على الخبرة، والتفكير النقدى، والاقتداء، وأسلوب التنشئة داخل الأسرة، والعائد الفعلى للتوكيد، مما يشير إلى ضرورة تضمين تلك المتغيرات فى برامج التدريب التوكيدى، سواء تلك التى تجرى داخل المعمل أو خارجه، بوصفها العناصر الأكثر إسهاما فى تحديد مستوى التوكيد.

٣ - **يلاحظ** أن المحددات التى جاءت فى المقدمة يغلب عليها الطابع الشخصى التى للفرد فيها دور إيجابى (الانفتاح على الخبرة، التفكير النقدى) فى حين تأتى المحددات ذات الطابع الخارجى فى المرتبة التالية (أسلوب التنشئة الأسرية، تشجيع الآخرين)، وقد يعزى هذا إلى طبيعة المرحلة الارتقائية التى يجتازها المبحوثون، حيث يميلون إلي إدراك المحددات ذات الطابع الخارجى كأحد أشكال الوصاية، وذات الطابع الشخصى على أنها تعينهم على تحقيق الهوية المستقلة.

٤ - **الإناث** أكثر تأثرا بالنماذج المحيطة بهن وأقل ممارسة للنقد حيال سلوكها نظرا لانخفاض معدل تفاعلهن مع الآخرين، وانفتاحهن على الخبرة. وتبين أن أسلوب التنشئة الأسرية أكثر تنبؤا بسلوكهن التوكيدى، نظرا لأن الأسرة المصرية أكثر ضبطا لسلوك الإناث مقارنة بالذكور. وإنهن يتلقين دعما خارجيا أقل من الذكور.

٥ - **بالنسبة** للتفاعل بين مجموعة المحددات ودوره فى تحديد القدرة التنبؤية بالتوكيد، فقد اتضح أن التفاعل بين أكثر من محدد يغير من القدرة التنبؤية لكل منها، وأن مجموعة المحددات المنبئة بالتوكيد لدى الذكور تنتظم فى فئتين : الأولى ذات طابع معرفى (الانفتاح على الخبرة، والتفكير النقدى)، والثانية ذات طابع دافعى (الدعم سواء كان آتيا من الأسرة، أو الأقران، أو النظم الاجتماعية كالدين). أما بالنسبة للإناث فقد كان الطابع التفاعلى الاجتماعى غالبا عليها (الانفتاح على الخبرة، والاقتداء، والتفاعل مع الآخرين).

٦ - **تثير** نتائج الدراسة ضرورة مراعاة الفروق فى طبيعة المحددات ذات القدرة التنبؤية بالتوكيد لدى كل من الذكور والإناث ونحن بصدد تصميم برامج التدريب التوكيدى، فضلا على ضرورة إدخال عدد أكبر من المحددات فى المعادلة الانحدارية المنبئة بالتوكيد حتى يكون الموقف أكثر تعبيرا عن الواقع، ومن ثم يتحقق قدر أكبر من الفهم للعملية التى يتشكل السلوك التوكيدى من خلالها.



قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا - المراجع العربية:

١ – بدوى، آمينة (١٩٩٠)، **دراسة مقارنة لفاعلية التدريب التوكيدى والتحصين التدريجى فى تحسين حالات الخوف من السلطة**، رسالة دكتوراه، آداب الزقازيق (غير منشورة).

٢ – شوقى، طريف (١٩٨٨)، **أبعاد السلوك التوكيدى وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية الاجتماعية**، رسالة دكتوراه، آداب القاهرة، (غير منشورة).

٣ – عامر، ربيع زكى (١٩٨٩)، تحليل الانحدار: **أساليبه وتطبيقاته باستخدام البرنامج الجاهز + SPSS/PC**، القاهرة: معهد الدراسات الاحصائية.

٤ – قطان، سامية (١٩٨١)، **دراسة لمستوى التوكيدية لدى طلبة وطالبات المرحلتين الثانوية والجامعية**، القاهرة: دار الثقافة العربية للطباعة والنشر.

ثانيا - المراجع الأجنبية:

5 - Alden, L. & Cappe, R. (1981) : Non Assertiveness: Skill Deficit Or Selective Self Evaluation? **Behavior Therapy**. 12, 107 - 114 .

6 - Barrow, J. & Hayashi , J. (1980) : Shyness clinic : social development program for adolescents and young adults, **The personnel and Guidance journal**, september , 58 - 61 .

7 - Cautela , J. R. (1979) : The present status of covert modeling in upper, D & cautela , J. R., **covert conditioning** , New York : pergamon press.

8 - Cianni , M. & Horan , J, J (1990) : An attempt To establish the experimental construct validity of cognitive and behavioral approaches to assertiveness training , **J. of counseling psychology**, 37, 3, 243 - 247.

9 - Elliott , T. R. & Gramling, S.E. (1990) : Personal assertiveness and the effects of social support among college students. **J. of counseling psychology**, 37, 4 , 427- 436 .

10 - Galassi , M. D. & Galassi, J. P. (1978) : Assertion : a critical review . **Psychotherapy : Theory research and practice** , 15, 1, 16 - 29 .

11 - Gambrill, E. D.(1977): **Behavior modification : Intervention and evaluation** San Francisco : Jossey - Bass publishers.

12- Goddard , R. C. (1981) : Increase in assertiveness and actualization as a function to didactic training. **J. of counseling psychology** , 28, 4, 274 - 287 .

13 - Heimberg, R. G. & Becker, R. E. (1981) : Cognitive and behavioral models of assertive behavior : Review , analysis and integration , **Clinical psychology review** , 1 , 353 - 373 .

14 - Hersen , J. & Bellack , A. S. (1976) : **Behavioral assesment** , New York : Perganon press.

15 - Hess, C.P. ; Bridgwater, C.A. ; Sweeney, T.M., & Bornstein , P.H. (1980) : Situational detrminants in the perception of assertiveness : Gender related influences : **Behavior Therapy** . 11 , 49 - 58 .

16 - Hinkle, D.E. ; Wiersma, W & Jurs, S.G. (1988) : **Applied statistics for the behavioral sciences** , Boston : Houghton Mifflin Co .

17 - Hollandsworth , J. G. (1976) : Further investigation of the relationship between expressed social fear and assertiveness, **Behav. Res. & Therapy**, 4, ,85 - 87.

18 - Kagan, S. & Carlson, H. (1975) : Development of adaptive assertiveness in Mexican and united states childern, **developmental psychology** 11, 1, 71 - 78.

19 - Kazdin , A. E. (1980) : Covert and overt rehearsal and elaboration during treatment in the development of assertive behavior, **Behav . Res . & Therapy**, 18, 191 - 201 .

20 - ------- (1982) : The separate and combined effects of covert and overt rehearsal in developing assertive behavior. Behav. Res. & Therapy , 20 , 17 - 25 .

21 - Kirschner, S. M. & Galassi , J. P. (1983) : Person, Situational and interactional influences on assertive behavior . **J. of counseling psychology**, 30, 3, 355 - 360.

22 - Lafrom bise, T.D. & Bowe,w. (1983) : Skills training for bicultural competence : Rationale and application. **J. of counseling psychology**, 30, 4, 589 - 595 .

23 - Lorr, M. ; Yoniss, R.P. & Stefic, E. C. (1991) : An inventory of social skills, **J. of personality assessment**, 57, 3, 506 - 520.

24 - Nie, N.H. ; Hull, C.H ; Jenkins, J.G. ; Steinbrenner , K & Bent, D.H. (1975) : **Spss X : user's guide (2ed)** New York : McGraw- Hill book company .

25 - Phillips, S.D. & Bruch, M. A. (1988) : Shyness and dysfunction in career development , J. of counseling psychology, 35, 2, 159 - 165.

26 - Plax, T. G. ; Kearney, P. & Beatty, M. J. 1(1985) : Modeling Parent's assertiveness : A retrosPective analysis , **J. of Genetic psychology**, 146, 49, 449 - 457 .

27 - Rakos , R. F. (1991) : **Assertive behavior : theory, Research and training ,** New York : Routledge.

28 - Schwartz, R.M. & Gottman, J. M. (1976) : **Towarde task analysis of assertive behavior**. in Franks, C.M. , wilson, T. (Eds), Annual review of behavior therapy : Theory & Practice. New York : Branner Mazel pub .

29 - Stake, J.E & Pearlman, J. (1980) : Assertiveness training as an intervention technique for low performance selfesteem women. **J. of counseling psychology**. 27, 3, 276 - 281 .

30 - Stefanek, M.E. & Eisler, R.M. (1983) : **The current status of cognitive variables in assertiveness** training in Heren, M. ; Eisler, R.M. & Miller, P.M Progress in behavior modification, Vol. 15, New York : Academic Press. PP. 277 - 319 .

31 - Sue, D. ; Ino, S.; & Sue, D.M. (1983) : Non-assertiveness of Asian American : An **Unacurate assumption** ? **J. of counseling psychology** 30, 4, 581 - 588 .

32 -Tabachnick, B.G. & Fidell, L.S. (1983): **Using multivariate statistics**. New York : Harper & Row Publishers.

33- Watson, D. & Friend, B. (1969) : Measurement of social evaluativ anxiety. **J. of counseling and clinical psychology**. 33, 4, 448-457.





(*) اشترك مع الباحث فى إجراء هذا البحث سعادة الدكتور محمد حسن عبد الله أستاذ علم النفس المساعد بكلية الآداب، جامعة المنيا. والذى نشر فى المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٦٧، السنة ١٤، ١٩٩٩، ١٧٨ - ٢١٣ .

حين نلقى نظرة فاحصة على التراث العلمى للبحوث النفسية الاجتماعية نلاحظ تنامى الاهتمام بدراسة الموضوعات الخاصة بالأسرة. وتتوزع اهتمامات الباحثين فى هذا المجال فى خمس فئات هى:

- الطفولة والمراهقة.
- السلوك الجنسى.
- التوافق الزواجى والعائلى.
- الطلاق وتعدد مرات الزواج.
- العنف [1].

يلاحظ أن التوافق الزواجى يعد قاسما مشتركا بين المجالات السابقة جميعا، فهو إن كان منخفضا قد يؤدى إلى تفاقم العنف، وحدوث الطلاق، ويؤثر سلبا على الأطفال والمراهقين فى الأسرة، فضلا على أن التوافق الجنسى يعد أحد مكوناته، وهو ما حدا «بسباينر» الذى يعد أحد المتخصصين المبرزين فى مجال دراسات التوافق الزواجى إلى القول بأنه من المحتمل أن يكون هذا المتغير من أكثر المتغيرات التابعة التى تجرى دراستها فى هذا الميدان [2]. ولا غرابة فى ذلك فإتمام الزواج أو إنهاؤه - كما بينت دراسات «هولمز وراهى» ، Holmes & Rahe 67 - يعتبر من أهم أحداث الحياة [3].

---

(١) Adams, B.N (1988). "Fifty years of family Research: What does it mean?". Journal of Marriage and The Family (February) 5-17 .

(٢) Spanier, G.B (1976) "Measuring dyadic adjustment: New scales for assessing the quality of marriage and similar dyads". Journal of Marriage and The Family (Feberaury) 15-27.

(٣) يوسف، جمعة سيد: التوافق النفسى، في: عبد الحليم محمود وآخرون، علم النفس العام، القاهرة: دار غريب، ١٩٩٠، ص ٦٦٩ - ٧١٢ .

حين نسعى للوقوف على المظاهر التى تجسد الاهتمام الذى حظى به ذلك الموضوع نعتقد أنها تتمثل فى:

١ - **الصعوبات الزواجية**، بوصفها مؤشرًا لانخفاض التوافق الزواجى، من بين أكثر المشكلات شيوعا وتعرضا للتدخل العشوائى من جهات متعددة، قد لا يكون لديها الخبرة والتأهيل الكافيان، مما يولد مزيدا من المشكلات، فضلا عما ينجم عنها من آثار سلبية متعددة من أبرزها ما يلى:

- الطلاق، والذى يعد نهاية مطاف العلاقة الزوجية، وما يتبعه من تفكك الأسرة، وإثارة العديد من المشكلات السلوكية والاجتماعية لأفرادها (الزوج، والزوجة، والأبناء) على المدى القريب والبعيد.

- ظهور الأعراض والاضطرابات النفسجسمية، فقد تبين فى دراسة أجراها «روس إيشلماكس Ross Eshlmax» أن التوافق الزواجى يرتبط ارتباطا سلبيًا دالاً بتلك الأعراض[١].

ولا يتوقف الأمر على الجوانب البدنية فقط بل يتعداه إلى التأثير فى التوافق النفسى والعلاقات الاجتماعية، ذلك أن طبيعة الحياة الزواجية تؤثر فى نوعية حياة الفرد بشكل عام[٢]. فالزوج غير المتوافق زواجيًا قد يكون غير متوافق فى العمل أو مع الأصدقاء.

- ارتفاع معدل الخيانة الزوجية: ويشير «فيلد Velde» فى هذا الصدد إلى أن معظم الزوجات اللائى لهن علاقات غير شرعية غير راضيات عن أزواجهن[٣]، أى أن انخفاض التوافق منبئ بالخيانة الزوجية.

---

(١) دسوقى، راوية محمود حسن: التوافق الزواجى، دراسة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الزقازيق، ١٩٨٦ .

(٢) National Institute of Mental Health "NIMH" (1996) Family processes and social network. American Psychologist, June. 51, 6, 622-630.

(٣) حبيب، مارى عبد الله: الإدراك المتبادل للزوجين في العلاقات الزوجية المتوترة: دراسة فينومولوجية إكلنيكية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة عين شمس، ١٩٨٣ .

٢ - **إن التوافق المنخفض**، إن لم يصل إلى حد الطلاق، يعد تربة مواتية لاندلاع النزاعات العنيفة بين الزوجين، ذات الطابع اللفظى أو البدنى، والتى يكون من شأنها - إن حدثت بصورة متكررة وخصوصًا أمام الأبناء - أن تثير لديهم قدرًا مرتفعًا من التوتر والاكتئاب، وانعدام الشعور بالأمان والخوف من انهيار الأسرة، فضلا على أن اعتيادهم على رؤية تلك النزاعات قد يقدم لبعضهم نموذجا معياريًا للسلوك المحبذ كزوجات وأزواج فى المستقبل، وهو ما يزيد من احتمال ممارستهم للعنف فيما بعد. يضاف إلى ذلك إمكانية تدنى مستوى تحصيلهم الدراسى، وانخراطهم فى أنشطة غير سوية كتعاطى المخدرات، فضلا على انخفاض مهاراتهم الاجتماعية عندما يصبحون راشدين، كما أوضحت دراسة «فرانز وآخرون» Franz et al. 91 [١].

٣ - **ثمة بعد اجتماعى** فى الموقف قوامه أن الأزواج غير المتوافقين، وكذا أبناؤهم، تتشوه صورتهم فى عيون الأسر المحيطة، خصوصًا إذا كانت نزاعاتهم تتعدى حدودهم الشخصية. وتترامى إلى سمع الآخرين وبصرهم، مما يؤثر سلبا على مكانتهم الاجتماعية، حيث تميل تلك الأسر إلى تقليص علاقاتها معهم، وتتضاءل فرص أبنائهم فى عقد صداقات وزيجات متميزة، فضلا عما يلحق بتصوراتهم عن ذواتهم، والتى تُستمد جزئيًا من إدراكهم لتصورات الآخرين عنهم، من أضرار.

٤ - **فى مقابل ذلك** يجدر بنا أن نصرف الانتباه، أيضا، إلى الثمار الإيجابية التى يجنيها المتزوجون من ارتفاع مستوى توافقهم، ويأتى فى مقدمتها زيادة قدرتهم على تحمل المشقات والضغوط الحياتية والتغلب على الأزمات التى يواجهونها [٢]، وجعلهم أكثر سعادة فى الحياة، حيث تبين فى مسح أجراه «جلين وويفر

---

(١) Keamey, B.R. & Bradbury, T.N. (1995) The Longitudianl courses of Marital quality and stabilliy: a review of theory, method, and research. Psychological Bulletin, 118, 13, 3-34.

(٢) Lavee, Y; Mccubbin; H.I & Olson, D.H (1987). "The effect of stressful life events and transitions on family functioning and well being "Journal of Marriage and The Family" (May): 463-474.

«glenn & weaver» أن الرضا الزواجى يرتبط إيجابيا بدرجة دالة بالسعادة العامة فى الحياة أكثر من ارتباط أى متغير آخر بها [١]. يضاف إلى ذلك أن التوافق المرتفع يمكن الفرد، سواء كان زوجا أو زوجة من توظيف طاقاته وقدراته فى القيام بأعباء الأدوار الأخرى، وإنجاز المهام المنوطة به بقدر أكبر من الفعالية. وقد أشارت، فى هذا الصدد، دراسات عديدة إلى أن إدراك مساندة شريك الزواج متطلب مهم لإدارة الصراع بين أدوار العمل والأسرة [٢]. ومن هنا نستطيع أن نفهم العلاقة بين التوافق الزواجى والتقدم الاجتماعى.

٥ - **كى نتمكن من** تقديم المشورة الإرشادية لمن يعانون من المشكلات الزواجية، سواء كانوا من المتزوجين أو ممن يرغبون فى الزواج، وتصميم برامج الإثراء الزواجى [٣]. يجب أن نفهم أولا لماذا ينخفض التوافق، ونقف على طبيعة السياقات والمتغيرات المسئولة عن حدوثه، وبذا نستطيع أن نجعل هذه البرامج أكثر نفعا لذلك القطاع العريض من طالبى تلك الخدمة على نحو يسهم بقدر لا بأس به فى التوافق النفسى.

ما سبق ذكره من أسباب ورصده من مظاهر لأهمية موضوع التوافق الزواجى يكشف عن مدى الحاجة إلى الكشف عنه وتناول جوانبه المتنوعة. وحين نستطلع الدراسات التى عنيت بهذا الموضوع سنجدها منصبة على الجوانب التالية:

---

(١) Bowman, M.L. (1990) "Coping effort and marital satisfaction: Measuring marital coping and its correlates". Journal of Marrige and The Family (May). 463- 474.

(٢) Bulletin'K (1995). Family variables as mediators of the relationship between work-family conflict and marital adjustment among dual career men and women. The Journal of social psychology, (155)4, 483-497.

(٣) Marital Inlargement : «وهى مجموعة من البرامج النفسية والتربوية التى تهدف إلى تقوية العلاقة بين الأزواج للحفاظ على التوافق الأسري لأطول فترة ممكنة».

لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر

Guemey, B & Maxson, P (1990) "Marital and family enrichment research: Adecade Review and look ahead". Journal of Marriage and The Family, (November), 1127-1135.

أولا: تعريف وقياس التوافق الزواجى.

ثانيا: طبيعة المتغيرات التى تسهم فى تحديد مستوى التوافق الزواجى وسبل تنميته.

ونقدم فيما يلى عرضا نقديا لأبرز الدراسات، التى تسنى لنا الاطلاع عليها، فى كل فئة من الفئتين السابقتين:

أولا: تعريف وقياس التوافق الزواجى:

ثمة خاصيتان أساسيتان اتسمت بهما الجهود المبذولة فى هذا الميدان هما:

١ - **تعدد تعريفات ومقاييس التوافق الزواجى**: حين نستعرض التعريفات المطروحة للتوافق الزواجى Marital Adjustment سنجد عددًا لا بأس به منها، يجمع بينها أنها تنظر إلى التوافق بوصفه مفهوما متعدد الأبعاد. بيد أن ما يميزها هو ذلك التفاوت فى هوية وماهية تلك الأبعاد، وسننتخب بعض نماذج نعتقد أنها ممثلة لتلك التعريفات تكشف عن تصورات الباحثين لهذا المفهوم، والتى يعد من أبرزها ذلك التعريف الذى طرحه كل من «سباينر وكول Spainer & cole» للتوافق، حيث عرفاه بأنه: «حالة تنشأ كدالّة للصعوبات والمتاعب التى يواجهها الزوجان، ومدى التعاون المشترك بينهما، ومقدار رضاهما عن العلاقة، وحجم اتفاقهما على الأدوار الأساسية المنوطة بكل منهما»[1]، وقد تمخض التحليل العاملى الذى أجرياه للمقياس عن أربعة عوامل هى:

- الاتفاق الثنائى dyadic consensus: هو مدى الاتفاق على الأمور المهمة، وتقسيم الأدوار فى العلاقة الزوجية.

- التماسك الثنائى dyadic cohesion: مدى التعاون بين الطرفين فى الحياة الزوجية.

---

(١) Corsini, R. J. (1987) Concise Encyclopedia of Psychology, New York: John Willey & Sons.

- التعبير الوجدانى Affectional expression: حاجة الفرد للوجدان والجنس، والتى يحصل عليهما من العلاقة.

- الرضا المتبادل Dyadic satisfaction: سعادة كل منهما بالعلاقة، ومدى التزامه بها، أو رغبته فى إنهائها (1).

ويقترح «جولدنسون» تعريفًا للتوافق يحوى عددًا أكبر من العناصر قوامه أنه: «محصلة المشاركة فى الخبرات والاهتمامات، والقيم، واحترام أهداف الطرف الآخر، وحاجاته، ومزاجه، والتعبير التلقائى عن المشاعر، وتوضيح الأدوار والمسئوليات، والتعاون فى صنع القرارات، وحل المشكلات، وتربية الأبناء، والإشباع الجنسى المتبادل» (2)، وتطرح «راوية دسوقى» تعريفًا مشابها، حيث تعرف التوافق بأنه «الاستعداد للحياة الزوجية، والحب المتبادل، والإشباع الجنسى، وتحمل مسئوليات الحياة الزوجية والقدرة على حل مشكلاتها، وتصميم كلا الزوجين على مواجهة المشكلات المادية والاجتماعية والصحية، والحرص على دوام العلاقة الزوجية (3).

نخلص من استقراء التعريفات السابقة إلى أن ثمة مجموعة من العناصر تعد بمثابة القاسم المشترك بينها، وفى المقابل هناك عناصر اختصت بها بعض التعريفات دون البعض الآخر، فى حين غابت بعض عناصر عنها جميعا، ومن ثم يحسن بنا تقديم تعريف إجرائى للتوافق، لا يغفل العناصر التى تضمنتها التعريفات السابقة، ويحوى تلك التى أغفلتها، يتمثل فى أن **التوافق الزواجى** «حالة وجدانية» تشير إلى مدى تقبل العلاقة الزوجية، وتعد محصلة لطبيعة التفاعلات المتبادلة بين الزوجين فى جوانب متنوعة منها: التعبير عن المشاعر الوجدانية للطرف الآخر، واحترامه هو وأسرته، والثقة فيه، وإبداء الحرص على استمرار العلاقة معه، فضلا عن مقدار التشابه بينهما

---

(1) Spanier, G. B. & Thompson. L (1982) "A Confirmatory analysis of the dyadic adjustment scale, Journal of Marriage and The Family (August) 731-738.

(2) Goldenson, R.M. (1984) Longman Dictionary of Psychology and Psychiatry, New York: Longma.

(3) مرجع سابق (راوية دسوقى)، ص ٢٦ .

فى القيم والأفكار والعادات، ومدى الاتفاق حول أساليب تنشئة الأطفال، وأوجه إنفاق ميزانية الأسرة بالإضافة إلى الشعور بالإشباع الجنسى فى العلاقة».

ومما يجدر ذكره أن مفهوم التوافق الزواجى يتسم فى ضوء هذا التعريف بأنه:

- متعدد الأبعاد.

- محصلة عملية تتفاعل بموجبها تلك الأبعاد.

- حالة، ومن ثم فهو عرضة للتغير من آن لآخر كدالة لطبيعة تلك التفاعلات.

- يتم قياسه من خلال وصف معدل حدوث سلوكيات وأنشطة معينة. تعكس اتجاهات الأزواج نحو الزواج أو نحو الطرف الآخر.

وقد قام الباحثان بتصميم مقياس للتوافق الزواجى، فى ضوء هذا التعريف، يُعنى بتقويم تلك العناصر، سيرد بيان خطوات تصميمه، بشكل مفصل، ونحن بصدد وصف منهج الدراسة.

٢ - **الخلط والتداخل** بين مفهوم التوافق الزواجى وبعض المفاهيم الأخرى كالرضا الزواجى والسعادة الزوجية. حيث إن مفهوم السعادة الزوجية وثيق الصلة بمفهوم الرضا ويستخدمهما معظم الباحثين مترادفين. فضلا على أن مفهوم الرضا أكثر دقة وشيوعا - لذا فقد استقر رأينا على أن نميز بين كل من مفهوم التوافق الزواجى والرضا الزواجى. وتجدر الإشارة إلى أن الخلط بين هذين المفهومين يأخذ أشكالا متعددة تتمثل فيما يأتى:

- يتعامل البعض معهما كمترادفين، فعلى سبيل المثال قدم «شنايدر» snyder تعريفا للرضا الزواجى يُضيِّق الهوة فيه بينه وبين التوافق الزواجى إلى درجة تجعلهما يكادان يتماثلان، حيث يعرف الرضا بأنه «محصلة للخلاف حول أساليب تربية الأطفال، والمدة التى يقضيانها معها، وتحديد الأدوار، والاشتراك فى حل المشكلات، والتواصل العاطفى، والإشباع الجنسى،

وطبيعة الضغوط والمتاعب التى تتعرض لها العائلة عبر الزمن، ومدى الاتفاق حول المسائل المالية، والشعور بالضيق بشكل عام»[1].

- النظر للرضا بوصفه اتجاها نحو العلاقة الزوجية حيث يعرف Roach et al «روخ» ومعاونوه الرضا الزواجى بأنه «إدراك الزواج عبر متصل للتفضيل المرتفع والمنخفض عند فترة زمنية معينة»[2]. ويعرفه «جراى ليتل» على نحو مشابه، بأنه «رضا الفرد عن الزواج ككل، فضلا على رضاه عن جوانبه النوعية»[3].

نخلص من استعراض تلك التوجهات إلى أن البعض تعامل مع الرضا والتوافق كمفاهيم مترادفة، وهو أمر غير صحيح. فى حين نظر البعض للرضا على أنه حالة وجدانية تنطوى على تقبل أو عدم تقبل العلاقة الزوجية، وهو توجه صحيح جزئيا، حيث إن التصور - الذى نحسبه الصحيح - فى هذه القضية هو أن التوافق أكثر عمومية من الرضا، وأن العلاقة الزوجية بما تحويه من سلوكيات وتفاعلات متبادلة بين الطرفين فى المجالات السلوكية المتنوعة، فضلا على اتجاه الفرد نحو العلاقة، أى أنه يختص بكل من مضمون العلاقة (الجانب السلوكى)، وطبيعتها (الجانب الوجدانى): هل هى إيجابية أم سلبية، فى حين أن الرضا يُعنى فقط بالجانب الوجدانى فى العلاقة (الاتجاه نحو العلاقة).

عقب تقديم التعريف الإجرائى للتوافق الزواجى، والذى ستعتمده الدراسة الحالية وتعمل على قياسه، حرىّ بنا الانتقال إلى النقطة التالية التى تتصل بهوية المتغيرات التى تسهم فى تحديده ودور كل منها فى ذلك.

---

(١) Fincham, F. D. & Bradbyry, T. N. (1987). "The assessmant of Marital quality: a Revaluation" Journal of Marriage and The Family, (November): 797-809.

(٢) Roach, A.J; Frazier, L. P & Bowden, S. R. (1981) "The Marital satisfaction scale: "Development of a measure of intervention research" Journal of Marriage and The Family. (August), 537-546.

(٣) Gray: Little. B & Burks. N (1983) " Power and satisfaction in marriage: a review and critique". Psychological Bulletin, 93, 3, 513-538.

ثانيا: المتغيرات التى تسهم فى تحديد مستوى التوافق الزواجى:

حيث إن التوافق الزواجى إحدى الركائز التى تمكن الأسرة من أداء وظائفها بكفاءة، ومن شأن انخفاضه أن يحدث اضطرابا عاما فى تلك الوظائف، لذا فنحن فى حاجة لدراسة المتغيرات التى تؤدى إلى هذا الانخفاض.

وسنعنى فى هذا المقام بعرض الدراسات التى تعاملت مع تلك المتغيرات، والذى يعد تقييم دورها خطوة أولية يجب البدء بها لاستكمال محاولاتنا الرامية لتحسين مستوى التوافق الزواجى.

ثمة ملاحظة أولية يجدر تسجيلها ونحن بصدد فحص ذلك التراث من الدراسات قوامها أنه على الرغم من أن الباحثين تعاملوا مع قائمة طويلة من تلك المتغيرات، سواء تلك التى تتصل بالزوج أو الزوجة من قبيل: سمات الشخصية، منظومة القيم، والإيثار، فلسفة الحياة، المهنة، المستوى الاقتصادى، التجانس فى المستوى الاجتماعى، وجود أطفال وعددهم، ومدة الزواج - إلا أنهم لم يولوا متغير توكيد الذات القدر الكافى من الاهتمام الذى يتناسب مع ما يتوقع له من دور جوهرى فى تشكيل مستوى التوافق الزواجى. **فالتوكيد** الذى نعرفه بأنه «مهارة الفرد فى التعبير عن مشاعره، سواء كانت سلبية أو إيجابية، نحو الطرف الآخر، والتعبير عن آرائه سواء اتفقت أو اختلفت معه، والدفاع عن حقوقه، وعدم الإذعان للضغوط الرامية إلى إجباره على إتيان ما لا يرغب من أفعال»[1]، يعد من العناصر اللازمة لاستقرار الزواج. وثمة شواهد عديدة على أهمية دور التوكيد فى تحديد التوافق تتمثل فى الآتى:

أ - **هناك طابع** عام لشكوى الزوجات - على حد قول كريستنسن Christensen - أهم ما يميزه، عدم قدرة الأزواج على التعبير عن عواطفهم[2]، وهو ما يؤدى إلى

---

(١) شوقى، طريف: المهارات الاجتماعية، في: عبد الحليم محمود وآخرون، علم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار أتون، ١٩٨٩، ص ٤٤٣ - ٤٨١ .

(٢) مرجع سابق (مارى حبيب)، ص ٥٤ .

فشلهم فى إقامة علاقة زوجية وثيقة، ومما يدعم ذلك أن مجموعة من الزوجات المصريات قررن أن أهم الجوانب التى يهملها الزوج المصرى هى التعبير عن المشاعر العاطفية، فى حين أشارت مجموعة من الأزواج أن أهم ما يضايقهم من زوجاتهم اختلافهن معهم فى الآراء ووجهات النظر [1]. أى أن الزوجات يشكون انخفاض إحدى مهارات التوكيد لدى أزواجهن (الإفصاح عن المشاعر) فى حين يشكو الأزواج ارتفاع إحدى مهارات التوكيد لدى زوجاتهم (التعبير عن الآراء).

إن إفصاح كل منهما عما فى نفسه من مشاعر، وما يعتقده من أفكار وما يتبناه من آراء فيما يعرض من مواقف على نحو يفرغ توتره، ولا يحط، فى الوقت نفسه، من قدر الآخر أو يثير غضبه يتطلب قدرًا مرتفعا من مهارة توكيد الذات. ولا تقتصر أهمية الإفصاح على كونه عاملا جوهريًا لتحديد مستوى التوافق الزواجى فقط، بل لأنه عامل مهم أيضا لتحديد مستوى التوافق النفسى بشكل عام، والذى خلص «بور Bur, 76» من إحدى دراساته إلى أنه دالة لكل من الإفصاح عن المشاعر الإيجابية والسلبية [2].

ب - كما أن **قطع الحوار** يعد إحدى مقدمات الانهيار الزواجى، كذلك فإن التواصل الجيد حين يوجد يصبح لب الزواج الناجح، فهو المحرك والأداة الرئيسة لإدارة العلاقات الزوجية. وتكون عملية التواصل ناجحة حين يسعى كل طرف لمعرفة الكثير حول مزاج الطرف الآخر وحاجاته ورغباته، وهذا يتطلب فى المقابل أن يعبر كل منهما عن نفسه بتلقائية، أى أن يتحلى بقدر مرتفع من التوكيد [3]، لأنه إذا لم يفصح الفرد عن مشاعره بصراحة فإن المشاركة ستتناقص وسيتفاقم

---

(١) مرجع سابق (مارى حبيب)، ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(٢) Marini, M. M. (1976) "Dimensions of marriage Happiness: a research note". Journal of Marriage and The Family (August): 443-448.

(٣) Detitck, M. A & Miller, G.R. (1986) "The effects of husbands and wives social cogntion on their Marital adjustment, conjugal power and self-esteemt" Journal of Marriage and The Family (November): 719-724.

سوء الفهم [١]. فعلى سبيل المثال يرى «كارول وترافيز Carol & Travis» أنه يجب على الزوجة لكى تتخلص من التوتر الذى يمكن أن يشوب العلاقة الجنسية مع زوجها، ويقلل من التوافق الزواجى، مناقشة المشاعر والمشكلات الجنسية مع الزوج بصراحة وعمق [٢].

تدعونا النقاط السابقة إلى إلقاء مزيد من الضوء على الدراسات التى تتصل بدور متغير توكيد الذات كمحدد للتوافق الزواجى بغية الوقوف على معالم هذا الدور.

حين نشرع فى القيام بهذه المهمة يعن لنا **تسجيل مجموعة** من الملاحظات حول هذه الدراسات مجملها ما يلى:

١ - **تعاملت تلك** الدراسات - وهى قليلة جدًا - إما مع التوكيد العام، وليس مع مهاراته الفرعية، وعلاقته بالتوافق الزواجى، أو، على الطرف المقابل، مع إحدى المهارات الفرعية للتوكيد، وبوجه خاص، الإفصاح عن المشاعر، والتوافق الزواجى. وكمثال على الدراسات **فى الفئة الأولى**، تلك الدراسة التى أجراها «ريث» وآخرون Reath. et al. 1980 على ١٠٠ زوج، و٨٧ زوجة، ولم يجدوا علاقة دالة بين هذين المتغيرين لدى الزوجات، ولكنها كانت علاقة إيجابية دالة لدى الأزواج، أى أن التوكيد بما يحويه من مهارات فرعية منها الإفصاح عن المشاعر، والتعبير عن الآراء، والدفاع عن الحقوق لا يسهم فى تحديد مستوى التوافق الزواجى للزوجات. بيد أن الباحثين طرحوا عددًا من التفسيرات، من قبيل ممارسة النقد الذاتى، لغياب تلك النتائج، يتمثل أهمها فى أن هذه الدراسة لم تستخدم الأساليب الإحصائية التى يتأتى من خلالها تقييم العلاقة السببية بين هذين المتغيرين، وأنها لم تشتمل على مجموعات من الأزواج وزوجاتهم، ومن ثم أصبح من المستحيل دراسة الطبيعة التبادلية لنسق

---

(١) Crohan, S. E. & Veroff. J (1989) "Dimensions of marital well being among white and black Newly weds". Journal of Marriage and The Family. (May): 373-383.

(٢) مرجع سابق (مارى حبيب)، ص ٢١ .

التفاعل بينهم[1]، أما عن الدراسات **فى الفئة الثانية** والتى تصدت لدراسة العلاقة بين إحدى المهارات التوكيدية والتوافق الزواجى، فمن الملاحظ أنها ركزت على مهارة الإفصاح عن المشاعر بوجه خاصة وعلاقته بالتوافق، فعلى سبيل المثال تبين فى دراسة أجراها «هندريك» أن الإفصاح منبئ بالتوافق الزواجى[2]. وأشارت دراسة «جارجنينسين وجودى Jargensen & Guady » إلى علاقة خطية بين الإفصاح عن الذات والرضا الزواجى[3] أى أنه كلما زاد الافصاح انخفضت المشكلات الزواجية، فى حين تجاهلت تلك الدراسات بحث العلاقة بين التوافق وبين المهارات التوكيدية الأخرى مثل الدفاع عن الحقوق الخاصة، وطلب تفسيرات، ومقاومة الضغوط، والمبادأة فى التفاعلات الاجتماعية، وهى مهارات من المتوقع أن تمارس تأثيرا معينا فى تشكيل علاقة الزوجة بزوجها وخصوصًا فى ظل التغيرات الاجتماعية المتسارعة التى نتج عنها ازدياد أعداد النساء العاملات، وتغير مفهومهن عن أنفسهن، والذى ينعكس على سبل تعاملهن مع الآخرين بما فيهم أزواجهن، مما يبرز الحاجة إلى دراسة العلاقة بين تلك المهارات التوكيدية والتوافق الزواجى.

٢ - **أنها أولت** معظم عنايتها للعلاقة بين توكيد كل من الزوج والزوجة، سواء كان عامًا أو نوعيا، وتوافقهما الزواجى مما حجب إمكانية إدراك التفاعل بين مستوى توكيد كل منهما وتأثير ذلك على التوافق الزواجى. إن النظرة التجزيئية فى مثل تلك الحالة لن تمكننا من إدراك الموقف على حقيقته تماماً، كمن يدرس العلاقة بين عنصرين كيماويين قبل أن يتفاعلا ويشكلا عنصرًا ثالثا مختلفا

---

(١) Reath, R. A.: Piecy, F; Hovestatt, A. & Oliver, M (1980) "Assertion and Marital Adjustment "Journal of Family Relation, 29, 249-253.

(٢) Hendrick, S.S. (1981) "Self-disclosure and marital satisfaction" Journal of Personality and Social Psychology. 40, 6, 1150-1159.

(٣) Davidson, B; Balswick, J. F. & Halverson, C. (1983) "Affective Self-disclosure and Marital Adjustment: a test of equity theory" . Journal of Marriage and The Family. (Februay) 93-102.

فى خواصه عن كل منهما منفردا، ذلك أن المزيج الناتج عن تفاعل مستوى توكيد كل منهما يغير من مستوى التوافق. فمن المحتمل، على سبيل المثال، أن يؤدى ارتفاع مستوى توكيد كل منهما إلى خفض مستوى توافقهما الزواجى، أن أن تتوافق الزوجة منخفضة التوكيد حين يرتفع توكيد زوجها، لشعورها بأنه يكمل ما بها من قصور، أو يصبح العكس صحيحا لشعورها بالدونية أو التهديد، أى أن التفاوت التوكيدى بين الزوجين، وليس مستوى توكيد كل منهما منفردًا، قد يعد، فى حد ذاته، محددًا للتوافق الزواجى. وقد أجريت بضع دراسات للتأكد من بعض تلك التصورات، حيث وجد «دافينسون» فى دراسته لأثر التفاوت بين مستوى إفصاح كل من الزوج والزوجة، والإفصاح لديه يشمل أربع فئات هى: (الإفصاح عن مشاعر الحب، والسعادة، والحزن، والغضب) وبين توافقهما الزواجى - أن ما يحدد مقدار التوافق ليس حجم إفصاح أى منهما بل مقدار التفاوت بينهما فى درجة الإفصاح، فالتبادل المتوازن للمشاعر يغذى الشعور بالمساواة، ومن ثم الرضا، حيث اتسم الأزواج المتوافقون بدرجة مرتفعة من التشابه فى الإفصاح عن المشاعر وليس بمستويات مرتفعة من الإفصاح، وتبين أنه كلما كان التفاوت بينهما كبيرا، بغض النظر عن وجهته، لصالح الزوج أو الزوجة، كان التوافق الزواجى منخفضا [1]. وفى دراسة أخرى أجراها «جراى ليتل وباركس ١٩٨٣» حول العلاقة بين التوكيد - والذى قومه من خلال عدد من العبارات التى يقوم الفرد بتوجيهها إلى الطرف الآخر بهدف التأثير فى سلوكه وهما بصدد القيام بمهمة مشتركة - والتوافق الزواجى، وجد أن الرضا ينخفض حين تكون الزوجة مرتفعة التوكيد (مؤثرة). وفى المقابل يرتفع الرضا حين يكون الزوجان متساويين فى التوكيد [2]. بيد أنه يجب أخذ تلك

(١) Ibid (Gray, & Burks) . 513-538.

(٢) Ibid (Davidson etai) . 93 - 102.

النتيجة بشيء من الحذر حيث إن الأسلوب الذى تم به قياس التوكيد لا يتصف بالدقة، فضلا على كونه لا يتفق مع التعريف الإجرائى المتعارف عليه للتوكيد.

٢ - **بالإضافة إلى** أننا فى حاجة إلى دراسة دور المهارات التوكيدية النوعية، والتى لم تلتفت إليها الدراسات السابقة فى تحديد التوافق الزواجى، فإننا نحتاج بالقدر نفسه، أيضا، إلى دراسة دور التفاوت فى مستوى التوكيد بين الزوجين فى تحديد مستوى توافقهما الزواجى فى ظل الإطار الثقافى المصرى، حيث تندر الدراسات فى هذا المجال بهدف تنمية الوعى بدور هذه المتغيرات فى إقامة علاقة متوافقة بين الزوجين والحفاظ عليها، واستثمار ما نحصل عليه من نتائج فى تصميم برامج لتنمية التوكيد فى العلاقات الزوجية على نحو يمكننا من التوصل إلى حالة من التناسب التوكيدى تسهم فى زيادة التوافق الزواجى.

أوضح العرض السابق أن الدراسات فى هذا المجال عنيت ببحث العلاقة بين التوافق الزواجى والتوكيد العام، أو بين التوافق وإحدى المهارات الفرعية للتوكيد، وبوجه خاص الإفصاح عن المشاعر، وأن بعضها لم يُجر على مجموعة من الأزواج وزوجاتهم، وأنها تجاهلت التفاعل بين مستوى توكيد كلا الزوجين، العام والنوعى، وتأثيره فى توافقهما، لذا يرى الباحثان وجوب القيام بدراسة تضع تلك المتغيرات فى حسبانها بغية الإجابة عن **التساؤلات الآتية**:

- هل هناك علاقة بين توكيد الذات العام والنوعى، للزوج والزوجة وبين توافقهما الزواجى؟
- هل هناك علاقة بين التفاوت فى مستوى توكيد الزوج والزوجة وبين مستوى التوافق الزواجى لكل منهما؟
- ما أكثر المهارات النوعية للتوكيد تنبؤا بمستوى التوافق الزواجى؟

وحتى يتسنى لنا الإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتحويلها إلى صيغ إجرائية تجسدت فى **الفروض الصفرية** التالية:

- لا توجد علاقة بين توكيد الذات، العام والنوعى، وبين التوافق الزواجى لدى كل من الأزواج والزوجات.

- لا توجد علاقة بين التفاوت فى مستوى التوكيد بين الأزواج والزوجات وبين التوافق الزواجى لكل منهما.

- لا توجد فروق فى القدرة التنبؤية للمهارات التوكيدية النوعية بالتوافق الزواجى.

ولكى نتحقق من صحة تلك الفروض استخدمنا المنهج الذى يتلاءم مع طبيعتها وتتمثل خطواته فيما يلى:

منهج الدراسة:

العينة:

بلغ عدد أفراد عينة الدراسة ٢٨٠ فردًا (عبارة عن ١٤٠ زوجا وزوجاتهم). من بين المقيمين بمحافظة المنيا، والعاملين فى المصالح الحكومية وأجهزة الحكم المحلى بها، وقد بلغ متوسط عمر أفراد عينة الأزواج (٣٩,٩ ± ٧,٥) عاما، والزوجات (٣٤,٥ ± ٦,٩) عاما، ومتوسط مدة زواجهم (١١ ± ٩,٦) عاما. ويعد هذا هو الزواج الأول لمعظمهم (٩٥,٧ ٪ من الحالات). ويدين (٧٧,٨ ٪) من أفراد العينة الكلية بالإسلام مقابل (٢١,٢ ٪) يدينون بالمسيحية[1]. وقد كان (٣٩,٢ ٪) من الأزواج مقابل (٦٠ ٪) من الزوجات حاصلين على مؤهلات متوسطة، فى حين أن (٦٠,٧) من الأزواج مقابل (٤٠ ٪) من الزوجات كنّ حاصلات على مؤهلات عليا.

---

(١) يعزى زيادة نسبة المسيحيين فى عينة الدراسة إلى أنها اجريت فى مدينة المنيا. وهى تتسم بارتفاع معدل المسيحيين المقيمين بها، وخصوصا من بين المتعلمين تعليما متوسطا أو عاليا، والذين يشكلون معظم عينة البحث.

الأدوات:

حيث إن هذه الدراسة تنصب على بحث العلاقة بين متغيرى توكيد الذات والتوافق الزواجى فقد قمنا بتصميم مقياسين لتقويمهما هما:

(أ) مقياس التوافق الزواجى.

(ب) مقياس توكيد الذات فى العلاقات الزواجية.

وفيما يلى نعرض لخطوات تصميم هذين المقياسين:

(أ) مقياس التوافق الزواجى:

قام الباحثان فى ضوء التعريف الإجرائى الذى تم تبنيه - فى هذه الدراسة - للتوافق الزواجى بتصميم أداة لقياسه. وفيما يلى الخطوات التى اتبعت لبناء تلك الأداة:

أ - **الاطلاع على** عدد من مقاييس [1] التوافق الزواجى، فضلا على بعض الكتابات التى عنيت بتأصيل مفهوم التوافق وبيان أسسه النظرية، بغية الإحاطة بالعناصر الجوهرية التى يتشكل منها. وقد تأتى من خلال هذا الإجراء الحصول على مجموعة من البنود، تم استبعاد المكرر منها، أو المتأثر بالخصوصية الثقافية للمجتمعات الغربية، أو غير الملائم للعلاقات الزوجية فى السياق الثقافى المصرى.

ب - **استبار مجموعة** من الأزواج والزوجات (ن = ٤١) استبارًا حرًا تمحور حول سؤالين مفتوحين هما:

---

(١) من أبرز هذه المقاييس وأكثرها شيوعا:

1. Locke- Wallace Marital Adjustment Scale.
2. The dyadic Adjustment Scale (Spainer & Cole).
3. Kansas Marital Satisfaction Scale.

* ما الأفعال التى يصدرها زوجك (زوجتك) وتجعلك (راضيا) راضية عن حياتك الزوجية؟

* ما الأفعال التى يصدرها زوجك (زوجتك) وتجعلك (غير راض) غير راضية عن حياتك الزوجية؟

وحللت الاستجابات وتبين أن السلوكيات المتبادلة بين الزوجين والتى تعكس مدى توافقهما تنتظم فى اثنتى عشرة فئة هى:

* التعبير عن المشاعر الوجدانية.
* التجانس الفكرى والقيمى.
* التشابه فى العادات.
* العلاقات الجنسية.
* السلام الأسرى.
* الثقة المتبادلة.
* الأمور المالية.
* أساليب تربية الأبناء
* الحرص على استمرار العلاقة.
* صورة الطرف الآخر.
* العلاقات مع أهل الطرف الآخر.
* الرضا عن العلاقة.

جـ - **صياغة بنود** المقياس: تم اقتراح مجموعة من البنود [1] التى تتعلق بالمجالات الاثنى عشر التى يفترض أنها تشكل عناصر التوافق الزواجى، وقد بلغ عددها (٤٩) بندا، وروعى فى صياغتها ما يلى:

- أن تعبر عن سلوكيات يمارسها الزوجان فى حياتهما الزوجية اليومية.

- يذكر المبحوث معدل حدوث تلك السلوكيات (دائما، كثيرًا، أحيانا، قليلاً، نادرًا).

- تجنب البنود التى تعبر عن الآراء قدر الإمكان، فنحن نصف سلوكيات يتم

---

(١) من أمثلة تلك البنود:
- نختلف حول أساليب تربية الأبناء.
- يتعامل مع أفراد أسرتى بطريقة سيئة.

ممارستها، ومن خلالها نستدل على طبيعة العلاقة، وإن كان هذا لم يحل دون توجيه بعض الأسئلة للمبحوث عقب الانتهاء من المقياس حول انطباعاته وآرائه فى العلاقة الزوجية بشكل عام.

د - **ثبات المقياس**: تم تطبيق المقياس مرتين، بفاصل زمنى خمسة عشر يوما على عينة الثبات التى تكونت من (٢٠) فردًا من أفراد عينة الدراسة. وتبين أن معامل الارتباط بين التطبيقين (٥٨١ ,) وهو معامل ثبات مقبول، وإن يكن غير مرتفع.

هـ - **صدق المقياس**: تم الاعتماد بصورة رئيسة على صدق تحليل المحتوى لتقدير صدق المقياس، حيث قمنا بتحليل محتوى الإنتاج الفكرى، المتوفر لدينا، الخاص بظاهرة التوافق الزواجى، وذلك من خلال الاطلاع على المقاييس السابقة التى تقيس هذا المفهوم، والتعريفات المقترحة له وما تتضمنه من عناصر، فضلا على الحصول على سلوكيات تكشف عن مستوى التوافق الزواجى من عينات مصرية. وفى ضوء ذلك توصلنا إلى مجموعة من البنود المتوقع تمثيلها للتوافق الزواجى، وقمنا بصياغتها وتصنيفها فى فئات تبعًا للتشابه بينها، وقد بلغ عددها اثنتى عشرة فئة تغطى الجوانب المتوقعة للتوافق الزواجى.

وحتى نتحقق من أكثر من مصدر من دقة هذا التصنيف أجرينا الخطوتين التاليتين:

١ - استشارة ذوى الخبرة من أهل التخصص: تهدف هذه الخطوة إلى الاستعانة برأى مجموعة من المحكمين فى التحقق من أن بنود المقياس تنتمى للاثنتى عشرة فئة التى تحوى السلوكيات المفترض انضواؤها تحت مفهوم التوافق الزواجى [١]، فضلا عن تعبير تلك الفئات عن المجال الحيوى لهذا المفهوم. وقد أجمع المحكمون [٢] على أن تلك الفئات الاثنتى عشرة تعبر عن سلوكيات تنتظم

(١) يرى بعض الباحثين أن هذا الإجراء لا يعد مناسبا لحساب الصدق، فهو صدق تصنيف لتعلق البنود بالفئات وليس لقياسها للمفهوم محور الدراسة.

(٢) ثلاثة من أعضاء هيئة التدريس بأقسام علم النفس بالجامعات المصرية.

فى مفهوم التوافق الزواجى، بيد أنهم قرروا أن خمسة بنود من البنود التسعة والأربعين لا تتعلق بالفئات المقترحة، ومن ثم تم استبعادها، وبذا أصبح المقياس يتكون من (٤٤) بندًا فقط.

٢ - تجانس بنود المقياس: للتأكد من أن بنود المقياس تقيس مجالاً متجانسا تم حساب معامل الارتباط بين الدرجة على المقاييس الفرعية الاثنى عشر والدرجة على المقياس الكلى لدى أفراد عينة الدراسة، فتبين أن معاملات الارتباط جميعها دالة عند مستوى (٠,٠٠١). وحين حسبنا معامل الارتباط بين درجة كل بند منها والدرجة الكلية على المقياس اتضح أيضا أن كل البنود ترتبط ارتباطا دالا بالدرجة الكلية [١] ما عدا بندًا واحدًا فقط تم استبعاده.

يضاف إلى ذلك، أن الباحثين سيسعيان للحصول على مؤشرات لاحقة، للصدق التكوينى مستمدة من نتائج الدراسة، وذلك فى حالة اتفاق تلك النتائج مع بعض التنبؤات القائمة على أسس نظرية، والتى من شأنها، فى هذه الحالة، أن تقدم مؤشرات إضافية للصدق، من قبيل أن الأزواج القدامى أكثر توافقا من حديثى الزواج.

(ب) مقياس توكيد الذات فى العلاقات الزوجية:

اعتُمد فى هذه الدراسة على نسخة مختصرة من مقياس وصف أبعاد السلوك التوكيدى الذى أعده الباحث الأول واستخدمه فى دراسة سابقة، ويتكون فى صورته الأصلية من (٨٠) بندا تقيس عشرين مهارة تنتظم فى أربعة أبعاد كبرى، فى حين اقتصرت الصورة المختصرة على (٣٠) بندا [٢] فقط تقيس عشر مهارات هى:

---

(١) نحن فى حاجة لإجراء تحليل عاملي لبنود المقياس للتأكد من طبيعة تشبعات تلك البنود على الأبعاد الفرعية لمفهوم التوافق الزواجي، فقد تأتى على صورة مختلفة، إلى حد ما، عن توقعاتنا تلك. ومما يرجح هذا الاحتمال تلك الارتباطات الدالة للبنود بالدرجة الكلية للمقياس، وهو ما يؤمل التحقق منه في دراسة لاحقة.

(٢) كنموذج لهذه البنود:

- يبدى إعجابه بزى أرتديه.

توجيه النقد، إبداء الإعجاب والتقدير للطرف الآخر، إظهار الاختلاف، توجيه العتاب، التعبير عن الغضب، الاستقلال بالرأى، ضبط النفس، المصارحة، الاعتذار العلنى، والدفاع عن الحقوق الخاصة. وقد روعى أن تمثل تلك المهارات الأبعاد الرئيسة الأربعة للتوكيد وهى: الإفصاح عن المشاعر الإيجابية والسلبية، الدفاع عن الحقوق الخاصة، المبادأة فى التفاعلات الاجتماعية، ومقاومة الضغوط الرامية لإجبار الفرد على إتيان ما لا يرغبه من أفعال، فضلا على ملاءمتها لطبيعة الممارسات المتبادلة بين الزوجين فيما يتصل بمستوى توكيد كل منهما.

وقد بلغ معامل ثبات المقياس، فى هذه الدراسة، مقدرًا بمعامل الارتباط بين درجة الفرد فى التطبيق الأول والثانى، بفاصل زمنى خمسة عشر يوما، (٠,٦١).

أما عن الصدق فقد تم التحقق من صدق المقياس الأصلى فى دراسات سابقة [1]، وتبين تمتعه بالصدق التكوينى، حيث ميز بين جماعات متضادة فى الاتجاه المتوقع، وكذا اتضح أن بناءه العاملى يتفق مع التصور النظرى لمفهوم التوكيد، فضلا عن صدقه التلازمى. ومن المتوقع أن تقدم نتائج الدراسة الحالية دعما إضافيا لصدقه فى حالة اتفاقها مع بعض التوقعات القائمة على أسس نظرية، والنابعة من مجال دراسات التوافق الزواجى، من قبيل أن الزوجات أكثر إفصاحا عن مشاعرهن مقارنة بالأزواج، وأن الأزواج أكثر تعبيرا عن آرائهم النقدية من الزوجات.

الإجراءات:

طبقت أدوات الدراسة فى صورة استبار مقنن، فى جلسة تستغرق ساعة، على مجموعة من الأزواج وزوجاتهم، كل على حدة. وقد تأتى ذلك من خلال استبار الزوجات فى أماكن عملهن، والحصول إبان ذلك على عناوين أعمال أزواجهن [2]،

---

(١) شوقى، طريف: «أبعاد السلوك التوكيدى وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية الاجتماعية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة القاهرة، ١٩٨٨ .

(٢) نظرًا لأن مدينة المنيا تعد مجتمعا محدودًا لذا كان من اليسير على فريق البحث، بواسطة الاستمانة بالإخباريين، أن يحصلوا على عناوين جهة عمل هؤلاء الأزواج دون اللجوء للزوجات فى معظم الحالات.

حيث يقوم أحد الباحثين بالتوجه إليه لاستباره، وقد اجتهد الباحثان فى أن يبدو هذا اللقاء وكأنه غير مرتب سلفا، كأن يوضح للمبحوث أن شروط العينة تتوافر فيه من حيث العمر والمهنة والمستوى الوظيفى. وتجدر الإشارة إلى أنه اشترط تجانس نوع الباحث مع المبحوث حتى نتلافى تأثير هذا المتغير فى إجابة المبحوثين.

التحليل الإحصائى:

تم الاعتماد على بعض الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة فروض الدراسة، والكفيلة بالتحقق منها، والتى تمثلت فى:

- تحليل التباين فى اتجاه واحد وفى اتجاهين.
- تحليل الانحدار.
- معامل الارتباط المستقيم.
- معادلة «ت» لدلالة الفروق بين المتوسطات.

نتائج الدراسة:

تنتظم نتائج الدراسة فى ثلاث فئات هى:

(أ) العلاقة بين التوكيد العام والنوعى، والتوافق الزواجى.

(ب) انحدار التوافق الزواجى على مستوى التوكيد العام والنوعى، للأزواج والزوجات.

(جـ) تأثير التفاوت بين توكيد كل من الأزواج والزوجات فى توافقهم الزواجى.

(أ) العلاقة بين التوكيد العام والنوعى، والتوافق الزواجى:

١ - **فيمايتصل** بالعلاقة الارتباطية بين توكيد الذات والتوافق الزواجى، لدى الأزواج والزوجات، تبين وجود معامل ارتباط دال مرتفع بين توكيد الأزواج وتوافقهم الزواجى مقداره (٩٢,) وبين توكيد الزوجات وتوافقهن الزواجى مقداره (٩٠,)

فى حين وجدنا علاقة ارتباطية سلبية دالة بين توكيد الأزواج وتوافق الزوجات (-٢٠,)، وعلاقة إيجابية دالة بين توكيد الأزواج وتوكيد الزوجات (٩,).

تكشف هذه النتائج عن أن مستوى توكيد الذات، سواء كان زوجا أو زوجة، يرتبط بمستوى توافقه الزواجى، وأن توافق الزوجات ينخفض كلما ارتفع مستوى توكيد أزواجهن، فى حين يزداد توافقهن كلما انخفض مستوى توكيد أزواجهن، وأن هناك ارتباطا مرتفعا بين توكيد كل من الأزواج والزوجات، مما يعنى تشابه مستوى التوكيد العام لكل منهما، لكن الأمر قد لا يكون كذلك بالنسبة للمهارات النوعية للتوكيد، وهو ما سنتأكد منه من خلال المقارنة بين متوسط كل منهما على تلك المهارات.

٢ - **بغية تقويم** العلاقة السببية بين التوكيد والتوافق الزواجى، استخدمنا تحليل التباين الثنائى لدراسة تأثير كل من متغير النوع ومستوى التوكيد العام والنوعى، فضلا على التفاعل بينهما فى مستوى التوافق الزواجى. وقد قسمنا العينة تبعا لمتغير النوع إلى ذكور (أزواج) وإناث (زوجات)، وبالنسبة لمتغير التوكيد قمنا بتقسيمها إلى ثلاثة مستويات (ذات توكيد منخفض، ومتوسط، ومرتفع) ويبين الجدول التالى رقم (١) نتائج تحليل التباين الثنائى.

جدول رقم (١)

تأثير كل من النوع ومستوى التوكيد والتفاعل بينهما فى التوافق الزواجى

م	المتغيرات المستقلة	قيمة ف	مستوى الدلالة	م	المتغيرات المستقلة	قيمة ف	مستوى الدلالة
١	النوع	٢,١	غير دال	٣	النوع	,١٥	غير دال
	توجيه النقد	١١,٤	,٠٠٠١		إظهار الاختلاف	٤,٢	,٠١
	التفاعل بينهما	,٤	غير دال		التفاعل بينهما	١,٤	غير دال
٢	النوع	١,١	غير دال	٤	النوع	١,٣	غير دال
	إبداء الرأى	١٠,١	,٠٠٠١		العتاب	٨,٤	,٠٠٠١
	التفاعل بينهما	١,٢	غير دال		التفاعل بينهما	,١	غير دال

تابع جدول رقم (١)

تأثير كل من النوع ومستوى التوكيد والتفاعل بينهما فى التوافق الزواجى

م	المتغيرات المستقلة	قيمة ف	مستوى الدلالة
٥	النوع	,٢	غير دال
	التعبير عن الغضب	١,٨	غير دال
	التفاعل بينهما	,٢٤	غير دال
٦	النوع	,٠٥	غير دال
	الاستقلال	١,٣	غير دال
	التفاعل بينهما	١,٦	غير دال
٧	النوع	,٤	غير دال
	ضبط النفس	٢,٦	غير دال
	التفاعل بينهما	٢,١	غير دال
٨	النوع	,٤	غير دال
	المصارحة	٧,٥	,٠٠١
	التفاعل بينهما	,٣٤	غير دال
٩	النوع	١,٥	غير دال
	الاعتذار العلني	٥	,٠٠٧
	التفاعل بينهما	١	غير دال
١٠	النوع	,٠٢	غير دال
	الدفاع عن الحقوق	٨	,٠٠٠١
	التفاعل بينهما	,٢٨	غير دال
١١	النوع	,٠١	غير دال
	التوكيد العام	٥,١	,٠٠٧
	التفاعل بينهما	,٤	غير دال

بالنظر فى نتائج الجدول السابق نلاحظ أن متغير النوع لم يؤثر تأثيرا دالاً فى التوافق، أى أن مستوى التوافق الزواجى لكل من الأزواج والزوجات متشابه، وهو ما أكده عدم وجود فروق دالة بين متوسطيهما على مقياس التوافق الزواجى (حيث بلغ متوسط الأزواج ١٥٧ ± ١٣٢ مقابل ١٥٧,١ ± ١٣,٣ للزوجات، وكانت قيمة ت ٠٤, وهى غير دالة). وتبين أن مستوى التوكيد العام يؤثر فى التوافق. بيد أن الأمر ليس كذلك بالنسبة لكل مهاراته النوعية، حيث اتضح أن ما يؤثر منها فى التوافق هو: توجيه النقد، إبداء الإعجاب، التعبير عن الاختلاف، العتاب، المصارحة، الاعتذار العلنى، والدفاع عن الحقوق الخاصة.

وبالنسبة للمزيج الناتج عن التفاعل بين النوع والتوكيد لم يكن مؤثرا فى التوافق الزواجى، نظرا لأن النوع لم يؤثر فى التوافق، فى حين أثر فيه التوكيد، فإننا

بحاجة إلى معرفة طبيعة (حجم ووجهة) هذا التأثير. وحتى يتسنى لنا ذلك قمنا بتقسيم العينة الكلية فى ضوء متغير مستوى التوكيد العام والنوعى، إلى ثلاثة مستويات:

الثلث الأدنى (منخفضو التوكيد)، والثلث الأوسط (متوسطو التوكيد)، والثلث الأعلى (مرتفعو التوكيد)، وقارنا بين درجة توافق كل منها، ويبين الجدول رقم (٢) نتائج تلك المقارنة.

جدول رقم (٢)

يبين الفروق فى التوافق الزواجى

عبر ثلاث مجموعات منخفضة ومتوسطة ومرتفعة التوكيد (ن = ٢٨٠)

م	مستوى التوافق / المتغير التوكيدى	منخفض (١)		متوسط (٢)		مرتفع (٣)		دلالة الفرق بين المجموعتين ٢,١	دلالة الفرق بين المجموعتين ٣,١	دلالة الفرق بين المجموعتين ٣,٢
		م	ع	م	ع	م	ع			
١	توجيه النقد	١٦٤,٣	١٠,٤	١٥٥,٦	١٢,٩	١٥٢,٤	١٣,٩	,٠٠٠١	,٠٠٠١	غير دال
٢	إبداء الإعجاب	١٥٤,٨	١٣,٣	١٥٤,٥	١٤,٩	١٦٢,٩	١٠,٥	غير دال	,٠٠٠١	,٠٠٠١
٣	إظهار الاختلاف	١٦١,٢	١١	١٥٥,٩	١٣,٧	١٥٧,٤	١٢,٧	,٠١	غير دال	غير دال
٤	العتاب	١٦٣,٨	١٠,٩	١٥٥,٧	١٣,٩	١٥٤,٤	١٢,٤	,٠٠٠١	,٠٠٠١	غير دال
٥	التعبير عن الغضب	١٥٩	١١	١١	١٥٢,٧	١٦٠,٨	١١,٨	,٠٠٤	غير دال	,٠٠٠١
٦	الاستقلال	١٥٨,٧	١١,٥	١١,٥	١٥٤,١	١٥٩,٩	١١,٤	,٠٤	غير دال	,٠٢
٧	ضبط النفس	١٥٧,٣	١١,٧	١١,٧	١٥٥,٣	١٦٢	١٢,٢	غير دال	,٠٥	,٠١
٨	المصارحة	١٥٩,٩	١٢,٤	١٢,٤	١٥٥,٣	١٦٢,٢	١٠,٨	,٠٤	غير دال	,٠٠١
٩	الاعتذار العلنى	١٥٧	١٢,٦	١٢,١	١٥٤,٣	١٦١	١١,٩	غير دال	غير دال	,٠٠٤
١٠	الدفاع عن الحقوق	١٦٣,٨	١٠,٢	١٠,٢	١٥٤,٧	١٥٥,١	١٢	,٠٠٠١	,٠٠٠١	غير دال
١١	التوكيد العام	١٦٠,٣	١٢,٢	١٢,٢	١٥٤,٣	١٦٠,١	١٠,٧	,٠٠٤	غير دال	,٠٠٥

تشير المقارنات التى يحويها الجدول السابق إلى ما يلى:

- إن الذين حصلوا على درجة منخفضة فى مهارة إبداء الإعجاب، وضبط النفس، ودرجة مرتفعة فى مهارة العتاب، والدفاع عن الحقوق الخاصة وتوجيه النقد كانوا أقل توافقا زواجيًا، فى حين أن الذين أحرزوا درجات مرتفعة فى كل من مهارة

إبداء الإعجاب، وضبط النفس، ودرجات منخفضة فى مهارة توجيه النقد، والعتاب، والدفاع عن الحقوق الخاصة كانوا أكثر توافقا فى حياتهم الزوجية.

- حين قارنا بين المنخفضين على المهارات النوعية للتوكيد مقابل المتوسطين اتضح أن مستوى التوافق فى المجموعة الأولى ارتفع حين كانوا أقل توجيها للنقد، وإظهارا للاختلاف، وتوجيها للعتاب، واستقلالا، ومصارحة، ودفاعا عن حقوقهم الخاصة أى أن ارتفاع تلك المهارات يقلل التوافق الزواجى.

- تبين أن ارتفاع الأفراد فى المهارات التالية: إبداء الإعجاب، التعبير عن الغضب، الاستقلال، ضبط النفس، المصارحة، الاعتذار العلنى، يزيد التوافق وهو ما كشفت عنه مقارنة متوسطى ومرتفعى التوكيد.

يشير الطابع العام لتلك المقارنات الثلاثية إلى أن ارتفاع مستوى المهارات التوكيدية التالية: إبداء الإعجاب، وضبط النفس، والاعتذار العلنى، والمصارحة، يرتبط بارتفاع مستوى التوافق، وفى المقابل فإن ارتفاع مستوى الفرد فى مهارة توجيه النقد، والعتاب، والدفاع عن الحقوق الخاصة، وإظهار الاختلاف يصاحبه مستوى منخفض من التوافق.

(ب) انحدار التوافق الزواجى على مستوى التوكيد العام والنوعى للأزواج والزوجات:

كشفت النتائج السابقة عن طبيعة تأثير المهارات التوكيدية النوعية فى التوافق. بيد أن ثمة تساؤلا مهما فى الموقف ينبغى الإجابة عنه، ألا وهو: ترى ما الترتيب النسبى لأهمية تلك المهارات، سواء تلك التى يؤدى ارتفاعها إلى زيادة التوافق أو يؤدى انخفاضها إلى التقليل منه ؟

حتى نتمكن من الإجابة عن هذا التساؤل استخدمنا أسلوب تحليل الانحدار وقد اشتملت نتائجه على ما يلى:

- انحدار توافق الأزواج على مهاراتهم التوكيدية النوعية: تبين أن أكثر المهارات التوكيدية تنبؤا بالتوافق لدى الأزواج، هى توجيه النقد، حيث بلغ معامل انحدار

التوافق عليها (-٠,٣٦) وهو معامل دال عند مستوى (٠,٠٢)، ويشير إلى أن ارتفاع تلك المهارة لدى الزوج يقلل من مستوى توافقه.

- انحدار توافق الزوجات فى مهارات التوكيدية النوعية: أوضحت النتائج أن أكثر المهارات التوكيدية تتبؤا بالتوافق الزواجى للزوجات هى توجيه النقد حيث بلغ معامل انحدار التوافق عليها (-٠,٣٧) أى أن ارتفاع تلك المهارة يقلل التوافق، تلى ذلك مهارة إبداء الإعجاب، حيث بلغ انحدار التوافق عليها (٠,٢٢)، أى أن المزيج المكون من إبداء الإعجاب والتقدير للزوج، والحد من توجيه النقد إليه يعد من أهم الممارسات التى تزيد التوافق الزواجى.

- انحدار توافق الزوجات على توكيد الأزواج: تبين أن إبداء الإعجاب من أكثر المهارات التوكيدية للزوج تتبؤا بتوافق زوجته، حيث بلغ معامل انحدار توافق الزوجة عليها (٠,١٩) وهو معامل دال عند مستوى (٠,٠٢).

- انحدار توافق الأزواج على توكيد الزوجات: اتضح أن أكثر المهارات التوكيدية للزوجات تتبؤا بتوافق الأزواج تتمثل، على التوالى، فى إبداء الإعجاب حيث بلغ معامل انحدار توافق الأزواج عليها (٠,٢٨)، وهو معامل دال عند مستوى (٠,٠٠٩). وتوجيه العتاب حيث بلغ معامل انحدار توافق الأزواج على تلك المهارة (٠,١٧) وهو معامل دال عند مستوى (٠,٠٣) أى أن حرص الزوجة على إبداء الإعجاب والتقدير لزوجها، وفى الوقت نفسه عتابه على ما يصدره نحوها من سلوكيات تعتقد أنها غير مناسبة بصورة تشعره بأنه ذو قيمة عندها يزيد من توافقه.

(جـ) تأثير التفاوت بين توكيد كل من الأزواج والزوجات فى توافقهم الزواجى:

لكى نقيم تأثير التفاوت فى مستوى التوكيد بين الأزواج وزوجاتهم على توافقهم الزواجى قمنا بالتعامل مع الزوج وزوجته كوحدة واحدة، وبذا أصبح لدينا ١٤٠ وحدة تحليل (مفردة)، وتم حساب التفاوت بينهم فى التوكيد، وقسموا إلى ثلاث مجموعات تبعا لدرجة التفاوت على النحو التالى:

- المجموعة الأولى (ن=٣٤):حيث تزيد درجة التوكيد العام للزوجات فيها بمقدار (١٢) درجة عن الأزواج.

- المجموعة الثانية (ن=٨٢): وتضم الأزواج والزوجات المتشابهين فى مستوى التوكيد والذى لا يزيد الفارق فيه بينهما على (١٢) درجة.

- المجموعة الثالثة (ن=٢٤) حيث تزيد درجة التوكيد العام للأزواج فيها بمقدار (١٢) درجة على الزوجات.

وتم إجراء تحليل تباين فى اتجاه واحد بين هذه المجموعات الثلاث للكشف عن تأثير متغير التفاوت التوكيدى فى التوافق الزواجى، ويبين الجدول التالى رقم (٣) النتائج المتحصلة عن هذه المعالجة الإحصائية.

جدول رقم (٣)

يبين الفروق بين مجموعات التفاوت التوكيدى الثلاث فى التوافق الزواجى (ن = ٢٨٠)

م	التفاوت التوكيدى / المتغير	لصالح الزوجة (١) ن = ٣٤		متشابهان (٢) ن=٨٢		لصالح الزوج (٣) ن = ٢٤		قيمة ف	مستوى الدلالة	الفارق بين ١، ٢	الفارق بين ١، ٣	الفارق بين ٢، ٣
		م	ع	م	ع	م	ع					
١	توافق الأزواج	١٥٧,٤	١٣,٩	١٥٦,٣	١٣,٣	١٥٩,٣	١٢,٥	,٤	غير نال	غير دال	غير دال	غير دال
٢	توافق الزوجات	١٥٢	٢٨,٧	١٥٦,٦	١٤,٢	١٥٩,١	١٢,٧	١,٤	عبر نال	غير دال	عبر دال	غير دال
٣												
٤	قيمة ت	,٩٧		,١٤		,٠٥						
٥	مستوى الدلالة	غير دالة		غير دالة		غير دالة						

تبين نتائج الجدول السابق عدم وجود فروق دالة فى التوافق الزواجى لدى كل من الأزواج والزوجات فى المجموعة الواحدة. من المفترض أن تشير تلك النتيجة إلى أن متغير التفاوت التوكيدى غير جوهرى فى تحديد مستوى التوافق. بيد أن هناك مجموعة من النقاط التى تتصل بخصائص عينة البحث وطبيعتها الخاصة توجب علينا توخى الحيطة والحذر، ونحن بصدد التعامل مع تلك النتيجة قوامها ما يلى:

١ - **التشابه بين** الأزواج والزوجات فى مستوى التوكيد العام، ومما يدلل على ذلك أننا لم نجد فروقا دالة بين متوسطيهما فى التوكيد، حيث بلغ متوسط الأزواج (٩٢ ± ١٣,٢) للزوجات، وقد كانت قيمة ت (-٠,٤) وهى± ١٤,٥) مقابل (٩٢,٦ غير دالة. وقد نتج عن هذا التجانس صعوبة تقسيم العينة إلى مجموعات فى ظل درجات أكبر من التفاوت التوكيدى تزيد على ١٢ درجة كما حدث، مما قلل احتمال ظهور فروق فى التوافق كدالة للتفاوت فى التوكيد. بيد أن الموقف قد يتغير فى بحوث لاحقة إذا قسمنا العينة فى ظل درجات أكبر من التفاوت.

٢ - **أن كل مجموعة** من مجموعات التفاوت الثلاث تحوى مجموعات فرعية كان يحسن قياس الفروق بينها فى التوافق، ولكن نظرا لصغر أعدادها لم نتمكن من ذلك، فعلى سبيل المثال تحوى مجموعة التفاوت فى التوكيد لصالح الزوجة (ن=٣٤) ثلاث مجموعات فرعية أيضا، تتضمن الأولى زوجات مرتفعات فى التوكيد وأزواجًا منخفضين، والثانية زوجات مرتفعات وأزواجًا متوسطين، والثالثة زوجات متوسطات وأزواجًا منخفضين.

حرى بنا عقب بيان أهم نتائج الدراسة والتى أوضحت أن هناك ارتباطا دالا بين توكيد الذات والتوافق الزواجى، وأن التوكيد يؤثر فى التوافق، وأن أكثر مهارات التوكيد تنبؤا بالتوافق هى إبداء الإعجاب وتوجيه النقد، وأن التفاوت فى التوكيد بين الأزواج والزوجات لا يؤثر فى مستوى توافقهم الزواجى - مناقشة ما تنطوى عليه تلك النتائج من دلالات، ونظمها فى إطار يتأتى من خلاله إدراك مترتباتها وامتداداتها التطبيقية.

مناقشة النتائج:

ثمة ثلاثة محاور رئيسة يمكن فى ضوئها مناقشة نتائج تلك الدراسة هى:

(أ) المهارات التوكيدية المؤثرة فى التوافق الزواجى.

---

(١) Ibid (Detirck & Miller). 719- 724 .

(ب) المهارات التوكيدية المنبئة بالتوافق الزواجى.

(جـ) التفاوت التوكيدى والتوافق الزواجى.

وسنعرض فيما يلى لأبرز النتائج فى كل فئة.

(أ) المهارات التوكيدية المؤثرة فى التوافق الزواجى:

أظهرت النتائج أن التوكيد العام يؤثر فى مستوى توافق كل من الأزواج والزوجات بصورة متشابهة، حيث لم يكن هناك فروق دالة بينهما فى حجم هذا التأثير. وقد تعزى تلك النتيجة إلى تشابه مستوى توكيد كل منهما، وهو ما أكده عدم وجود فروق دالة بينهما فى التوكيد العام، فضلا عن ذلك الارتباط المرتفع بين درجة توكيد كل منهما.

أما فيما يتصل بالمهارات التوكيدية النوعية المؤثرة فى التوافق الزواجى وطبيعة هذا التأثير، فقد تبين أنه حين ترتفع مهارة إبداء الإعجاب، وضبط النفس، والاعتذار العلنى، والمصارحة يزيد التوافق، فى حين يتدنى هذا التوافق فى ظل مقدار مرتفع من مهارة الدفاع عن الحقوق الخاصة، وتوجيه النقد، وإظهار الاختلاف. تثير هذه النتيجة مسألة دور الثقافة فى تشكيل طبيعة تأثير التوكيد فى التوافق؛ فالدراسات التى أجريت فى الغرب تشير فى مجملها إلى أن ارتفاع مهارة الإفصاح عن الذات والتعبير عن المشاعر سواء كانت سلبية أو إيجابية، وإظهار الاختلاف أو الاتفاق يستحث قدرًا مرتفعًا من التوافق الزواجى[1]. فى حين أنه يبدو فى ظل الثقافة المصرية أن الأمر يختلف، حيث إن الحرص على تجنب توجيه النقد للآخر، أو إظهار الاختلاف معه، والتنازل عن بعض الحقوق الخاصة لإرضائه فضلا عن المداومة على إبداء الإعجاب به، وضبط النفس والاعتذار العلنى – من شأنه زيادة مستوى التوافق الزواجى. أى أننا إزاء توجه ثقافى يحبذ تجنب الصراع والحرص على الحياة الزوجية.

---

(١) Ibid (Detirck & Miller), 719- 724.

(ب) المهارات التوكيدية المنبئة بالتوافق الزواجي:

من المتوقع وجود متغيرات عديدة تسهم، منفردة أو مجتمعة، فى التنبؤ بالتوافق الزواجى من قبيل التجانس الفكرى، والقيمى، والاجتماعى. بيد أن اهتمامنا فى هذه الدراسة سينصب فقط - لاعتبارات عديدة - على المهارات التوكيدية. وقد تبين فى هذا السياق أن أكثر تلك المهارات تنبؤا بتوافق الأزواج ذلك القدر المنخفض من مهارة توجيه النقد، حيث إن الإسراف فى توجيه النقد للزوجة، وخصوصا فى حضور الآخرين، قد يصيب مفهومها عن ذاتها فضلا عن علاقاتها ومكانتها الاجتماعية بأضرار يصعب حصرها، وينشىء مناخا مهيئا لاندلاع العنف، سواء كان لفظيًا أو بدنيًا، الذى قد يكون موجها نحو الزوج أو الأبناء أو أهل الزوج أو الذات، وهو ما يقلل التوافق الزواجى. ومما يدعم هذا التصور أن «كوبانى» وجدت فى دراستها على مجموعة من الفلبينيات أن العبارات اللائمة والغاضبة تثير استياءهن ومن ثم دفعاتهن العدوانية نحو الطرف الآخر[1]. وقد اتضح أيضا، أن أكثر المهارات تنبؤا بتوافق الزوجات ذلك القدر المنخفض من مهارة توجيه النقد، بالإضافة إلى القدر المرتفع من مهارة إبداء الإعجاب والتقدير للزوج. إن هاتين المهارتين تشكلان مزيجا ينطوى على حكمة الزوجة المصرية التى تحسن من توافقها الزواجى بأن تتجنب، قدر المستطاع، التعليق على مثالب الزوج لتحد من فرص إثارة النزاعات الزوجية، وتحرص فى الوقت نفسه على إبراز مآثره وإشعاره بقيمته ومكانته.

(جـ) التناسب التوكيدى والتوافق الزواجى:

تتمثل أهمية الفروض غير المتحققة فى أنها تدعونا من جهة إلى تحليل أسباب عدم التثبت من صحتها، فضلا على أنها تستحثنا، من الجهة الأخرى، لتغيير توجهاتنا الذهنية، واقتراح المزيد من الافتراضات لفهم الموقف، ومن ثم فإن النتيجة

---

(١) Kubany, E.S: Bauer, G.B., Pangilinan, M.E.: Muraoka, M.y, & Enriquez, V.G. (1995). Impact of labeled anger and blame in intimated relationship. Journal of Cross-Cultural Psychology, 26 , 1 January, 65-85.

الخاصة بعدم وجود فروق فى التوافق الزواجى كدالة للتفاوت فى مستوى التوكيد بين المجموعات الثلاث من الأزواج والزوجات، يدعونا لطرح بعض التفسيرات، المؤقتة، لإعادة تنظيم الموقف بطريقة يتيسر معها فهمه، وتتمثل هذه التفسيرات المقترحة فى:

١ - **التجانس النسبى** لمستوى توكيد كل من الأزواج والزوجات فى عينة الدراسة: حيث بلغت نسبة عدد مجموعة الأزواج والزوجات المتشابهين فى مستوى التوكيد (٥٨,٥٪) من العينة الكلية. وقد يرجع هذا إلى الارتفاع النسبى لمستوى توكيد الزوجات، نظرا لأن جُلهن كن عاملات، فالمرأة العاملة تتدرب على تنمية توكيدها أثناء عملها من خلال ذلك الكم المتنوع من الخبرات التى تتعرض له، ومن التفاعلات مع عناصر متباينة وفى مواقف تتطلب أن تحفظ هويتها واستقلاليتها إبانها، وخصوصا حين يستدعى الأمر أن يكون لها اليد الطولى فى الموقف، كأن تتعامل مع مرؤوسيها أو زملاء يقلون عنها فى المكانة الوظيفية، فضلا على ذلك العائد السلبى الذى تجنيه من جراء انخفاض مستوى توكيدها أثناء تلك التعاملات والذى يتمثل فى استعداء الآخرين عليها، سواء كانوا رؤساء أو مرؤوسين أو مواطنين، أو محاولة الآخرين إملاء وجهات نظرهم عليها وسلب بعض صلاحياتها، أو ما تلاحظه من عائد إيجابى تحصل عليه النماذج، أو هى، حين تسلك على نحو مؤكد، مما يظهر أثره فى توكيد ذاتها فى علاقاتها الزواجية. يضاف إلى ذلك أن الزوجات العاملات، اللائى شكلن عينة هذه الدراسة فى محافظة صعيدية (المنيا)، حيث فرص التعليم، وكذا العمل، محدودة، تعد فئة متميزة من النساء ذوات المواصفات الخاصة توكيديًا. وثمة عامل آخر قوامه ارتفاع نسبة الزوجات، وكذا الأزواج، المسيحيات فى عينة الدراسة (٢٢٪)، وهو ما قد يثير افتراضا مفاده: هل الزوجة المسيحية تتصف بقدر مرتفع من التوكيد فى علاقتها الزوجية نظرا للقيود المفروضة على طلاقها، أم أن عملية التنشئة التوكيدية لدى الأسرة

المسيحية لها طابع خاص تتجانس معه مستويات توكيد كل من الزوج والزوجة. ومن المأمول إفراد بحث مستقل لهذه المسألة مستقبلا.

٢ - **التوافق التوكيدى والتوافق الزواجى**: على الرغم من أنه تبين فى دراسة أجراها «سيت» وجود تشابه فى مستوى توكيد الأزواج المتوافقين[1]، فى حين أشارت دراسة أخرى إلى أن التفاوت بين الأزواج فى مهارة التعبير عن المشاعر يثير الاضطراب الزواجى[2]، إلا أنه يمكن النظر إلى مسألة عدم وجود فروق دالة، فى الدراسة الحالية، فى التوافق الزواجى بين المجموعتين اللتين يتفاوت مستوى توكيد الأزواج والزوجات فيهما (مجموعة الزوجات الأكثر توكيدا من أزواجهن، ومجموعة الأزواج الأكثر توكيدا من زوجاتهم) من زاوية أخرى قوامها أن ذلك التفاوت التوكيدى قد ينطوى على توافق توكيدى، بمعنى أن كل طرف يدرك هذا التفاوت بوصفه ظاهرة إيجابية تعود عليه بالنفع على نحو يصبح فيه محسنا للتوافق الزواجى، مثلما يتوافق زوج لديه قدر منخفض من مهارة الإفصاح عن المشاعر الوجدانية، وقدر مرتفع من مهارة التعبير عن الرأى، سواء اتفق أو اختلف مع الآخر، مع زوجة مرتفعة على المهارة الأولى ومنخفضة على الثانية، نظرًا لإدراكهما أنهما يشكلان وحدة توكيدية، فهى تزوده بالمشاعر حين يرغب فى الحصول عليها، وهو يقدم لها الرأى والمشورة حين تمس حاجتها لاتخاذ قرار أو اكتشاف ما بها من نقاط ضعف تقلل من كفاءتها الاجتماعية. وتجدر الإشارة فى هذا الصدد إلى أنه تبين فى دراسة أجراها «كورالز Corrales» أن النساء اللواتى شعرن بالرضا عن زواجهن قررن أن أزواجهن أكثر سيطرة منهن على مجرى العلاقة[3]، أى أنه يمكننا القول وفق هذا التصور أن التوافق الزواجى دالة للتوافق التوكيدى.

---

(١) Saint, D.J. (1994). Complementarity in marital relationship. The journal of Social Psychology, 134 (5). 701-703.

(٢) Notarius, C. I & Johnson, I.S. (1982) "Emotional expression in Husbands and Wives" Journal of Marriage and The Family, (May), 483- 489.

(٣) Ibid (Hendrick), 1150 - 1159.

وجدير بالذكر أنه يفترض وجود عنصرين أساسيين يؤثر بمقتضاهما التفاوت التوكيدى إيجابا فى التوافق الزواجى هما:

أ - **تقييم التفاوت**: كما تبين سلفا فإن درجة التفاوت التوكيدى لا تؤثر بالضرورة فى التوافق الزواجى، حيث إن هذا التأثير يتوقف على طبيعة إدراك كل طرف لهذا التفاوت: هل هو مثمر أم مهدد، ودرجة تفضيله أو عدم تفضيله إياه. ومما يتسق مع هذا التصور أن بعض الزوجات قررن فى دراسة أجراها «هاوكنز» أنهن يفضلن الزوج الذى يفصح عن مشاعره، فى حين أشار الأزواج إلى تفضيلهن الزوجة المتحفظة فى التعبير عن مشاعرها، وبذا سيفضى التفاوت بينهما فى هذه المهارة إلى زيادة التوافق الزواجى[1].

ب - **إن توافق المجموعة** التى تزيد فيها درجة توكيد الزوجات عن الأزواج قد يكون مرجعه تلك التصورات الشائعة فى الثقافة، وما قد يستتبعها من توقعات، حول ما يجب أن تتحلى به المرأة العاملة من مهارات توكيدية حتى تحمى نفسها خارج المنزل، وقد تؤثر تلك التصورات على الزوج، وتدعوه لتوقع ارتفاع مستوى توكيد زوجته، ومن ثم يصبح أكثر تهيؤا لإدراك جوانبه الإيجابية، ومن ثم تقبله والتواؤم معه، فهى إن لم تكن كذلك قد تخضع لمحاولات الإغواء أو السيطرة من قبل بعض الرؤساء أو الزملاء، أو تنصاع لآراء بعض الزميلات حول كيفية إدارة علاقاتها الزوجية مما يعود بالسلب على توافقهما الزواجى، ومن ثم يشعر الزوج بالتوافق الزواجى فى ظل هذا القدر المرتفع من توكيد الزوجة، فى حين أنه قد لا يتوافق مع القدر نفسه من توكيد زوجته إذا ما كانت غير عاملة.

---

(١) Hawkins, J.L; Weisberg: C & Ray, D.W (1980) "Spouse" differences in communication style preference, perception, behavior" Journal of Marriage and The Family (August) 589-593.

تساؤلات ومقترحات لبحوث مستقبلية:

أثارت مناقشة أبعاد ما حصلنا عليه، ودلالاته، من نتائج فى أذهاننا ضرورة الانتباه إلى الدور الذى تمارسه مجموعة من المتغيرات الوسيطة التى يتأتى فى ضوئها فهم العلاقة الدينامية بين التوكيد والتوافق الزواجى، فضلا على بعض الأطروحات التى تمكننا - حين تكون فى الاتجاه الصحيح - من الاقتراح والتوجيه لبحوث لاحقة، وفيما يلى بيان موجز بأهم تلك النقاط:

١ - **المرونة التوكيدية**: يتطلب التوافق الزواجى، الذى قد يتغير من مرحلة عمرية لأخرى عبر دورة الحياة الزوجية، تحلى أطرافه بقدر مرتفع من المرونة التوكيدية، حيث يعدل كل منهما من مستوى توكيده على نحو يصنع ذلك التوافق التوكيدى، وحيث يتحرك الزوجان ارتفاعا وانخفاضا، حركة متناغمة على متصل التوكيد بحيث يكونان وحدة توكيدية. فحين يرتفع طرف على مهارة معينة يخفض الآخر من مستواها لديه، بدلا من أن يثبتا على موضع واحد على المتصل بصورة متصلبة، فى وقت تتغير فيه محددات التوكيد. فعلى الزوج، وكذا الزوجة، فى أوقات معينة، أن يعدل مستوى توكيده تبعا لإدراكه وتقديره للموقف والكيفية التى يجب أن يسلك بها فيه. ويفترض «دافيدسون ومعاونوه» فى هذا السبيل أن بعض الأزواج يلجأون حين يشعرون بعدم التكافؤ فى العلاقة الزوجية إلى زيادة أو تقليل مستويات إفصاحهم لتتناسب مع الآخر لاستعادة التكافؤ [1]، وبطبيعة الحال فنحن فى حاجة للتثبت من صحة هذا الافتراض. وقد كشفت دراسة «جوتمان» عن أن الأزواج الأقل توافقا كانوا أقل مرونة، ويتسم تواصلهم مع الطرف الآخر بالتصلب، فهم لا يحاولون تعديل رسائلهم للتلاؤم مع طبيعته واحتياجاته ولا يعبأون بمشاعره وأوجه اختلافه عن الصديق [2]. يحق لنا فى ضوء هذا التحليل أن نفترض أن الزيجات

---

(١) Ibid (Davidson et al) , 93-102.

(٢) Ibid (Detirk & Miller) , 719-724.

الفاشلة يتصف أطرافها بالتصلب التوكيدى، وهو ما يدعونا إلى التركيز على تنمية المرونة التوكيدية، وإدراج مسألة دينامية العلاقة بين توكيد الزوج وزوجته فى الحسبان ونحن بصدد تصميم برامج الإرشاد الزواجي.

٢ - **التنشئة التوكيدية**: أظهرت نتائج الدراسة، بشكل عام، تشابه مستوى توكيد كل من الأزواج والزوجات، حيث كان معظمهم متوسطى التوكيد. ويطرح «هندريك» تفسيرًا افتراضيا لتلك الظاهرة، فحواه أن الأزواج يتشابهون، إما لأن المتشابهين، توكيديا، يميل بعضهم لبعض، أو لأنهم يصبحون كذلك بعد فترة من الزواج[1]. ومما يرجح هذا التفسير، أن متوسط مدة زواج أفراد عينة الدراسة الحالية كان مرتفعًا (١١± ٩،٦ عاما)، وهو ما يدعونا إلى افتراض وجود آليات مسئولة عن إحداث هذا التشابه التوكيدى، من أكثرها أهمية، كما نعتقد، بجانب المرونة التوكيدية، عملية التنشئة التوكيدية Assertionization، والتى يحاول طرف بموجبها تنمية أو خفض مستوى توكيد الطرف الآخر بصورة مقصودة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، عبر دورة الحياة الزوجية، بهدف تحقيق التجانس التوكيدى الذى يعتقد أنه كفيل بتحقيق التوافق الزواجي. وبطبيعة الحال يجب دراسة ردود أفعال الطرف الآخر واستراتيجياته المضادة للتعامل مع تلك المحاولات، فضلا على انعكاسها على الأبناء الذى يتجسد فى عملية التنشئة التوكيدية عبر الأجيال. ويرجى فى دراسة لاحقة إلقاء مزيد من الضوء على تلك المسألة.

٣ - **يحسن فى** بحوث تالية دراسة دور بعض المتغيرات المعدلة لتأثير التوكيد، أو التفاوت بين الزوجين فيه، على التوافق الزواجى والتى لم يتأت إدراجها فى تلك الدراسة من قبيل: التفاوت بين الزوجين فى مستوى التعليم، وعمل المرأة مقابل عدم عملها، والإقامة فى الريف، ومدة الزواج، وديانة الزوجين، فضلا

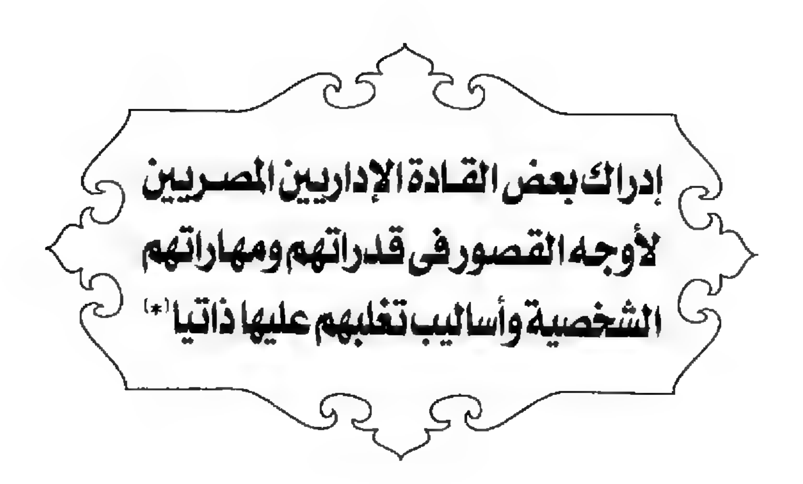
---

(١) Ibid (Hendrick) 1150-1159 .

على ظاهرة استمرار العلاقة الزوجية على الرغم من انخفاض التوافق، فالاستمرار، كما نعلم، ليس دالة بالضرورة، للتوافق الزواجى، فقد تكون الحياة الزوجية مستقرة بيد أنها غير متوافقة، ولكن لا يمكن، فى المقابل، أن تكون حياة زوجية متوافقة غير مستقرة. إن تلك الفئة من الأزواج والزوجات الذين يعيشون فى ظل مستوى منخفض من التوافق جديرة باهتمامنا فى بحوث قادمة حتى نتمكن من تخفيف معاناتهم.

٤ - **تصميم برامج** للتدريب التوكيدى فى العلاقات الزواجية والإرشاد الزواجى لا تقوم فقط على تنمية مستوى توكيد كل طرف على حدة، بل تعنى، أيضا بتنمية قدرة كل منهما على اكتشاف المبيان التوكيدى لمهارات الطرف الآخر، وإدراك تقييمهما المتبادل لتوكيد كل منهما، ومحاولة تلمس سبل لبلوغ نقطة التوافق التوكيدى بينهما فى ظل هذا الإدراك، بدلا من التركيز دوما على ضرورة تعديل السلوك التوكيدى للآخر، أى أن اهتمام هذه البرامج يجب أن ينصب، فى المقام الأول، على تغيير إدراك الفرد لتوكيد الآخر بدلا من تعديل سلوكه التوكيدى، مثلما يفعل مخطط المدن حين يجد هضبة فى الموقع المختار لبناء المدينة فيعمل على إدخالها ضمن عناصر التصميم بدلا من محاولة إزالتها، لتجنب ما قد ينجم عن محاولات التعديل من ردود أفعال ذات طابع دفاعى قد تعصف بالتوافق الزواجى.





إدراك بعض القادة الإداريين المصريين لأوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية وأساليب تغلبهم عليها ذاتيا (*)

(*) نشر هذا البحث فى مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد الثانى والثلاثون، عدد إبريل، ١٩٩٩ ، ١١ - ٧٧ .

مقدمة:

يعد العنصر البشرى هو الطرف الرئيسى فى معادلة التطوير الإدارى والتنظيمى والمجتمعى بل والحضارى بشكل عام؛ لذا فإن تنمية العاملين سواء كانوا رؤساء أو مرؤوسين تشكل المحور المركزى لاهتمامات الباحثين فى علم النفس التنظيمى والإدارى المعاصر من منطلق أن التنمية البشرية مقدمة ضرورية للتنمية التنظيمية. وقد تجسد هذا الفهم فى تزايد اهتمام المنظمات الإنتاجية والخدمية بالتنمية النظامية Systematic development لعامليها، وإنفاقها أموالاً طائلة لإعداد برامج وعقد دورات تدريبية على أيدى متخصصين من داخلها ومن خارجها لبلوغ تلك الغاية، وتشير إحصاءات رسمية، فى هذا المقام، إلى أن ما ينفق على تدريب (*) العاملين فى برامج التنمية النظامية فى الولايات المتحدة، وعددهم (٤٩,٦) مليون عامل، يبلغ حوالى (٥٩,٨) مليار دولار سنويا (guglielmino &Murdick, 1997). وقد أثمرت تلك الجهود بالفعل فى تطوير الأفراد، ومن ثم المنظمات المعاصرة، إلى حد كبير، وفى معرض الإشارة إلى بعض الآثار الإيجابية لتلك البرامج التدريبية. تشير بعض التقديرات الرسمية إلى أنَّ انضمام الفرد لدورة تدريبية لمدة أسبوع تساوى من حيث ما يستفيده منها مقدار ما يتعلمه من خلال الأداء فى بيئة العمل الفعلى فيما تتراوح مدته بين ٣ - ٦ شهور (Stewart, 1992). ولكن وعلى الرغم من أهمية ذلك النوع من التدريب إلاَّ أن **هناك بعض النقاط** التى يجب وضعها فى الحسبان ونحن بصدد تقييم فعاليته بصورة موضوعية شاملة منها:

- **صعوبة توفير** فرص ودورات تدريبية لجميع العاملين فى ظل ارتفاع نفقات التدريب النظامى، وخاصة فى المؤسسات كثيفة العمالة فى الدول النامية، وبشكل خاص فى ظل الخصخصة.

(*) يعرفه طه بأنه « تعليم منظم، ومحدد، ومبرمج لإكساب المتدرب عادات، ومهارات، وقدرات على أداء عمل معين، أو رفع كفاءته فيه. ويتم عادة فى مؤسسات أو مراكز خاصة للتدريب، ويستغرق وقتًا محددًا، وثمة شروط محددة للالتحاق به » (طه وآخرون، ١٩٩٣).

- **عدم الاستفادة** الكاملة للبعض من تلك الدورات نظرًا لأنها قد لا تلائم احتياجاتهم النمائية والتدريبية النوعية، أو حتى ظروفهم الشخصية، فهى جاهزة وليست مفصلة tailor - made لفرد بعينه (Fulmer, 1997)، ومن ثم فقد تُقدَّم للفرد معلومات لا يشعر أنها ضرورية تمامًا له، أو لا يرغبها، وفى المقابل قد لا تزوده بما يحتاجه ويرغبه (guglielmino & Murdick, 1997)، إنها كالتلفزيون لن تشاهد فيه إلا ما يبثه وليس ما تريده بالضرورة، وحرى بالذكر أن هذا الأمر وإن كان ينطبق على العاملين بشكل عام فهو ينطبق على القادة بدرجة أكبر لأن ذوى المناصب القيادية لديهم مهاما أكثر تنوعا قد يصعب برمجتها كلها تدريبيا، وهو ما يبرز الحاجة لتصميم نظم معينة لتدريبهم تركز على عملية التعلم الذاتى بجانب التدريب النظامى (Hogan etal, 1994).

- **إن دور الفرد** فى التدريب النظامى قد يتسم - نسبيا - بالسلبية حيث إنه قليلاً ما يسهم فى عملية تشخيص المشكلة أو صياغة سبل حلها على الرغم من أنها تتعلق بمسائل تتصل بنموه الشخصى و تأهيله وتحسين أدائه، وتنمية مهاراته (Williams , 1992).

- **قد لا يستثمر** البعض فرصة الالتحاق بتلك الدورات بالقدر الكافى، بل قد يسىء استغلالها، ويتعامل معها باعتبارها فرصة للاسترخاء، والابتعاد عن بيئة العمل.

- **نظرا لتدخل** بعض العوامل الشخصية، أحيانا، فى تحديد هوية المرشح لتلك الدورات فإن البعض، إن أدرك أن بها مزايا، قد يشعر أن عدم ترشيحه لها يعد انتقاصا من قدره، وإهدارًا لحقه، أو تحيزًا ضده، فى المقابل، إن كان يدرك أنها عبء ثقيل.

- **صعوبة أن** يستغنى العمل عن أشخاص معينين نظرًا لما قد يترتب على التحاقهم بها من إحداث خلل بالعملية الإنتاجية بسبب الحاجة الماسة إليهم بشكل

عـام، وفـى أوقـات بعينـهـا بشكـل خـاص، وخـاصـة حين تستـغـرق تلك الدورات وقتًا طويلاً.

- **يضاف إلى** ذلك أنَّ التغيرات فى نظم العمل والتكنولوجيا والإدارة تسير بمعدل سريع حتى أنه يقال إنَّ طبيعة العديد من المهام وأسلوب أدائها قد يتغير كل خمس سنوات (guglielmino & Murdick, 1997)، وتشير الإحصاءات المتصلة بسرعة التقدم التكنولوجى أن نسبة من يحتاجون لاستخدام الحاسب الآلى فى عملهم ارتفعت من (٢٥٪) عام ١٩٨٤ لتصل إلى (٤٦٪) عام ١٩٩٧ والنسبة فى ازدياد (Bossi etal, 1997) ومن ثم أصبح من الضرورى على العاملين عامة، والقادة بوجه الخصوص، أن يعملوا الكثير لمواكبة هذه التغيرات التى تتطلب وجود مهارات جديدة، أو صقل الحالية، قد لا تقدم المنظمة برامج نظامية لتنميتها، ومن ثم فإن عملية قيام الفرد بتنمية ذاته بذاته تعد مسألة محورية لكى يصبح مديرًا متميزًا، وهو ما أدى إلى تصاعد تيار التنمية الذاتية، أو التعلم الموجه ذاتيا (Lancaster, 1997).

لكل هذه الأسباب نادى بعض المتخصصين بوجوب الاهتمام بالجناح الآخر لعملية التنمية النظامية ألا وهو التنمية الذاتية، بوصفها عنصرًا مكملاً لها، وليست بديلاً عنها بالطبع، وأشاروا إلى ما يمكن أن تمارسه من دور فى الحد من المشكلات الجانبية ومعالجة بعض الآثار السلبية لعملية التنمية النظامية من قبيل خفض النفقات التدريبية والقيام بتنفيذ عملية التنمية فى أى وقت، وفى أى مكان أيضًا، والتعامل مع مشكلة عدم ملاءمة، وعدم إشباع، الدورات التدريبية للحاجات المتفردة للعاملين.

كذلك فإن **التنمية الذاتية** تشجع العاملين على ممارسة دور إيجابى من شأنه أن يزيد من ثقتهم بأنفسهم، وشعورهم بأهميتهم، وخاصة أنهم سيشعرون فى ظل هذا التوجه أنهم قادرون على صقل مهاراتهم بأنفسهم، وحل المشكلات التى يواجهونها بطريقتهم الخاصة.

ومن هنا يفترض « لاولار » (Lawler) أن العاملين الموجهين ذاتيا هم مفتاح النجاح للمنظمات المعاصرة (Stewart etal, 1996)، ولا غرو فى ذلك فإن عملية

تنمية الذات، كما يشير « أدامز » Adsms، هي الخطوة الأولى للتنمية التنظيمية (cohen & Tichy, 1997)، ومما يقدم دعما إمبيريقيا لهذه المقولة تلك النتيجة التى أسفر عنها أحد البحوث الذى أجرى على مجموعة من المديرين حيث قُدِّم لهم ٩٤ صفة، وطُلب منهم ترتيب أكثر عشر صفات منها إسهامًا فى تحقيق الامتياز القيادى ترتيبًا تنازليا فأشاروا إلى أن صفة « يستمر فى تعلم كيف يحسن أداءه » من بين أكثر تلك الصفات أهمية.

يضاف إلى ذلك أن تحسن الأداء الناتج عن عملية التنمية الذاتية يزيد من شعور الفرد بكفاءته الذاتية، والتى تنعكس إيجابا على تقديره لذاته، ومن شأنها أيضا أن تصقل عنصر المبادأة والإيجابية لديه، فهو الذى يقرر ما يحتاج أن ينميه ويتحمل المسئولية عن تعلمه بدلا عن إلقائها على الآخرين (Williams , 1992)، فضلا عن أن نجاح عملية التنمية الذاتية فى العمل سيحفز القائمين بها - بفعل انتقال أثر التدريب - على مواجهة أوجه القصور التى يعانون منها فى مجالات أخرى خارج نطاق العمل، من قبيل مجالات العلاقات الشخصية والأسرية، مما يجعلهم أكثر قدرة على مواجهة مشكلاتهم المتنوعة فى تلك المجالات.

وهناك زاوية أخرى للموضوع قوامها أن القادة الذين سينجحون فى تغيير أنفسهم سيكونون أكثر قدرة على تغيير الآخرين (quinn, 1997)، من منطلق أن القدرة على تنمية الذات تقع على متصل ينتهى بالقدرة على تنمية الآخرين.

وفى دراسة أجريت على سبعة آلاف مدير من دول العالم المختلفة لاستطلاع آرائهم حول أهم الصفات التى يطلبونها فى المرشحين لرئاسة أقسام التسويق فى شركاتهم - وضع اليابانيون صفة « تطوير قدرات المرؤوسين » فى المقدمة (عالم الإدارة، ١٩٨٥)، ذلك أن القائد الفعال هو الذى يكون قادرًا، بعد تنمية ذاته، على إطلاق طاقات الآخرين من عقالها، والتأثير على أسلوبهم فى تغيير أنفسهم ليصبحوا هم أيضا قادة فعالين (السلمى، ١٩٩٢) إنه، كما يشير المثل الصينى

القديم، « من يجعل الناس عندما ينتهون من عملهم يقولون: لقد عملناه بأنفسنا » (Fulmer, 1997).

لكل ما سبق ذكره من أسباب فقد تزايد الاهتمام بعملية التنمية الذاتية بوصفها مصدرا إضافيا للتنمية التنظيمية، انطلاقًا من أن ما يتعلمه أفراد المنظمة يعتبر بلا شك البداية المنطقية لما تتعلمه المنظمة (زايد، ١٩٩٣)، أو بلغة أخرى إن القائد المنمى لذاته نواة لمنظمة نامية، ومن ثم فقد أصبحت التنمية الذاتية فى العقدين الماضيين تشكل تيارًا رئيسيا فى مجال التنمية الإدارية، وظهرت مناحٍ جديدة تعنى بالوقوف على المبادئ والآليات الحاكمة لتلك العملية وتحويلها إلى إجراءات واقعية. وحين نتحدث عن الجذور التاريخية المعاصرة(*) للاهتمام بالتنمية الذاتية سنجد أن « دالى كارنيجى » dale carnegi قد أثر فى أجيال متعددة من خلال كتابه « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الآخرين » الذى صدر عام ١٩٢٨، والذى يندرج فى مجال الكتب المساعدة للفرد على تنمية قدراته ذاتيا، حيث دعا فيه إلى عدم الاعتماد على مساعدة خارجية لتنمية الذات، وهو ما فعله كذلك «صمويل سمايل » samule smile عام « ١٩٥٨ » فى كتابه المساعدة الذاتية(Pedler, 1993)، وتلا ذلك ظهور

(*) حرى بالذكر أن هناك بدايات أكثر قدمًا فى هذا المجال ظهرت فى الحضارات القديمة كاليونانية والإسلامية وما قبلهما نذكر منها على سبيل المثال ، قصة نبوغ ديموستينس عظيم خطباء اليونان فى زمانه حيث استمع يومًا إلى أحد الخطباء فهزته قوة تأثيره حتى صمم على أن يصير خطيبًا ، ولكنه كان ألثغا، ضعيف الصوت ، سريع التنفس مختلط مخارج الألفاظ وأدرك الموقف وراح يطلب فن الخطابة على أيدى أبلغ خطباء زمانه ، ولكنه لم ينجح أيضًا . وحين حلل أسباب ذلك الفشل تبين أن البرنامج العادى لإعداد الخطباء لا يكفيه ، ومضى للتو فى وضع برنامج خاص به ، واختلى بنفسه أمام المرآة ليتعلم التمثيل ، وفى الهواء الطلق ليدرب أوتار صوته ، وحتى يتجنب الانشغال بالناس كان يحلق نصف رأسه حتى يخجل من الخروج عليهم ، وليحسن قدرته على التنفس كان يواصل الصياح ، وهو يجرى على المنحدرات حابسًا نفسه حتى يتم كمًا محددًا من الكلمات (فتحى ، ١٩٩٣ ، ٤٢ - ٤٤) .

وهناك أمثلة عديدة لنماذج متميزة من علماء الحضارة الإسلامية استطاعوا أن يصلوا إلى مكانة متميزة فى مجالاتهم من خلال عملية التنمية الذاتية أيضًا مثل واصل ابن عطاء الذى كان خطيبًا وأصوليا ، ومجادلا بارعًا ، بيد أنه كان يعانى من لثغة (ينطق الراء ياء) كانت مثار سخرية معارضيه منه فقرر أن يدرب نفسه على أن يلقى خطبًا كاملة مرتجلة تخلو من حرف الراء دون أن يلحظ المستمع أى تعسف فى عملية انتقاء كلماتها ، ومن جودتها سميت الخطب الرائية (الجاحظ ،١٩٨٥) .

العديد من كتب المساعدة الذاتية فى الغرب، والتى تعنى بتشجيع وتمكين الناس من تنمية مهاراتهم ذاتيا من خلال الوعى بالمبادئ الحاكمة لتلك العملية.

وعلى الرغم من أهمية عملية التنمية الذاتية فى المجال التنظيمى إلا أن هناك شبه ندرة فى الدراسات التى تعنى بها فى ثقافتنا العربية بشكل عام، والمصرية بوجه خاص، كذلك فإن المعلومات المتوفرة حول الجوانب الأكثر عرضة لإدراك أوجه القصور فيها، من قبل القادة الإداريين، وطبيعة الأساليب الذاتية التى يمارسونها للتغلب عليها تعد قليلة، وهو ما دعا الباحث لارتياد ذلك المجال البحثى الحيوى لدراسة تلك المسألة. ونظرًا للطبيعة الاستكشافية لهذه الدراسة فإن البحث سيسعى للإجابة عن **التساؤلات التالية** :

- ما مدى إدراك القادة الإداريين لأوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية (قدراتهم العقلية، والإبداعية، ومهاراتهم الاجتماعية والاتصالية) ؟

- ما هى الأساليب الذاتية التى يمارسها القادة الإداريون للتغلب على أوجه القصور التى يدركونها فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية ؟

- هل يؤثر متغير مدة الخبرة فى الوظيفة القيادية الحالية فى طبيعة إدراك القادة لأوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية وسبل التغلب عليها ؟

مفاهيم الدراسة:

قبيل البدء فى استعراض التراث السابق المتراكم حول موضوع التنمية الذاتية للاستفادة منه فى صياغة فروض الدراسة الحالية يعن لنا أولاً تقديم تعريفات إجرائية لأبرز المفاهيم المستخدمة فى هذه الدراسة ينطوى على بيان عناصرها وأوجه التمييز فيما بينها وهى :

١- **التنمية الذاتية** : وتُعرف بأنها عملية تشير إلى مدى وعى الفرد بأوجه القصور فى خصاله الشخصية، وأدائه المهنى، ومحاولة تشخيصها، والوقوف على

الأسباب المسئولة عنها، واستخدام بعض الأساليب الذاتية للتغلب عليها بغية رفع كفاءته الشخصية والمهنية الحالية والمستقبلية.

وحرى بالذكر أن هناك بعض المفاهيم المستخدمة فى التراث بصورة تكاد تكون مرادفة لمفهوم التنمية الذاتية، ومن أبرزها مفهوم التعلم الموجه ذاتيا Self - directed Learning (sdl)، وحين نعقد مقارنة بينهما سنجد أن « مالكولم ونولز » Malcolm & Knowles , 1980 يعرفان **التعلم الموجه ذاتيا** بأنه « العملية التى يأخذ فيها الأفراد المبادرة فى تشخيص حاجاتهم وتحديد أهدافهم التعليمية، والتعرف على الموارد البشرية والمادية المتاحة للتعلم، واختيار وتبنى الاستراتيجيات التعلمية المناسبة، وتقييم نواتج عملية التعلم (guglielmino & Murdick, 1997)، وقد أصبح هذا الأسلوب يشكل جزءًا مهما من الاستراتيجيات التدريبية للشركات الكبرى مثل موتورولا وزيروكس، ويشير « جوجليلمينو » إلى أنه يتضمن سبع خطوات هى :

– التعرف على حاجات التعلم وتشخيص الاحتياجات التدريبية لكل فرد.

– تقييم استعداد الفرد للقيام بتلك العملية، وذلك بواسطة أداة مكونة من (٥٨) سؤالاً صممها جوجليلمينو.

– تشجيع وحث العاملين على استخدام هذه الطريقة، وتوضيح فلسفتها، والتى يلخصها الشعار التالى : « تعلَّم وفق وقتك وبطريقتك ».

– مطالبة الأفراد بتطوير أهداف تعلمية مفيدة لهم شخصيا.

– توفير الموارد المطلوبة من قبل مدير البرنامج.

– يختار المتدرب الوقت الذى يرغبه لتحقيق أهدافه.

– يقترح موجه البرنامج أساليب لتقييم النتائج (ibid).

وكما هو ملاحظ فإن التعلم الموجه ذاتيا يختلف عن التنمية الذاتية فى أنه يتم تحت إشراف غير مباشر من قبل طرف آخر، وعلى الرغم من أن تدخله محدود،

إلا أنه يسهم فى توجيه مسار عملية التعلم، يضاف إلى ذلك أنه يتم فى فترة زمنية محددة أيضا، وهو ما لا يوجد فى عملية التنمية الذاتية التى يقوم بها الفرد دون توجيه خارجى، وينفذها فى الوقت الذى يرغبه.

وعلى أية حال فإنه نظرا لأوجه الشبه العديدة بين المفهومين فإن الاطلاع على الدراسات التى أجريت على عملية التعلم الموجه ذاتيا من الممكن أن تلقى أضواء مفيدة على عملية التنمية الذاتية، كذلك فإنه يمكن اعتبار ذلك النوع من التعلم بمثابة حلقة وصل بين التنمية النظامية والذاتية (Williams et al, 1991).

أما عن المفاهيم الأخرى المستخدمة فى التراث على نحو متداخل مع التنمية الذاتية من قبيل : التوجيه الذاتى self - direction، والتنظيم الذاتى self - regulation، فإن الرأى الأرجح لدينا أنها أقل عمومية من مفهوم التنمية الذاتية وتعد بمثابة أحد مكوناته، ذلك أن **التوجيه الذاتى** يعرف بأنه «سلوك يرغب الشخص فى فعله، ويقوم بذلك تحت سيطرة كاملة منه بمعزل عن الضغوط والمؤثرات الخارجية » (Stewart et al, 1996) أما **التنظيم الذاتى** فيشير إلى « قدرة الفرد على توجيه أنشطته الهادفة عبر الزمن لبلوغ هدف قام باختياره والتخطيط لتنفيذه » (Karoly, 1993)، ومن خلال هذين التعريفين يتضح أن التوجيه والتنظيم الذاتى يعنيان بعناصر نوعية، ويشكلان بعض الحلقات فى سلسلة عملية التنمية الذاتية. أى أن هناك مراحل تسبقهما فيها من قبيل الوعى بالذات ومراقبتها، وتشخيص أوجه القصور فيها ثم تأتى بعد ذلك مرحلة تنظيم وتوجيه الأنشطة والطاقات الذاتية للتغلب عليها بوصفها أهدافا شخصية.

ولعل من المفيد فى هذا السياق أن نذكر أن أكثر المفاهيم التى طرحت فى التراث التنظيمى اقترابا من مفهوم التنمية الذاتية هو مفهوم **الإدارة الذاتية** Self - management، والذى طرحه كل من « مانز وسيمز » Mans & Sims فى بداية الثمانينيات، وعرَّفاه بوصفه « عملية يمارس من خلالها الأفراد تحكمًا ذاتيا فى

سلوكهم بواسطة الملاحظة الذاتية، والتوجيه الذاتى، وتصميم وتقديم مكافآت متنوعة فى بيئة العمل، وتبنى أنماط من التفكير البنّاء لبلوغ الأهداف التى يريدونها (Stewart, 1992).

٢- **القائد الإدارى** : « شخص يشغل موقعا إداريا فى الهيكل التنظيمى لمنظمة ما، حكومية أو خاصة، يقوم بتوجيه مجموعة من العاملين تحت رئاسته لتحقيق الأهداف الموكلة إليهم من قبل المنظمة بأقصى قدر من الكفاءة (شوقى، ١٩٩٥، Coopey et al , 1997).

٣- **القدرات والمهارات الشخصية** : وسيقتصر تعاملنا فى البحث الحالى على ما يلى منها:

- القدرات العقلية (التقييم - النقد - التذكر - التركيز والانتباه - اتخاذ القرار - الاستدلال).

- القدرات الإبداعية (الطلاقة - المرونة - الأصالة - الحساسية للمشكلات)

- المهارات الاجتماعية (توكيد الذات - إقامة علاقة مع الآخر، مواجهة المواقف العصيبة - الفراسة الاجتماعية) (*).

- المهارات الاتصالية (القراءة السريعة - الكتابة الواضحة - الإنصات - التحدث - الإقناع).

عقب تعريف أبرز المفاهيم المستخدمة فى الدراسة إجرائيا ننتقل إلى الخطوة التالية لها منطقيا فى مسلسل البحث العلمى ألا وهى استقراء الجهود التى بذلها الباحثون السابقون لدراسة تلك الظاهرة وسيكون ذلك على النحو التالى:

الإطار النظرى والدراسات السابقة:

حين نفحص ما توافر بين أيدينا من إنتاج فكرى للعلماء والباحثين فى هذه

(*) لمزيد من المعلومات المفصّلة حول هذه القدرات والمهارات انظر: إبراهيم، ١٩٨٧؛ شوقى، ١٩٩٣؛ و ١٩٩٥).

المنطقة البحثية بغية الاستعانة به فى فهم تلك القضية، واستكناه ما غمض علينا من بعض جوانبها -سنخال أنه بمقدورنا تصنيفه، بصورة مبدئية، فى فئتين رئيسيتين مقترحتين هما :

أولا : دراسات خاصة بالتقييم والتشخيص الذاتى لأوجه القصور فى القدرات والمهارات الشخصية.

ثانيًا : دراسات تتعلق بالأساليب المستخدمة للتغلب على أوجه القصور فى القدرات والمهارات الشخصية.

وفيما يلى نقدم عرضًا أكثر تفصيلا لكل فئة مما سبق.

أولاً :التقييم والتشخيص الذاتى لأوجه القصور فى القدرات والمهارات الشخصية:

تتمثل نقطة البداية فى عملية التنمية الذاتية فى وعى الفرد بالمستوى الراهن لقدراته ومهاراته المتعددة، وتقييمها، وتشخيص الأسباب المسئولة عن أوجه القصور الموجودة فيها توطئة لاقتراح وممارسة أساليب معينة للتغلب عليها.

ويشير الباحثون إلى أن عملية التشخيص الذاتى تتم وفق خطوات متتابعة أولاها الوعى بالذات ثم مراقبتها ثم التعرف على الأسباب المسئولة عما بها من قصور، وقد أجريت دراسات عديدة على كل مرحلة منها للوقوف على آليات تنفيذها وحدود دورها فى القيام بتلك العملية النوعية التى تعتبر إحدى حلقات سلسلة التنمية الذاتية.

وفيما يلى نشير إلى أبرز ما بذل من جهود فيما يتصل بتلك الخطوات على النحو التالى :

(أ)الوعى بالذات Self - conciousness :

يشير مفهوم الوعى بالذات إلى قدرة الفرد على الوعى بنفسه كموضوع للملاحظة أثناء تفاعله مع الآخرين (Tedeschi et al, 1985, 92)، ويشير « كارفر » إلى أنه يقيس بعدين هما :

- الوعى بالذات الخاصة Private self وتأمل ما يحدث فيها، ومن البنود التى تقيس هذا البعد « أنا واعى بالطريقة التى يعمل بها عقلى ».

- الوعى بالذات العامة Public self، والذى يعكس ميلاً للفرد للاهتمام بالجانب الاجتماعى الظاهر للذات إبان التفاعل مع الآخرين (carver et al, 1985). وقد تبين فى إحدى الدراسات التى أجريت لتقييم دور متغير الوعى بالذات فى عملية التنمية الذاتية أن المرتفعين على الوعى بالذات الخاصة لديهم رغبة فى الحصول على معلومات أكثر تفصيلا حول أنفسهم، وأنهم أكثر دقة فى وصفهم لسلوكهم، وأكثر تقبلاً للعائد العام الذى يقدمه الآخرون حوله، وأكثر ميلاً للنقد الذاتى، والوقوف على أسباب القصور لديهم (davis, 1997)، ولا يكتفون بذلك بل يسعون للتغلب عليها بصورة منظمة (sedikides, 1993) وأنهم، كما أوضحت نتائج دراسة أجراها « ستيل » steele، أكثر تركيزًا على ما لديهم من نقاط قوة، وبالتالى فهم أكثر قدرة على الإنجاز (Brown & Mankowski, 1993; dytton & Brown, 1997) يضاف إلى ذلك أن معرفة الذات والوعى بها تفيد فى عملية تنظيم الذات، وتساعد القادة فى حالة توفرها لديهم على القيام بعملية التنمية الذاتية، فمن يعرف حدود نفسه سيمكنه تطويرها، أما من يتجاهل ذلك فلن يتقدم لأنه لن يعدل ذاته، وسيظل يتعامل بنفس الطريقة غير الفعالة مع المواقف المتغيرة.

ومن ثم ينبغى على القائد الفعال - أو الذى يرغب أن يكون كذلك - أن يقيم نفسه، ويتعرف على إمكاناته بلا تحيز أو خجل، وعليه أن يصحح الجوانب التى يعانى فيها من ضعف، والاقتناع دومًا بأنه لا حدود للمهارة والمعرفة وأن هناك مجالا دائمًا للتحسين والتطوير (السلمى، ١٩٩٢).

(ب) مراقبة الذات Self - monitoring :

عقب وعى القائد بوجود بعض الصعوبات التى يواجهها فى جوانب معينة فإنه يعمل بصورة مقصودة على مراقبة ذاته بغية الوقوف بصورة مفصلة على الجوانب

النوعية لتلك الأوجه من القصور (Hogan etal, 1994)، والتى قد تتمثل فى صعوبة سيطرته على الوقت الذى تستغرقه لقاءاته مع الآخرين، وضعف مهاراته الاتصالية، وعدم قدرته على التفاوض، أو فض النزاع الناشب بين مرؤوسيه. ويشير « ذاكورو» zaccoro, 1991 إلى أنها من أهم السمات المرتبطة ببزوغ القادة (Karoly, 1993)، وتفترض نظرية مراقبة الذات التى قدمها « شنايدر » Snyder والتى تركز بصورة خاصة على مراقبة الذات إبان تفاعلها مع الآخرين - وجود خمسة مكونات للمفهوم وهى :

- الاعتناء بمدى ملاءمة السلوك الاجتماعى للبيئة المحيطة.
- الانتباه للمعلومات الخاصة بالمقارنات الاجتماعية.
- القدرة على التحكم فى وتعديل تقديم الذات.
- استخدام تلك القدرة فى مواقف معينة.
- تغيير السلوك الاجتماعى كدالة للموقف.

وقد صمم « شنايدر » مقياسًا لقياس تلك السمة التى تتمثل أهميتها فى أنها تمكن الفرد وتجعله أكثر قدرة على استشفاف المعانى التى يرغب الآخرون فى التعبير عنها، وتوظيف تلك المعلومات فى توجيه تفاعله معهم (pledger, 1992). إن المراقب لذاته يستخدم هاديات الآخرين كموجهات لعملية مراقبة أسلوب تقديمه لذاته، ويسأل نفسه: ماذا علىَّ أن أفعل لأبدو بصورة أفضل؟ (Dobbs etal, 1980)، ومن ثم فهو أكثر وعيا بكيفية إدراك الآخرين له، ويميل لتنظيم سلوكه ليتواءم بصورة مرنة مع توقعاتهم، وأكثر قدرة على التأثير فى الآخرين، ومهارة فى إدارة التفاعلات الاجتماعية معهم (Leenox & wolf, 1984; Tedeschi etal, 1985, 70).

ويضيف « هيجانز » أن الناس تراقب نفسها لتقف على التعارض بين حالتهم الراهنة والحالة التى يرغبون بلوغها بهدف التقريب بين الحالتين (Higgins. 1996)، ومن هنا فهى وسيلة للتغيير من منطلق أن تلك العملية توفر معلومات كافية للفرد

حول واقعه الحالى ومن ثم يسهل عليه التخطيط لتغييره، ليصبح أكثر اقترابًا مما يأمل بلوغه.

(جـ) التشخيص الذاتى:

عقب مراقبة الذات والحصول على معلومات كافية حولها يميل الفرد للدخول فى عملية التشخيص أى محاولة فهم الأسباب المسئولة عن أوجه قصوره بصورة دقيقة نسبيا، والتشخيص الذاتى ضرورى لبدء عملية التنمية، ويهدف إلى الإجابة عن سؤال : لماذا أنا غير راضٍ عن نفسى ؟ وكيف أغير تلك الحالة ؟ وهناك أربعة خيارات إزاء حالة عدم الرضا تلك : أن أتكيف معها، أو أهرب منها، أو أدعو الآخرين لتغييرها، أو أغير نفسى، والخيار الأخير هو الذى يتطلب بالضرورة برنامجًا للتنمية الذاتية : وحرى بالذكر أن بعض برامج التنمية النظامية مثل برنامج إدارة الذات (Self Management programme (SMP تتضمن عنصرا تشخيصيا حيث يُقيّم الأفراد فيه أنفسهم فى ضوء قائمة الصفات والمهارات الإدارية التى يجب أن يتحلوا بها لكى يصبحوا فعالين (Pedler, 1993). ويلاحظ هنا إمكانية التفاعل بين البرامج النظامية والذاتية للتنمية حيث يمكن للفرد الاستعانة بذلك المقياس فى تقييم ذاته قبيل الشروع فى تنميتها ذاتيا. وتتمثل أهمية تلك الخطوة فى أنها تسهم فى تحديد وتقييم الاحتياجات التدريبية للفرد (Stewart, 1992)، وعقب تشخيص الموقف الراهن لقدرات الفرد ومهاراته، وبعد أن تتضح معالم الصورة على نحو يمكنه من تحديد ما يجب عليه تغييره، تنشط لديه الدافعية لتغيير ذاته، ويضع بعض الأهداف الموجِّهة لعملية التنمية، ومما قد يساعده على ذلك أن يكتب تلك الأهداف بصورة إجرائية (سأؤكد ذاتى بصورة أكبر، سأنقد الآخرين مباشرة)، ويصمم برنامجًا لبلوغ تلك الأهداف يحوى مواقف وتوقيتات وأساليب محددة (Pedler, 1993).

ثانيا: الأساليب المستخدمة للتغلب على أوجه القصور فى القدرات والمهارات الشخصية:

من المفترض أن يلجأ القادة إلى أساليب متنوعة لتنمية ذواتهم، وقد أشارت بعض نتائج الدراسات الواقعية إلى العديد من تلك الأساليب، ومن بينها ما ذكره كل من « ويليام، ولونج » William & Long فى نموذجيهما للتغيير الذاتى Model of Self Change (MOSC) والتى تتمثل فى :

- تطوير بيئة اجتماعية مساندة للوصول إلى الهدف المحدد.
- التحكم فى الحديث الذاتى وتحويله من الطابع السلبى إلى الإيجابى.
- تحليل الخبرة الماضية لاستخلاص الدروس الرئيسية منها.
- التجريب وارتياد مجالات جديدة.
- عقد المقارنات.
- طرح الأسئلة.
- الاقتداء بالنماذج المحيطة الجديرة بذلك والتى أحرزت نجاحًا فى هذا المضمار. (Williams , 1992; Mcnally etal , 1996)، ويذكر « بدلر » طرقًا أخرى أوردها على لسان القادة أنفسهم منها :

- أرتب البيئة المادية بصورة تساعدنى على التغيير.
- أستخدم التدعيم الذاتى بكفاءة.
- أسجل أى تغيير يحدث كتابيا.
- أكافئ نفسى حين أقترب من تحقيق أهدافى.
- أقرأ كتابًا حول صفات المدير النموذجى وأقارن نفسى فى ضوئها.
- استشير متخصصًا وأسأله كيف أحسن نفسى (Pedler, 1993).

وفى دراسة أجراها « كوزى وبوسنر » سألا فيها مجموعة من القادة كيف تعلمتم القيادة ؟ فكانت إجاباتهم على النحو التالى :

- لقد لاحظت أساليب ومهارات رؤسائى الذين أحترمهم.

- من خلال الفعل والتعلم من أخطائى.

- من الخبرة ومحاولة تطويع الأساليب الناجحة التى مارسها الآخرون.

- قراءة مذكرات القادة الذين أعجب بهم لأعرف كيف يفكرون (Kouzes & posner, 1999. 324).

ويشير « بوسترونج » فى هذا المجال إلى أن القراءة من بين الأشياء المهمة التى يمكن للمدير اللجوء إليها بوصفها طريقة فعالة للتغلب على نقاط ضعفه (بوسترونج، ١٩٧٦، ٥٠٠).

- الانضباط، والتحليل الذاتى، وتخصيص وقت كافٍ (الشيخلى، ١٩٩٢، ٤٣).

- ركز بعض الباحثين، وبصورة ملحوظة، على دور الآخرين فى عملية التنمية الذاتية بوصفه دورًا متعدد الأبعاد فهم الذين يُبَصّرون الفرد ببعض أوجه ضعفه، ويقدمون له، أحيانًا، المشورة المتعلقة بصياغة خطط للتغلب عليها، وهم المرآة التى يعرف مدى تقدمه من خلالها بما يزودونه به من عائد، وهم فى النهاية المستفيدون من تغيره للأحسن، كما كانوا هم المتضررين من ضعفه قبل ذلك. وقد أشار « ديكسون » إلى زاوية مفيدة فى تلك المسألة قوامها أن القائد يتعلم كثيرًا من المحادثات التى تجرى مع الزملاء فى قاعات المؤتمرات والندوات والأروقة Hallway، وأماكن تناول الطعام أثناء فترات الراحة، فهى أحاديث تتسم بالندية، ويتبادل فيها الأفراد بعضًا من فهمهم الخاص للأمور، ومن ثم يتعدل فهم كل منهم لها، فضلا عن أنها تشجع الفرد على تبنى مناظير متعددة للأمور، وتوسع من قاعدة بياناته، وتعطيه هاديات مبدئية حول ما يجب عليه أن يفعل ليتسق مع التوجيهات

غير المدونة للمنظمة (Dixon, 1997)، وينوه « فيلمر » إلى صيغة يدمج فيها بين التعلم من خلال الفعل action learning والتعلم من خلال الزملاء استخدمتها « موتورولا »، وهى من كبريات شركات الاتصالات فى العالم، تعتمد على نقل عمليات التعلم من مستوى المعرفة إلى الممارسة حيث قدموا معلومات أولية حول السوق الآسيوية إلى ١٠٠ مدير، وبعد ذلك أرسلوهم إلى تلك السوق ليروها بأنفسهم، وبعد أن عادوا منها تفاعلوا مع ثلاثة آلاف متدرب لكى يعلموهم هذا الموضوع (Fulmer, 1997).

من خلال استقراء معالم الدور الجوهرى للآخرين فى عملية التنمية الذاتية يمكننا القول إن كل من ينجح على درب التنمية الذاتية يجب أن تكون لديه شبكة واسعة من العلاقات مع الآخرين، وهو ما دعا البعض إلى اعتبار عملية التفاعل مع جماعة صغيرة إحدى أساليب التنمية الذاتية (pedler, 1993).

تعقيب على التراث النظرى والدراسات السابقة :

حين نلقى نظرة فاحصة على التراث النظرى والإمبيريقى المتراكم حول ظاهرة التنمية الذاتية نجد من الضرورى تسجيل النقاط التالية إزاءه مفادها :

١- **ركزالباحثون** على دور بعض الآليات المتصلة بإدراك وتقييم الذات بصورة عامة، بيد أنهم لم يتطرقوا بصورة ملحوظة لإدراك القادة لأوجه القصور فى الجوانب السلوكية النوعية إبان ممارساتهم القيادية، والتى تتصل بالجوانب المعرفية والمهارية، وبناء على ذلك فإننا سنُعنى فى بحثنا هذا بمدى إدراك القادة ووعيهم بأوجه القصور فى قدراتهم العقلية والإبداعية النوعية بالإضافة إلى مهاراتهم الاجتماعية والاتصالية، أى سنحاول بقدر الإمكان، تمثيل تلك الجوانب النوعية المستهدفة للتقييم الذاتى، ومن ثم للتنمية، فى الدراسة الحالية.

٢- **معظم الدراسات** التى عرضنا لها أجريت فى الثقافة الغربية على مديرين فيها، وبما أن للخصوصية الثقافية دورًا لا يمكن تجاهله فى تشكيل كل الظواهر النفسية بما فيها التنمية الذاتية، فلنا أن نتوقع وجود بعض الاختلافات فى ملامح

تلك الظاهرة فى ثقافتنا من قبيل ظهور بعض أساليب يشيع استخدامها من قبل المديرين الغربيين فى عملية التنمية الذاتية قد لا تكون موجودة لدى مديرينا، والعكس صحيح أيضا، يضاف إلى ذلك أن إجراء تلك الدراسة سيمكننا من عقد مقارنات حول خصائص عملية التنمية الذاتية فى الإطار التنظيمى فى الثقافات المختلفة للكشف عما تمارسه الثقافة العامة والتنظيمية من آثار فى تلك العملية على نحو يمكننا من توظيف الجوانب الإيجابية لهذا الدور، وتوقى آثاره السلبية، لذا فإنه حرى بنا إجراء دراسة على قادة إداريين مصريين من مستويات إدارية متنوعة للوقوف على خصائص وآثار تلك العملية.

٣- **هناك بعض** المتغيرات المتوقع أن تكون مسئولة جزئيا عن تحديد طبيعة إدراك المديرين لأوجه القصور لديهم، وتحديد طبيعة الأساليب المستخدمة فى التغلب عليها، من قبيل مدة الخبرة فى العمل الحالى، والمستوى الإدارى للفرد، ونوعه، وعدد المرؤوسين العاملين معه، وحيث إن العديد من الدراسات السابقة التى أمكن التوصل لها لم تتطرق إليها بصورة محددة، فإننا سنعمل على وضع بعضها فى الاعتبار فى الدراسة الحالية إما بدراستها مباشرة أو، على الأقل، ضبطها حتى نقلل من آثارها غير المتحكم فيها فى تلك الظاهرة.

٤- **لم تشر** أى من هذه الدراسات أو تتناول بصورة واضحة مسألة مدى تقدير فعالية تلك الأساليب بعد استخدامها، ومن ثم سنحاول أن نضع فى الحسبان الحصول على تقييمات المديرين أنفسهم لمدى نجاح تلك الأساليب التى استخدموها فى التغلب على ما أدركوه من أوجه قصور لديهم.

بناء على الدروس التى تم استخلاصها من استقراء جهود الباحثين السابقين فإنه يمكن للباحث صياغة **فروض الدراسة** الرئيسية صفريا على النحو التالى :

- لا يدرك القادة الإداريون أوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية المتنوعة.

– لا يمارس القادة الإداريون أساليب ذاتية للتغلب على ما قد يكون لديهم من أوجه قصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية لتحسين كفاءتهم الإدارية.

– لا توجد فروق دالة بين القادة الإداريين الأحدث والأقدم خبرة فى العمل الحالى فى إدراك أوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية وطبيعة الأساليب المستخدمة للتغلب عليها إن وجدت.

منهج الدراسة:

مجتمع وعينة البحث:

تكون مجتمع الدراسة من القادة الإداريين المصريين فى المؤسسات الحكومية والخاصة والقطاع العام. وتم اختيار عينة منهم بالطريقة المقصودة مكونة من (١٢٠) فردا ممن يرأسون عددا لا يقل عن ثلاثة أفراد، وقد كان متوسط عدد العاملين تحت رئاستهم ١٧,٨ ± ٢٨,٤ مرؤوس. أما متوسط عمرهم فهو ٤٢,٢ ± ٧,٩ عام، وبلغت نسبة المتعلمين تعليمًا متوسطًا منهم (١٨,٣٪)، وجامعيا (٤٥,١٪)، وتعليمًا أعلى من الجامعى (٣٦,٦٪). أما فيما يتصل بمتوسط سنوات الخبرة فى العمل بشكل عام فقد بلغ ١٨,٦ ± ٧,٨ عام، وفى الوظيفة القيادية الحالية فقد كان ٩,٧ ± ٧,٩ عام، وكان (٨٧,٥٪) منهم ذكورا (ن=١٠٥) مقابل (١٢,٥٪) من الإناث (ن = ١٥) وكان ٧٠,٨٪ منهم يعملون فى جهات حكومية والقطاع العام (ن =٨٥) مقابل ٢٩,٢ ٪ يعملون فى مؤسسات خاصة (ن = ٣٥).

الأدوات:

تمثلت الأداة الرئيسية للدراسة فى استخبار مكون من ٤٢ بندًا يوجه (*) للمبحوث فى صورة استبيان مقنن، يعبر كل بند منها عن أحد السلوكيات المتعلقة بقدرات الفرد ومهاراته المتنوعة، والمطلوب منه أن يجيب عن كل منها من ثلاث زوايا:

(*) كنموذج لتلك البنود : هل تجد صعوبة فى قراءة ما يعرض عليك من مكاتبات فى العمل بسرعة أكبر لتوفر وقتك ؟

- تقدير مدى الصعوبة التى يدركها فى ممارسة هذا السلوك، وذلك على متصل رباعى (أجد صعوبة بدرجة كبيرة، أو متوسطة، أو قليلة، أو لا أجد صعوبة).

- إن كان يجد صعوبة فى ممارسة هذا السلوك فما هى الأساليب التى يلجأ إليها للتغلب على هذه الصعوبة.

- ما تقديره المئوى لنسبة نجاحه فى ذلك.

وقد اجتازت الأداة عدة خطوات لتصل إلى صورتها النهائية، تتمثل فيما يلى:

١ - **تم توجيه** سؤالين مفتوحين (*) ، لعينة مكونة من (٣٠) قائدًا إداريًا فى القطاعين العام والخاص بلغت نسبة الذكور منهم (٨٣,٤٪) مقابل (١٦,٦٪) من الإناث.

وكان السؤالان يتعلقان بمدى إدراك القائد لنقاط القوة والضعف فى قدراته العقلية والإبداعية ومهاراته الاتصالية والاجتماعية وسماته المزاجية، وما طبيعة الأساليب التى مارسها لتنمية القوى منها والتغلب على ما بالضعيف منها من أوجه قصور.

٢- **عقب ذلك** تم تحليل محتوى إجابات هؤلاء الأفراد للتوصل إلى الجوانب النوعية والسلوكيات المفصلة التى يدركون أوجه قصور فيها، فضلا عن طبيعة الأساليب الذاتية (**) التى يميلون إلى استخدامها للتغلب على ما بها من قصور. وتم

(*) السؤالان هما :

- ما هى نقاط القوة فى قدراتك العقلية والإبداعية وسماتك الشخصية ومهاراتك الاجتماعية والاتصالية ؟ (قدم الباحث تعريفا إجرائيا لهذه القدرات والمهارات للقادة مع ضرب أمثلة توضيحية لها) ، وما هى الأساليب الذاتية التى عاونتك فى تنميتها لتصل إلى ذلك المستوى؟

- ما هى مواطن الضعف فى قدراتك العقلية والإبداعية وسماتك الشخصية ومهارتك الاجتماعية والاتصالية ؟ وما هى الأساليب الذاتية التى تلجأ إليها للتغلب على ذلك الضعف، ومن ثم تنمية تلك الجوانب ؟ .

(**) فيما يتصل بتلك الأساليب فقد تعاملنا معها بوصفها مؤشرات مبدئية لفهم ذلك الجانب من الظاهرة حيث أننا فضلنا توجيه سؤال مفتوح فى الأداة الرئيسية أمام كل بند حول الأساليب التى يلجأ إليها القائد للتغلب على ما يدركه من أوجه قصور فى السلوك الذى يشير إليه ذلك البند .

التوصل من ذلك الإجراء إلى مجموعة من البنود التى تعكس الجوانب النوعية التى يجب أن نسأل عنها، وتضمنتها الأداة الرئيسية، بوصفها من العناصر الأكثر استهدافا لمحاولات التنمية الذاتية.

وقد أضاف الباحث إليها بعض البنود التى توصل إليها من خلال اطلاعه على التراث السابق، ومن خلال تفاعله مع القادة فى مجالات متعددة، وقد بلغ عدد هذه البنود (٤٨) بندا، تم تصنيفها فى فئات أربع كبرى هى : القدرات العقلية، والإبداعية، والمهارات الاجتماعية، والاتصالية، ويلاحظ أنه تم تصنيف هذه المجموعات الأربع من البنود إلى مجموعة من الفئات النوعية بلغ عددها (١٩) فئة فرعية.

٣- **قدمنا** تلك البنود إلى ستة من المتخصصين فى علم النفس [*] و طلبنا منهم تحديد ما إذا كانت البنود واضحة أم لا، وهل كل منها ينتمى إلى الفئة المفترضة من الفئات الأربع الكبرى أم لا (بعد أن قدمنا لهم تعريفا إجرائيا لها).

وجدير بالإشارة أنه قد تم إدخال بعض التعديلات على البنود فى ضوء هذه الخطوة تمثلت فى إعادة صياغة بعضها بحيث أصبح أكثر وضوحًا، ويشير إلى سلوكيات محددة يسهل قياسها، ولا يتضمن أحكامًا قيمية، فضلاً عن استبعاد البنود التى لم يُجمع المحكمون على أنها تنتمى لتلك الفئات الأربع الكبرى بحيث أصبح عدد البنود (٤٢) بندًا فقط.

٤- **عقب** ذلك تم تقديم تلك البنود إلى عشرة من القادة فى المستويات الإدارية المتنوعة للتأكد من دقة صياغتها، وسهولة فهمها، ومدى تعبيرها عن السياق الذى يعايشونه، وقد أشاروا إلى أنه يسهل فهمها وأنها تعبر عن واقعهم الإدارى اليومى.

وحرى بالذكر أن الأداة فى شكلها النهائى تضمنت (١٥) بندًا تعبر عن

(*) يشرف الباحث بتوجيه الشكر العميق إلى هؤلاء الزملاء على ما بذلوه من جهد محمود فى تحكيم هذه الأداة وهم: د. فتحى الشرقاوى، د. جمعة سيد يوسف، د. محمود غلاب، د. محمد سمفان، د. شعبان رضوان، د. محمد نعيمة.

سلوكيات تعكس بعض القدرات العقلية (الانتباه، التذكر، الاستدلال، النقد، اتخاذ القرار والتقييم)، و (٨) بنود تتصل بالقدرات الإبداعية (المرونة، الأصالة، الطلاقة والحساسية للمشكلات)، و (٨) بنود خاصة بالمهارات الاتصالية (الإنصات، التحدث، القراءة السريعة، الكتابة الواضحة، والإقناع)، و (١١) بندًا تتعلق بالمهارات الاجتماعية (توكيد الذات، تكوين علاقة، الفراسة الاجتماعية، ومواجهة المواقف العصيبة).

٥ – **الخصائص السيكومترية للأداة:** عقب ذلك حاولنا تقدير مدى تمتع تلك الأداة بالخصائص السيكومترية المتعارف عليها، والتى يجب توفرها فى الأداة النفسية المقبولة، والتى تتمثل فيما يلى :

الثبـات:

تم تقدير الثبات من خلال حساب نسبة الاتفاق بين فئات الإجابة عبر التطبيقين الأول والثانى، الذى تم بفاصل زمنى مقداره أسبوعان، على عينة مكونة من (٢٠) قائدًا إداريا، ويحوى الجدول التالى رقم (١) نتائج ذلك الإجراء.

جدول رقم (١)

يبين معاملات ثبات الأداة مقدرًا بنسب الاتفاق فى الإجابات عبر التطبيقين الأول والثانى

نسبة الاتفاق	أرقام البنود	عدد البنود
١٠٠٪	١٠ – ٢٩ – ٣١ – ٣٢ – ٣٤ – ٤٢	٦
٩٥٪	١-٢-٣-٢٧-٢٨-٣٧-٤١	٧
٩٠٪	٤-٦-٩-١١-١٢-١٣-١٤-١٥-٢١-٢٣-٢٤-٢٦-٢٨-٣٥-٣٦-٣٨-٣٩-٤٠	١٨
٨٥٪	١٦-١٨-٢٠-٢٢-٢٥-٣٣	٦
٨٠٪	٥-١٧-٣٠	٣
٧٥٪	٧	١
٧٠٪	٨	١
اجمالى عدد البنود		٤٢

توضح نتائج الجدول السابق أن معظم البنود ذات ثبات مرتفع، والقليل منها يعد مقبولا بدرجة مناسبة أيضا، مما يدعم ثقتنا فى استقرار استجابات المبحوثين بصورة مُرضية.

الصدق:

تم الاعتماد على عدة أنواع من الصدق للتيقن من صدق الأداة هى :

أ- صدق المحتوى:

انطلاقا من أن بنود الأداة أتت من خلال تحليل مضمون إجابات القادة أنفسهم وما ذكروه من جوانب سلوكية يدركون أن بها بعض أوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم إبان ممارساتهم أدوارهم القيادية، وحيث إنه تمت صياغة تلك البنود فى ضوء التعريفات الإجرائية المتعارف عليها علميا لتلك الجوانب ؛ إذن يحق لنا استنتاج أن هذه الأداة تتمتع بصدق المحتوى، أى أن بنودها تعبر عن المحتوى المراد قياسه، وهو إدراك القادة لأوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية، وجدير بالإشارة أن هناك مؤشرات إضافية تدعم هذا النوع من الصدق هى :

- صدق المحكمين : بما أنه قد تم تقديم تعريفات إجرائية للقدرات والمهارات التى تعكسها بنود الأداة لمجموعة من المتخصصين، وبما أنهم قرروا أن تلك البنود تنتمى لتلك القدرات والمهارات بدرجة مرتفعة من الاتفاق فيما بينهم، إذن فهذا يعد مؤشرا إضافيا لصدق محتوى الأداة.

- التجانس : بما أن تجانس بنود الأداة يعد مؤشرا مبدئيا لصدقها على أساس أن كل مقياس صادق متجانس، والعكس غير صحيح بالطبع، لذا فقد حاولنا إثبات تجانس بنود الأداة وذلك من خلال الإجراءات التالية :

● حسبنا ارتباط كل بند بإحدى القدرات والمهارات الأربع الكبرى التى ينتمى إليها، ويحوى الجدول التالى رقم (٢) قيم تلك المعاملات.

جدول رقم (٢)

يبين معاملات ارتباط البنود بالقدرات والمهارات الأربع الكبرى

معامل ارتباط		معامل ارتباط		معامل ارتباط		معامل ارتباط	
البند	بالقدرات العقلية	البند	بالمهارات الاجتماعية	البند	بالقدرات الإبداعية	البند	بالقدرات الاتصالية
١	٠,٦٤	٩	٠,٤٨	٨	٠,٧٠	٢٣	٠,٧٨
٢	٠,٤٨	١٠	٠,٦٤	١٣	٠,٦٨	٢٤	٠,٨٠
٣	٠,٦٩	٣١	٠,٦٠	١٧	٠,٤٧	٢٥	٠,٦٤
٤	٠,٤٠	٣٢	٠,٥٥	١٨	٠,٦٩	٢٦	٠,٣٨
٥	٠,٦٢	٣٣	٠,٤٩	١٩	٠,٦٥	٢٧	٠,٦١
٦	٠,٥٠	٣٤	٠,٦٧	٢٠	٠,٦٠	٢٨	٠,٦٦
٧	٠,٥٣	٣٥	٠,٦٩	٢١	٠,٥٥	٢٩	٠,٧٠
١١	٠,٦٩	٣٦	٠,٧٠	٢٢	٠,٤٥	٣٠	٠,٤٧
١٢	٠,٦٦	٣٧	٠,٥٨				
١٤	٠,٤٠	٣٨	٠,٥٤				
١٥	٠,٥٤	٣٩	٠,٦٤				
١٦	٠,٤١						
٤٠	٠,٥٨						
٤١	٠,٦٧						
٤٢	٠,٣٥						

تشير نتائج معاملات الارتباط فى الجدول السابق رقم (٢) إلى أن كل معاملات ارتباط البنود بالفئات الكبرى التى تنتمى إليها دالة عند مستوى (٠,٠١) مما يعنى تجانس البنود المنتظمة فى كل فئة، وهو ما يتسق مع نتائج صدق المحكمين.

• بما أن هذه البنود المنتمية للمهارة الكبرى تنتظم فى مهارات فرعية أضيق (١٩ مهارة) فقد قمنا بحساب ارتباط الدرجة على المهارة الفرعية بالدرجة على المهارة الكبرى المتضمنة فيها، وتبين أن جميع تلك الارتباطات كانت دالة أيضا عند

مستوى (٠,٠١) مما يدعم تجانس تلك البنود وصدق هذا التصنيف أيضًا، ويوضح الجدول التالى رقم (٣) نتائج ذلك الإجراء.

جدول رقم (٣)

يبين معاملات ارتباط الدرجة على القدرات والمهارات الفرعية بالدرجة على القدرات والمهارات الكبرى التى تنتظم فيها

القدرات العقلية		القدرات الإبداعية		المهارات الاتصالية		المهارات الاجتماعية	
قدراتها الفرعية	معامل الارتباط بينهما	قدراتها الفرعية	معامل الارتباط بينهما	قدراتها الفرعية	معامل الارتباط بينهما	قدراتها الفرعية	معامل الارتباط بينهما
التذكر	٠,٧٩	المرونة	٠,٨٢	الكتابة الواضحة	٠,٨٤	توكيد الذات	٠,٨٣
النقد	٠,٦٤	الأصالة	٠,٥٥	القراءة السريعة	٠,٦٤	تكوين علاقة مع الأخر	٠,٧٤
الاستدلال	٠,٧٧	الطلاقة	٠,٦٨	التحدث	٠,٦٧	الفراسة الاجتماعية	٠,٧١
التقييم	٠,٧٠	الحساسية للمشكلات	٠,٨٢	الإنصات	٠,٤٧	مواجهة المواقف العصبية	٠,٨٥
التركيز	٠,٦٧			الإقناع	٠,٨١		
والانتباه اتخاذ القرار	٠,٧٥						

● حين قمنا بحساب معامل ارتباط كل بند بالمهارة الفرعية التى ينتمى إليها من المهارات التسع عشرة فى الدراسة تبين أن جميع هذه الارتباطات كانت دالة أيضا عند مستوى (٠,٠١) مما يعنى أن البنود تنتمى للمهارة الفرعية المفترض أن تندرج تحتها (*).

ب- صدق التكوين:

هناك مجموعة من التوقعات المسبقة مستمدة من أطر نظرية، ونتائج دراسات سابقة من بينها أن القادة الأحدث خبرة فى العمل سيكونون أكثر إدراكًا لأوجه القصور لديهم، وأنهم أكثر استخداما لأساليب متنوعة للتغلب عليها مقارنة بالأقدم

(*) يمكن الاتصال بالباحث للحصول على هذه التفاصيل نظرًا لعدم إمكانية نشرها لضيق المساحة.

خبرة. كذلك يتوقع أن المدير المصرى أقل ميلاً لاستخدام أساليب معينة لتنمية ذاته من قبيل القراءة والاطلاع، وتقبلاً للنقد، كذلك فإن القدرات الإبداعية ستكون من أكثر القدرات التى سيقرر القادة أنهم يعانون من صعوبات إبان ممارسة مهام تتطلبها نظرًا لأنه يتوقع أن الثقافة العامة للمنظمات لا تركز، ولا تشجع، بصورة محورية على هذا الجانب، وبناء على ذلك فإنه لو قدمت نتائج الدراسة دعمًا لهذه التوقعات، واتسقت معها، فإن هذا سيعد أحد أشكال الصدق التكوينى للأداة والذى يؤمل التوصل إليه لاحقًا عقب تحليل نتائج البحث.

التصميم المنهجى للدراسة:

تنتمى هذه الدراسة إلى فئة الدراسات التى تستخدم المنهج الوصفى الاستكشافى فضلاً عن السببى المقارن كمرحلة لاحقة ومكملة للاستكشافى.

الإجراءات:

حتى نتمكن من وضع هذه التصميمات موضع التنفيذ قمنا بعمل الإجراءات التالية :

- تم وضع شروط لاختيار مفردات العينة قوامها أن يكون القائد رئيسا لما لا يقل عن ثلاثة أشخاص، وأن يشغل موقعا قياديا فى إحدى المؤسسات الحكومية، أو الخاصة، سواء كان ذكرًا أم أنثى.

- تم تدريب الباحثين على تطبيق الاستمارة ومناقشة المشكلات التى واجهتهم إبان ذلك على حالات تجريبية - تدريبية.

- قام الباحثون (*) بتطبيق الأداة فى صورة استبيان مقنن على المبحوثين فى أماكن عملهم فى جلسات كانت تستغرق ما يتراوح بين ٤٥ - ٦٠ دقيقة.

(*) يتوجه الباحث بجزيل الشكر للأخوة والأخوات الذين عاونوه فى جمع البيانات من الميدان وهم: الأساتذة نشوة عبد التواب، وغادة عبد الغفار، ومحمد صديق، وأمانى عبد العظيم. المدرسون المساعدون بقسم علم النفس جامعة المنيا، وعماد، وعصمت بالتربية والتعليم.

– ظهـرت بعـض المشكلات أثناء التطبـيق من أبرزها أنه نظرًا لضـيق وقت بعض القـادة كـان بعضـهم يعتذر عن إكمـالهـا، أو يجيـب عن بعض الأسـئلة ويتـرك البـعض الآخـر ممـا اضطرنا إلى اسـتبـعـاد هذه الحـالات على الرغـم من صـعـوبة الوصول إليها ابتداء.

– تم تصنيف أفـراد عينة البـحث فى ضوء متغيـر مـدة الخبـرة فى الوظيـفة الحـالة إلى فـئـتين : الجـدد وهم من لم يمـر على شـغلهم المنصب أكثـر من خـمس سنوات، والقـدامى وهم من مرَّ على شـغلهم المنصب أكـثـر من عـشـر سنوات حتى ندرس الفروق بينهما فى إدراك أوجه القصور وأساليب التغلب عليها.

أساليب التحليل الإحصائى:

استـخدم الباحث عددًا من الأسـاليب الإحصائيـة التى تتناسب وطبيعـة فروض الدراسة وبياناتها وهى :

– المتوسطات والانحرافات المعيارية، والتكرارات، والنسب المئوية.

– معادلة دلالة الفروق بين النسب المئوية (النسبة الحرجة).

– معاملات الارتباط المستقيمة.

النتائـج:

ثمة محاور ثلاثة سنعرض لنتائج الدراسة من خلالها هى :

أولا : مدى إدراك القادة لأوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية.

ثانيا : طبيعـة الأساليب التى يستخدمها القادة للتغلب على أوجـه القصور التى يدركونها فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية.

ثالثا : دور متغير مدة الخبرة فى الوظيفة القيادية الحالية فى تحديد أوجه القصور المدركة وسبل التغلب عليها.

وفيما يلى نتناول كل محور بشىء من التفصيل على النحو الآتى :

أولا : مدى إدراك القادة لأوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية :

حرى بالذكر أن هناك ثلاثة مستويات لمناقشة النتائج الخاصةب هذا المحور أولها : مستوى البنود (٤٢)، ثم المهارات الفرعية (١٩)، ثم المهارات الكبرى (٤). وفيما يلى بيان ذلك :

أ - إدراك أوجه القصور فى المواقف السلوكية النوعية (البنود) :

يعرض الجدول التالى رقم (٤) مجمل السلوكيات التى تضمنتها الأداة (البنود) والتى تعكس القدرات العقلية والإبداعية والمهارات الاجتماعية والاتصالية ومدى إدراك القادة لأوجه الصعوبة فى ممارستها، ومن ثم القصور فيها.

جدول رقم (٤)

يبين مدى إدراك القادة لأوجه الصعوبة التى يجدونها فى السلوكيات النوعية إبان ممارسة مهامهم القيادية

م	أجد صعوبة بدرجة / هل تجد صعوبة فى	كبيرة		متوسطة		قليلة		لا أجد صعوبة		اجمالى نسبة من قرروا وجود صعوبة
		ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
١	تذكر بعض الأرقام والتواريخ العامة المتصلة بالعمل	٤	٣,٣	٢٢	١٨,٣	٣٤	٢٨,٣	٦٠	٥٠	٥٠
٢	تذكر أسماء بعض الأشخاص الذين يترددون عليك بحكم عملك	٢	١,٧	١١	٩,٢	٢٣	١٩,١	٨٤	٧٠	٣٠
٣	تذكر بعض الأحداث السابقة فى العمل وما اتخذ حيالها من قرارات	٣	٢,٥	٧	٥,٨	١٦	١٣,٣	٩٤	٧٨	٢٢
٤	الانتباه للتفاصيل الدقيقة والتى تعتبر مهمة لفهم الموقف بشكل صحيح	-	-	١٠	٨,٣	٢٩	٢٤,٢	٨١	٧٧,٥	٢٢
٥	مقاومة المشتتات المحيطة بك والتى تقلل من كفاءة أدائك	٧	٥,٨	١٤	١١,٧	٤٠	٣٣,٣	٥٩	٤٩,٢	٥٠,٨

تابع جدول رقم (٤)

م	أجد صعوبة بدرجة / هل تجد صعوبة فى	كبيرة		متوسطة		قليلة		لا أجد صعوبة		اجمالى نسبة من قرروا وجود صعوبة
		ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
٦	نقد أفكارك الشخصية وفق معايير شخصية	٢	١,٧	٩	٧,٥	١٨	١٥	٩١	٧٥,٩	٢٤,١
٧	اكتشاف مواطن الخطأ أو الخلل فى حديث الآخرين أو فعلهم	٢	١,٧	٧	٥,٨	٢٥	٢٠,٨	٨٦	٧١,٧	٢٨,٣
٨	إدراك أوجه القصور والثغرات فى العناصر والنظم الموجودة فى محيط العمل	١	٠,٨	١٤	٨,٧	٢٦	٢١,٧	٧٩	٦٥,٨	٣٤,٢
٩	تقبل تحليلات الآخرين حول أسباب فشلك فى مهمة أو قرار ما	٣	٢,٥	٨	٦,٧	٢٢	١٨,٣	٨٧	٧٢,٥	٢٧,٥
١٠	تكوين علاقات إنسانية وثيقة مع مرؤوسيك بما لاي تعارض مع مصلحة العمل	٤	٣,٣	٣	٢,٥	١٢	١٠	١٠١	٨٤,٢	١٥,٨
١١	اكتشاف السبب الرئيسى للمشكلة التى تتعامل معها بسرعة	٢	١,٧	١٠	٨,٣	٢٨	٢٣,٣	٨٠	٦٦,٧	٣٣,٣
١٢	توقع ما سيحدث نتيجة اتخاذ قرار معين	٢	١,٧	١١	٩,٢	٢٤	٢٠	٨٣	٦٩,٢	٣٠,٨
١٣	استشعار المشكلات فى مجال العمل والقدرة على التنبؤ بها قبل حدوثها	١	٠,٨	١٤	١١,٧	٢٦	٢١,٧	٧٩	٥٦,٨	٣٤,٢
١٤	الوقوف على نواحى القوة والضعف فى الشخصيات المتواجدة فى محيط عملك	-	-	٦	٥	١٦	١٣,٣	٩٨	٨١,٦	١٨,٤
١٥	تقييم أداء العاملين معك بصورة دقيقة	١	٠,٨	٦	٥	١١	٩,٢	١٠٢	٨٥	١٥

تابع جدول رقم (٤)

م	أجد صعوبة بدرجة / هل تجد صعوبة فى	كبيرة		متوسطة		قليلة		لا أجد صعوبة		اجمالى نسبة من قرروا وجود صعوبة
		ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
١٦	تحليل سلوكك وقراراتك وممارساتك فى العمل للوقوف على ما قد يكون بها من أخطاء	١	٠,٨	٥	٤,٢	٢٤	٢٠	٢٠	٧٥	٢٥
١٧	التعامل مع كل مرؤوس بالطريقة التى تتناسب مع طبيعته الخاصة	٤	٣,٣	٤	٣,٣	١٦	١٣,٣	١٣,٣	٨٠	٢٠
١٨	اقتراح طرق متنوعة لإنجاز المهام المطلوبة	٣	٢,٥	١٣	١٠,٨	١٣	١٠,٨	١٠,٨	٧٥,٨	٢٤,٢
١٩	النظر للمشكلة الواحدة من زوايا متعددة	١	٠,٨	٨	٦,٧	٢١	١٧,٥	١٧,٥	٧٥	٢٥
٢٠	طرح العديد من الأفكار حين تواجه مشكلة مفاجئة يجب حلها بسرعة	١	٠,٨	١٤	١١,٧	٢٦	٢١,٧	٢١,٧	٦٥,٨	٣٤,٢
٢١	اللجوء إلى طرق مبتكرة لتطوير الأداء وتجويده	٤	٣,٣	١٢	١٠	٣٠	٢٥	٢٥	٦١,٧	٣٨,٣
٢٢	أن تجد الكثير من الكلمات التى تعبر عن مواقفك ووجهات نظرك حين تتحدث	٤	٣,٣	١٢	١٠	٣٠	٢٥	٢٥	٦١,٧	٣٨,٣
٢٣	كتابة ما تريد بصورة يفهمها المرؤوسون بشكل دقيق	٣	٢,٥	٩	٧,٥	١١	٩,٢	٩,٢	٨٠,٨	١٩,٢
٢٤	التعبير عما ترغب كتابة بأقل عدد من الكلمات	٦	٥	٨	٦,٧	١٣	١٠,٨	١٠,٨	٧٧,٥	٢٢,٥
٢٥	قراءة ما يعرض عليك من مكاتبات فى العم بسرعة أكبر لتوفر وقتك	١	٠,٨	٩	٧,٥	١٤	١١,٧	٩٦	٨٠	٢٠

تابع جدول رقم (٤)

م	أجد صعوبة بدرجة / هل تجد صعوبة في	كبيرة		متوسطة		قليلة		لا أجد صعوبة		اجمالي نسبة من قرروا وجود صعوبة
		ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
٢٦	توصيل المعلومات الخاصة بالعمل شفهيا إلى المستويات الأدنى بيسر	-	-	٤	٣,٣	١٩	١٥,٨	٩٧	٨٠,٨	١٩,٢
٢٧	التحدث بطلاقة أمام جمع من المرءوسين	٣	٢,٥	٥	٤,٢	١٩	١٥,٨	٩٣	٧٧,٥	٢٢,٥
٢٨	إقناع أحد العاملين معك بعدم صواب الرأى الذى يتشبث به	٥	٤,٢	١٤	١١,٧	٢٢	١٨,٣	٧٩	٦٥,٨	٣٤,٥
٢٩	التوصل إلى حلول توفيقية حين تتفاوض مع مرؤوسيك حول موضوع ما	٣	٢,٥	٦	٥	٢٢	١٨,٣	٨٩	٧٤,١	٢٥,٩
٣٠	الإنصات للمرؤوس الذى يتحدث إليك واستيعاب ما يقول من المرة الأولى	-	-	٢	١,٧	١٤	١١,٧	٩٥	٧٩,٢	٢٠,٨
٣١	أن تطلب من أحد مرؤوسيك شرح نقطة فى العمل لست على دراية كافية بها	٣	٢,٥	٣	٢,٥	١٠	٨,٣	١٠٤	٨٦,٧	١٣,٣
٣٢	الاعتراف بعدم صواب رأي لك ثبت عدم صحته	٢	١,٧	٢	١,٧	١٢	١٠	١٠٤	٨٦,٧	١٣,٣
٣٣	إنهاء اللقاءات والاجتماعات مع مرؤوسيك في الوقت المحدد	٤	٣,٣	٧	٥,٨	٢٠	١٦,٧	٨٩	٧٤,١	٢٩,٥
٣٤	الإفصاح عن بعض آرائك ومشاعرك الشخصية نحو مرءوسيك	٩	٧,٥	١٣	١٠,٨	١٤	١١,٧	٨٤	٧٠	٣٠
٣٥	امتصاص غضب أحد مرؤوسيك وتهدئته حين يدخل ثائراً إلى مكتبك	٣	٢,٥	٥	٤,٢	١٧	١٤,٢	٩٥	٧٩,٢	٢٠,٨

تابع جدول رقم (٤)

م	أجد صعوبة بدرجة / هل تجد صعوبة فى	كبيرة		متوسطة		قليلة		لا أجد صعوبة		اجمالى نسبة من قرروا وجود صعوبة
		ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
٣٦	مواجهة المرؤوس المثير للمشاكل فى العمل وتحجيم آثاره السلبية على زملائه	٣	٢,٥	٨	٦,٧	٢٩	٢٤,٢	٨٠	٦٦,٧	٣٣,٣
٣٧	فض نزاع نشب بين اثنين من المرؤوسين	٣	٢,٥	٥	٤,٢	١٦	١٣,٣	٩٦	٨٠	٢٠
٣٨	توقع الأشياء التى يفضلها من تتعامل معهم	١	٠,٨	٨	٦,٧	٢٤	٢٠	٨٧	٧٢,٥	٢٧,٥
٣٩	اكتشاف أنك قلت أو فعلت شيئا غير مناسب بمجرد النظر لعيون الآخرين	٢	١,٧	٣	٢,٥	١٢	١٠	١٠٣	٨٥,٨	١٤,٢
٤٠	تأجيل الحكم على ما يطرح عليك من آراء وأفكار حتى تدرسها جيدًا	٣	٢,٥	٣	٢,٥	١٦	١٣,٣	٩٨	٨١,٧	١٨,٣
٤١	الحسم بين البدائل واتخاذ القرار فى الوقت المناسب	١	٠,٨	٦	٥	١٨	١٥	٩٥	٧٩,٢	٢٠,٨
٤٢	استخلاص الأفكار الرئيسية للمرؤوسين حتى تتناقشون حول مسألة خلافية فى العمل	٢	١,٨	١	٠,٨	١٢	١٠	١٠٥	٨٧,٥	١٢,٥

نظرًا لكثرة وتشعب البيانات التى يحويها الجدول السابق رقم (٤) فضلاً عن ضآلة عدد أفراد العينة فى فئات الإجابة المتعددة فقد قمنا بدمج الإجابات فى فئتين فقط : الأولى فئة من يدركون صعوبة، حيث تعاملنا مع الفئات الثلاث لتقدير مدى الصعوبة فى ممارسة السلوكيات التى تضمنتها البنود السابقة (أجد صعوبة كبيرة، ومتوسطة، وقليلة)، والتى تعكس إدراك القائد لأوجه القصور فى تلك

الجوانب كفئة واحدة، أما الفئة الثانية فهى من لا يجدون صعوبة أى من لا يدركون قصورًا فى تلك الجوانب، وتم ترتيب الجوانب التى قرر نسبة أكبر من القادة أنهم يجدون صعوبة فى ممارستها أكثر من غيرها ترتيبا تنازليا، واقتصر فقط على أشدها إدراكًا للقصور فيها، وهى تلك التى قرر أكثر من (٣٠٪) من الأفراد أنهم يجدون صعوبة فى ممارستها، وقد بلغ عددها (١٤) سلوكًا (بندًا) يوضحها الجدول التالى رقم (٥).

جدول رقم (٥)

يبين السلوكيات التى يجد القادة صعوبة فى ممارستها

رقم البند	أجد صعوبة فى	نسبة من قرروا وجود صعوبة
٥	مقاومة المشتتات المحيطة بى والتى تقلل من كفاءة أدائى	٥٠,٨
١	تذكر بعض الأرقام والتواريخ الهامة المتصلة بالعمل	٥٠
٢١	اللجوء إلى طرق مبتكرة لتطوير الأداء وتجويده	٣٨,٣
٢٠	طرح العديد من الأفكار حين أواجه مشكلة مفاجئة يجب حلها بسرعة	٣٤,٢
١١	استشعار المشكلات فى مجال العمل والقدرة على التنبؤ بها قبل حدوثها	٣٤,٢
٢٨	إقناع أحد العاملين معى بعدم صواب الرأي الذى يتشبث به	٣٤,٢
٨	إدراك أوجه القصور والثغرات فى العناصر والنظم الموجودة فى محيط العمل	٣٤,٢
٣٦	مواجهة المرؤوس المثير للمشاكل فى العمل وتحجيم آثاره السلبية على زملائه	٣٣,٣
١١	اكتشاف السبب الرئيسى للمشكلة التى أتعامل معها بسرعة	٣٣,٣
٤	الانتباه للتفاصيل الدقيقة والتى تعتبر مهمة لفهم الموقف بشكل صحيح	٣٢,٥
١٢	توقع ما سيحدث نتجية اتخاذ قرار معين	٣٠,٨
٢	تذكر أسماء بعض الأشخاص الذين يترددون علىَّ بحكم عملى	٣٠
٢٢	أن أجد الكثير من الكلمات التى تعبر عن مواقفى ووجهات نظرى حين أتحدث	٣٠
٣٤	الإفصاح عن بعض آرائى ومشاعر الشخصية نحو مرؤوسى	٣٠

من خلال استعراض أبرز السلوكيات التى يعتقد أفراد العينة أن ثمة صعوبات يدركونها إبان ممارستها سنجد على رأسها : مقاومة المشتتات المحيطة بهم

والتى تؤثر بالطبع سلبًا على كفاءة أدائهم، وهو ما يعكس بيئة عمل غير هادئة من ناحية، وانخفاض فى قدرة القادة على مقاومة تلك المشتتات من ناحية أخرى، يأتى بعد ذلك تلك الصعوبات فى تذكر الأرقام والتواريخ الهامة فى العمل، وقد يعزى هذا لأسباب عدة منها ما ذكر أولا من وجود مشتتات، فنحن لن نتذكر ما لم ننتبه إليه، أو من كثرة المهام الملقاة على عاتق المدير، أو عدم استعانته بأساليب مقننة لتسجيل تلك الأرقام، ثم نلاحظ وجود صعوبة لديهم فى جانبين يتصلان بالقدرات الإبداعية وهما استشعار والتنبؤ بحدوث المشكلات فى العمل مسبقًا، وابتكار طرق لحلها، وبطبيعة الحال فإن الجانب الأول (التنبؤ بالمشكلات) يعد مقدمة ضرورية للثانى (طرح أفكار للحل). وهنا نجد أنفسنا إزاء مسألة محورية ألا وهى الغياب النسبى لثقافة تنمية الإبداع على مستوى الممارسة اليومية للقادة الإداريين.

ثم قرر القادة أنهم يجدون صعوبة كذلك فى إقناع مرؤوسيهم بعدم صواب بعض الآراء التى يتبنونها وتكون ضد مصلحة العمل، ويتوقع فى ظل هذه الحالة لجوؤهم إلى التلويح بصلاحياتهم كوسيلة للمواجهة. وكذلك يجدون صعوبة فى مواجهة المرؤوس المثير للمشاكل وتحجيم آثاره، وفى التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم للمحيطين بهم فى مواقف التفاعل، وإن كان ذلك بدرجة أقل نسبيا.

نخلص من هذا إلى أننا إزاء صعوبات يدركها القادة فى ممارسة سلوكيات تتعلق فى المقام الأول بالقدرة على التركيز والانتباه، والمرونة الإبداعية والحساسية للمشكلات، وبصورة أقل، على نحو ملحوظ، فى المهارات الاتصالية، وخاصة الإقناع والإفصاح عن المشاعر.

ب - إدراك أوجه القصور فى القدرات والمهارات الفرعية:

يقول « إبيشتاين » إن المواقف السلوكية المتفردة - كالبنود - لها ثبات وقابلية منخفضة للتعميم، ولكن حين تجتمع مع عناصر أخرى تستطيع أن تفعل شيئا (Epstein, 1997)، وبما أن تحليل نتائج الجدول السابق الخاص بإدراك أوجه

القصور فى السلوكيات النوعية قدم مؤشرات عامة توحى بأن بعض تلك الجوانب مترابطة أى تعكس قدرات نوعية ؛ لذا فقد قمنا بحساب متوسط نسب إدراك أوجه القصور للقدرات والمهارات النوعية التسع عشرة التى تتدرج فيها تلك السلوكيات المتفردة حتى تصبح أكثر بروزًا ومصداقية، ورتبناها ترتيبًا تنازليًا من حيث مدى إدراك القادة للصعوبات فيها ويوضح ذلك الجدول التالى رقم (٦).

جدول رقم (٦)

يبين إدراك القادة للصعوبات فى القدرات والمهارات الفرعية المطلوبة لممارسة مهامهم القيادية

ترتيب القدرة	القدرة أو المهارة	نسبة من أدركوا أوجه قصور فيها	ترتيب القدرة	القدرة أو المهارة	نسبة من أدركوا أوجه قصور فيها
١	التركيز والانتباه	٤١,٧	١١	تكوين علاقة مع الآخر	٢٢,٩
٢	الأصالة	٣٨,٣	١٢	الكتابة الواضحة	٢٢,٣
٣	التذكر	٣٣,٨	١٣	التحدث	٢٠,٩
٤	الحساسية للمشكلات	٣٢,٧	١٤	الفراسة الاجتماعية	٢٠,٨
٥	الطلاقة	٣١,١	١٥	القراءة السريعة الفعالة	٢٠
٦	الإقناع	٣٠,١	١٦	توكيد الذات	٢٠
٧	النقد	٢٦,٣	١٧	اتخاذ القرار	١٩,٧
٨	الاستدلال	٢٥,٦	١٨	التقييم	١٩,٤
٩	مواجهة المواقف الصعبة	٢٤,٧	١٩	الإنصات	١١,٤
١٠	المرونة	٢٣			

تقدم نتائج الجدول السابق رقم (٦) دعمًا ملموسًا إلى النتائج السابقة الموضحة فى جدول رقم (٥) حيث أشارت إلى أن أكثر المهارات الفرعية التى يجد القائد صعوبة فى ممارستها، وقصورًا فيها. تلك التى تتدرج فى فئة القدرات العقلية وفى مقدمتها التركيز والانتباه. وتتمثل أهميتها فى أنها بوابة المعرفة، فعملية معالجة المعلومات لا تتم إلا فى ظل الانتباه للمدخلات الموجودة فى البيئة أولاً، ومما يدعم ذلك أنه يجد أيضًا صعوبة فى التذكر، وكذلك نجد مسألة إدراكه للقصور فى

القدرات الإبداعية، وبوجه خاص الأصالة حيث ثمة صعوبة فى اقتراح طرق بديلة ومستحدثة لحل المشكلات وتطوير الأداء، والحساسية للمشكلات، والطلاقة، وفى الجهة المقابلة نجد أن أبرز القدرات التى يرى القادة أنهم لا يجدون قصورًا فيها متصلة فى مجملها بمهارات التفاعل مع الآخرين والتواصل معهم، أى المهارات الاجتماعية والاتصالية.

جـ- إدراك أوجه القصور فى القدرات والمهارات الكبرى:

حتى نتأكد من دقة التفسير السابق حسبنا متوسط نسب إدراك القصور فى القدرات والمهارات الكبرى الأربع فكانت النتيجة على النحو التالى : قرر (٣٤٪) من القادة أنهم يدركون بعض أوجه القصور فى قدراتهم العقلية، مقابل (٣١,٦٪) فى قدراتهم الإبداعية، فى حين قرر (٢٢,١٪) فقط وجود قصور فى مهاراتهم الاجتماعية مقارنة بـ (٢١,٤٪) فى مهاراتهم الاتصالية.. أى أن أكثر القدرات التى يدرك القادة أن بها بعض أوجه القصور هى العقلية والإبداعية أى ذات الطابع المعرفى، ومن ثم فهى الأولى بالرعاية فى أولويات عملية التنمية الذاتية، والنظامية، وأقلها هى المهارات الاجتماعية والاتصالية أى ذات الطابع التفاعلى.

ثانيا: طبيعة الأساليب التى يستخدمها القادة للتغلب على أوجه القصور التى يدركونها فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية.

حين سألنا القادة الذين يدركون بعض أوجه القصور فى قدراتهم العقلية والإبداعية ومهاراتهم الاجتماعية والاتصالية حول طبيعة الأساليب التى يمارسونها للتغلب على تلك الأوجه من القصور - ذكروا أساليب متنوعة، ويوضح الجدول التالى رقم (٧) على نحو مفصل تلك الأساليب، ونسبة ورودها فى إجاباتهم.

جدول رقم (٧)

يبين الأساليب التى يمارسها القادة للتغلب على أوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم ونسبة ورودها فى إجاباتهم

م	الأسلوب / معدل وروده	ك	%
١	التدوين في مفكرة خاصة	٧٥	١٣,٦
٢	مناقشة الآخرين والاستفادة من خبراتهم وأفكارهم	٧٥	١٣,٦
٣	إعادة النظر في الأمور ومراجعتها باستمرار	٣٧	٦,٧
٤	المثابرة وإعادة المحاولة	٣٣	٦
٥	التركيز على فعل شيء واحد في المرة الواحدة	٢٩	٥,٢
٦	تكوين لجان استشارية للاستفادة برأيها	٢٤	٤,٣
٧	تقريب المرؤوسين مني لأعرفهم أكثر	١٦	٢,٩
٨	نقد الذات	١٦	٢,٩
٩	الإرجاء وطلب وقت إضافي للبت في الأمور	١٦	٢,٩
١٠	السيطرة على أعصابي والتحكم فيها	١٦	٢,٩
١١	تحليل سلوك الأفراد والتعامل مع كل منهم بصورة مختلفة	١٤	٢,٥
١٢	الاطلاع على كل ما هو جديد	١٣	٢,٤
١٣	إقناع الآخرين بما أريده	١٣	٢,٤
١٤	الإنصات لما يقوله الآخرون	١٢	٢,٢
١٥	تجنب مصدر المشكلة	١١	٢
١٦	امتصاص غضب الآخرين وتشجيعهم على التنفيث	١١	٢
١٧	إبعاد المشتتات	١١	٢
١٨	رفع الأمر للجهات الأعلى	١٠	١,٨
١٩	تحليل المشكلة إلى عناصرها الرئيسية	١٠	١,٨
٢٠	التعامل مع المرؤوسين على انفراد	٨	١,٤
٢١	تكليف السكرتارية بتلخيص المعلومات لي	٧	١,٤
٢٢	أترك المكان لفترة حين أغضب حتى أهدأ	٧	١,٢
٢٣	أجلس بمفردي لأسترخي	٧	١,٢
٢٤	التجهيز المسبق للموضوع الذى سأتحدث فيه	٧	١,٢
٢٥	أحاول تدريب ذاكرتي من خلال عمليات الارتباط الشرطي	٦	١,١
٢٦	البعد عن المشتتات	٦	١,١
٢٧	تسجيل البيانات على الحاسب الآلي	٥	٠,٩
٢٨	حضور دورات تدريبية ومؤتمرات	٥	٠,٩
٢٩	استخدام أمثلة لتقريب المعنى للآخرين	٥	٠,٩
٣٠	أتدرب على مواجهة الآخرين والتعامل معهم بتلقائية	٥	٠,٩
٣١	التحدث للذات	٥	٠,٩
٣٢	تجميع أكبر قدر من المعلومات عن المشكلة	٥	٠,٩
٣٣	استخدم الجزاءات للتحكم في المرؤوسين	٥	٠,٩
٣٤	أسأل المحيطين بي كثيرا للحصول على المعلومات	٥	٠,٩
٣٥	أدرب نفسي على الاعتراف بعدم صحة آرائي	٤	٠,٧
٣٦	أتعلم من أخطاء الآخرين	٣	٠,٥
٣٧	تحديد وقت مناسب لقراءة المكاتبات	٣	٠,٥
٣٨	أداهن صانع المشكلة لتجنب ضرره	٢	٠,٣
٣٩	أدعي المعرفة حتى لا اتهم بالجهل	٢	٠,٣
٤٠	أعدل سلوكي بناء على آراء الآخرين	٢	٠,٣
٤١	أضع نفسي مكان الآخر لأفهمه بدرجة أكبر	٢	٠,٣
٤٢	ابتكار أساليب حديثة لتطوير العمل	٢	٠,٣
٤٣	الاستعانة بالمكاتبات السابقة حين أكتب خطابا ما	١	٠,٢
٤٤	أبحث عن أنشطة بديلة حين أشعر بالضجر	١	٠,٢
	الإجمالي	٥٥٢	١٠٠

قبيل أن نلقى نظرة تحليلية على نتائج الجدول السابق جدير بالذكر أن القائد الواحد قد يقرر استخدامه لأكثر من أسلوب (استجابة) ومن ثم فإن عدد الاستجابات التى وردت فى هذا الشأن بلغت (٥٥٢) استجابة، وحين قمنا بتحليل مضمونها وجدنا أنه يمكن تصنيفها فى (٤٤) أسلوبًا.

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن متوسط عدد الأساليب التى ذكرها الفرد كان (٤,٤) أسلوب إلا أنه كان هناك تفاوت ملحوظ بين القادة فى معدل ما ذكروا أنهم يستخدمونه من أساليب. فعلى سبيل المثال لم يشر (١٨,٣٪) منهم إلى أية أساليب، فى حين ذكر (١٢,٥٪) منهم أسلوبا واحدا فقط، أى أن حوالى ثلث أفراد العينة لم يحاولوا، تقريبا، تنمية ذواتهم، وفى المقابل فإن من مارسوا أساليب متنوعة بشكل ملحوظ (أكثر من ستة أساليب) بلغت نسبتهم (٣٠٪)، وهم من يمكن أن نطلق عليهم (الراغبون فى تنمية أنفسهم)، وكانت ممارسة الباقين ذات طبيعة وسطية (تتراوح بين ثلاثة إلى خمسة أساليب).

حين ننتقل لمناقشة نتائج الجدول السابق الذى يعرض الأساليب التى يستخدمها القادة للتغلب على أوجه قصورهم مرتبة ترتيبا تنازليا تبعا لمعدل شيوعها سنجد ما يلى :

أ - **تصدرت القائمة** ستة أساليب أتى فى مقدمتها، وفى نفس المرتبة من الأهمية، كل من تدوين المعلومات والبيانات الهامة المتصلة بالعمل فى مفكرة خاصة، ومناقشة الآخرين والاستفادة من أفكارهم وآرائهم لحل المشكلات والتغلب على الصعوبات التى يواجهها القائد، حيث بلغت نسبة ورود كل منها فى إجاباتهم (١٣,٦) وتلا ذلك إعادة النظر فى المسائل التى يتعامل معها القائد (٦,٧٪) وهو ما يعكس المثابرة العقلية، ثم تكرار المحاولة وإعادة الكرة مرة أخرى لتنفيذ المهام والتغلب على الصعوبات التى تعترض سبيله (٦٪)، وهو ما ينطوى على عنصر المثابرة السلوكية.

ثم أتى التركيز على فعل شيء واحد فى المرة الواحدة حتى يتمكن الفرد من الإنجاز فى ظل المشتتات المتعددة المحيطة به (٥,٣٪)، وجاء فى ذيل القائمة أساليب من قبيل : البعد عن المشتتات، وليس إبعادها، وهو حل قد يتسم أحيانا بالسلبية (بلغت نسبة وروده ١,١٪)، واستخدام الحاسب الآلى لتسجيل البيانات (٠,٩٪)، وهى نسبة ضئيلة وخاصة فى ظل تصاعد الثورة التكنولوجية المعلوماتية، ومن الأساليب غير الشائعة أيضا، وبصورة مثيرة للتساؤل، حضور دورات تدريبية ومؤتمرات (٠,٩٪) ، واستخدام السؤال كمصدر للحصول على المعلومة من الآخرين (٠,٩٪)، والتعلم من أخطاء الآخرين (*) (٠,٩٪) وتجميع أكبر قدر من المعلومات حول المشكلة (٠,٩٪)، واعتبار الآخر ووضع القائد نفسه مكانه (٠,٣٪)، وابتكار أساليب حديثة للتطوير وحل مشكلات العمل (٠,٣٪). وهى كما نلاحظ أساليب على الرغم من ضرورة ممارسة القائد المعاصر لها إلا أنه يبدو أن استخدام القادة فى الدراسة الحالية الفعلى لها محدود مما يعنى ضرورة الاهتمام بها، والتركيز على إكساب القائد المهارات المطلوبة لممارستها وصقلها، ولفت نظره إلى ضرورة الاعتماد عليها بصورة أكبر.

ب- **حين نحاول** أن نجرى تحليلا عامليا على المستوى العقلى للأساليب التى يعتمد عليها القائد للتغلب ذاتيا على أوجه قصوره لتصنيفها فى فئات أعم تبعا لأوجه الشبه فيما بينها ستجد أنها تنتظم فى الفئات العشر التالية، مرتبة ترتيبا تنازليا تبعا لشيوعها لدى القادة :

- **الاستعانة بالآخرين** (استقطبت ١٩,٣٪ من الاستجابات) : والتى قد تأخذ صورا متنوعة منها النقاش معهم والاستفادة من أفكارهم، واستشارتهم بصورة نظامية من خلال اللجان المتخصصة.

- **الاعتماد على المعينات الخارجية** (١٤,٣٪)، مثل : المفكرة، والحاسب الآلى، والمكاتبات السابقة (**)، والصلاحيات الممنوحة للقائد بحكم منصبه.

(*) ذكر أحد القادة فى هذا المقام أنه « يتعلم من كل إنسان وكل يوم » .

(**) قال أحد القادة أنه « يستعين بالمكاتبات السابقة فى نفس الموضوع لكتابة ما يريد بصورة مفهومة » . وهو ما يعنى تكريس روح المجاراة وتجنب ممارسة الإبداع والتجديد .

- **التحليل والنقد الذاتى** (٢,٧٪)، ويأتى فى صور متعددة منها : نقد الذات، وتحليل سلوك الآخرين، وتحليل المشكلة إلى عناصرها الرئيسية.

- **المثابرة** (١٢,٧٪) : إعادة النظر فى الأمور، والمراجعة المستمرة، وإعادة المحاولة بصورة متكررة لمواجهة الصعوبات والتغلب عليها.

- **المبادأة** (١,٦٪) : وتشير إلى إيجابية القائد والتى تتمثل فى إبعاد المشتتات المحيطة، وامتصاص غضب المرؤوسين، وتحديد وقت مناسب لقراءة المكاتبات ولقاء الأشخاص، ومواجهة المرؤوس المشكل، والاعتراف بعدم صحة آرائه.

- **المهارات التفاعلية** (١,١٠٪)، وتشمل عناصر عدة منها : الإنصات، وتقريب المرؤوسين للتعرف عليهم، والتعامل معهم على انفراد، واستخدام الإقناع كوسيلة للتفاهم، وإعطاء أمثلة لتقريب المعنى، واعتبار الآخر.

- **التجنب** (٩,٧٪)، ويتمثل فى : تجنب مصدر المشكلة، ورفع الأمر للجهات الأعلى لتتصرف فيه، وترك المكان لفترة حتى يهدأ، والبعد عن المشتتات، ومداهنة صانع المشكلات لتجنب ضرره (*)، والجلوس بمفرده، وادعاء المعرفة.

(١,٨٪)، ويشمل عناصر من قبيل : تدريب الذاكرة، والتجهيز المسبق لما ينوى القائد قوله، والتدريب على مواجهة الآخرين، والتحدث للذات، والتعلم من أخطاء الآخرين، والتحكم فى الذات.

- **التماس المعرفة** (١,٥٪)، وتنتظم فيه المكونات التالية : الاطلاع على كل ما هو جديد فى مجال العمل، وحضور دورات تدريبية، وتجميع معلومات حول المشكلة، وسؤال الآخرين عن المعلومات المطلوب تعلمها.

- **الإبداع** : وعلى الرغم من أنه أتى فى ذيل القائمة إلا أن نسبة من ذكروا أنهم يعتمدون عليه كانت ضئيلة جدا (٥,٠٪ فقط)، وتضمن ابتكار أساليب للتطوير وحل المشكلات، والبحث عن أنشطة بديلة.

(*) قرر أحد القادة أنه يستخدم أسلوبا مغايرا قوامه « اتغلب على مثير المشكلات بإثارة مشكلات أمامه مما يجعله فى موقف دفاعى دائمًا ويحاول إرضائى » .

جـ- تقدير القادة لدرجة فعالية الأساليب المستخدمة للتغلب على أوجه القصور لديهم. حين سألنا القادة الذين ذكروا أنهم يستخدمون أساليب ذاتية للتغلب على ما يدركونه من أوجه قصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية أن يقدروا مئويا نسبة نجاح تلك الأساليب، تبين أن تقديرهم لمعظم البنود كان مرتفعا (*)، فعلى سبيل المثال كان متوسط نسبة النجاح التى قرروها فيما يتصل بأساليب التغلب على أوجه قصور القدرات العقلية (٨٥,١٪)، والإبداعية (٨١,٤٪)، والمهارات الاتصالية (٨٥,٥٪)، والاجتماعية (٨٤,٤٪)، وهو ما يعنى اعتقادهم بأن ممارساتهم التنموية الذاتية فعالة، ولكن هل الأمر على هذه الشاكلة فى الواقع أم لا؟ بطبيعة الحال لا نستطيع تقديم إجابة حاسمة لسبب بسيط هو أننا لم نعتمد على محكات موضوعية لتقييم فعالية تلك الأساليب، ولعله يمكن تدارك هذا الأمر فى دراسة لاحقة.

ثالثا: دور متغير مدة الخبرة فى الوظيفة القيادية الحالية فى تحديد أوجه القصور المدركة وسبل التغلب عليها:

حتى نتمكن من تقييم دور متغير مدة الخبرة فى تحديد مدى إدراك القادة لأوجه القصور فى قدراتهم ومهاراتهم فضلا عن طبيعة الأساليب التى يستخدمونها للتغلب عليها قمنا بعقد مقارنات بين فئتين من أفراد العينة وهم من أمضوا خمس سنوات فأقل فى الوظيفة القيادية الحالية بوصفهم الأحدث، وقد بلغ عددهم (٥٠) فردًا، والفئة الثانية من أمضوا أكثر من عشر سنوات فيها أى الأقدم وقد بلغ عددهم (٤٨) فردا، وفيما يلى نعرض بشىء من التفصيل لملامح ذلك الدور المزدوج :

أ- الخبرة ودورها فى إدراك أوجه القصور:

قمنا بحساب نسبة من أقر من الجدد والقدامى بوجود صعوبات على البنود (السلوكيات) الفرعية للأداة (٤٢) بندًا، بغض النظر عن مستوى هذه الصعوبة، وأجرينا مقارنة بينهما باستخدام معادلة دلالة الفروق بين النسب، ويوضح الجدول التالى رقم (٨) نتائج تلك المقارنة.

(*) حتى أن البعض عبر عن ذلك بصورة مبالغ فيها بقوله: « عمرى ما فشلت».

جدول رقم (٨)

يبين دلالة الفروق بين نسب من قالوا بوجود صعوبة فى ممارسة السلوكيات القيادية المتنوعة من الأحدث والأقدم خبرة

رقم البند	الأحدث		الأقدم		النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
	ك	٪	ك	٪		
١	٢٧	٥٤	٢٠	٤١,٧	٠,٤	غير دال
٢	١٢	٢٤	١٤	٢٩,٢	٥,٣	٠,٠٠١
٣	١١	٢٢	٧	١٤,٦	٨	٠,٠٠١
٤	١٥	٣٠	١٤	٢٩,٢	٤٣	٠,٠٠١
٥	٢٧	٥٤	٢٠	٤١,٧	٠,٤	غير دال
٦	١٤	٢٨	٦	١٣	٦,٣	٠,٠٠١
٧	١٨	٣٦	٩	١٨,٨	٥	٠,٠٠١
٨	١٨	٣٦	١٣	٢٧,١	٣,٩	٠,٠٠١
٩	١٦	٣٢	١١	٢٣,٩	٤,٨	٠,٠٠١
١٠	٧	١٤	٦	١٢,٥	١١	٠,٠٠١
١١	١٧	٣٤	١٥	٣١,٣	٣,٦	٠,٠٠١
١٢	١٦	٣٢	٩	١٨,٨	٥,٦	٠,٠٠١
١٣	١٨	٣٦	١٣	٢٧,١	٣,٩	٠,٠٠١
١٤	٩	١٨	٨	١٧	٨,٤	٠,٠٠١
١٥	٨	١٦	٥	١٠,٤	١٠,٦	٠,٠٠١
١٦	١٢	٢٤	١٠	٢١,٣	٦,٤	٠,٠٠١
١٧	١٠	٢٠	٨	١٦,٧	٨,١	٠,٠٠١
١٨	١٤	٢٨	٨	١٦,٧	٨,١	٠,٠٠١
١٩	١٢	٢٤	١٢	٢٥	٥,٩	٠,٠٠١
٢٠	١٩	٣٨	١٥	٣١,٣	٣,٢	٠,٠١
٢١	٢٢	٤٤	١٥	٣١,٣	٢,٥	٠,٠٥
٢٢	١٧	٣٤	٩	١٨,٨	٥,٣	٠,٠١
٢٣	١٠	٢٠	٧	١٤,٩	٨,٤	٠,٠٠١
٢٤	١٣	٢٦	٧	١٤,٩	٧,٣	٠,٠٠١
٢٥	١٤	٢٨	٦	١٢,٥	٧,٢	٠,٠٠١
٢٦	٨	١٦	٧	١٤,٦	٩,٤	٠,٠٠١
٢٧	١١	٢٢	٨	١٦,٧	٧,٦	٠,٠٠١
٢٨	٢٠	٤٠	١١	٢٢,٩	٣,٩	٠,٠٠١
٢٩	١٣	٢٦	٨	١٧	٦,٨	٠,٠٠١
٣٠	٩	١٨	٣	٦,٤	١١,٣	٠,٠٠١
٣١	٨	١٦	٣	٦,٤	١١,٣	٠,٠٠١
٣٢	٧	١٤	٤	٨,٣	١٢	٠,٠٠١
٣٣	١٣	٢٦	١١	٢٢,٩	٥,٨	٠,٠٠١
٣٤	١٥	٣٠	١٢	٢٥,٥	٤,٩	٠,٠٠١
٣٥	٩	١٨	٩	١٩,١	٨	٠,٠٠١
٣٦	٢٠	٤٠	١٠	٢٠,٨	٤,٢	٠,٠٠١
٣٧	١١	٢٢	٦	١٢,٨	٨,٤	٠,٠٠١
٣٨	١٠	٢٠	١٣	٢٧,٧	٦,١	٠,٠٠١
٣٩	٨	١٦	٥	١٠,٤	٩,٨	٠,٠٠١
٤٠	١٠	٢٠	٨	١٦,٧	٨,١	٠,٠٠١
٤١	١١	٢٢	٦	١٢,٨	٨,٤	٠,٠٠١
٤٢	٨	١٦	٥	١١,٦	١٠,٣	٠,٠٠١

تشير نتائج الجدول السابق إلى أن الفروق بين المجموعتين كانت دالة على كل البنود، ما عدا بندين فقط (١، ٥)، لصالح الأقدم خبرة بمعنى أن نسبة أكبر من الأحدث خبرة قرروا أنهم يدركون صعوبات وأوجه قصور فى قدراتهم ومهاراتهم مقارنة بالأقدم، وهو ما يوحى بأثر عملية التنمية والتدريب التى يمارسها، ويتعرض لها، ذوو المدة الأطول فى العمل على مر الزمن سواء كانت بصورة نظامية أو ذاتية.

- يلاحظ أن السلوكيات (البنود) التى أقر فيها الطرفان بوجود صعوبة كبيرة (أكثر من ٣٠ ٪ قالوا بذلك) بلغ عددها لدى الأحدث خبرة (١٥) سلوكًا مقابل (٩) لدى الأقدم، وقد اشتركت المجموعتان فى خمسة منها هى (صعوبة تذكر أرقام، ومقاومة المشتتات، واكتشاف أسباب المشكلات، وطرح العديد من الأفكار للتطوير، واللجوء إلى طرق مبتكرة)، أى أن هذه الجوانب هى الأكثر استعصاء على التنمية، بشقيها الذاتى والنظامى، وحرى بالإشارة أن هذه السلوكيات تنتظم فى المقام الأول فى مجال القدرات الإبداعية.

أما أوجه القصور التى اختص بها الجدد، نسبيا، ولم يذكرها القدامى أى أنها أكثر قابلية للاستفادة من عمليات التنمية والتدريب تكمن فى جوانب من قبيل (الانتباه للتفاصيل، اكتشاف مواطن الخطأ، إدراك أوجه القصور، تقبل تحليلات الآخرين، الإقناع، والإنصات للآخر، مواجهة المرؤوس المثير للمشاكل)، وهى عناصر تتصل بالقدرة العقلية والمهارات الاجتماعية والاتصالية.

- نظرًا لوجود فروق دالة بين الأحدث والأقدم خبرة على إدراك صعوبات فى ممارسة معظم السلوكيات المتضمنة فى البنود، فمن المتوقع أيضا أن يكون هناك فروق دالة بينهما على القدرات والمهارات الفرعية التسع عشرة فضلا عن القدرات والمهارات الأربع الرئيسية الكبرى، وحتى يتم التحقق من ذلك الفرض أجرى الباحث مقارنة بين المجموعتين على كل من المهارات الفرعية والرئيسية الكبرى، وتبين وجود فروق دالة بينهما فى ذات الاتجاه السابق يكشف أيضا عن أن الأحدث خبرة أكثر إقرارا بوجود صعوبات وأوجه قصور فى قدراتهم ومهاراتهم بصورة عامة. ومما

لاحظناه أيضا أن أكثر الجوانب التى قرر كلاهما وجود صعوبة فيها هى القدرات الإبداعية ثم العقلية وأقلها الاتصالية فالاجتماعية.

ب- **دور الخبرة فى تحديد طبيعة** الأساليب المستخدمة للتغلب على أوجه القصور.

عقدنا مقارنة بين المجموعتين للوقوف على الأساليب الأكثر استخداما من قبل كل منهما للتغلب على ما يدركونه من قصور، ويوضح الجدول رقم (٩) نتيجة تلك المقارنة.

جدول رقم (٩)

يبين الفروق بين الأحدث والأقدم خبرة فى طبيعة الأساليب المستخدمة للتغلب على أوجه القصور لديهم

الترتيب	الجدد		الترتيب	القدامى	
	الأسلوب	٪		الأسلوب	٪
١	التدوين فى مفكرة خاصة	١٤,٥	١	التدوين فى مفكرة خاصة	١٣,٧
٢	مناقشة الآخرين والاستفادة من أفكارهم	١٤	٢	مناقشة الآخرين والاستفادة من أفكارهم	١١,٩
٣	إعادة النظر فى الأمور	٧,٨	٣	إعادة النظر فى الأمور	٦
٤	المثابرة وتكرار المحاولة	٧,٨	٤	المثابرة وتكرار المحاولة	٦
٥	التركيز على فعل شيء واحد فقط	٤,٩	٥	التركيز على فعل شيء واحد فقط	٥,٢
٦	نقد الذات	٤,١	٦	تكوين لجان متخصصة لاستشارتها	٤,٧
٧	تكوين لجان متخصصة لاستشارتها	٣,٧	٧	تحليل سلوك الأفراد الذين يتعامل معهم	٤,٣
٨	السيطرة على أعصابى والتحكم فيها	٣,٣	٨	الاطلاع على كل ما هو جديد	٤,٢
٩	إقناع الآخرين بما أريد	٣,٣	٩	تقريب المرؤوسين لأعرفهم أكثر	٤,٢
١٠	الإرجاء وطلب وقت إضافى للبت فى الأمور	٢,٩	١٠	امتصاص غضب الآخرين ومساعدتهم على التنفيث	٣,٣
			١١	السيطرة على أعصابى والتحكم فيها	٣,٣

ثمة مجموعة من النقاط يمكن استخلاصها من الجدول السابق قوامها :

- اتفق الجدد والقدامى على عدد من الأساليب أتت فى المقدمة لدى كل منهما وهى: التدوين فى مفكرة خاصة، ومناقشة الآخرين، وإعادة النظر فى الأمور والتروى بشأنها، والمثابرة وتكرار المحاولة، والتركيز على شىء واحد فى المرة الواحدة حتى يتمكنوا من إنجازه، وهو ما يعنى أنها أساليب تتسم بالشيوع لدى القادة بغض النظر عن مدة خبرتهم، ويصعب على من يوصف بأنه قائد ألا يستخدمها.

- قرر الأحدث وجود أساليب يعتبرونها مهمة ولم ير الأقدم ذلك مثل نقد الذات، والإرجاء، والإقناع، وهى أساليب تعكس الرغبة فى تطوير الفرد، وعدم التسرع خشية الوقوع فى المخالفات والأخطاء الإدارية والفنية، وعدم استخدام أو التلويح بالقوة والصلاحيات فى البداية.

وفى المقابل فقد ذكر الأقدم أساليب لم يولها الأحدث نفس الأهمية مثل : تحليل سلوك المحيطين بالفرد، والاطلاع على كل ما هو جديد، وتقريب المرؤوسين للتعرف عليهم (*) بصورة أفضل، وامتصاص غضبهم ومساعدتهم على التنفيث عن توتراتهم، وهى عناصر تعكس، كما يبدو، نضج المهارات الاجتماعية لهؤلاء القادة ومحاولة إدارة التفاعلات الاجتماعية الشخصية مع المحيطين بهم بدرجة أكبر من الكفاءة، وهو تصور منطقى، فالأحدث يسعى لصقل الجوانب الفنية والمهارية، أما الأقدم، والذين شعروا بأنهم تمكنوا من تنمية تلك الجوانب فإنهم يسعون بدرجة أكبر لتحسين مهارات التفاعل الاجتماعى مع الآخرين.

- فيما يتصل بالأساليب الأقل شيوعًا لدى كل منهما، والتى لم نعرضها فى الجدول السابق، فإنها كانت متشابهة لدى كليهما حيث أشاروا إلى أنهم نادرًا ما يستخدمونها، مثلما الحال فى العينة الكلية، ومن بين هذه الأساليب : الاعتماد على

(*) « أقرب المرؤوس منى لكى أعرفه بصورة أفضل» هذه العبارة وردت على لسان أحد القادة فى هذا المجال.

الحاسب الآلى، وحضور دورات تدريبية (ذكر ذلك ٢,١٪ من الجدد مقابل ٩,٠٪ من القدامى)، وتوجيه أسئلة للحصول على معلومات من المحيطين بالفرد (٤,٠٪ مقابل ٥,٠٪ على التوالى)، ونفس النسبة فيما يتعلق بالتعلم من أخطاء الآخرين، وابتكار أساليب حديثة لحل المشكلات.

مناقشة النتائج:

قدمت لنا نتائج البحث مدلولات متعددة من شأنها أن تسهم فى فهم بعض جوانب عملية التنمية الذاتية لدى القادة على نحو قد يثرى - بدرجة ما - تعاملنا اللاحق معها على درب التشخيص والتحكم، ويتمثل أبرزها فى النقاط التالية :

أولا : مدى الوعى بأوجه القصور الذاتى كمدخل ضرورى للتنمية الذاتية:

من المفترض أن الخطوة الأولى فى عملية التنمية الذاتية تبدأ بالوعى بأوجه الضعف الشخصى ووضع خطة للتغلب عليها بغية تطوير الذات، وتتمثل أهمية إدراك أوجه القصور فى أنها المحرك الرئيسى لعملية التنمية الذاتية، لأنه فى اللحظة التى يشعر فيها المدير بأنه ليس لديه أوجه قصور ستكون هى اللحظة التى يعترف فيها بجموده وتخلفه عن ركب التطوير، ولعل هذا ما حدا بالباحثين إلى نصح القائد بقولهم « لا تشعر بالرضا عن إنجازك بشكل كامل أبدًا لأن تقدمك سيتوقف حينئذ » (Parikh, 1991, 3). وحين نستقرئ أبرز نتائج البحث فى هذا المجال سنضع أيدينا على ثلاثة عناصر محورية هى :

أ - **أن أكثر الجوانب** التى أشار القادة إلى أنهم يواجهون صعوبات إبان ممارستها، ومن ثم يشعرون بقصور فيها، تتمثل فى القدرة على التركيز والانتباه، ومقاومة المشتتات، والتذكر، والمرونة الإبداعية، والحساسية للمشكلات، وابتكار طرق جديدة لحلها، وهى كما نرى صعوبات تتصل فى المقام الأول بالقدرات العقلية والإبداعية، وهو ما يعنى ضرورة الاهتمام بصقل تلك القدرات بالطرق المتعارف عليها علميا لدى هؤلاء القادة، ووضعها على رأس قائمة أولويات التنمية الذاتية والنظامية،

فضلاً عن أهمية أن تراعى هذه الجوانب إبان عملية اختيار القادة وتصعيدهم، فالقائد المبدع، على سبيل المثال، بالإضافة إلى أنه سيفيد المنظمة بشكل مباشر من إبداعاته فإنه سيسمح بترسيخ سياق يشجع المبدعين من مرؤوسيه على الابتكار، وسيعمل على حث عملية التنشئة الإبداعية على مستوى المنظمة ككل.

ب - تبين أن الجوانب التى يشعر القادة بقوتها نسبيا لديهم، وأن أوجه القصور فيها محدودة، تتمثل فى عملية اتخاذ القرار، والتقييم، والإنصات، والتوكيد، وهى كما يتضح تعكس مهارات التفاعل مع الآخرين والتأثير فيهم وهو ما يوحى بأن تلك المهارات أكثر يسرًا وإمكانية على التعلم والارتقاء عبر الزمن من خلال الاحتكاك المكثف مع الآخرين، والخبرات المتنوعة التى يكتسبها القادة من المواقع المتعددة التى يشغلونها عبر مسيرتهم العملية.

جـ- من النتائج اللافتة للنظر، والتى يجب تدبرها بعناية، ذلك القدر المرتفع من الذين قالوا إنهم لا يدركون أن لديهم أوجه قصور (*)، وأنهم لا يعانون من أية صعوبات، حتى ولو كانت بسيطة، فى إدارة مهامهم القيادية، وبوجه خاص تلك الممارسات التى تتطلب قدرًا مرتفعًا من المهارات الاجتماعية والاتصالية حيث قرر (٧٨,٦٪) من القادة أنهم لا يجدون أية صعوبة فى المهام التى تتطلب المهارات الاتصالية، مقابل (٧٧,٨٪) فى المهام التى تتطلب المهارات الاجتماعية. إن هذه التقديرات المرتفعة تعنى احتمال وجود تحيز من قبل هؤلاء القادة فى عملية تقييم أنفسهم تنطوى على تضخيم نقاط القوة لديهم، وبخس نقاط ضعفهم. أى أن القائد يقيم نفسه على أنه أحسن مما هو عليه (yammarino & Atwater, 1997) وهى تحيزات تقلل من دقة تفسيره للموقف، وتعتبر كما يشير « تراب » trap شركًا قد يقع فيه المدير (wofford, 1994) سيترتب عليه - ببساطة - أنه سيشعر بعدم

(*) ذكر أحد القادة فى هذا السياق ما نصه «لا يوجد فشل فى عملى نهائيًا والحمد لله».

حاجته للتنمية (*)، ومن ثم سيحجب عن نفسه فرصة ثمينة لتطوير ذاته، وسيضع نفسه فى عالم خاص به ليس لعملية النقد الذاتى، أو تقبل نقد الآخرين، مكان فيه (Stewart etal , 1996)، يضاف إلى ذلك أن من لن ينمى نفسه لن يسعى لتنمية الآخرين، ومن ثم ستنخفض احتمالات أن يصبح قائدا متميزا ؛ لكل تلك الأسباب فنحن مطالبون بتدريب القادة على الوعى بأوجه التحيز فى تقييمهم لأنفسهم على نحو يتحاشون فيه، إلى الحد الأدنى، أخطاء العزو فى تفسير أوجه ضعفهم وفشلهم فضلاً عن تشجيعهم على القيام بعملية النقد الذاتى وتقبل نقد الآخرين حول تلك الجوانب حتى يتمكنوا من تنمية ذواتهم بطريقة فعالة.

ثانيا : الآليات الأكثر شيوعا واستخداما فى عملية التنمية الذاتية :

أشارت النتائج إلى أن الآليات التى يميل القادة لاستخدامها فى عملية التنمية الذاتية يمكن أن تنتظم فى عشر فئات مرتبة ترتيبا تنازليا من أكثرها إلى أقلها شيوعا على النحو التالى : الاستعانة بالآخرين - الاعتماد على المعينات الخارجية كالتدوين - المثابرة وتكرار محاولات حل المشكلات - المهارات التفاعلية - المران الذاتى - التجنب - التحليل والنقد الذاتى - المبادأة - التماس المعرفة ثم تأتى المحاولات الإبداعية فى ذيل القائمة.

ويتراءى للباحث التنويه إلى عدة نقاط فى هذا الخصوص قوامها ما يلى :

أ - **يلاحظ ذلك** الدور الإيجابى والجوهرى الذى يمارسه الآخرون فى عملية التنمية الذاتية حيث أتوا كمصدر رئيسى يستمد منه الفرد أساليب للتنمية، ومن المفترض أن الآخرين يسهمون فى تلك العملية سواء كانوا رؤساء أو زملاء أو مرؤوسين إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومن أمثلة الحالة الأولى الرؤساء حيث يسهمون فى تعليم الفرد (القائد) كما تقول « ماكولى » Mccauly من خلال تزويده

(*) من العبارات التى ذكرها أحد المبحوثين وتجسد هذا الموقف بوضوح: بنظرة واحدة أعرف المطلوب وبأقل وقت يمكننى القيام بالرد، وقال آخر «أعبر عما أريده بصورة نموذجية كتابة وبشكل دقيق».

بالخبرة والمعلومات اللازمة وتقديم عائد له لتحسين أدائه فضلا عن رعايته وتوجيهه (Kouzes & Posner, 1995. 330)، وكذلك الزملاء فهم الذين يحيطونه علما بما يحدث فى الأجزاء الأخرى من المنظمة، ويتبادلون معه النصائح، والخبرات، والمعلومات، مما يسهم فى تحديد وتعديل سلوكه (higgins, 1996)، ويساعدونه من خلال مناقشاتهم على تعديل زاوية نظره للأمور، وإعادة هيكلة الموقف، ويشير «كيمينج » فى هذا السياق إلى أن المبدعين بحاجة لأن يحاطوا بزملاء يناقشون أفكارهم، ويستثيرون منافستهم لأن معدل إصدارهم للأفكار الإبداعية يزيد فى ظل هذه البيئة التنافسية (Cummings & oldham, 1997). ومما يدعم التصور القائل بأهمية الدور الذى يمارسه الآخرون فى عملية التنمية الذاتية أن « ويليامز » استخلص حين حلل أبرز أساليب الإدارة الذاتية عامليا ثلاثة عوامل أتى فى مقدمتها : البيئة المساندة وبوجه خاص التى تقدم الدعم الاجتماعى، ثم التدوين ثم تحليل الحوار الذاتى (Williams et al, 1991) وفى المقابل فإن الآخرين يسهمون فى عملية التنمية الذاتية بصورة غير مباشرة من خلال قيام القائد بملاحظتهم، أو القراءة لهم أو عنهم، والتأسى بنقاط القوة فيهم، وتلافى تكرار أخطائهم، وكذلك من خلال مقارنة نفسه بالآخرين ليحدد هل يشعر بالرضا عما أنجزه، فيحافظ عليه، أو عدم الرضا فيبذل المزيد ليطور ذاته.

ب - **على الرغم** من أن العديد من الدراسات السابقة بالإضافة إلى الواقع العملى، تشير إلى أن هناك أساليب تعد ضرورية ويجب على القادة استخدامها للقيام بعملية التنمية الذاتية، وخاصة فى ظل التطورات التقنية والاجتماعية المعاصرة، إلا أن القادة فى دراستنا الحالية يكادون يتجاهلونها أو يستخدمونها بصورة محدودة جدا من قبيل : الاطلاع على كل ما هو جديد، واستخدام الحاسب الآلى لتسجيل البيانات الهامة فى العمل، وحضور دورات تدريبية وندوات مهنية، وتوجيه السؤال للآخرين للحصول على معلومات إضافية. وهو ما يعكس الطبيعة النوعية لاهتمام القادة فى الثقافة المحلية مقارنة بالثقافات العالمية التى أجريت

فيها البحوث السابقة، من ناحية، ويدعونا إلى ضرورة العناية بوضع تلك الأساليب فى دائرة الوعى المباشر والمران اليومى للقادة المحليين نظرًا لدورها المحورى فى عملية التنمية الذاتية من الناحية الأخرى.

جـ- **أظهرت نتائج** الدراسة أن أقل الأساليب التى يعتمد عليها القادة للتغلب على أوجه قصورهم تلك التى تتصل بالإبداع وابتكار طرق للتطوير المنظمى والشخصى حتى أن نسبة ورود تلك الأساليب لم تتعد (٥, ٠٪) فقط من مجمل الأساليب التى ذكرت، ووجه المفارقة هنا أن القادة ذكروا أن أكبر قدر من الصعوبات يجدونه هو فى قدراتهم الإبداعية أى أننا إزاء مسألة أكثر عمقا قوامها ضرورة الاهتمام بإثارة وترسيخ مناخ مشجع على الإبداع وتنميته فى السياق التنظيمى بل والمجتمعى أيضا، نظرا لما للإبداع من صلة وثيقة بعملية التنمية الذاتية فالقائد المبدع قادر على أن يبتكر العديد من السبل للقيام بتلك العملية بكفاءة، فعلى سبيل المثال إذا لم تكف الميزانية للتدريب النظامى يمكنه أن يبتكر أساليب إبداعية للقيام بذلك كأن يقرأ جريدة متخصصة، أو يناقش زملاءه ساعة الغداء فى كيفية توظيف ما قرأ لإثراء العمل، فضلا عن اقتراح صيغ مبدعة للوعى بذاته، ومكافأتها وتقديم دعما ذاتى لتثبيت الاستجابات الفعالة (Wageman, 1997)، والتأليف والربط بين العناصر المختلفة، بل والمتعارضة، ووضعها فى صيغة جديدة أصيلة، ومحاولة إيجاد معنى جديد للموقف. لذا يجب حث القادة على الاهتمام بهذا الجانب، والعمل على ممارسته وتنميته حتى يتمكنوا من إدارة عمليات الإبداع فى المنظمة وتوظيفها بكفاءة لخدمة عمليات التنمية (Amabile, 1997).

د - **الضعف النسبى** لعملية التعلم المتواصل والتماس المعرفة : من المفترض أنه إمكان الفرد الانخراط فى عملية التعلم، وتطوير معلوماته، وزيادة معارفه من خلال آليات متنوعة كالقراءة وحضور دورات وندوات، ومؤتمرات، ونقاشات ذات طبيعة تقنية وفنية بصورة مستمرة. إلا أننا لاحظنا من خلال نتائج هذه الدراسة أن القادة فى الدراسة الحالية نادرا ما يقرءون أو يحضرون ندوات مهنية أو يسألون أى أن

عملية التماس المعرفة تكاد تكون بعدا هامشيا لديهم كوسيلة للتنمية الذاتية، مع أنه يفترض أن تكون عصب تلك العملية إن أريد لها أن تكون فعَّالة، فعلى سبيل المثال من شأن تعلم القائد مهارة طرح الأسئلة الجوهرية الناقدة تمكينه من تحصيل معلومات أساسية تساعده على تحديد المشكلة بصورة صحيحة، ومن ثم حلها بصورة فعالة (Fontenot, 1992; Mcanlly etal, 1996) ؛ لذا فنحن فى حاجة ضرورية إلى إثارة وعى القادة بضرورة الاهتمام بهذه العناصر التى تعد بمثابة البنية التحتية التى تيسر القيام بعملية التنمية الذاتية. وهناك مسألة أخرى متصلة بتلك النقطة ألا وهى ضرورة حث القادة على التوسع فى استخدام التكنولوجيا وخاصة بعد التقدم التقنى الكبير فى وسائل الحصول على المعلومات والمعارف مثل : البريد الإلكترونى والإنترنت، ومحاولة توظيفها أيضا فى عملية التدريب الذاتى (Bossi etal, 1997)، حتى أنه يقال إن التعلم فى المستقبل لن يكون مرتبطًا بمكان محدد لأن الأفراد سيتعاملون مع خبرات التعلم من خلال شبكات الحواسب الآلية، والمؤتمرات المتلفزة مع آخرين عبر العالم، أى سيكون شعار عملية التعلم حينئذ « فى أى وقت وفى أى مكان » (Fulmer , 1997) وهو ما يدعونا إلى حث القادة على الاهتمام بتلك المسألة وخاصة فى ظل هذه النسبة الضئيلة الذين أشاروا منهم إلى أنهم يعتمدون على تلك الأساليب.

هـ - أوضحت النتائج أن متغير مدة الخبرة الحالية فى العمل يمارس دورا جوهريا سواء فى تحديد طبيعة إدراك أوجه القصور الشخصى فى مهارات وقدرات القادة أو الأساليب المستخدمة للتغلب عليها، حيث تبيَّن أن الجدد قرروا وجود قدر أكبر من القصور فى المهارات الاتصالية والاجتماعية فى حين أن كليهما قرر وجود صعوبة فيما يتصل بالقدرات الإبداعية وبعض الجوانب فى القدرات العقلية كالانتباه، وهو ما يعنى أن المهارات الاتصالية والاجتماعية أكثر قابلية للاستجابة لعمليات التنمية الذاتية التى يقوم بها القدامى، مقارنة بالقدرات الإبداعية والعقلية التى تتطلب أن تنمى بطرق نظامية غير متوفرة للطرفين بصورة كافية، وفيما يتصل بالأساليب المستخدمة فى التنمية فقد تشابها فى الاهتمام بالتدوين والاستفادة من

الآخرين، وإعادة النظر والمثابرة، فى حين تفرد القدامى باستخدام أساليب من شأنها تحسين مهاراتهم الاجتماعية والاتصالية، وهو ما قد يفسر ارتفاعها النسبى لديهم.

و- **تبقى بعد** ذلك مسألة أخيرة ألا وهى: ما طبيعة المؤشرات التى حصلنا عليها من خلال نتائج الدراسة وتقدم دعمًا للصدق التكوينى للأداة ؟ بوسعنا القول إجابة عن هذا السؤال إن نتائج الدراسة قدمت بالفعل مؤشرات متعددة تؤكد الصدق التكوينى لأداة الدراسة الرئيسية من أبرزها تحقق التوقع القائل بأن القادة بشكل عام يجدون قدرا أكبر من الصعوبة فى ممارسة السلوكيات المندرجة فى مجال القدرات الإبداعية، وهو ملمح ثقافى عام فعمليات تنشيط الإبداع فى السياق التنظيمى العربى ما زالت محدودة. وأن القليل منهم يمارس أساليب إبداعية للتغلب على تلك الصعوبات فى هذا الجانب. كذلك تبين أن القادة بشكل عام قليلا ما يلجأون إلى الاطلاع كوسيلة للتنمية الذاتية وهو ما يتفق مع المشاهدات المتواترة فى الثقافة من انخفاض الميل للقراءة بشكل عام ولدى القادة الإداريين بشكل خاص. وأن القادة الجدد كانوا أكثر إدراكًا لأوجه القصور فى خصالهم الشخصية من القدامى، وهى كلها مؤشرات تقدم دعمًا للصدق التكوينى للأداة مما يزيد من ثقتنا فيما حصلنا عليه من نتائج بواسطتها.

وماذا بعد ؟

عقب أن عرضنا لأبرز ما تم التوصل إليه من نتائج لهذه الدراسة وحاولنا استشفاف ما تنطوى عليه من دلالات نفسية على نحو يعمق فهمنا، ومن ثم إدارتنا، لظاهرة التنمية الذاتية نجد لزاما علينا الإشارة إلى بعض التساؤلات التى أثارتها الدراسة، وعلينا محاولة الإجابة عنها من خلال بحوث مقترحة لاحقة، فضلا عن التنويه عن بعض النقاط التى يجب تداركها مستقبلا والتى تتمثل فيما يلى :

أ - **استكشاف طبيعة** الدور الذى تمارسه محددات التنمية الذاتية : من المفترض أن هناك متغيرات متنوعة تؤثر على طبيعة إدراك القادة لأوجه قصورهم الشخصى،

وتشكل كذلك طبيعة الأساليب الذاتية التى يميلون لاستخدامها للتغلب على تلك الأوجه من القصور، وهى ما يطلق عليه **محددات التنمية الذاتية**، وقد حاولنا فى هذه الدراسة الاهتمام ببعضها، وبوجه خاص مدة خبرة القادة فى الوظيفة القيادية الحالية، بيد أن هناك متغيرات أخرى ذات أهمية جوهرية يجب تقييم دورها فى تحديد هذين الجانبين من قبيل : نوع القادة، فالنساء قد يكن أكثر دقة من الرجال فى إدراكهن، ومن ثم تقييمهن، لأنفسهن، وكذلك متغير الوعى بالذات والتنبه لها، وطبيعة العائد الذى يتلقاه القادة من المحيطين بهم وأثره فى تحديد مقدار احترامهم لأنفسهم، وبالتالى رغبتهم فى تطويرها (Yammarino & Atwater, 1997) فضلا عن المستوى الإدارى الذى يشغله القادة، وطبيعة المهام التى كُلِّفوا بها، يضاف إلى ذلك أن هناك سمات شخصية تشير بعض الدراسات إلى أن لها دورا مهما فى تلك العملية مثل **سمة التفانى** conscientiousness التى تمكننا من التنبؤ بمدى رغبة الفرد وقدرته على القيام بعملية التنظيم الذاتى، والكفاح للإنجاز، وأداء الواجب، وتطوير الذات على الوجه الأكمل. ويعرِّفها «بوريك » وزملاؤه Borrick etal بأنها « ميل ثابت نسبيًا لأن يكون الفرد منظمًا وفعالاً وموجها نحو الهدف، ومثابرًا ». و يفترض أن المرتفع عليها قادرًا على تحمل المسئولية وأكثر ميلاً للتدريب الذاتى، ويمارس قدرًا أكبر من التوجيه الذاتى (Stewart etal, 1996) ويتوقع وجود سمات أخرى هامة أيضا تمارس دورا مشابها لم نتمكن من التطرق إليها نظرا لمحدودية دراستنا وطابعها الاستكشافى مثل متغير **الاعتقاد فى الكفاءة الذاتية** self efficacy والذى يعرفه باندورا بأنه « تقدير الفرد لحجم إمكاناته الذاتية وقدرته على أداء سلوك معين بصورة ناجحة » (Harrison etal, 1997) والذى يفترض أن يؤدى دورا مهما فى حث الفرد على بدء عملية التنمية الذاتية، لأن ارتفاع درجة الفرد على هذا المتغير سيجعله أكثر اعتقادًا فى قدرته على إنجاز المهام المنوطة به، ويزيد من احترامه لذاته ورغبته فى تطويرها، والعكس صحيح، فإن اعتقاد الفرد بانخفاض كفاءته الذاتية سيجعله فى حالة مزاجية سلبية كما أشارت دراسة « مولار وماجور »

Maller & Major ويقل احترامه لذاته ومن ثم قدرته على الأداء الجيد ورغبته فى تطوير ذاته (Baron & Byrne, 1991, 505). ويؤمل فى دراسة تالية إدخال أكبر قدر من تلك المتغيرات فى الحسبان لدراسة أثرها فى تحديد طبيعة إدراك القادة لأوجه قصورهم، والأساليب الذاتية التى يمارسونها للتغلب عليها.

ب - **يقول« دوبونو »** : « ربما من الأجدى فى دراستنا للذكاء أن ندرس غير الأذكياء وبدلا من أن نحاول فهم لماذا لا يخترع بعض الناس ويبتكرون، ربما كان من الأفيد أن نسأل: لماذا لا يخترع البعض الآخر ويبتكرون ؟ لأنه لو فهمنا ما يعرقل الابتكار لتمكنا من زيادة القدرة على الابتكار » (دو بونو، ١٩٩٥، ٢٥)، وبناء على هذا التصور فإنه يحسن بنا أن نسأل: لماذا لا ينمى الناس أنفسهم ذاتيا ؟ لأن الإجابة عن هذا السؤال ستساعدنا على فهم والوقوف على معوقات عملية التنمية الذاتية، ولكن يجب ألا نتوقف عند ذلك الحد فقط بل علينا أن نسأل أيضا: لماذا ينمى بعض الناس أنفسهم ذاتيا ؟ وما هى مواصفات هؤلاء الناس ؟ لأن الإجابة عن هذين السؤالين ستسمح لنا بالكشف عن العوامل الميسرة للتنمية الذاتية فضلا عن خصال القائمين بها على نحو يمكننا من التوصل إلى **مبيان للنمط المنمى لذاته** من القادة وهو ما يجعل من اليسير علينا اكتشافهم، وحث دافعيتهم للشروع فى تلك العملية والقيام بها بكفاءة.

جـ- **الطابع الدينامى** لعملية التنمية الذاتية: طرح العديد من الباحثين تصورات متنوعة حول مراحل تلك العملية، حيث أشار « ويليامز » إلى أنها تسير وفق خمس مراحل : التشخيص الذاتى، والملاحظة، والعائد، والتخطيط، والتنفيذ (Williams, 1992)، واقترح « بيدلر » أنها تنتظم فى سبع مراحل هى : الدافعية، والتشخيص الذاتى، وتحديد أهداف التنمية، وتصميم برنامج للتعلم، وملاحظة الآخرين، وتنفيذ البرنامج، وتقييم الأداء (Pedler, 1003)، وعلى الرغم من وعينا بذلك البعد فقد حاولنا لاعتبارات عملية تقسيم تلك المراحل بنائيا إلى مكونين هما : المكون المعرفى، ويتضمن الوعى بأوجه القصور الشخصى، وتقييمها وتشخيص أسبابها وتخطيط سبل مواجهتها، والمكون السلوكى ويشمل السبل التى يمارسها الفرد للتغلب على تلك

الأوجه من القصور، وتعاملنا مع المكون الأول من خلال تقييم إدراك القادة لأوجه القصور لديهم، والثانى من خلال الوقوف على السبل التى يمارسونها للتغلب عليها، ولكننا لم نتطرق إلى الكيفية التى تتفاعل بها تلك المكونات، وما بها من عناصر فرعية، معا فى مراحل وخطوات متتابعة طبقا للمنطق الدينامى لمسار عملية التنمية الذاتية، حتى يتسنى لنا التعامل معها بصورة أعمق وأكثر اقترابا من واقعها الحيوى، وبطبيعة الحال فإن الطابع الاستكشافى لهذه الدراسة لم يمكننا من ذلك، لذا فإنه يحسن تخصيص دراسة لاحقة للتعامل مع تلك الظاهرة من المنظور الدينامى مستقبلاً.

د- من قبيل ممارسة **النقد الذاتى** فإنه لزاما علينا التنويه إلى بعض الجزئيات فى هذا البحث التى تندرج فى فئة ما يجب الانتباه إلى ضرورة وضعه فى الحسبان فى بحوث لاحقة حتى يصبح فهمنا لتلك الظاهرة أكثر دقة وعمقًا والتى يتمثل أبرزها فيما يلى :

- ذكر نسبة كبيرة من المبحوثين أن المحاولات التى بذلوها للتغلب على أوجه القصور لديهم كانت ناجحة بدرجة كبيرة، وهو تقدير يغلب عليه الذاتية واحتمال التحيز، وقد يعزى ذلك إلى أننا اعتمدنا على تقييمهم الشخصى لنسبة النجاح، ولم نعتمد على محكات موضوعية للتثبت من صحة تلك التقديرات، وهى عملية أكثر صعوبة وتحتاج إلى إجراءات إضافية نرجو التمكن من القيام بها فى بحوث لاحقة.

- انصبَّ تركيز الدراسة الحالية على تقييم مدى إدراك القادة لأوجه القصور فى قدراتهم العقلية والإبداعية ومهاراتهم الاجتماعية والاتصالية، ولم نلق أضواء كافية على مدى إدراك القصور فى السمات المزاجية للشخصية. وهى كما نعتقد عناصر مهمة يمكن إفراد بحث خاص لها، وحرى بالذكر أن مرجع ذلك قد يعزى، جزئيًا، إلى أننا حين حللنا إجابات الأسئلة المفتوحة للقادة حول أوجه القصور التى يدركونها فى قدراتهم ومهاراتهم وسماتهم المزاجية لم يشر معظم المبحوثين إلى صعوبات تتعلق بالجوانب المزاجية، وذكروا صعوبات تتصل بالجوانب الأربعة السابقة

مما حدا بنا للتركيز عليها فى البحث الراهن إلا أن هذا لا يحول دون ضرورة الاهتمام بالجوانب المزاجية فيما بعد.

- على الرغم من وعينا بالدور المحورى لبعض المتغيرات التى تسهم فى تشكيل ظاهرة التنمية الذاتية بشقيها (إدراك أوجه القصور وممارسة سبل للتغلب عليها) من قبيل النوع، مثلا، فإننا لم نتمكن من دراسة ذلك الدور نظرًا لضآلة عدد الإناث فى العينة حيث لم يزد عددهن على (١٥) قائدة فقط، وهو ما لا يسمح بإجراء مقارنات متعمقة بينهما، وبين القادة الرجال الذين شكلوا معظم مفردات عينة البحث (ن = ١٠٥)، ومن ثم حرى بنا الاعتناء بتلك المسألة فيما بعد، كذلك يجب أن نأخذ تلك النتائج بشىء من الحيطة فتعميمها على قطاع عريض من القادة يشوبه العديد من التحفظات نظرًا لمحدودية العينة، وعدم عشوائيتها، على الرغم من اعترافنا بأنها قدمت إلينا مؤشرات أولية مهمة حول ما يجب أن نركز على تنميته من جوانب، وما يجب أن نبصر به القادة من أساليب لإتمام تلك العملية بنجاح.

خاتمــة:

اختتم « إبشتاين » مقالته المتميزة التى عرض فيها خلاصة حكمته البحثية عبر تاريخه المديد فى مجال الشخصية بقوله : « إن ما نحتاجه لإجراء تقدم فى مجال علمنا ليس العبقرية الفائقة، ولكن القدرة على مواجهة أنفسنا » (Epstein, 1995)، ومن ثم فإن الهدف الرئيسى لهذا البحث يتمثل فى دعوة القادة، بل والأفراد العاديين أيضا، إلى مواجهة أنفسهم، والوعى بما لديهم من أوجه قصور فى قدراتهم ومهاراتهم الشخصية، وتبنى استراتيجيات متنوعة للتغلب عليها على نحو مثابر ودؤوب، وتنفيذها بإحكام بحيث تصبح عملية التنمية الذاتية حقا القطب الآخر للتنمية النظامية، ويجب أن يكون واضحًا فى عقولنا أن التركيز على إحداها لن يتعارض مع أو يقلل من أهمية الأخرى ذلك أن التكامل بينهما سيعظم من عائد كل منهما، ويثرى عملية التنمية البشرية فى الإطار التنظيمى بشكل عام.

★ ★ ★

قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا - المراجع العربية:

- إبراهيم، عبد الستار (١٩٨٧) **آفاق جديدة فى تنمية الإبداع**، الكويت : وكالة المطبوعات.
- بوسترونج، إيرل (١٩٧٦) ترجمة على السلمى، **مقدمة فى إدارة الأعمال**، القاهرة : النهضة المصرية.
- التقرير الإدارى (١٩٨٥) التقرير الإدارى، **عالم الإدارة**، مجلد ١٠، عدد ١٢، ديسمبر، ٤-٧.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو (١٩٨٥) تحقيق : عبد السلام محمد هارون، **البيان والتبيين**، القاهرة، الخانجى.
- دوبونو، إدوارد (١٩٩٥) ترجمة إيهاب محمد، **التفكير المتجدد**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- رضوان ، سامر جميل (١٩٩٧) توقعات الكفاءة الذاتية (البناء النظرى والقياس)، **شئون اجتماعية**، ٥٥، الخريف، السنة ١٤، ٢٥ - ٥١.
- زايد، عادل محمد (١٩٩٣) العلاقات التبادلية بين متغيرات التعلم الفردى والتعلم التنظيمى: دراسة تحليلية، **المجلة العربية للعلوم الإدارية**، مجلد١، عدد ١، نوفمبر، ٦١ - ٨٨.
- السلمى، على (١٩٩٢) مواصفات قيادات التغيير، **المنير العربى** ١٢/ أكتوبر، ٢٦ - ٣٣.
- شوقى، طريف (١٩٩٣) **السلوك القيادى وفعالية الإدارة**، القاهرة : دار غريب.
- شوقى، طريف، (١٩٩٥) **الاتصالات التنظيمية** فى شوقى، طريف وآخرون، علم النفس ومشكلات الصناعة، القاهرة : دار غريب، ٢٥٩ - ٣٠٢.
- الشيخلى، عبد القادر (١٩٩٣) **تنشيط سرعة البديهة**، عمان : دار الشروق.
- طه، فرج عبد القادر؛ أبو النيل، محمود السيد؛ قنديل، شاكر عطية؛ محمد، حسن عبد القادر؛ عبد الفتاح، مصطفى كامل (١٩٩٣) **معجم علم النفس والتحليل النفسى** (ط٢)، الكويت: دار سعاد الصباح.
- فتحى، محمد (١٩٩٣) **أنت عبقرى ولكن..كيف تنمى قدراتك ؟** القاهرة : دار الأمين.

ثانيا- المراجع الأجنبية:

- Ammabile, T. M (1997) Motivation creativity in organizations, ***CAlifornia Management Review***, 40, 1, Fall, 39 - 58 .
- Baron , R, A, & Byrne, D (1991) ***Social Psychology : Understanding human interaction*** (6ed) , Boston : Allyn and Bacon .
- Bossi, L. j ; Cheney, S., & Buren , M. v (1997) Training industry trends, **Training & development**, November, 47 - 59 .
- Brown , j. D & Mankowski, T . A (1993) self - esteem, Mood, and self evaluation, ***Journal of personality and social psychology*** , 64, 3, 421 - 430 .
- Carver, C. S ; Antoni, M, & Scheier, M . F (1985) self - concsiouness and self Assessment , ***Journal of personality and social psychology*** , 48, 1, 117- 124 .
- Cohen, E. & Tichy, N (1997) How leaders develop leaders, ***Training & development,*** May , 58 - 73 .
- Coopey, J; Keegan . O . & Emler , N (1997) Managers, innovations as A sense making , ***British Journal of Management***, 8, 301 - 319 .
- Cummings, A, & oldham . G, R. (1997) Enhancing creativity : Managing work Contexts for the high potential employee, ***California Management Review*** , 40 , I , Fall , 22 -38 .
- Davis, M. F. (1997) Private self - Consciousness and the acceptance personality feedback: confirmatory processing in the evaluation of general vs specific self information , ***Journal of research in personality*** , 31, 78 - 92 .
- Dixon , N. M (1997) The hallway of learning . **Organizational dynamics,** spring, 23 - 34 .
- Dobbs , J. M; Evans , M . S & Hopper, C. H (1980) self - monitors in conversation what do they monitor ? ***Journal of personality and social psychology***, 39, 2, 278 - 284 .
- Dutton, K, A, & Brown , J. V (1997) Global self - esteem and specific self - views as determinants of people's reactions to success and failure, ***Journal of personality and social psychology*** , 73, 1, 139 - 148 .
- Epstein , S (1997) This I have learned from over 40 years of personality research, ***Juornal of personality*** , 69: 1, March , 3 - 32 .
- fotenot , N. A (1992) Effects of training in creativity and creative problem finding upon business people , ***The Journal of social psychology*** , 133 (1) 11- 22 .
- Fulmer , R. M (1997) The evolving paradigm of Leadership development, ***organezational dynamics*** , spring, 59 - 72 .

- Guglielmino, P. J, & Murdick. R, G (1997) self - directed learning : The quiet revolution in corporate training and development , ***SAM Advnced Managment Journal*** , Summer, 10 - 18 .
- Harrison, A. W . Rainer, R, K ; Hochwarter , W. H, & Thompson , K (1997) Testing the self - efficacy performance linkage of social cognitive theory , ***The Journal of Social psychology*** , 137 (1), 79 - 87 .
- Higgins , E. T. (1996) the self - digest self - Knowledge serving self - regulatory functions , ***Journal of personality and social psychology***, 71, 6, 1062 - 1083 .
- Hogan, R' curphy , G, J. & Hogan, J (1994) What we know about leadership effectiveness and personality , ***American psychologist*** , June, 493 - 504 .
- Karoly , p (1993) Mechanisms of self - regulation : A system view , ***Ann . Rev . psychol*** , 44 : 23 - 52 .
- Kouzes, J, M, & posner, B. 2 (1995) ***The leadership challenge***. San Francisvo : jossey - Bass publishers .
- Lancaster , B (1997) seven steps to managing success, ***The British Journal of Administrative Management*** , May / June 22 - 23 .
- Lennox , R, D , & Wolfe, R. N (1984) Revision of the self - monitoring Scale , ***Journal of personality and social psychology*** , 46 , 6, 1349 - 1364 .
- Mcnally , J. A; gerras, S . J. & Bullis , R. C (1996) Teaching leadership at the U. S. Military at west point . ***Journal of applied Behavioral Science***. 32, 2, June, 175 - 188 .
- Parikh , J (1991) ***managing your self.*** London : Pasil Blackwell .
- Pedler , M (1993) Management self - development in Griffin , R. W, ***Managment*** (4ed) , Boston : Hayghton Mifflin company , 5 - 19 .
- pedler, L/ M (1992) development of self - monitoring behavoir from early to late adolescence , ***Adolescence***, 27 , 106 , summer , 329 - 338 .
- Quinn. R, E, & spreitzer , G, M (1997) the road to empowerment : seven questions every leader should consider, ***organizational dynamics*** , autumn , 37 - 49 .
- Sedikides, C (1993) Assessment , enhancement and verfication determinants of the self - evaluation process , ***Journal of personality and social psychology*** , 65 , 2, 317 - 338 .
- Selvarajah , C, T; duignan , P; suppiab , C; Lave, T; & Nuttman , C (1995) In search of the ASEAN Leader: an exploratory study of the dimensions that relate to excellence in leadership , ***Mir (Management interational Review)*** , 39, 29 - 44.
- Stewart , G. L ; catson, K, P, & cardy , R. : (1996) The join effects of conscientiousness and self - Leadership training on employee self - directed behavior in a service setting, ***personnel psychology*** , 47, 113 - 154 .

- Tedeschi , J. T ; Lindskold , S. & Rosenfeld , P (1989) ***introduction to social psychology*** . New york : West - publishing company .
- Wageman , R (1997) critical success factors , ***organizational dynamics . summer***, 42- 61 .
- Williams . M (1992) management self - development in look. d, ***Handbook of management*** (3ed) , London : Gower , 891 - 909 .
- Williams , R, L; Pettibone , P. J .& Thomas , s. p (1991) Naturalistic application of self - change practices , ***Journal of research in personality,*** 29, 167 - 176 .
- Wofford , J. C (1994) getting inside the leader's Head : A cognitive processes approach to Leadership , ***SAM Advanced Management Journal*** , Summer, 4 - 9 .
- Yammarino , F. J, & Atwater, L. E (1997) do managers see themselves as others see them ? ***organizational dynamics***, spring, 35 - 44 .





التخفف من الأسى الناتج عن وفاة الأزواج(*)

(*) اشترك مع الباحث فى إجراء هذا البحث سعادة الأستاذ الدكتور/ عبد المنعم شحاتة رئيس قسم علم النفس كلية آداب المنوفية. والذى تم نشره فى مجلة علم النفس العدد الحادى والثلاثون، سبتمبر، ١٩٩٤، ١٢٨-١٥٠ .

أولا - الإطار النظرى:

إذا ما صممنا مقياسا لتحديد هوية المشكلات والظواهر النفسية الجديرة بالدراسة فإن ظاهرة الأسى الناتج عن وفاة الأعزاء ستحرز درجة مرتفعة عليه تؤهلها لتتصدر قائمة الموضوعات المطلوب دراستها نظرًا لاتسامها بالخصائص التالية:

– **الشيوع** : فالفصل من العمل، أو الإصابة بمرض عقلى، أو التعرض لحادث اغتصاب، على سبيل المثال، تعد أحداثا عصيبة ذات آثار خطيرة بيد أنها ليست شائعة، لكن وفاة المقربين إلينا وما يعقبه من أسى يتميز بأنه عصيب وشائع أيضا يندر أن ينجو منه أحد.

– **المفاجأة** : فالوفاة تحدث، فى معظم الأحيان، بغتة بصورة لا تدع للفرد فرصة للتهيؤ لها، إنها كالزلزال فى بلد ليس به محطات رصد، مما يضاعف من وقعها على النفس.

– **اتساع مدى الآثار وامتدادها الزمنى** : فوفاة المقربين تؤثر سلبا على جوانب عديدة للفرد من قبيل : عاداته الغذائية، حالته الصحية، مستوى دافعيته، سلوكه الاجتماعى، وتصوراته حول ذاته (Pennebaker et al , 1990)، فضلا عن أن تلك الآثار تتصف بأنها ليست عابرة، بل تدوم لفترات طويلة نسبيا قد تتراوح بين العام والأربعة أعوام، وقد تزيد عن ذلك فى بعض الحالات.

– **الحدوث المتكرر** : فالفرد قد يتعرض لها بصورة متكررة حين يتوفى أكثر من شخص عزيز لديه، وتزداد صعوبة الموقف، بطبيعة الحال، حين يكون الفاصل الزمنى بين تلك الوفيات قصيرا.

ونظرا لأن المتوفى قد يكون أحد الوالدين، أو الإخوة، أو الزوجين، أو الأبناء، أو الأصدقاء، وحيث إن هوية المتوفى تؤثر فى شدة واستمرار وقابلية الأسى للتخفف، فإنه من الضرورى، لاعتبارات بحثية وعملية عديدة، تحديد طرف واحد من المتوفين لدراسة مدى تأثير وفاته على أسى أحد المقربين إليه، ومن ثم فقد

استقر الرأى على أن تكرس الدراسة الحالية لبحث موضوع الأسى الناتج عن وفاة الأزواج. وهو ما يطرح، بدوره، السؤال التالى علينا :

لماذا الأرملات بالذات؟

للإجابة عن هذا السؤال نجد لزاما علينا الإشارة إلى مجموعة من المبررات التى أسهمت فى اتخاذ قرار بالتركيز على تلك الفئة، دون غيرها، تتمثل فيما يلى :

١- **أن نسبة الأرملات** مرتفعة فى الجمهور العام، فهى، مثلا، أعلى من نسبة الأرامل حيث تصل فى بعض التقديرات إلى (٤) إلى (١) وقد يعزى هذا إلى الأسباب الآتية :

- أن المدى العمرى للنساء أعلى من الرجال.

- تتزوج الفتاة فى سن مبكرة، عادة، رجلاً أكبر منها فى العمر ومن ثم يزيد احتمال بقائها بعده، وقد كشفت إحدى الدراسات عن أن (٥٠٪) من كل النساء اللائى يزيد عمرهن على ٦٥ عاما مقابل (١٢٪) من الرجال فى نفس العمر أصبحن أرملات (Lopata , 1988).

- يصعب على الأرملات، مقارنة بالأرامل، أن يتزوجن وخاصة حين يكون لديهن أطفال أو حين يهرمن (Carey, 1977)، ومن ثم تتناقص فرص خروجهن من تلك الفئة، وبالتالى تزداد معاناتهن، وتتضخم مشكلاتهن مع الأسى، وجدير بالذكر أن هذا المتغير يصبح أكثر أهمية وأشد أثرا حين تقيم الأرملة بمفردها، سواء كان هذا راجعا لعدم إنجابها أو لتزوج أبنائها، وفى هذا الصدد تشير الإحصاءات الغربية إلى زيادة نسبة الأرملات اللائى يعشن وحيدات من (٢٠٪) عام ١٩٤٠ إلى (٥٠٪) عام ١٩٧٠ (Arling, 1976)، ومن المفترض أن يؤدى اضمحلال الأسرة الممتدة فى المجتمع المصرى المعاصر إلى ظهور وتفاقم تلك المشكلة على النحو الذى يجعل من الالتفات إليها أمرا ملحا. يبقى جانب آخر لهذه المسألة يحسن الانتباه إليه قوامه : أنه على الرغم من حاجتنا للعناية بتخفيف أسى الأرملات اللائى لم يتزوجن ثانية،

سواء كان الدافع لذلك عدم رغبتهن أو عدم قدرتهن، إلا أننا بحاجة أيضا، بنفس الدرجة من الأهمية، إلى تخفيف أسى من يرغبن فى الزواج ثانية لأن توافقهن فى حياتهن الزوجية الجديدة مرهون بتخففهن من الأسى والذكريات المرتبطة بأزواجهن الراحلين.

٢- **مع أن حزن الأم** على وفاة طفلها أشد من حزنها على وفاة زوجها إلا أن وفاة الزوج، نظرا لدوره الجوهرى فى صياغة وتأمين حياة الأسرة، تؤدى إلى تغيرات أكبر فى حياتها (Lehman et al , 1987; Parkes, 1988) إنها تفقد بوفاته الدخل المرتفع – وخاصة أن نسبة، ليست قليلة، منهن لا يعملن – والمكانة الاجتماعية حيث إن العديد من الزوجات يعتمدن فى بناء هويتهن الاجتماعية على أزواجهن، فالزوج بمثابة مرآة لزوجته يعطيها عائدا حول سلوكها، ويقوم ذاتها، ويمنحها دعما وجدانيا، والمرشد النفسى الذى ينصت إليها ويخفف من همومها، وخط الدفاع ضد الملمات، والمستشار، وخاصة إذا كانت امرأة عاملة حيث يكون بمثابة نصفها الثانى فى العمل تناقشه فى مشاكلها، ويساعدها فى اتخاذ قراراتها ويدعمها فى تحمل عواقبها (Lopata , 1988)، فضلا عن أنها فوق ذلك كله تفقد من قد تحبه ويحبها.

٣- **على الرغم مما تحظى** به هذه الظاهرة من أهمية سواء فى الظروف العادية أو فى أوقات الأزمات (كالحروب التى تعصف بحياة الآلاف من الرجال)، وعلى الرغم من أننا مدفوعون، أيضا، باعتبارات ذاتية بحتة لفهمها وتوظيف فهمنا إياها على المستوى الشخصى، فالبعض منا قد يكون أرملة، أو يتفاعل سواء بشكل مكثف أو محدود مع أرملات (Hansson , 1988) – إلا أنها لم تنل من الباحثين المصريين الحد الأدنى من الاهتمام، ومما يدلل على ذلك أننا لم نجد حين قمنا بمسح تراث الدراسات النفسية فى هذا المجال سوى دراسة لأحمد عبد الخالق تعنى بقلق الأحياء من الموت ومخاوفهم من أن يموتوا (عبد الخالق، ١٩٨٩)، وهو ما يجعل من الوقوف على الملامح المميزة لتلك الظاهرة فى ثقافتنا مسألة ضرورية حتى يتأتى لنا فهم المشكلات التى تعانى منها تلك الأرملات ونصبح قادرين على مساعدتهن للتخفف من ذلك الأسى.

٤- **كما أن شيوع** الثقافة الطبية الخاصة بالوقاية من الأمراض المُعدية أدى إلى انخفاض معدل الإصابة بتلك النوعية من الأمراض فى الريف المصرى، كذلك فإن إشاعة ثقافة التعامل مع الأسى لدى أفراد الجمهور العاديين، وتبصيرهم بالقواعد المنظمة لعملية التخفف من الأسى من شأنه معاونة الفرد على أتباع السبل الملائمة لتخفيف أساه، فضلا عن إرشاده لأكثر الأساليب فعالية فى تخفيف أسى الآخرين، يضاف إلى ذلك تجنب ما ينجم عن المحاولات الذاتية التلقائية، أو تلك التى يقوم بها الآخرون من آثار سلبية قد تعوق عملية التخفف وخاصة حين تتم بصورة غير ملائمة لا يراعى فيها التوافق بين مضمون المساندة وتوقيت صدورها (*) وطبيعة المرحلة التى يمر بها المصاب.

ويتأتى بلوغ هذا الهدف (إشاعة ثقافة التعامل مع الأسى) من خلال تصميم برامج إرشادية تحوى الملامح العامة لتلك الثقافة، وبث مضمونها عبر المؤسسات الإعلامية والتربوية والاجتماعية والدينية للقطاعات الاجتماعية المتنوعة.

حين ننظر إلى الجوانب المتنوعة لظاهرة الأسى الناتج عن وفاة الأزواج لتقويم موقعها الراهن على خريطة الاهتمامات العلمية المعاصرة، سنخال الجهود البحثية منصبة بشكل رئيسى على ثلاثة منها هى :

(١) المتغيرات التى تسهم فى تحديد شدة الأسى.

(٢) عواقب الأسى وما يرتبط به من مشكلات صحية ونفسية.

(٣) متى وكيف يتم التخفف من الأسى ؟

وسنعرض فيما يلى للدراسات التى تناولت كل جانب مما سبق على النحو التالى :

(*) يحضرنا فى هذا السياق المثل الشعبى المصرى القائل: «يا معزى بعد سنة يا مجدد الأحزان» وهو يشير إلى أن تقديم التعزية، بوصفها شكلاً من أشكال المساندة، فى التوقيت غير المناسب قد يثير أسى المصاب بدلاً من أن يخففه، وهو ما يلفت النظر إلى الدور المعدل لمتغير توقيت تقديم المساندة فى تحديد فعاليتها.

(١) المتغيرات التى تسهم فى تحديد شدة الأسى :

قبيل الشروع فى بيان المتغيرات التى يتحدد حجم الأسى تبعا لها حرى بنا تقديم تعريف إجرائى لمفهوم الأسى، فضلا عن بعض المفاهيم المرتبطة به والتى لا مناص من التعرض لها ونحن بصدد دراسته، يفصح عن الهوية المتفردة لكل منها وتتمثل هذه المفاهيم فيما يلى :

١- **الفجيعة** [*] : تعد الفجيعة من بين أحداث الحياة العصيبة التى يتعرض لها الفرد حين يتوفى شخص عزيز عليه.

٢- **الحداد** [١] : مجموعة من الطقوس والممارسات المتعارف عليها اجتماعيا يصدرها الفرد فى حالة وفاة عزيز لديه تعبيرا عن أساه، والحداد بهذا المعنى يعد أحد مكونات الأسى.

٣- **الأسى** [٢] : تثير الفجيعة مجموعة من الأوجاع يطلق عليها الأسى، ونظرا لأن الباحثين قدموا تعريفات متعددة للأسى تتسم بالجزئية وتركز على بعض جوانبه دون البعض الأخر، فقد قمنا باستخلاص العناصر الجوهرية التى وردت فى تلك التعريفات، والتى تشكل فيما بينها إطارًا متكاملا يعبر عن الجوانب المتصورة للمفهوم، وخلصنا إلى **التعريف الإجرائى التالى للأسى** :

« مجموعة من الاستجابات الوجدانية، والفسيولوجية، والمعرفية التى يصاحبها بعض الطقوس الحدادية تصدر عن الفرد حين يتوفى أحد المقربين إليه، وتستمر لفترة زمنية معينة تتلاشى بعدها بالتدريج عبر مراحل متتابعة ».

ينطوى التعريف السابق على مجموعة من المكونات التى تشكل فيما بينها

(*) Bereavement المصائب المؤلمة التى تفجع الإنسان بما يعز عليه من مال أو حميم (ابن منظور ، لسان العرب) .

(١) Mourning .

(٢) Grief .

نسقا يتأتى من خلاله الفهم والوقوف على الجوانب المتعددة لمفهوم الأسى سنعرض لها بشيء من الإيجاز فيما يلى :

- **المظاهر الوجدانية للأسى** : الشعور بالوحدة، النوبات البكائية، الشعور بالحسرة، فقدان الأمل، والغضب.

- **المظاهر الفسيولوجية** : ضعف الشهية، اضطراب النوم، الخمول الحركى، والمعاناة من بعض المتاعب البدنية (Weller et al , 1991).

- **المظاهر المعرفية** : اجترار الذكريات، التفكير بصورة ملحة فى الحدث على الرغم من عدم الرغبة فى ذلك، الانغماس فى التفكير فى مسألة الموت، وفقد الاهتمام بالعالم الخارجى (Goldenson, 1984).

- **الطقوس الحدادية** : مجموعة من السلوكيات المتعارف عليها اجتماعيا من قبيل : الاتشاح بالسواد، الامتناع عن مشاهدة التليفزيون، أو التطيب بالعطر، أو الاستحمام لفترة معينة.

وحرى بالذكر أن الجوانب السابقة تتفاعل فيما بينها وقد يقوى بعضها بعضا أو يضعفه، حيث قد ينجم عن الالتزام الصارم بالحداد تفاقم المظاهر الوجدانية فى حين قد يؤدى التخلى عنه إلى خفوتها.

عقب تعريف مفهوم الأسى إجرائيا يصبح من الضرورى التقدم للإجابة عن **السؤال المحورى** لهذا الجزء من الدراسة وهو :

ما طبيعة المتغيرات التى تسهم فى تحديد شدة الأسى ؟

يعد الأسى محصلة للتفاعل بين ثلاث فئات من المتغيرات يتصل أولها بالأرملة (عمرها، حالتها الصحية، هل لديها أبناء أم لا)، ويتعلق ثانيها بالسياق الاجتماعى (المساندة الاجتماعية، التصورات السائدة فى الثقافة حول الموت، العلاقة مع الزوج)، فى حين يعنى ثالثها بالسياق الموقفى (ظروف الوفاة، وكيفية العلم بها)، وتجدر

الإشـارة إلى أن بحـوثا عـديدة أجـريت لتـقـويم الـدور الذى يمارسـه بعض من تلك المتغيرات، وأسفرت نتائجها عن أن أكثرها تأثيرا فى تحديد حجم الأسى - ارتفاعا أو انخفاضا - هى :

أ - **الشخصية الاعتمادية** : فكلما زاد اعتماد المرأة على زوجها اضطربت حياتها نتيجة وفاته، ومن ثم يزيد أساها (Lopata, 1988).

ب - **طبيعة العلاقة مع الزوج** : يشير « ويز» Weiss فى هذا الصدد إلى أن الوفاة ستؤدى فقط إلى الأسى فى حالة وجود علاقة ارتباط وجدانى قوية بين الطرفين (Stroebe et al , 1988).

جـ - **عدم توقع الوفاة** : بينت الدراسات أن الوفاة المفاجئة التى لم يسبقها تحذير مبكر (مرض الزوج مرضا شديدا، أو إصابته فى حادث) ارتبطت بالاكتئاب المرتفع، وهو مؤشر لشدة الأسى، أى أن من تلقين تحذيرا مسبقا كان أساهن أقل ممن لم يتلقين تحذيرا، وقد يعزى هذا إلى أن التحذير (فترة توقع موت الزوج) يمكن الأرملة من معايشة فكرة الفقد قبل حدوثها، ويسمح لها بالتعامل مع الأسى مبكرا، والتعبير عنه بصورة متدرجة بدلا من ظهوره بصورة حادة عندما تحدث الوفاة فجأة، فضلاً عن أنها تتدرب إبان فترة التحذير تلك على القيام بأداء أدوار زوجها والاعتياد على تحمل المسئولية مما يقلل من أساها عند وفاته (Carey, 1977).

د - **طريقة العلم بنبأ الوفاة** : فمن يتم إعلامها بنبأ وفاة زوجها بشكل مباشر يزداد أساها عمن يتم نقل الخبر مجزأ إليها نظرا لأن الإخبار المجزأ - على مراحل - للخبر يساعد الأرملة على التهيؤ للموقف، (Sande , 1992).

يلاحظ أن بعض المتغيرات ذات الأهمية لم تلق العناية الكافية فى دراسات محددات الأسى مثل متغير انخفاض المساندة الاجتماعية، الحالة الصحية قبل الوفاة، المعنى الذى تضفيه الأرملة على الموت، التعرض لوفيات سابقة، يضاف إلى ذلك أن تلك الدراسات تجاهلت الدور المعدل للتفاعل بين تلك المتغيرات وأثره فى

تحديد حجم الأسى، فعلى سبيل المثال قد يؤدى الموت المفاجئ (الذى يزيد من الأسى) إلى شحذ المحيطين بالأرملة لتقديم المساندة مما يقلل من الأسى، في حين أن توقع الموت (الذى يقلل من الأسى) قد يُزيد فى حالة غياب المساندة الاجتماعية من حجم الأسى.

(٢) عواقب الأسى وما يرتبط به من مشكلات صحية ونفسية:

عنيت تلك الفئة من الدراسات برصد مصاحبات الأسى وكل من عواقبه السلبية والإيجابية سواء على المدى القريب أم البعيد، وقد خلصت إلى وجود مجموعة من الآثار تتمثل فى :

١- **الاكتئاب** : بوفاة الزوج تفقد الزوجة الكثير من المدعمات الإيجابية التى كان يقدمها، وحيث إن الاكتئاب دالة لنقص المدعمات وعدم كفايتها، فإن الوفاة تولد قدرا من الاكتئاب الذى يستمر لفترة ثم يتناقص بمرور الوقت (Ramsay, 1977) وفى دراسة أجرتها « كلايتون» Clayton لتقدير شدة الاكتئاب والمدى الزمنى الذى يستغرقه حتى يتلاشى تبين أن (٣٥٪) من الأرملات يعانين من اكتئاب شديد بعد شهر من الوفاة، وأن (١٧٪) يعانين منه لمدة عام، بيد أن هذه النسبة تدنت بشدة بعد عامين لتقتصر على (٣٪) فقط من الأرملات (Zisook & Shuchter, 1991)، وفى دراسة أخرى أجريت على (٣٥٠) أرملة اتضح أن (٣٣٪) منهن لديهن قدر مرتفع من الاكتئاب بعد شهرين من وفاة الزوج، وانخفضت هذه النسبة إلى (٢٣٪) بعد سبعة أشهر ثم أصبحت (١٦٪) بعد مرور ثلاثة عشر شهرا (Ibid).

٢ - ترتبط وفاة الزوج بزيادة معدل **الشكاوى البدنية** (تقلصات المعدة، عدم انتظام ضربات القلب) وقد يرجع هذا إلى أن الأرملات يستبدلن الأعراض البدنية بالمظاهر الانفعالية للأسى نظرا لأن التوقعات الثقافية تحبذ الإنهاء السريع لتلك المظاهر (Mor et al , 1986)، وجدير بالذكر أن هذه الشكاوى قد تستمر لفترات طويلة نسبيا، بل إنها قد تصبح ذات طابع مزمن لدى نسبة تتراوح بين ٢٠٪ إلى ٤٠٪

منهن (Mccrae & costa, 1988). وثمة ظاهرة مصاحبة لزيادة معدل تلك الشكاوى البدنية تتمثل فى التردد بصورة مكثفة على عيادات الأطباء، ومن بين التفسيرات المطروحة لهذه الظاهرة أن الأرملة لا تتردد على الأطباء لأسباب صحية فقط، بل بوصفه مصدرا للحصول على المساندة الاجتماعية نظرا لأن الطبيب من المصادر المتاحة - وخاصة حين يصعب الاتصال بالمصادر الأخرى - والمشروعة لتقديم المساندة فضلا عن أنها قد تكون غير معروفة شخصيا لديه (Mor et al , 1986)، تثير تلك النقطة الانتباه لأهمية تدريب الأطباء على سبل التعامل مع هؤلاء الأرملات وتخفيف أساهن.

٣- **زيادة معدل الوفيات بين الأرملات**: إن الأمر لا يقف فقط عند إرتفاع معدل إصابة الأرملات بالأمراض البدنية والنفسية فقط، بل يمتد ليشمل، أيضا، ارتفاع معدلات الوفيات بينهن، وقد أوضحت الدراسات الخاصة بتلك المسألة أن معدل وفيات الأرملات أعلى بمقدار ست مرات من المتوقع، مما دعا إحدى الباحثات المعنيات بهذا الموضوع إلى القول بأن كثرة النتائج فى هذا الخصوص لا تدع مجالاً للشك فى أن خبرة وفاة الزوج تزيد من معدلات وفيات الأرملات (Stroebe et al , 1992)، ومن المفترض أن زيادة تلك المعدلات تتوقف على كل من الشريحة العمرية للأرملة، وشدة أساها، وإزمانه.

٤- **إن وفاة الزوج** تجبر الأرملة على أن تجرى مراجعة شاملة لتصوراتها عن ذاتها، فهى لم تعد زوجة الآن بل أرملة، وهى مدعوة أيضا لتعديل تصوراتها حول العالم المحيط بها. والذى يعدل بدوره من نظرته إليها، ومن ثم من سلوكه حيالها، وتكمن مشكلة الأرملة حينئذ فى أن الظروف العصيبة المحيطة بها تقلل من فرص النجاح فى تلك التحولات، وهو ما ينطوى على حدوث المزيد من المشكلات التوافقية على كل من المستوى الشخصى والاجتماعى.

تجسد العناصر السابقة حجم مشكلة الأسى ومظاهر أهميته كظاهرة تستحق الدراسة وحيث إن دور العلم لا يقف عند مجرد تعريف الظواهر وبيان مبررات

تناولها، وإنما يتعدى ذلك لمحاولة مواجهتها والتحكم فيها، فإننا مدعوون للمضى قدما لبحث سبل التخفف من الأسى، وهو ما يشكل محور اهتمامنا فى الجزء التالى.

(٣) متى وكيف يتم التخفف من الأسى:

نخالنا أمام سؤالين يحسن بنا الإجابة عن كل منهما على حدة، هما :

أ- متى يتم التخفف من الأسى؟

عنيت دراسات عديدة بتحديد المدة الزمنية التى تستغرقها عملية التخفف، ففى دراسة أجرتها « كلايتون» ومعاونوها على (١٠٩) أرملات تبين أن (٨٣٪) منهن تحسن فى غضون ستة شهور، وفى دراسة أخرى قام « باركيس » Parkes بإجرائها كجزء من مشروع هارفارد لبحوث الفجيعة وجد أن آثار الأسى تستمر لمدة تتراوح ما بين سنتين إلى أربع سنوات، وفى دراسة « ليهمان » قرر أن (٥٦٪) من الأرملات شعرن بالتحسن بعد سنتين (Lehman et al , 1987)، وأسفرت دراسة «بور نشتين » Bornstein عن أن (٨٣٪) من أفراد العينة تخففن من الأسى خلال عام (Carey , 1977)، وأشارت دراسة « توبنجن » التى أجريت تحت إشراف «ستروبب» أن التخفف من الأسى يستغرق عامين (Stroebe, et al, 1988). نخلص من استقراء ما توصلت إليه الدراسات السابقة من نتائج إلى أنه على الرغم من وجود فروق فردية عبر الدراسات فى المدى الزمنى للتخفف إلا أن تلك العملية تستغرق فى المتوسط ما بين عام إلى عامين، ويؤمل فى الدراسة الحالية الحصول على مؤشرات تقريبية لتلك المدة لدى قطاع من الأرملات فى الثقافة المصرية مع الوضع فى الحسبان تأثير المتغيرات المحددة للأسى فضلاً عن تلك التى تعجل أو تعوق عملية التخفف.

ننتقل بعد ذلك إلى الشطر الثانى من السؤال، والخاص بسبل التخفف من الأسى.

ب- كيف يتم التخفف من الأسى؟

مع اعترافنا بأن معلوماتنا حول ديناميات عملية التخفف من الأسى ما زالت محدودة، إلا أننا سنعرض لأبرز الجهود الرامية للوقوف على الممارسات التى تقوم

بها الأرملة، والخبرات التى تتعرض لها سواء بطريقة متعمدة أو عفوية لإتمام هذه العملية بنجاح، ولكن قبيل الشروع فى القيام بهذه المهمة حرى بنا إبداء بعض **الملاحظات العامة** التى يتوقع أن تسهم فى تعميق فهمنا لتلك العملية قوامها، ما يلى:

١- **مادام معظم** الأرملات يتخففن من أساهن، إذن فما جدوى القيام بعمليات منظمة لمساعدتهن على التخفف ؟

يذكرنا هذا الموقف بظاهرة مشابهة فى مجال المرض النفسى، وهى ظاهرة الشفاء التلقائى، والتى تشير إلى اختفاء الأعراض المرضية دون التعرض لأى من أساليب العلاج النفسى بصورة منتظمة، وهو ما أثار تساؤلا مماثلا حول جدوى تلك الأساليب.

وهو ما حدا بالمعالجين النفسيين - وهم بصدد الإجابة عن ذلك التساؤل - إلى التأكيد على أن الموقف يمكن إدراكه، ومن ثم تفسيره، من زاوية أخرى، قوامها أن اختفاء الأعراض الذى يحدث دون تدخل علاجى لا يعد دليلا على عدم فعالية العلاج لعدة اعتبارات منها :

- أن ثمة متغيرات تتدخل بالفعل فى الفترة الفاصلة بين حدوث المرض والشفاء منه، وإن كان ذلك يتم بصورة غير مخططة : كالتعرض لخبرات ما، أو الاقتداء بأشخاص معينين على نحو يجعل دورهم مُماثلا للمعالج النفسى.

- أن هذا التحسن يستغرق مدة زمنية أطول نسبيا مقارنة بالمدة التى يستغرقها التعرض لأساليب منتظمة نظرا لأن الخبرات والممارسات الفعالة لا تحدث بشكل مكثف تلقائيا، فضلاً عن إمكان التعارض فيما بينها مما يقلل من فعاليتها ويزيد من حدة معاناة الفرد إبانها أيضا.

نخلص من هذه المقارنة إلى أن الأرملة قد تتخفف تلقائيا بيد أن الإدارة المنظمة لعملية التخفف من شأنها أن تسرع بإيقاع إنجاز تلك العملية، وتقلل فى الوقت نفسه من حجم المعاناة التى تخبرها أثناءها فضلا عن أن الكشف عن العناصر الفعالة التى تيسر عملية التخفف وتلك التى تعوقه يدعونا إلى استبقاء

الأولى واستبعاد الثانية ونحن بصدد تخطيط ونشر ثقافة التعامل مع الأسى عبر الوسائط الشخصية والاجتماعية المتنوعة.

٢- **إن التخلص** من الأسى بشكل كامل مسألة مشكوك فى صحتها، ومن ثم فإن دورنا ينحصر فى تقليص أضراره ومعاونة الأرملة على التوافق مع معطياته بوصفها أمرا واقعا، فالناس لا يتغلبون على الأسى وإنما يتواءمون معه (Ramsay, 1977)، فنجاح الأرملة، على سبيل المثال، فى إرساء حجر أساس حياة جديدة لا يعنى أنها نسيت الفقيد ذلك أنه يظل حدثا هاما فى تاريخها، بل إن ما يحدث أنها تتقبل الأمر وتنتزع العناصر الدينامية المثيرة للاضطراب منه (Mccrae & costa , 1988).

٣- **ثمة متغيرات تؤجل** - فى حالة توافرها - عملية التخفف، وهى ما يطلق عليه **معوقات التخفف**، ومن المفترض أن نجاحنا فى الكشف عن تلك المتغيرات والتحكم فى تأثيرها - بقدر الإمكان - من شأنه تيسير تلك العملية، ومن أهم تلك المتغيرات تنزيه الزوج، فحين تصبح للزوج صورة مثالية، وتصبح الذكريات عنه منتقاة ومتحيزة ويضحى أكبر من أن يطوله النقد والمشاعر الإنسانية الأخرى كالغضب والكراهية فإن ذلك مما يعمق الأسى ويقلل من فرص التخفف منه، ويزيد الأمر صعوبة حين تشجع الثقافة على ذلك (Lopata, 1981)، وثمة متغيرات أخرى تمارس دورا جوهريا فى تعويق التخفف من قبيل الالتزام المبالغ فيه نحو الفقيد بحيث تصبح العودة للحياة الطبيعية أو الزواج ثانية خيانة للعهد، وكذلك الاعتقاد بأنها لم تؤد واجبها نحوه، والشعور بالمسئولية عن وفاته ولوم الذات على ذلك.

عقب بيان خصائص عملية التخفف ومعوقاتها يصبح السبيل ممهدا للانتقال للنقطة الأخيرة فى هذا المقام التى تشكل محور الاهتمام الرئيسى والتى تتصل بكيفية التخفف من الأسى.

أساليب التخفف من الأسى:

توصلت الدراسات التى أجريت حول هذه المسألة إلى وجود عدد من استراتيجيات وأساليب التخفف، التى تتفاوت عبر الثقافات والأفراد، يتمثل أبرزها فيما يلى :

١ - **الإفصاح عن المشاعر** : يعد الإفصاح عن المشاعر حول الفقيد من بين الأساليب المفترض فعاليتها فى التخفف من الأسى فى الثقافة الغربية، فمن وجهة نظر تلك الثقافة فإن الأرملة بحاجة للتعبير عن انفعالاتها ومشاعرها السلبية والإيجابية نحو الفقيد حتى لا يصبح أساها مزمنًا .(Sande , 1992)، فى حين أن الإفصاح غير محبذ فى ثقافات أخرى كوسيلة للتخفف، ففى قبائل « النافاهو » غير مسموح بإظهار مشاعر الأسى والحديث عن الفقيد سوى فى الأيام الأربعة الأولى فقط (Stroebe et al , 1992)، وتشير نتائج الدراسات التى أجريت فى الغرب، بوجه عام، إلى أن من يفصحن عن مشاعرهن يتخففن من أساهن بمعدل أسرع، وقد تبين فى دراسة أجراها « بينى بيكر وأوهيرون » أن المشكلات الصحية ترتبط سلبيا بالإفصاح عن المشاعر للأصدقاء، أى أن الأرملات اللائى يفصحن عن مشاعرهن أقل تعرضا لتلك المشكلات (Pennebaker & o'heeron, 1984) تدعونا تلك النتائج إلى طرح السؤال التالى : ترى ما وجهة تأثير ذلك المتغير فى الثقافة المصرية، فهل سيؤدى الإفصاح عن المشاعر نحوه إلى تعجيل التخفف أم تعويقه، وما هى الشروط التى يصبح هذا المتغير فعالاً فى ظلها ؟

٢ - **المساندة الاجتماعية** : إن تأثير المساندة لا يتوقف فقط على مقدارها أو طبيعتها أو هوية الأطراف التى تقدمها بل يتوقف على طبيعة إدراك الأرملة لتلك المساندة : هل هى كافية أم لا، هل تتناسب مع توقعاتها أم لا، هل تتلاءم مع طبيعة المرحلة من الأسى التى تجتازها وما تمليه من احتياجات أم لا . فلكل مرحلة مهامها، والمساندون الأكثر فعالية فيها، ففى المرحلة الأولى حيث يكون الأسى شديدا فإن

المساندة الوجدانية التى يقدمها الوالدان تزداد فعاليتها، وخاصة حين تكون الأم أرملة لأنها تكون أكثر تفهما لاحتياجات الأرملة (ابنتها)، فى حين أنه فى المرحلة اللاحقة حيث ينخفض الأسى تصبح الأرملة فى حاجة لأن تجد لها مكانًا جديدا فى العالم الاجتماعى فإن مساندة الصديقات والزميلات تصبح أكثر أهمية حينئذ، نظرا لأنها تعينها على القيام بأداء المهام المنوطة بدورها الجديد (Bankoff, 1983)، بيد أن هناك جانبا آخر لدور متغير المساندة يتمثل فى أن شعور الأرملة بانفضاض الآخرين عنها، وأنهم لا يقدمون ما تتوقعه يثير لديها الحافز للاعتماد على الذات للتخفف. وعلى أية حال فإننا فى حاجة نظرا للفروق الثقافية فى التماسك الأسرى، والتقاليد الثقافية التى تحث على المساندة الاجتماعية لدراسة دور المساندة فى عملية التخفف لدى الأرملة فى السياق الثقافى المصرى.

٣- **قطع الروابط** : تسهم توجهات الثقافة بدرجة كبيرة فى تحديد وجهة تأثير هذا الأسلوب، ففى الثقافة الغربية يعد أسلوب قطع الروابط مع الفقيد (تجنب الأماكن والأشخاص والمتعلقات الشخصية التى تُذكر بالفقيد) فعالاً فى تخفيف الأسى، فى حين أنه يعد من قبيل الأعمال المؤثمة فى ثقافات أخرى، حيث تحث تلك الثقافات الفرد على استبقاء الروابط مع الفقيد بسبل شتى من قبيل: الدعاء له والصلاة من أجله، تسمية طفل جديد باسمه، الاحتفال بصوره وهداياه، وتحقيق رغباته، ومن ثم فإن التخفف يتم بصورة أسرع فى ظله (Strocbe et al 1992). يثير التباين الثقافى لدور هذا المتغير الرغبة فى الإحاطة بدوره فى الثقافة المصرية، وهى من المهام التى سيناط بالدراسة الحالية القيام بها.

٤- **الانهماك فى أنشطة متنوعة** : ينطوى هذا الأسلوب على قيام الأرملة بالانشغال بأشياء عديدة أخرى تصرفها عن الأسى مثل : الانهماك فى العمل، أو أنشطة الخدمة العامة، أو الاهتمام بالأولاد، أو القراءة، أو ممارسة بعض الهوايات، وبذا تتضاءل فرص تذكرها لزوجها مما يقلل أساها، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الثقافات تشجع الأرملة على ذلك، فالثقافة الأمريكية، مثلاً، تشجع الأرملة على

الخروج من عالمها الخاص وإقامة علاقات اجتماعية جديدة فى مجالات متنوعة (Lopata, 1988). ونحن بصدد تقويم دور ذلك المتغير لدى الأرملات فى الثقافة المصرية يَعنّ لنا أن نطرح **السؤال التالى** :

هل تنغمس الأرملة فى أنشطة أخرى لتتخفف أم أنها تنغمس حين تتخفف ؟

مما يلاحظ على الدراسات السابقة أنه على الرغم من اعتنائها بالأساليب الذاتية للتخفف إلا أنها لم تتطرق إلى دور أساليب أخرى هامة، وبشكل خاص ذات الطابع المعرفى مثل : الحوار الداخلى، إدراك العناصر الإيجابية فى الموقف، معنى الموت، والممارسات الدينية، يضاف إلى ذلك أن التنوع عبر الثقافات والتنوع داخل الثقافة الواحدة ينطوى على تباين أساليب التخفف مما يحدونا للبحث عن الأساليب الشائعة فى بعض قطاعات الثقافة المصرية فضلا عن الأنماط المتفردة من الأساليب التى تمارسها بعض الأرملات داخل كل منها للتخفف.

بناء على ما سبق سينحصر الهدف الرئيسى لتلك الدراسة فى الإجابة عن **السؤال التالى** :

ما السياقات التى تتعرض لها الأرملة والأساليب التى تلجأ إليها وتعينها على التخفف من أساها ؟

وحتى يتأتى لنا الربط بين مشكلة الدراسة ونتائجها سنصوغ ذلك السؤال فى **الفرض الصفرى** التالى :

- لا توجد فروق فى أساليب التخفف بين من تخففن بسرعة من الأسى ومن تخففن ببطء سواء فى الظروف التى يتعرضن لها أو الأساليب الذاتية التى يمارسنها للتخفف.

يلاحظ أن التحقق من ذلك الفرض يستلزم الحصول على مجموعتين من الأرملات : من تخففن بسرعة مقابل من تخففن ببطء، وسنصف ونحن بصدد عرض منهج الدراسة الكيفية التى يتأتى لنا بها الحصول على هاتين المجموعتين.

ثانيا - منهج الدراسة:

١ - العينة:

تكونت عينة الدراسة من (٨٣) أرملة من القاطنات فى القاهرة الكبرى، اشترط فيهن أن يكن ممن مضى على وفاة أزواجهن عام على الأقل، وقد بلغ متوسط مدة وفاة أزواجهن (٨ ± ٧,٦) عام، ومدة زواجهن (٢٣,٨ ± ١٣,٨) عام، وقد كان متوسط عمرهن (٤٤,٥ ± ١١) عاما، وبالنسبة لمستوى تعليمهن فإن أكثر من نصفهن (٥٢ ٪) كن من الأميات، و (٣٣٪) منهن ذوات تعليم متوسط، و (١٥٪) منهن حصلن على شهادة عليا، وكان معظمهن من المسلمات (٩٦,٤٪)، ونصفهن من غير العاملات (٥٠٪).

٢ - أداة البحث:

تكونت الأداة الرئيسية للبحث من استبار مقنن يحوى (٧٣) بندا تدور حول الجوانب المتنوعة لظاهرة الأسى مثل : ظروف وفاة الزوج، وخصال الأرملة، ومظاهر أساها، وطبيعة الظروف الاجتماعية المحيطة بها ومدى إسهامها فى التخفف من الأسى، فضلا عن ممارساتها الشخصية التى تلجأ إليها للتخفف من الأسى.

ونقدم فيما يلى وصفا لخطوات تصميم أداة البحث وكيفية التحقق من استيفائها للشروط السيكومترية التى يتحدد مقدار وثوقنا فى نتائجنا تبعا لمدى توفرها فى الأداة، وقد تمثلت تلك الخطوات فيما يأتى :

١- **الحصول على البنود** : تم الحصول على البنود من خلال المصادر التالية:

- الاطلاع على البحوث العلمية المعاصرة وكتب التراث العربى والإسلامى التى تزخر بالعديد من الوقائع التى تعكس ممارسات فردية أو جماعية ناجحة أسهمت فى تخفيف الأسى، فضلاً عن كشفها عن ملامح السياقات التى تيسر أو تقلل من فرص إتمام تلك العملية بنجاح.

- اقتراح مجموعة من البنود لاستكمال بعض جوانب الظاهرة بناء على الاستبصار الشخصى للقائمين بالدراسة وتصوراتهما حول طبيعتها.

- إجراء استبار شبه حر مع مجموعة من الأرملات (ن = ١٥) حوى عددا محدودا من الأسئلة التى تدور حول حجم الأسى، ومتى شعرت الأرملة بأنه آخذ فى التناقص، وطبيعة الظروف والممارسات الذاتية التى ساعدتها على التخفف منه. عقب ذلك تم تحليل مضمون تلك الاستجابات واستخلص منها عدد من البنود التى تم تضمينها فى الأداة فيما بعد.

٣- تجربة الصياغة:

أسفرت الخطوة السابقة عن توفر مجموعة من البنود التى صنفت إلى فئات روعى أن تغطى الجوانب المتصلة بالموضوع، وأن تصاغ بلغة بسيطة يسهل على الأرملات فهمها، وخاصة أن نصفهن تقريبا من الأميات، تلا ذلك تقديم تلك البنود إلى عدد محدود من الأرملات (ن = ٥) فى استبار مقنن، وأثمرت تلك الخطوة إدخال بعض التعديلات على الأداة تمثلت فى تقليص عدد فئات الإجابة فى بعض البنود، وإعادة صياغة بعضها فضلا عن استبعاد القليل منها.

٤- ثبات الأداء:

للتأكد من ثبات الأداء على أداة البحث طبقت الأداة على خمس عشرة أرملة (ن = ١٥) مرتين فى غضون أسبوعين.

وحيث إن الأداة تحوى مجموعتين من البنود (بنود فئوية، وبنود متصلة) فقد استخدم أسلوبان إحصائيان لتقدير درجة الثبات هما :

- نسبة الاتفاق بين التطبيقين الأول والثانى بوصفه أسلوبا ملائما للفئة الأولى من البنود.

- معامل الارتباط المستقيم (بيرسون) لكونه مناسبا للفئة الثانية. ويبين الجدول التالى رقم (١) قيم معاملات ثبات تلك البنود.

جدول رقم (١)

يحوى قيم معاملات ثبات بنود أداة البحث

م	نسب اتفاق البنود الفئوية عبر مرتى التطبيق	
	فئة النسب	عدد البنــود
١	٩٠ ٪ فأكثر	٢٤
٢	من ٨٠٪ إلى ٨٩٪	١٨
٣	من ٧٠٪ إلى ٧٩٪	١٤
٤	٦٩٪	١
الاجمالى		٥٧

م	نسب اتفاق البنود الفئوية عبر مرتى التطبيق	
	فئة المعاملات	عدد البنــود
١	٩, فأكثر	٩
٢	من ٨, إلى٨٩,	٢
٣	من ٧, إلى ٧٩,	٢
٤	من ٦, إلى ٦٩,	٣
الاجمالى		١٦

تشير نتائج الجدول السابق إلى الارتفاع النسبى لقيم معاملات ثبات البنود حيث تزيد غالبيتها على ٧, مما يعد مؤشرًا مبدئيا لثبات الأداء على الأداة.

٥- صدق الأداة:

لتقدير صدق الأداة آثرنا الاعتماد على المؤشرات التالية :

أ- تمثيل محتوى الأداة للجوانب الفعلية للظاهرة : نظرا لأن معظم البنود التى تكونت منها الأداة مستمدة من أرملات عانين من الأسى وقررن أنهن تخففن منه بدرجة كبيرة، أى أنها تعبر عن خبرات واقعية، يضاف إلى ذلك أنه تم إجراء مسح للدراسات المعاصرة فى هذا المجال أسفر عن التوصل إلى مجموعة من الممارسات والسلوكيات التى تحولت فيما بعد إلى بنود روعى أن تمثل الجوانب المتنوعة للظاهرة - لذا فمن المتوقع أن تتسم هذه الأداة بصدق المحتوى.

ب- اتساق النتائج مع تنبوءات يمليها إطار نظرى : حين تتفق النتائج التى يتم الحصول عليها باستخدام هذه الأداة مع توقعات مستمدة من إطار نظرى معين يلقى قبولا فى المجال الحيوى لتلك النوعية من البحوث، فإن الأداة تتصف، حينئذ، بالصدق التكوينى، وللتأكد من توفر هذا النوع من الصدق فى الأداة قمنا بطرح مجموعة من تلك التوقعات، التى يؤمل اتفاق نتائج الدراسة معها، تتمثل فى :

- تضاؤل الأسى بمرور الوقت.

- انخفاض دخل الأرملات بعد وفاة أزواجهن بدرجة جوهرية.

- توقع أن يرتبط الزواج التالى إيجابيا بالتخفف من الأسى.

- ازدياد حجم الأسى حين تحدث الوفاة فجأة.

- يرتبط التخفف من الأسى إيجابيا بتجنب الذكريات الخاصة بالفقيد.

جـ - اتساق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج بعض الدراسات السابقة، ويعد هذا النوع من الصدق من قبيل الصدق التلازمى وليس بين نوعين من المقاييس السابقة والمستحدثة، يقيسان ظواهر متشابهة، وإنما بين دراسات تبحث نفس الظواهر، ومن المفترض أن تزودنا المقارنة بين نتائج الدراسة الحالية والدراسات السابقة بالعديد من جوانب الاتساق بينهما مما يعد - إن حدث - مؤشرا للصدق.

٦ - الإجراءات:

ثمة جوانب ثلاثة يحسن ذكرها ونحن بصدد وصف إجراءات الدراسة هى :

- كيفية الحصول على العينة : قام مجموعة من الإخباريين بالتعاون مع فريق البحث وإرشاده إلى الأرملات اللائى تتوفر فيهن شروط العينة، فضلا عن أنهم حاولوا إقناعهن فى بعض الأحيان، بالاشتراك فى الدراسة.

- القائمون بالتطبيق (*) : قامت مجموعة من الباحثات النفسيات اللائى تم تدريبهن على كيفية إجراء تلك النوعية من البحوث بجمع البيانات من الميدان، وطلب منهن قبيل الشروع فى ذلك استبار أرملتين على سبيل التجريب، ونوقشت مشكلات التطبيق وسبل مواجهتها معهن بشكل جمعى.

- موقف التطبيق : طبقت أداة البحث فى صورة استبار مقنن، وكان الاستبار يجرى فى معظم الحالات فى منازل الأرملات، على انفراد.

(*) قام بجمع البيانات من الميدان كل من الأستاذة : أحلام إبراهيم، نادية رجب، ناهد فتحى، ونيرمين عبد الوهاب.

٧- التحليل الإحصائى :

تم تقسيم أفراد العينة الكلية تبعا لمتغير مدة الشعور بالتخفف من الأسى إلى ثلاث عينات : من تخففن بسرعة، من تخففن فى مدة متوسطة، ومن تخففن ببطء، وتم استبعاد المجموعة الثانية وعقدت مقارنات بين المجموعتين الأولى والثالثة باستخدام الأسلوبين الإحصائيين التاليين (*) :

- اختبار «ت» ثنائى الذيل لدلالة الفروق بين متوسطين مستقلين.
- اختبار النسبة الحرجة لدلالة الفروق بين نسبتين غير مرتبطتين.

ثالثا : نتائج الدراسة ومناقشتها :

تنتظم نتائج الدراسة الحالية فى ثلاثة محاور رئيسية هى :

(١) خصائص الأسى.

(٢) متى يتم التخفف من الأسى.

(٣) كيف يتم التخفف من الأسى.

وفيما يلى نعرض لأبرز النتائج المتصلة بكل محور منها بقدر من التفصيل.

(١) خصائص الأسى :

حرى بنا قبيل عرض النتائج الخاصة بطبيعة الممارسات التى تلجأ إليها الأرملات للتخفف من أساهن تسجيل بعض الملاحظات الأولية حول خصائص ظاهرة الأسى لديهن نظرا لأهمية تلك الخصائص فى تقويم وإدارة عمليات التخفف من الأسى، وتتمثل تلك الخصائص فيما يلى :

أ - **القصور الذاتى** [١] : هذا المفهوم مستعار أساسا من العلوم الفيزيائية ويشير إلى « ميل الشىء (الجسم) للاحتفاظ بحالته الراهنة (الحركة) بعد غياب المؤثر

(*) قام بإجراء التحليلات الإحصائية للدراسة على الحاسب الآلى الأستاذ فؤاد أبو المكارم معيد علم النفس - كلية الآداب - جامعة القاهرة.

(١) Inertia .

الخارجى (قوة الدفع) » (Wolman, 1975)، وثمة ظواهر نفسية عديدة تجسد تلك الخاصية من قبيل : استمرار الفرد بعد انتقاله لطبقة اجتماعية أعلى فى التصرف تبعا لمعايير الطبقة السابقة (ظاهرة أغنياء الحرب)، أو التحدث بلغة عربية إلى أحد السائحين، وخاصة فى بداية الحوار، مع إجادته للغة الأجنبية.

ونظرا لما يمكن أن نطلق عليه وحدة القوانين التى تحكم الظواهر الكونية والاجتماعية والنفسية فقد لوحظ وجود تلك الظاهرة لدى الأرملات فى صور عديدة منها :

- استمرارها فى سماع صوت زوجها، وقد قرر (٨٦,٧٪) من الأرملات أن ذلك يحدث بمعدل مرتفع فى الشهر الأول من وفاته بيد أن تلك النسبة انخفضت الآن (بعد مرور عدة سنوات) إلى (١٨٪). وقد كان الفارق بين النسبتين دالا عند مستوى (٠٠٠١,) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٨,٩)، وقد كانت هذه الظاهرة أكثر بروزا لدى من تخففن ببطء حيث قرر (٤٠٪) منهن مقابل (١٠٪) ممن تخففن بسرعة حدوثها بعد مرور فترة طويلة من وفاته (كان الفارق بينهما دالا عند مستوى ٠١,)، وجدير بالذكر أن نتائج مشابهة قد ظهرت فى العديد من البحوث الغربية أيضا حيث قرر (٥٠٪) من الأرملات فى دراسة أجرتها « ستروبب » أنهن، بعد مضى عامين، ما زلن يشعرن بوجوده (Stroebe et al , 1992).

- تمسك الأرملة بهويتها السابقة كزوجة مما يعوق التكيف مع الهوية الجديدة كأرملة، ويقلل احتمالات التخفف.

- تأثير الزوج، بصورة ما، فى تنظيم شئون حياتها بعد رحيله مثلما الحال حين تصر الأرملة على أن يصبح ابنها طبيبا، على غير رغبته، تنفيذا لرغبة زوجها.

ب - **نوبات الأسى :** مما يجسد هذه الخاصية أن يظهر الأسى بشكل مفاجئ، بعد فترة من الانقطاع، فى مناسبات معينة ثم ما يفتأ يختفى، وهو ما يدعونا لأن نطلق عليه الأسى المناسبى، وتصبح هذه النوبات ظاهرة مثيرة للقلق حين تتسم

بالحدة وتتوالى على فترات متقاربة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه النوبات عادة ما تثور نتيجة التعرض لمهيجات الأسى التى قد تكون داخلية، حيث قرر (٢٠,٢٪) أنهن يبكينه بشدة كلما تذكرنه، أو خارجية مثل : حضور مناسبة سارة أو غير سارة، وجدير بالذكر أن (٥٧,٨٪) من الأرملات قررن أنهن يتذكرنه فى المناسبات السارة (حضور فرح، نجاح ابن)، وأن (٣٠,١٪) ذكرن أنهن يبكينه عندما يذهبن لأداء واجب عزاء.

جـ- **الأسى بأثر رجعى** : حيث تجدد الأرملة أحزانها على من رحلوا عنها من قبل حين يتوفى زوجها، إن حزنها يعد، حينئذ، بمثابة إحياء لذكرى الراحلين (Sande, 1992)، فضلا عن أنها تصبح أكثر تعاطفا مع الأحزان الماضية للآخرين نظرا لأنها أضحت أكثر قدرة على إدراك موقفهن، وفى هذا الصدد أشارت إحدى الأرملات إلى أن وفاة زوجها أثارت أحزانها على وفياتها السابقين وجعلتها أكثر تعاطفا مع أحزان الآخرين السابقة.

تتمثل أهمية الوعى بتلك الخصائص فى أنه يمكننا من فهم مغزاها وتقويم عواقبها بصورة موضوعية ومن ثم يسهل التعامل معها، فمثلاً إذا كنا على وعى بخاصية نوبات الأسى فإن ظهور نوبات أسى حاد بعد فترة من الكمون، وخاصة حيث تأتى على مدى متباعد وتستمر لفترة قصيرة، لا يعنى نكسة فى عملية التخفف تبعا لتلك الخاصية، فضلاً عن أن إحاطتنا بملامح السياق الذى فجر تلك النوبات يجعلنا أكثر قدرة على توقعه أو تجنبه.

كذلك فإن سماع الأرملة لصوت زوجها لا يشكل إزعاجا طالما أن ذلك يحدث فى الشهور الأولى التى تعقب وفاته لأن تلك الأصوات تبعا لمفهوم القصور الذاتى ظاهرة طبيعية مؤقتة وليست من قبيل الهلاوس السمعية.

بعد أن عرضنا لخصائص ظاهرة الأسى وكيف أن الوعى بها يفيدنا فى تقويمها وإدارة عمليات التخفف منها، نشرع فى الإجابة عن السؤال التالى :

(٢) متى يتم التخفف من الأسى:

لتقدير المدة التى تشعر عندها الأرملة بأن أساها بدأ فى الانخفاض قمنا بتوجيه **السؤال التالى** :

متى شعرت بأن حزنك على زوجك بدأ يقل عما مضى ؟

وقد بلغ متوسط المدة التى قررت عندها الأرملات بداية هذا الشعور (١٤,٦ ± ١٦,٩) شهر.

يلاحظ أن هذا المتوسط يدور حول العام، وهو ما يتفق مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات الغربية، بيد أن هذا المتوسط لا يقدم صورة حقيقية للموقف نظرا لأنه ينطوى على تباينات كبيرة لدى الأرملات فى المدد التى يستغرقنها لكى يشعرن بالتخفف، وهو ما يكشف عنه الانحراف المعيارى الكبير الذى يزيد عن المتوسط ذاته مما يدعونا إلى إعادة تصنيف أفراد العينة تبعا لفئات مدة التخفف للحصول على معدل التكرارات والنسب المئوية للأرملات فى كل فئة منها وهو ما يبينه الجدول التالى رقم (٢).

جدول رقم (٢)

يتضمن تصنيف أفراد العينة تبعا لمدة التخفف من الأسى

م	فئة مدة التخفف بالشهور	ك	٪
١	أقل من ثلاثة شهور	٨	٩,٦
٢	أقل من ستة شهور	٣	٣,٦
٣	أقل من عام	١٩	٢٢,٩
٤	أقل من عامين	١٢	١٤,٤
٥	أقل من ثلاثة أعوام	٩	١٠,٨
٦	أقل من خمسة أعوام	٧	٨,٤
٧	أكثر من خمسة أعوام	٢٥	٣٠,١
	الإجمالى	٨٣	١٠٠

يشير الجدول السابق إلى أن ٣٦,١٪ (ن = ٣٠) من الأرملات، أى أكثر من ثلث أفراد العينة، يشعرن بالتخفف من الأسى فى غضون العام الأول من وفاة أزواجهن، وأن تلك العملية استغرقت ما يتراوح بين عامين إلى خمسة أعوام لدى الثلث الثانى (٣٣,٨٪)، وأكثر من خمسة أعوام لدى الثلث الأخير (٣٠,١٪). أى أننا إذا استبعدنا الثلث الأوسط سنكون أمام مجموعتين طرفيتين تحوى الأولى من تخففن من الأسى بسرعة (فى غضون العام الأول للوفاة) والثانية تضم اللائى تخففن ببطء (بعد مرور خمسة أعوام). وفى هذه الحالة فإن المقارنة بين المجموعتين ستمكننا، فى حالة وجود فروق دالة بينهما، من الوقوف على طبيعة الأساليب والظروف التى من شأنها تخفيف الأسى فضلا عن تلك التى تؤجله.

لكن قبل عقد تلك المقارنات ثمة **إجراءان ضروريان** يجب القيام بهما حتى نتأكد من مصداقية هذا التصنيف يتمثلان فيما يلى :

أ- التيقن من عدم وجود فروق جوهرية بين المجموعتين فى مدة وفاة الزوج، لأن التخفف فى ظل وجود فروق دالة فى هذا المتغير قد يعزى إلى مرور الوقت وليس إلى الممارسات المتفردة التى تلجأ إليها الأرملات أو الظروف والسياقات الاجتماعية التى يتعرضن لها، لذا فقد قارنا بين متوسط مدة وفاة الأزواج فى المجموعتين وتبين أن الفارق بينهما غير دال حيث بلغ متوسط المجموعة الأولى (٩,١ ± ١٠,٧) عام مقابل (٥,٥ ± ٤,٢) للثانية (بلغت قيمة ت ١,٧).

ب - التأكد من أن متوسط درجة أسى المجموعة التى قررت أنها تخففت بسرعة أقل على نحو دال من تلك التى قررت أنها تخففت ببطء، نظرا لأن متغير حجم الأسى يعد بمثابة مؤشر للصدق المحكى لهذا التصنيف القائم على التقدير الذاتى، وفى هذا الخصوص أشارت النتائج إلى أن متوسط درجة المجموعة الأولى على المظاهر الوجدانية للأسى أقل على نحو دال من متوسط المجموعة الثانية، حيث بلغت قيمة ت (٢) وهى دالة عند مستوى (٠,٠٤)، مما يعد دليلاً على صدق هذا التصنيف.

عقب التحقق من عدم وجود فروق جوهرية فى مدة وفاة الأزواج لدى المجموعتين، وأن من تخففن بسرعة لديهن بالفعل قدر أقل من الأسى مقارنا بمن تخففن ببطء مما يوحى بأن الفروق بينهما فى درجة التخفف ستعزى إلى تباين الأساليب والممارسات والظروف المحيطة بهن، يحسن بنا الانتقال إلى الجزء الرئيسى فى نتائج هذه الدراسة والذى يتمثل فى :

(٣) أساليب التخفف من الأسى:

يمكن النظر إلى عملية التخفف من الأسى على أنها نتاج للتفاعل بين مجموعتين من المتغيرات هى :

أ - المتغيرات المهيئة للتخفف. وهى تلك الفئة من المتغيرات التى تضع الأرملة فى حالة تصبح فيها أكثر تهيؤا للتخفف.

ب - المتغيرات المؤدية للتخفف. وهى مجموعة الممارسات التى تصدر عن الأرملة أو المحيطين بها، والتى يتعاظم تأثيرها فى ظل الفئة السابقة من المتغيرات (مهيئات التخفف).

وفيما يلى نعرض للنتائج الخاصة بدور كل فئة من تلك المتغيرات.

أ -المتغيرات المهيئة للتخفف.

تكمن أهمية تلك المتغيرات فى أنها تشكل المناخ المواتى لتيسير التخفف فضلا عن أنها تعد مؤشرا لتفاعلات أكثر عمقا تحدث فى البناء النفسى للأرملة يستدل منها على طبيعة الخبرات التى تتعرض لها، ومن أبرز تلك المتغيرات ما يلى:

١- **عمر الأرملة** : تشير النتائج إلى أن متوسط عمر من تخففن بسرعة أقل بدرجة دالة مقارنة بمن تخففن ببطء (٣٩,٨ ± ٩,٦ مقابل ٤٦ ± ٩,٣) على التوالى، وقد بلغت قيمة ت ٢,٣ وهى دالة عند مستوى (٠,١) أى أن الأقل عمرا تخففن بمعدل أسرع من الأكبر عمرا، وقد يعزى هذا إلى شعورهن بأن الفرص متاحة بالنسبة لهن لبدء حياة جديدة (الزواج ثانية).

٢ – **التعليم** : كانت نسبة أكبر من المتخففات بسرعة من الحاصلات على مؤهل عال (٤٦,٧٪) مقابل (٢٤٪) ممن تخففن ببطء، وقد كانت قيمة معامل النسبة الحرجة (٢,١) وهى دالة عند مستوى (٠٥,). تتمثل أهمية التعليم كظرف ميسر للتخفف فى أنه يعكس اهتمامات متزايدة للأرملة وفرص أكبر للعمل وخاصة حين يرتبط بالعمر المنخفض، وهو ما لوحظ سابقا (Carey, 1977).

٣ – **وفاة أعزاء فيما سبق** : ثمة احتمالان لتأثير وجود حالات وفاة أعزاء قبل الزوج على مقدار أسى الأرملة، ينطوى الاحتمال الأول على أن تلك الحالات تجعل الأرملة أكثر اعتيادا وقدرة على مواجهة ذلك الموقف فى ضوء مفهوم التحصين، ويشير الاحتمال الثانى إلى أنه وفقا لمفهوم التعرية فإن مقاومة الأرملة للأسى تتآكل بفعل الصدمات المتكررة التى تعرضت لها. وقد أشارت نتائج الدراسة الحالية إلى أن (٣٠٪) ممن تخففن بسرعة قررن أنهن فقدن والديهن، وخاصة الأب، فى حين قرر (٤٪) فقط ممن تخففن ببطء ذلك، وقد بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,٥٢) وهى دالة عند مستوى (٠٥,). يبدو أن هذه النتيجة تقدم دعما للاحتمال الأول (التحصين). وهو ما يدعونا إلى افتراض أن وفاة الوالد تعد نموذجًا عمليا تدريبيا يزيد قدرة الأرملة على تحمل الأسى وتيسير عملية التخفف منه أيضا.

٤– **النفور من القيود الاجتماعية المفروضة عليهن** : قرر معظم الأرملات أنهن يتعرضن لضغوط اجتماعية شديدة من قبل المحيطين بهن (أقارب، جيران، صديقات)، وجدير بالذكر أن هذه القيود قد تكون منظورة (تدخلات مباشرة) أو غير منظورة (كلام الناس)، وتمثلت تلك الضغوط فى : مراقبة تحركات الأرملة وفرض قيود عليها مما دعا إحداهن للقول « أصبحت أحسب حساب كل خطوة حتى لا يتكلم علىّ أحد وخصوصا أنى صغيرة السن ». وفرض قيود على اختلاطها بالرجال، ويلاحظ أن هذه القيود قد يفرضها الآخرون، أو تفرضها الأرملة على نفسها صونا لسمعتها، أو لخوفها من أن تكون مطمعا للرجال الذين تختلط بهم، فالناس يعتقدون على حد قول إحداهن « إن الأرملة يسيرة المنال (سكتها سهلة) ».

ومن المتوقع أن تولد تلك الظروف المقيدة لدى الأرملة شعورا بالنفور من حالة الأسى يحثها للبحث عن سبل للخلاص منها.

٥ - **سوء العلاقة مع أهل الزوج** : هل قللت نزاعات أهل زوجك معك من حزنك عليه؟ ردا على هذا السؤال أجابت (٣٣,٣٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٤٪) ممن تخففن ببطء أن هذا هو ما حدث فعلا (*)، وقد كانت قيمة النسبة الحرجة (٢,٧)، وهى دالة عند مستوى (٠١,)، ومن المفترض أن ذلك المتغير يؤدى دوره من خلال تقليل مستوى الأسى، ومن ثم تصبح الأرملة أكثر قابلية للتخفف بما تمارسه أو تتعرض له من ظروف.

٦- **كراهية نوبات البكاء** : قرر (٣٣٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٤٪) ممن تخففن ببطء أنهن بدأن يكرهن نوبات البكاء التى تنتابهن (بلغت قيمة النسبة الحرجة ٢,٧ وهى دالة عند مستوى ٠١,)، وهو ما يشير إلى دور ذلك المتغير فى تهيئة الأرملة للتخفف، وقد يكون مبعث ذلك أن الأرملة تشعر بأن تلك النوبات أصبحت عبئا ثقيلا عليها ينهك قواها، ويشعرها بضعفها، ويشكل انتكاسة لمحاولاتها للتخفف، فضلا عن إدراكها لضرورة الظهور بمظهر متماسك وخاصة أمام أبنائها ؛ لكل ذلك تتفاقم تلك الكراهية والرغبة فى التمرد على ذلك الضعف، ومن ثم تصبح مهيأة لبذل المزيد من محاولات التخفف.

٧- **كراهية حالة الحداد** : على الرغم من أن للطقوس الحدادية وظيفة فهى تشعر الأرملة بأنها أدت واجبها نحو زوجها، وامتثلت للمعايير الاجتماعية، فضلاً عن أنها تكسبها تعاطف الآخرين مما يعينها على التغلب على ما يواجهها من مشكلات - إلا أنها حين تستمر لفترة طويلة نسبيا قد تؤثر سلبا عليها، فهى تدعم استمرار حالة الأسى لديها، والتى قد ترغب فى إنهائها، وتضعها فى حالة من المشقة المتواصلة

(*) جسدت إحدى الأرملات ذلك الموقف بقولها: «إن تآمر زوجى علىّ جعلنى أندم على اليوم الذى ارتبطت به فيه».

سواء داخل المنزل أو خارجه مما يشعرها بأن تلك الطقوس أصبحت عبئا شديدا عليها، وقد قرر، فى هذا السياق، (٤٠٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (١٢٪) ممن تخففن ببطء (بلغت قيمة النسبة الحرجة ٢,٣٢ وهى دالة عند ٠٥,٠) أن ذلك الشعور يساورهن بشكل متواصل، مما يثير لديهن الرغبة فى التخلى عن تلك الطقوس، وتبدأ الأرملة فى تحويل تلك الرغبة إلى إجراءات بالتخلى أولا عن الطقوس التى يصعب اكتشاف عدم الالتزام بها (فتح التليفزيون، خلع الملابس السوداء داخل المنزل)، ثم تتخلص بالتدريج من تلك الطقوس فى حضور الآخرين.

ب- المتغيرات المؤدية إلى التخفف:

تم التوصل فى هذه الدراسة إلى قائمة تحوى تسعة أساليب رئيسية تؤدى إلى التخفف من الأسى سنعرض لدور كل منها فى تلك العملية بإيجاز على النحو التالى:

١- المساندة الاجتماعية:

هناك أطراف عديدة تشكل مصادر المساندة الاجتماعية للأرملة تتكون من الأهل، الجيران، الصديقات، ونقدم فيما يلى النتائج الخاصة بدور كل طرف من هذه الأطراف فى تيسير أركان عملية التخفف.

- **الأهل والتخفف** : أشار (٣٣,١٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٢٦٪) ممن تخففن ببطء (كان الفارق بينهما غير دال حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة ٢١,٠) إلى أن أهلهن ضغطوا عليهن وحاولوا إخراجهن من حالة الأسى، وقد تمثلت هذه المحاولات فى التردد عليهن بكثرة، وخاصة فى الشهور الثلاثة الأولى، وإقناعهن بخلع الأسود، ونصحهن بضرورة تجاوز محنتهن كما فعلت الأرملات الأخريات. يلاحظ ضآلة المساندة التى يقدمها الأهل بشكل عام فضلا عن أنها ذات طابع مؤقت، وأنها أقل من المتوقع، كما قررت بعض الأرملات، مما يهمش من دورها فى عملية التخفف، وهو ما يدعونا لبحث تلك العلاقة - فى دراسة تالية - بشكل أكثر تفصيلا للكشف عن مضامينها وكيفية توظيفها توظيفا إيجابيا لتيسير تلك المهمة.

- **الصديقات والتخفف** : تتمثل أهمية الصديقات كعنصر ميسر للتخفف فى أن الفرد يختار أصدقاءه ولا يفرضون عليه، كأقاربه، ومن ثم يصبح اللقاء معهم فرصة للتفريغ الانفعالى (Weller , 1990)، وقد أشارت نتائج الدراسة الحالية إلى ضآلة إسهام الصديقات فى عملية التخفف، عكس ما هو متوقع، بل إن روابط الأرملة بهن تضعف، وخاصة بالمتزوجات منهن، وثمة عدة تفسيرات لهذا الموقف نبعت من إجابات الأرملات أنفسهن تتمثل فيما يلى :

- أن هؤلاء الصديقات يتجنبن الأرملة خوفا على أزواجهن، وخاصة حين تكون الأرملة صغيرة السن.

- أن وجود الأرملة بصحبتهن يذكرها بماضيها كزوجة، مما يثير شجونها بل وغيرتها أحيانا.

- أنها تشعر بأنهن أقل تعاطفا معها وغير متفهمات لموقفها مما يحثها على الابتعاد عنهن، وهو ما يفسر النتيجة التى توصل إليها «ليهمان» من أنهن يقضين وقتا أقل مع صديقاتهن، ويشعرن بالضيق منهن أحيانا (Lehman, et al, 1987). تحدونا تلك النتائج إلى إدراج مسألة تغيير الأرملة لصديقاتها عقب وفاة زوجها فى الحسبان ونحن بصدد تناول دور الصديقات فى التخفف فى دراسات قادمة، فضلا عن تحليل منحنى علاقتها بصديقاتها السابقات عقب الوفاة عبر فترات زمنية متعاقبة.

- **الجيران والتخفف** : نظرا لأن الجيران، وخاصة حين تكون بينهم علاقة طيبة، من أكثر مصادر المساندة إتاحة، فقد حاولنا فحص دورهم فى عملية التخفف، وقد أوضحت النتائج أن ثلثى الأرملات قررن أن الجيران حاولوا التخفيف عنهن، وتمثلت مساندتهم فى مساعدتهن على قضاء بعض الشئون المنزلية، وتبادل الحديث معهن، وتذكيرهن بأحزان الأخريات.

تبقى ملاحظة أخيرة تتصل بمتغير المساندة الاجتماعية تتمثل فى أن ضآلة إسهام هذا المتغير فى عملية التخفف قد تعزى، فضلا عن انصراف المحيطين

بالأرملة عن تقديم المساندة إليها، إلى إساءة استخدام هؤلاء الأطراف لعملية التعزية (*)، فعلى سبيل المثال ذكرت إحدى الأرملات أنها أصبحت تنفر من أسلوب البعض فى تعزيتها والتخفيف عنها، وخاصة حين يسردن حكايات عن الأخريات اللائى مرون بمثل موقفها. إن استراتيجية التعزية التى تلجأ إليها معظم المعزيات والتى ترتكن إلى تضخيم أحزان الأخريات لتهوين أحزان الأرملة قد لا تكون فعالة فى تخفيف أحزانها لاعتقادها بأن خبرتها متفردة، ولا يمكن مقارنتها بأحزان الأخريات، فضلا عن أن تلك الروايات تغفل الممارسات الذاتية لهؤلاء والتى ساعدتهن على التخفف ولا تشير إلى أنهن اجتزن بالفعل مراحل عصيبة ومؤلمة حتى تخففن، كذلك فإن الأرملة قد تشعر بأن هذا الأسلوب فيه استهانة بمعاناتها، يضاف إلى ذلك خوفها من أن تصبح مضربا للأمثال حين تتخلى عن أساها بسرعة.

٢- التخلى عن المظاهر الحدادية:

ركزنا فى هذه الدراسة على مظهرين رئيسيين للحداد لتقويم أثر التخلى عنهما فى تخفيف الأسى هما :

أ - **خلع الملابس السوداء** : ذكر (٥٦,٧٪) ممن تخففن ببطء، مقابل (٢٨٪) ممن تخففن بسرعة أنهن ما زلن يرتدين السواد وقد كان الفارق بين النسبتين دالا عند مستوى (٠٥,)، حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,١٣)، وهو ما يفصح عن طبيعة العلاقة بين خلع السواد والتخفف، حيث إن نسبة أكبر ممن تخففن يسارعن باتخاذ تلك الخطوة، وقد كانت أبرز أسباب تخليهن عنها مرتبة ترتيبا تنازليا حسب أهميتها كما يلى :

- الضيق والنفور من تلك النوعية من الملابس (٢٠٪).
- حتى يبعدن الحزن عن الأبناء (١٦,٧٪).

(*) يعرفها المباركفورى بأنها «التصبر، وذكر مايسلى صاحب المصاب ويخفف عنه حزنه ويهون مصيبته» (الدمشقى، ١٩٩١ ، ٢٨).

- إذعانا للضغوط الاجتماعية (ضغط الأهل - حضور مناسبات سعيدة) (١٣,٢٪).

- لأن الناس بدأت تكرههن بسببه (٦,٧٪).

ب - **فتح التليفزيون** : تبين أن متوسط المدة التى قرر عندها من تخففن بسرعة فتح التليفزيون عقب وفاة أزواجهن (٥,١ ٩) شهرا مقابل (٧,٦ ٩٣,) شهر لمن تخففن ببطء، ولم يكن الفارق بينهما دالا (بلغت قيمة ت - ١,١) وقد تمثلت أبرز أسباب فتحه فى فئتين هما :

- أسباب متصلة بالأولاد كالاستجابة لإلحاحهم والرغبة فى التخفيف عنهم، حيث قرر ذلك (٥٦,٦٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٧٦٪) ممن تخففن ببطء.

- لكى أسلى نفسى فالحزن فى القلب. أشار إلى ذلك (٢٦٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٨٪) ممن تخففن ببطء ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٨).

نخلص من النتيجة السابقة إلى أن فتح الأرملة للتليفزيون لا يعد فى حد ذاته مظهرا من مظاهر التخفف، أو نتيجة له، نظرا لأن تلك الخطوة لا تتم فى الأساس لدوافع ذاتية بل لأسباب تتصل برغبتها فى التخفيف عن أبنائها والإذعان لإلحاحهم، بيد أنه حالما تقدم على هذا الإجراء فإنها تتعرض لخبرات متنوعة قد تساعد على تخففها من الأسى.

وهو ما يدعونا، بالتالى، إلى مناقشة العلاقة التفاعلية بين الطقوس الحدادية والتخفف من الأسى، فعلى الرغم من أن تلك الطقوس تعد من مكونات الأسى إلا أنها، وفقا لقاعدة التأثير المتبادل، قد تزيده أو تقلل منه، فالتمسك بتلك الطقوس من شأنه زيادة حجم الأسى وتعويق فرص التخفف منه، فالأرملة حين ترتدى السواد مطالبة بأن تلتزم سلوكيات معينة من قبيل عدم التزين، وتجنب الاختلاط بالآخرين، أو ارتياد متنزهات عامة، مما يذكرها دوما بكونها أرملة وهو ما يدعوها للتمسك

بأساها، كذلك فإن عدم فتح التليفزيون يوفر لها متسعا من الوقت لاجترار الذكريات الخاصة بزوجها مما يثير أساها، وفى المقابل فإن تخليها عن تلك الطقوس قد يشجعها على التخفف، فحين تكون فى تجمع يصعب فيه معرفة أنها أرملة، نظرا لعدم ارتدائها ملابس سوداء، فإنها تصبح أقل التزاما بالسلوكيات المرتبطة بدور الأرملة، كذلك فإن مشاهدتها التليفزيون لا تدع لها فرصة لتخلو بنفسها وتجتر ذكرياتها (*)، فضلاً عن احتمال تعرضها لخبرات معينة من شأنها تسكين أحزانها أثناء مشاهدته مما يقلل من أساها، ومن ثم فإن التخلى عن تلك المظاهر يعد أحد أساليب التخفف وليس نتاجا للتخفف فقط.

٣-الاقتداء:

لكى نفهم دور عملية الاقتداء فى التخفف حرى بنا إلقاء الضوء على جانبين لهذا المتغير هما :

أ - **هوية القدوة** : حين توجهنا بالسؤال التالى لمن تخففن من الأسى بسرعة : «من أكثر واحدة عجبك سلوكها لما جوزها مات » ؟

أجبن بأنها : جارة (١٣,٣)، صديقة (٦,٧٪)، زميلة (٣,٣٪)، أمى (٣,٣٪)، فى حين أجاب (٧٣,٤٪) منهن بأنه لا توجد نماذج أعجبن بها.

يلاحظ أن الجارات والصديقات يأتين فى المقدمة نظرا لارتفاع معدل التفاعل معهن فضلا عن تقارب المستوى العمرى، وتشابه الظروف الاجتماعية.

أما أهم الأفعال التى أثارت ذلك الإعجاب فقد تمثلت فى : رفض الزواج، والتماسك والصمود أمام الأزمة، والاهتمام بالأولاد.

ب - **كيف تتم عملية الاقتداء ؟** شكل العنصران التاليان ملامح العملية التى يتم من خلالها ذلك الاقتداء وهما :

(*) ذكرت إحدى الأرملات «ان مشاهدة التليفزيون أنقذتنى من التفكير فى زوجى عندما أجلس وحدى» .

- مقارنة أحزان الأرملة بالأخريات : من أنفع الأمر للمصاب، كما يقول الحنبلى، أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسى بأهل المصائب (*) (الدمشقى، ١٩٩١، ٨)، وفى الدراسة الحالية قرر (١٦,٦٪) ممن تخففن بسرعة، مقابل (٢٤٪) ممن تخففن ببطء أنهن يلجأن كثيرا لهذا الأسلوب، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٠,٧)، وهو ما يشير إلى أن العنصر الفعال فى تلك العملية ليس مجرد العلم بأن أحزانها أقل أو أكثر من الأخريات، ولكن كيف توظف تلك المقارنة وتستفيد من خبرات هؤلاء الأرملات، وخاصة تلك التى تتلاءم مع ظروفها، فى تخفيف أساها، وهو ما يؤمل دراسته بشكل مفصل فيما بعد.

- **المصادقة والاستفادة من خبرات الأرملات الأخريات** : على الرغم من أن العديد من برامج الخدمة الإرشادية التى تقدم للأرملات فى الخارج تعتمد جزئيا على قيام أرملة سابقة أو مجموعة من الأرملات بتقديم العون للأرملة الحديثة حتى تتخفف (Vackon et al , 1980)، إلا أن النتائج الحالية للدراسة تشير إلى أن نسبة منخفضة ممن تخففن بسرعة (١٦,٧٪) مقابل (٣٢٪) ممن تخففن ببطء يصادقن الأرملات، ولم يكن الفارق بين النسبتين دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٣)، وقد كانت أهم دوافع عقد تلك الصداقة : تشابه ظروفنا، ولكى يكنّ قدوة لى على الصبر، وحتى أستشيرهن فى بعض الأمور المالية والإدارية والاجتماعية التى سبق وتعرضن لها، ومما يجدر ذكره أنه على الرغم من إحجام الأرملات عن مصادقة نظيراتهن إلا أنهن كن أكثر تجنبا لهن قبل وفاة أزواجهن.

تثير تلك النتيجة مفارقة غريبة، فالأرملة تبتعد عن صديقاتها اللائى لم يتوف أزواجهن، وفى نفس الوقت لا تقترب - بل تنفر - من مصادقة مثيلاتها من الأرملات، أى أنها تفقد صداقاتها القديمة ولا تستبدلها بأخرى مما يزيد من عزلتها، وهو ما يفسر انخفاض إسهام الصديقات فى عملية التخفف الذى كشفت عنه النتائج السابقة.

(*) فى هذا تقول الخنساء - قبل إسلامها - فى رثاء أخيها صخر :

ولولا كثرة الباكين حولى   على أمواتهم لقتلت نفسى

٤-الحوار الداخلى:

من المفترض أن الحوار الداخلى (*) الذى يدور فى ذهن الأرملة قد يشجعها إن كان إيجابيا على التخفف، وقد يثبط - إن كان سلبيا - قدرتها على القيام بتلك العملية، وحين قمنا بفحص ذلك المتغير تبين أن متوسط درجة من تخففن بسرعة على مقياس الحوار الذاتى الإيجابى بلغ (٦,٥ ± ١,٧) مقابل (٥,٥ ± ١,٨) لمن تخففن ببطء، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠٤,) حيث بلغت قيمة ت (٢,١٢). وتمثل هذا الحوار فى عبارات تحض على الرضا بالقضاء من قبيل (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) و(الموت حقيقة فلا داعى للجزع منه)، والتذكير بالمسئوليات الحياتية (الحى أبقى من الميت).

٥-الزواج اللاحق:

تبين أن (٣, ٢٣٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٤٪) ممن تخففن ببطء تزوجن ثانية، وقد كان الفارق بين النسبتين دالا عند مستوى (٠٥,) حيث كانت قيمة النسبة الحرجة (٢,٠٢)، وأن هذا الزواج تم عادة فى غضون السنوات الثلاث الأولى من وفاة الزوج، مما يشير إلى أهمية ذلك المتغير فى عملية التخفف، فهو يقلل من الضغوط الاجتماعية المحيطة بالأرملة، ومخاوفها من طمع الآخرين فيها، وتدخلهم فى شئونها، وما يقدمه الزوج الحالى من مدعمات كفيلة بالتخفيف من أساها، فضلا عن اعتقادها بأن ذكرى زوجها السابق تعد خيانة لزوجها الحالى مما ينشئ مناخا مشجعا على التخفف.

٦-إدراك الجوانب الايجابية فى الموقف:

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » (البقرة : ٢١٦)، توحى هذه الآية بحقيقة أزلية تنطوى على و جود مكسب فى كل خسارة. من هذا المنطلق فإنه كما ينتج عن وفاة الزوج الكثير من الأضرار إلا أنها تنطوى على بعض المزايا، ومن ثم

(*) من أساليب علاج المصائب عند أبي الفرج بن الجوزى «معاتبة النفس عن الجزع» (الدمشقى، ١٩٩١، ١٨).

فإن اللحظة التى تتمكن فيها الأرملة، سواء بنفسها أو بمعونة الآخرين، من إعادة بناء المجال الإدراكى على النحو الذى يجعل الشكل البارز هو المزايا والأرضية هى الأضرار، أى تدرك بعض العناصر الإيجابية المترتبة على وفاته سواء فى حياتها أو شخصيتها فإن هذا الإدراك من شأنه أن ييسر عملية التخفف، ويعجل بها. وقد أشارت الأرملات اللائى تخففن بسرعة إلى بعض من تلك العناصر، حيث ذكر (٨٣,٣٪) منهن أن هذه المحنة جعلتهن أكثر قربا من الله، وقرر (٨٠٪) منهن أن موت الزوج جعلهن أكثر قدرة على تحمل المصائب اللاحقة فى حياتهن (*)، وأجاب (٧٣,٣٪) منهن بأن ثقتهن فى أنفسهن زادت، فضلا عن مزايا أخرى متفرقة أشارت إليها نسبة أقل منهن مثل : إقامة علاقات وثيقة مع الجيران، وتحسن معاملة الآخرين لأولادها، وتمتعها بقسط أوفر من الحرية فى تخطيط شئونها، وهناك زاوية أخرى يمكن النظر للموضوع من خلالها تكمن فى أن إدراكها لتلك المزايا يشجعها على إعادة تقويم حياتها السابقة واكتشاف الجوانب السلبية فيها، وفى زوجها أيضا، كأن تشعر بأن زوجها كان يحجب عنها الكثير من الممارسات التى كان من شأنها تحسين مفهومها عن ذاتها مما يسهم فى التعجيل بعملية التخفف.

٧- الممارسات الدينية:

حين قارنا بين من تخففن بسرعة ومن تخففن ببطء فى معدل قيامهن بأداء بعض الأنشطة الدينية مثل ارتياد المساجد، الاستماع لأحاديث دينية، تلاوة القرآن الكريم، التقرب إلى الله بالطاعات، لم نجد فروقا دالة بينهما حيث كانت تلك الممارسات مرتفعة لدى كل منهن، ما عدا ارتياد المساجد الذى كان منخفضا لدى كليهما، مما يشير إلى أن التدين يعد نمطا عاما سائدا لديهن بغض النظر عن وفاة الزوج، أو أن الوفاة جعلتهن أكثر تدينا، وهو ما لا نستطيع التحقق منه الآن لعدم توفر بيانات لدينا حول ممارساتهن الدينية قبل وفاة أزواجهن، أو أن التدين يعد

(*) فى مثل هذا الموقف يقول شاعر القلبيلة العربية فى رثاء سيدها :

لقد جر نفعا فقدنا لك أننا   آمنا على كل الرزايا من الجزع   (العبد، ١٩٨٦، ١٧)

عاملا مهيئا للتخفف وليس مؤديا له، وفى كل الأحوال فنحن فى حاجة لدراسة لاحقة لتحديد أى من تلك الفروض أكثر قدرة على تفسير ذلك الموقف.

٨- الاستبدال:

كما أن المهاجر يبدأ فى التوافق مع مهجره حين يستبدل بوطنه المفقود الإنتماء لدينه والالتزام بشعائره والمشاركة فى الأنشطة المتصلة به (Eisenbruch, 1991)، كذلك الحال بالنسبة للأرملة فإن أساها يبدأ فى الانخفاض حين تستطيع القيام بعملية الاستبدال هذه، حيث تستبدل دورها كأم بدورها كزوجة، ودورها كامرأة عاملة بدورها كأرملة.

وقد قدمت النتائج الحالية دعما لذلك التصور حيث أجابت الأرملات اللائى تخففن بسرعة حين سألناهن عن أهم شىء فعلنه وشعرن بأنه قلل من أحزانهن أنه:

العودة للعمل (العمل كبديل) (*) ، والاهتمام بالأولاد (الأمومة كبديل)، والتقرب إلى الله (الدين كبديل)، والزواج اللاحق (الزوج الآخر كبديل) أى أنها حين تفقد محورا (زوجها) من محاور نشاطها المتعددة فإنها تعوضه بتكثيف أنشطتها فى المحاور الأخرى، كالكسيح الذى يكثف من اعتماده على يديه مما يزيدها قوة.

٩- تقليص الروابط:

إن الروابط الوجدانية مع الفقيد للأرملة كالحبل السُّرى الذى يربط الجنين بالأم يجب قطعه لكى تستمر حياته بعد الولادة، على الرغم من أهميته القصوى لبقائه حيا، فيما سبق، داخل رحمها. انطلاقا من هذا التصور يجب على الأرملة لكى تتخفف من الأسى أن تقلص أو تتخلص من تلك الروابط بالتدريج ومن المتوقع إنجاز تلك العملية من خلال عدة صور هى :

أ - **تجنب التحدث عنه مع الآخرين** : فقد قرر (٥٦٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٢٠٪) ممن تخففن ببطء أنهن يحرصن على ذلك، وقد كان الفارق بين النسبتين دالا

(*) أجابت إحدى الأرملات فى مثل هذا الموقف قائلة : «حطيت كل همى فى شغلى».

عند مستوى ٠١, (بلغت قيمة النسبة الحرجة ٢,٧٦)، وفى معرض تفسير ذلك الموقف أشارت إحدى الأرملات إلى أن حديثهن عن مشاعرهن نحوه للأخريات جعلهن ينفضضن عنها.

ب- **تجنب وضع ما يذكرهن به فى متناول أيديهن**، نظرا لأن تلك المتعلقات تعد من مهيجات الأسى، فالجائع، على سبيل المثال، عند عدم الطعام أقدر على الصبر عليه منه عند حضوره، وكذلك الشبق عند غياب المرأة أصبر منه عند حضورها (الحنبلى، ١٩٩١، ١٥٣).

وقد أوضحت النتائج أن (٣,٨٣٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٥٢٪) ممن تخففن ببطء قررن حدوث ذلك وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠٥,)، حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,٣).

جـ- **زيارة القبور** : حيث أشار (٦٠٪) ممن تخففن بسرعة مقابل (٣٢٪) ممن تخففن ببطء أنهن نادرا ما يفعلن ذلك وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠,٥) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢.٠٧).

الخلاصة:

ثمة نقاط ثلاث يمكن النظر إليها بوصفها خلاصة تلك الدراسة هى :

١- ملامح صورة الأرملات اللائى تخففن من أساهن بما تحويه من خصال وممارسات.

٢- مدى اتفاق نتائج الدراسة الحالية مع التوقعات المستمدة من أطر نظرية ودراسات سابقة بوصفها مؤشرا لصدق أداة البحث.

٣- نقاط يجب الاهتمام بدراستها مستقبلا.

وفيما يلى نعرض لكل نقطة من النقاط الثلاث على حدة.

١- ملامح صورة الأرملات اللائى تخففن من أساهن:

تخط نتائج الدراسة الحالية صورة للأرملات اللائى تخففن، تتضمن خصالهن وطبيعة الأساليب اللائى لجأن إليها للتخفف، وحتى تصبح معالم تلك الصورة أكثر نصوعا سنعقد مقارنة بين من تخففن بسرعة ومن تخففن ببطء على تلك العناصر، ويوضح الجدول التالى رقم (٣) دقائق تلك الصورة.

جدول رقم (٣)

توضح الخصائص والممارسات المفضية للتخفف من الأسى لأرملات تخففن منه بسرعة وأخريات ببطء

م	الأرملات الائى / المتغيرات موضع المقارنة	تخففن بسرعة	تخففن ببطء
١	أصغر عمرا	√	×
٢	أكثر تعليما	√	×
٣	نسبة أكبر منهن توفى والداهن (الأب بوجه خاص)	√	×
٤	لديهن نفور من القيود الاجتماعية	√	√
٥	علاقتهن بأهل أزواجهن سيئة	√	×
٦	أكثر كراهية لنوبات البكاء التى تنتابهن	√	×
٧	أكثر كراهية لحالة الحداد	√	×
٨	يحصلن على مساندة اجتماعية ضئيلة	√	√
٩	فتحن التليفزيون مبكرا .	√	√
١٠	نسبة أعلى منهن تزوجن ثانية	√	×
١١	هذه المحنة جعلتهن أكثر تدينا	√	√
١٢	نادرا ما يزرن قبره	√	×
١٣	نسبة أكبر تخلت عن ارتداء الملابس السوداء	√	×
١٤	نسبة أكبر تصادق الأرملات الأخريات	×	√
١٥	قليلا ما يقارن أحزانهن بأحزان الأخريات	√	√
١٦	الحوار الإيجابى يدور فى أذهانهن بمعدل مرتفع	√	×
١٧	نسبة أكبر منهن مستغرقات فى أنشطة أخرى .	√	×
١٨	يتجنبن الحديث عنه مع الآخرين .	√	×
١٩	يتجنبن وضع ما يذكرهن به فى متناول أيديهن	√	×

حين نستقرئ **الملامح العامة** التى يخطها الجدول السابق للأرملات اللائى تخففن بسرعة من أساهن نلاحظ أن الأساليب التى تميزهن، عمن تخففن ببطء، ذات طابع شخصى تعتمد على مبادرتهن بتبنيها وممارستها، ويقف فى طليعتها الأساليب المعرفية التى تتضمن الحوار الداخلى الإيجابى الذى يحثثن به أنفسهن على التسليم بالأمر الواقع ومواجهة مقتضياته، وإدراك الموقف على نحو يبرز جوانبه الإيجابية وانعكاساتها على شخصيتهن وحياتهن مما يعد بمثابة أحد أشكال الدعم التى تعضد سلوك التخفف لديهن، ثم تأتى بعد ذلك الأساليب الوجدانية التى تتمثل فى تصاعد حالة من كراهية الطقوس الحدادية والنوبات البكائية التى تنتابهن، والنفور من القيود الاجتماعية المرتبطة بدور الأرملة وهو ما يشجعهن على المضى قدما فى سبيل التخفف ويدعوهن للبحث عن الأساليب الملائمة لإنجازه وتجريبها لاختبار فعاليتها، وإتيان بعض السلوكيات المعجلة بالتخفف من قبيل خلع الملابس السوداء والتى تعد علما عليهن فى المحافل اللائى يذهبن إليها مما يشكل قيودا ضمنية على سلوكهن، والانهماك فى أنشطة بديلة تقلل من شعورهن بكونهن أرملات كالانغماس فى العمل، أو تكريس جهدهن لرعاية أبنائهن، أو الزواج ثانية، فضلاً عن الإحجام عن بعض الأفعال الكفيلة بتقليص روابطهن الوجدانية بالفقيد من قبيل التحدث عنه أمام الآخرين، أو وضع ما يذكرهن به فى متناول أيديهن، وفى المقابل نلاحظ تضاؤل دور المتغيرات ذات الطابع الاجتماعى فى مسار عملية التخفف، حيث قررت الأرملات أن دور الأهل كان أقل من المتوقع، وكذلك الصديقات اللائى أصبحت علاقاتهن بالأرملة محدودة، وخاصة حين تكون صغيرة فى السن، ولم تكن أساليب تعزية الأخريات لهن ملائمة، ولم تؤت الثمرة المرجوة، كذلك لم يكن لمتغير الاقتداء بالمحيطات بهن دور جوهرى فى عملية التخفف حيث أشرن إلى غياب النماذج اللائى تستحق أن يقتدين بها حولهن، وتبين أنهن يتجنبن مصادقة نظيراتهن تجنبا يصل إلى حد النفور، وهو ما يبرز أهمية الاعتماد على الأساليب الذاتية، بوصفها حجر الزاوية فى استراتيجيات التخفف، ونحن بصدد إعداد برامج إرشادية للأرملات تساعدهن على إتمام هذه العملية بنجاح.

٢- مؤشرات الصدق:

ونحن بصدد تقويم صدق أداة البحث طرحنا عددا من التوقعات التى أشرنا إلى أن صدق الأداة سيتحدد تبعا لمدى اتفاق النتائج معها، وفيما يلى أبرز جوانب الاتفاق بين ما طرحناه من توقعات وما أسفرت عنه الدراسة من نتائج :

- اتفقت نتائج الدراسة الحالية مع سابقتها على أن الأسى يتضاءل بمرور الوقت حيث انخفض متوسط أسى من تخففن، بعد مرور عدة سنوات، بصورة دالة (عند مستوى ٠٠٠١,) مقارنة بمتوسط من تخففن من أساهن بعيد الوفاة (أثناء الشهر الأول منها).

- تبين أن نسبة أكبر ممن تخففن بسرعة تزوجن ثانية مقارنة بمن تخففن ببطء، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠٥,).

- قررت نسبة أكبر من الأرملات اللائى تخففن بسرعة أنهن يتجنبن التحدث عنه مع الآخرين أو وضع ما يذكرهن به فى متناول أيديهن، مقارنة بمن تخففن ببطء، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠١,)، (٠٥,) على التوالى.

- كان أسى من توفى أزواجهن فجأة أكبر بدرجة دالة (عند مستوى ٠٥,) ممن توقعن وفاة أزواجهن نظرا لمرضهم أو إصابتهم فى حوادث (كان متوسط أسى المجموعة الأولى ٦٣,٣ ± ١٠,٥ مقابل ٥٦,٥ ± ١٠,٦ وقد بلغت قيمة ت ٢,٣٦).

- قرر (٨١٪) من الأرملات أن دخلهن انخفض بصورة كبيرة بعد وفاة الزوج وهو ما يتفق مع ما هو متوقع نظرا لغياب العائل.

٣- نقاط يجب الاهتمام بها فى دراسات لاحقة، ويتمثل أبرزها فيما يلى:

- **الحصول على** كتابات للأرملات عن مشاعرهن، وعن السبل والسياقات التى ساعدتهن على التخفف، ثم تحليلها للوقوف على مراحل وديناميات تلك العملية، وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذا الأسلوب لن يفيدنا فقط فى الحصول على المادة

الخام لبحوثنا، بل سيعود بالنفع أيضا على الأرملات حيث إن تعبيرهن عن تلك الخبرات كتابة له آثار إيجابية عديدة سواء من الناحية الصحية أو الانفعالية أو الاستبصارية بوصفه أسلوبًا من أساليب التخفف.

- **فحص دور** بعض أساليب التخفف بصورة أكثر تعمقا وتفصيلا من قبيل : معدل التعرض عن طريق القراءة والاستماع والمشاهدة لخبرات قد تكف أو تحث على التخفف، ومعدل اتصال الأرملة بالأطراف المحيطة بها (أهل، جيران، صديقات)، ومدى ارتباط ذلك المعدل عبر كل شكل من أشكال الاتصال (تليفونات، زيارات، نزهات، خطابات) بحجم التخفف.

- **دراسة الأساليب** الكامنة للتخفف من الأسى لدى الناس العاديين الذين لم يتعرضوا بعد لفقد عزيز لديهم للوقوف على الملامح العامة لاستراتيجية مواجهة الأسى المختزنة لديهم، والتى تكونت من ملاحظة سلوك الآخرين فى مثل هذه المواقف، والمرجع أن يستدعوها عند فقد عزيز لديهم، ويتصل بتلك المسألة نقطة هامة يثير « الرازى» انتباهنا إليها حين يتطرق إلى عملية استباق الأسى، أى معايشته قبل وقوعه حتى يسهل التخفف منه حين يقع ويشرح كيفية حدوث تلك العملية بقوله « أن يتمثل الرجل ويتصور فقد محبوباته، ويقيمها فى نفسه ووهمه، ويعلم أنها ليست مما يمكن أن تبقى وتدوم بحالها، ولا يخلو من تذكر ذلك منها وإحضار ذلك بباله فيها، وتصحيح العزم على شدة الجلد متى حدث ذلك بها، فإن ذلك تمرين وتدريج ورياضة وتقوية للنفس على قلة الجزع عند حدوث المصائب » (العبد، ١٩٨٦، ١٦٧).



قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا - المراجع العربية:

١- الحنبلى، المنبجى (١٩٩١) ، **تسلية أهل المصائب** ، القاهرة : دار الكتبى .

٢- الدمشقى ، أبو عساكر (١٩٩١) ، **تعزية المسلم عن أخيه** ، تحقيق : مجدى فتحى السيد ، جدة : مكتبة الصحابة .

٣- العبد ، محمد عبد اللطيف (١٩٨٦) « **إصلاح النفس بين الرازى فى الطب الروحانى والكرمانى فى الأقوال الذهبية** » .

٤- عبد الخالق ، أحمد (١٩٨٩) ، **قلق الموت** ، الكويت : عالم المعرفة .

ثانيا - المراجع الأجنبية :

5- Arling , G . (1976) " The elderly widow and her family , neighbors and friends" . ***Journal of Marriage and the family*** (November) : 757 - 768 .

6- Bankoff, E . A . (1983) A Social support and adaptation to widowhood". ***Journal of marriage and the family*** (November) : 827 - 839 .

7- Carey, R . G. (1977) "The widowed : A Year later" . ***Journal of Counseling Psychology*** , 24, 2, 125 - 131 .

8- Eisen bruch, A . (1991) : From Post - traumatic stress disorder to cultural bereavement : Diagnosis of Southeast Asian refugees . "***Soc. Sci. Med*** , 33, 6, 673 - 680 .

9- Goldenson, R. M. (1984) : ***Longman dictionary of Psychology and Psychiatry*** , London : Longman Pub .

10- Hansson, R. O. Stroebe, M. S. & Strobe, W. (1988) "In Conclusion : Current themes in berevement and widowhood research" . ***Journal of Social Issues*** , 44, 3, 207 - 216 .

11- Lehman , D. R; Wortman, C. B. & Williams, A. G. (1987) "Long- term effects of losing a spouse or Child in a motor vehicle crash" . ***Journal of Personality and Social Psychology***, 52, 1, 218 - 231 .

12- Lopata, H. Z. (1981) "Widowhood and husband santification" ***Journal of Marriage and the family*** (May) : 439 - 450 .

13- Lopata, H. Z. (1988) "support Systems of American urban widowhood" **Journal of Social Issues,** 44, 3, 113 - 128 .

14- Mccrae, R. R. & Costa, R. T. (1988) : "Psychological Residence among Widow Men and Women : A 10 - year follow - up of a National Sample" ***Journal of Social Issues,*** 44, 3, 129 - 142 .

15- Mor, V., Mchorney, C. & Sherwood, S . (1986) : "Secondary Morbidity among the recently bereaved" ***Am. J. Psychiatry*** , 143: 2 (February) 158 - 163 .

16- Parkes, C. M. (1988) : "Bereavement as A psychological transition : Processes of adaptation to change" . ***Journal of Social Issues*** , 44, 3, 53 - 65 .

17- Pennebaker, J , W. & O'heeron, R. C. (1984) : "Confiding in others and illness rate among spouses of suicide and accidental - death victims" . **Journal of Abnormal Psychology** , 93, 4, 473 - 476 .

18- Pennebaker, J. W. , Colder, M, & Sharp, J. K. (1990) : :Accelerating the coping process" ***Journal of Personality and Social Psychology***, 98 , 3, 528 - 531 .

19- Ramsay, R. W. (1977) : "Behavioural approaches to breavement" ***Behav. Res & Therapy***, 15, 131 - 135 .

20- Sande, H. (1992) : "Palestinian martyr widowhood- emotional needs in Conflict With role expectaions "***Soc. Sci. Med*** , 34 , 6, 709 - 717 .

21- Stroebe, W. , Stroebe, M. S , & Domittnets, G. (1988): "Individual and situational in recovery from bereavement : A risk cruop identified. "***Journal of Social Issues***, 44, 3, 143 - 158 .

22- Stroebe, M. S, Stroebe, W., & hansson, R.O. (1988) : "Bereavement research : An Historical introduction. "***Journal of Social Issues*** , 44, 3, 1 - 18 .

23- Stroebe, M; Gergen, M. M. n, & Stroebe, W. (1992) : "Broken Hearts or Broken Bonds" . ***American Psychologist*** , 47, 10 , 1205 - 1212 .

24- Vachon, M. L, Lyall, W. A., Hogers, K. W., Freedman, K., and Freedman, S.J (1980) : "A Controled Study of self - help intervention for widows". ***Am. J. Psychiatry*** , 137 : 11, November, 1380 - 1384 .

25- Weiss, R. S .(1988) : "Loss and Recovery". ***Journal of Social Issues***, 44, 3, 37 - 52.

26- Weller, R. A., Weller, E. Q., Firstad., M. A., & Bowes, J. M. (1991) : "Depression in recently bereaved Prepubertal Children" . ***Am. J. Psychiatry***, 148 : 11, November, 1536 - 1541 .

27- Wolman, b . B. (1975) : "***Dictionary of Behavioral Science***" . New York : the Macmillan Pess L. T. D.

28- Zisook., S., & Shuchter, S. R. (1991) : "Depression through the first year after year after the death of a spouse" ***Am. J. Psychiatry***, 148 : 10, October, 1346 - 1352 .





هروب الفتيات من الأسرة

(رؤية نفسية) (*)

(*) نشر هذا البحث في المجلة العلمية لكلية الآداب - بني سويف، جامعة القاهرة، العدد الثالث ١٩٩٢، ٣٥٥ - ٤١٩ .

تكتسب ظاهرة هروب الفتيات من منازلهن أهميتها من كونها عرضًا لمشكلات عديدة داخل كيان الفرد، والأسرة، والمجتمع، فضلا عما تولده من ظواهر نفسية اجتماعية مرضية لاحقة يمكن إيجازها على النحو التالى :

١- **إن الهروب** بوصفه أحد أشكال التمرد على الأسرة يعد مؤشرا يستدل به على وجود أنماط باثولوجية من العلاقات وأساليب التنشئة داخلها، ومن ثم فإنها تجسد فشل تلك المؤسسة فى القيام بالدور المناط بها، ونظرا لأن الأسرة مسئولة، بجانب مؤسسات أخرى، عن القيام بعملية تلقين الفرد الاتجاهات والقيم وأنماط السلوك التى يرتضيها المجتمع وتنتظم حركته وفقا لها بغية تحقيق الحد الأدنى من التماثل بين أفراده - فإن الفشل فى القيام بهذه العملية يعنى أن النظام الاجتماعى الحالى سيعانى من اضطرابات عديدة فيما بعد.

٢- **تلك الأضرار** التى تحيق بالأسرة حين يهرب أحد أفرادها، وخاصة حين يكون الهارب فتاة، سواء كانت ذات طابع مؤقت كتصاعد التوتر والقلق النفسى داخل الأسرة، واختلال أحوالها المعيشية، أو ذات طابع مستديم نسبيا من قبيل تلك الأضرار الأدبية التى تصيب مكانة الأسرة وخصوصا أن هروب الفتاة يعتبر، فى ظل الثقافة المصرية المعاصرة، واقعة ماسة بشرف الأسرة ككل يترتب عليها تغير نظرة الآخرين لها، وسبل تعاملهم معها، فضلا عما يخالج أقطابها من شعور بفشل أساليب تنشئتهم، ووجوب استبدالها بأخرى وهو ما يثير، بدوره، ضغوطا إضافية عليهم، وقد يترتب على هروب الفتاة، أيضا، نشوب نزاع بين الأم والأب لاعتقاد كل منهما أن الآخر مسئول عما حدث، وقد يتفاقم هذا النزاع ليصل، فى بعض الأحيان، إلى الطلاق، يضاف إلى ذلك ما يحتمل أن تعانيه الهاربات أنفسهن من متاعب بدنية ونفسية أثناء فترة هروبهن، وما يخبرنه من شعور بالتورط، وتشوه صورتهن فى عيون الآخرين، أو وقوعهن فى براثن تجمعات إجرامية تكرههن على إرتكاب أفعال

مجرمة ؛ ومن ثم فإن إقدام الفتاة على خوض تلك التجربة مع توقعها لما قد يحيق بها من عواقب سلبية يخط صورة لحجم الدوافع التى هى من القوة إلى درجة تتضاءل قبالتها تلك الصعوبات التى قد تجابهها أثناء الهرب أو التى ستواجهها فى حالة العودة.

٣- **من المعترف به** أن قطاعا لا يستهان به من سلوكنا الاجتماعى إنما يتشكل بفعل النماذج المتواجدة بمجالنا الحيوى، والتى نشاهدها تمارس هذا السلوك، أو نسمع، أو نقرأ أنه صدر عنها، ومن هذا المنطلق فإن الهاربات قد يشكلن نموذجا يقتدى به أخريات ممن يعانين من مشكلات مشابهة مع أسرهن، ويشجعهن على ارتياد هذا السبيل بوصفه بديلا متاحا، ويتدعم هذا الميل للاقتداء بهن فى حالة إدراك أن الهاربات جنين عائدا إيجابيا بعد عودتهن أو أثناء هروبهن.

٤- **إن نجاح الباحثين** فى الكشف عن العوامل الجوهرية المسئولة عن حدوث ظاهرة الهروب من الأسرة يعنى ضمنا إمكانية التعرف على العوامل التى تقوى الارتباط الأسرى، وبذا ينفتح الطريق أمام الدراسات التطبيقية لاستثمار هذا النجاح فى تصميم برامج على المستوى القومى لدعم التماسك الأسرى، ومن ثم، الاجتماعى.

تكشف النقاط السابقة عن **مدى أهمية** تلك الظاهرة، وضرورة دراستها للوقوف على حجمها، وخصال القائمين بها، ودوافعهم، وملامح السياق الذى تحدث فيه، وآثارها على كل من المدى القريب والبعيد، وتتمثل الخطوة الأولى لإنجاز تلك المهمة فى عرض ما يتوافر من معلومات حول الجوانب التالية لتلك الظاهرة :

أولا : تعريف مفهوم الهروب

ثانيا : الموقف الراهن للبحوث فى هذه المنطقة البحثية.

ثالثا : مبررات وأهداف الدراسة الحالية.

أولا : تعريف مفهوم الهروب :

ثمة عدد من المفاهيم المتداولة فى هذا المجال البحثى يلزم التمييز بينها قبيل المضى قدما فى دراستنا حتى نطمئن إلى أننا نسير فى الوجهة الصائبة، وتتمثل هذه المفاهيم فى : التغيب والارتحال والهروب، وتكمن ضرورة الفصل بينها فى أن طبيعة المفهوم تحدد مجال البحث والمدى الذى يجب ألا تتخطاه تعميماته، وفيما يلى نبدأ بعقد مقارنة بين كل من التغيب والهروب.

أ - التغيب والهــروب :

استخدم مفهوم التغيب Absenteeism عن الأسرة فى البحوث المحدودة التى أجريت فى الثقافة المصرية على أنه « اختفاء الشخص عن ذويه لفترة زمنية محددة بحيث يصعب على أهله التوصل إلى مكان اختفائه » (حسن وآخرون، ١٩٨٥، ٢)، والتغيب بهذا المعنى يختلف عن مفهوم الهروب من زاويتين رئيسيتين هما :

– **طبيعة العلاقة بينهما** : فالتغيب قد يحدث نتيجة للهروب أو نتيجة لأسباب أخرى مثل : التيه، الإصابة بمرض مفاجئ، التعرض لحادث، أو الاختطاف، أى أن الهروب يعد بمثابة أحد روافد التغيب وشكل من أشكاله.

– **توفر عنصر الإرادة** : بالنسبة للهروب فإن توفر عنصر الإرادة يعد شرطا ضروريا لحدوثه، بيد أن الأمر ليس كذلك فى التغيب حيث قد تتغيب بعض الحالات دونا عن إرادتها.

ب - الارتحال والهــروب :

يعرف الارتحال leaving، وهو مفهوم يشيع استخدامه فى الدراسات الغربية، بأنه « ترك الأسرة بصورة إرادية إلى مكان معلوم، لأسباب قد لا يكون للأسرة علاقة بها كالزواج أو التعليم » (Coleman , 1980).

وتتمثل جوانب التفرقة بين مفهومى الارتحال والهروب فيما يلى :

- **المفاجأة** : ففى الهروب يترك الفرد الأسرة بشكل مفاجئ فى حين أنه يدعها تتوقع ذلك فى حالة الارتحال.

- **موافقة الأسرة** : يحدث الهروب عادة بدون علم الأسرة، ومن ثم بدون موافقتها، أما الارتحال فيتم فى أحيان كثيرة بالتنسيق مع الأسرة.

- **القبول الاجتماعى** : بينما يعد الهروب سلوكا غير مقبول اجتماعيا، فإن الارتحال يعتبر من الأنماط السلوكية المقبولة، ففى الثقافة الغربية، على سبيل المثال، يحبذ ارتحال الأبناء عن الأسرة فى سن مبكرة ما بين (١٦) إلى (١٨) عاما، لتمكينهم من إدارة شئونهم بأنفسهم والتحكم فى حياتهم الشخصية (Devos, 1989).

- **معرفة مكان الفرد** : بينما تجهل الأسرة المكان الذى يقصده الهارب، فإن هذا المكان يكون معروفا لديها، عادة، فى حالة الارتحال على نحو يسمح باستمرار التواصل فيما بينهم.

- **طبيعة الدوافع** : يعد الاحتجاج على ممارسات وظروف معينة شرطا ضروريا لحدوث الهروب، فى حين أنه ليس كذلك فى حالة الارتحال.

نخلص من تلك المقارنات إلى **تعريف الهروب بأنه** « مغادرة الفتاة (أو الفتى) منزل أسرتها بصورة متعمدة إلى جهة غير معلومة، لفترة من الزمن، قد تطول أو تقصر، احتجاجا على أو نفورا من ممارسات وظروف معينة ».

عقب تقديم تعريف إجرائى للهروب يتأتى من خلاله تحديد المجال البحثى الذى سنرتاده، وطبيعة الجمهور الذى سنتعامل معه، نتقدم للخطوة التالية حيث نعرض لأبرز الدراسات التى عنيت بتناوله.

ثانيا : الموقف الراهن للبحوث فى هذه المنطقة البحثية :

يعتبر الهروب من الأسرة من بين الظواهر البحثية المهملة نسبيا، وعلى الرغم من أن المعلومات بدأت فى التوافر حول الخصال الديموجرافية للهاربين، إلا أن البيانات الخاصة بأسباب حدوث تلك الظاهرة ما زالت قليلة، مما يجعل من الصعب

التنبؤ بحدوثها مستقبلا، ومن ثم فنحن فى حاجة لمزيد من البحوث لكى نجلى الغموض حول تلك المسألة. وحين نفحص الدراسات التى أجريت فى هذا المجال سنجدها تنتظم فى ثلاثة محاور رئيسية، لا تلق اهتماما متوازنا، هى :

١ - خصال الهاربين.

٢ - ملامح السياق النفسى الاجتماعى داخل الأسرة.

٣ -العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة.

وفيما يلى نعرض لكل فئة من هذه الفئات وما تحويه من متغيرات نوعية :

١ - خصال الهاربين:

تبنى معظم الدراسات التى تتناول ظاهرة الهروب المنظور الوصفى الإحصائى حيث ينصب الاهتمام، فى المقام الأول، على حجم الظاهرة (*) وخصال أفرادها، وبدرجة أقل على أسبابها، وقد أجرى فى مصر بضع دراسات أولت معظم اهتمامها لخصال المتغيبين، بمن فيهم الهاربون (**)، من قبيل : العمر، الحالة الاجتماعية، مستوى المهنة والتعليم، موطن الإقامة، والنوع والديانة، ففى دراستين أجريتا تحت رعاية وزارة الداخلية طبقت الأولى على (١٥٦) متغيبا، تبين أن (٥٩٪) منهم من

(*) بغية التوصل إلى تقدير مبدئى لحجم الظاهرة فى المجتمع المصرى تم الحصول على الإحصاءات الرسمية الخاصة بعدد البلاغات التى تتلقاها الجهات المختصة بوزارة الداخلية عن الأفراد المتغيبين ، وقد تبين أن عددها عام ١٩٨١ كان (٦٥١٦) بلاغا ، أما فى عام ١٩٨٦ فقد كان (٥٧٥٧) بلاغا ، ثم انخفض هذا العدد عام ١٩٩١ ليصل إلى (٣٧٥٤) بلاغا ، (٤٥٪) منها لإناث تغيبن ، تركز معظمها فى القاهرة الكبرى والإسكندرية . ثمة ملاحظات حرى بنا تسجيلها بشأن تلك الإحصاءات حتى يصبح فهمنا لما تنطوى عليه من دلالات أكثر إحكاما، قوامها ما يلى:

- تشكل هذه الإحصاءات مؤشرا مبدئيا لحجم الظاهرة نظرا لأن نسبة لا يمكن تقديرها من الأسر لا تقوم بالإبلاغ عن تغيب أفرادها ، وخاصة حين يكون المتغيب أنثى ، حرصًا منها على كتمان الأمر وحجبه عن الآخرين ، وتجدُ فى البحث ذاتيا عنهم .
- لا تحدد هذه الإحصاءات نوع التغيب هل هو ترك عمدى للأسرة (هروب) أم غير عمدى ناتج عن الإصابة فى حادث أو لأسباب جنائية أخرى .

(**) أشارت دراسة أجرتها أكاديمية الشرطة إلى أن الهاربين يشكلون (٦٦٪) من المتغيبين (حسن وآخرون ، ١٩٨٥) .

الذكور مقابل (٤١٪) من الإناث، وأن أعمارهم كانت تتراوح ما بين (١٦) إلى (٢٥) عاما، ويشكل الأميون أكثر من نصفهم (٥٤٪)، ويقطن (٥٦٪) منهم فى أحياء شعبية مزدحمة (إدارة البحوث الفنية، ١٩٨٢)، أما الدراسة الثانية فقد بلغ حجم عينتها (١١٠) أفراد ممن أبلغ بتغيبهم شهرى يوليو وأغسطس من محافظة الإسكندرية عام ١٩٨٤، واتضح أن (٦٠٪) منهم ذكور مقابل (٤٠٪) إناث، من غير العاملين، وأن (٧٧٪) منهم أقل من ٢٥ عاما، وقد بلغت نسبة الأميين (٤٠٪) منهم، ولم يتزوج أكثر من نصفهم (٥٢٪) بعد. (حسن وآخرون، ١٩٨٥).

حين ننظر إلى تلك البحوث نظرة فاحصة سنجد أنه من الصعب علينا أن نحدد من خلالها خصال الهاربين بشكل دقيق نظرا لأنها لم تفصل الهاربين عن المتغيبين، فضلا عن أنها لم تتطرق إلى السمات النفسية الجوهرية التى تعد عاملا ييسر إتيان هذا الفعل من قبيل سمة الاندفاعية، وطبيعة المفهوم الذى يتبناه الهاربون عن ذاتهم، وخصائص المرحلة الارتقائية التى يجتازونها، يضاف إلى ذلك أنها لم تقس ما تناولته من متغيرات نفسية بطريقة مقننة.

٢ - ملامح السياق النفسى الاجتماعى داخل الأسرة:

إن الأسرة بما تلتزم به من قيم، وما ترسخه لدينا من قواعد وأخلاقيات، وما تزودنا به من خبرات واتجاهات، وما تحيطنا به من مشاعر - تشكل سياقا ييسر إتمام عمليات الارتقاء بنجاح فى المراحل المتعاقبة، وخاصة مرحلة المراهقة، لما تزخر به من تحولات سلوكية وبيولوجية، وما قد يتمخض عنها من مشكلات يعانى منها المراهقون، وتنعكس سلبا على علاقاتهم بأسرهم. وجدير بالذكر أن ثمة عناصر متعددة تشكل ملامح هذا السياق داخل الأسرة سنعرض لدور كل منها بشىء من الإيجاز على النحو الآتى :

أ- **بنية الأسرة** : تتمثل البنية الطبيعية للأسرة فى وجود أب وأم وأبناء، بيد أن هذه البنية Structure قد تتغير لأسباب متعددة كموت أحد الوالدين أو طلاقهما

فتأخذ الأسرة أشكالا أخرى، ومن ثم تنشأ ظاهرة الإقامة مع أحد الوالدين منفردا، أو الإقامة مع زوجة الأب أو زوج الأم، وبطبيعة الحال تنطوى هذه البنية الجديدة للأسرة على مشكلات متنوعة (Goldscheides, 1989; Sweetser, 1985)، فالفرد حين يعيش مع أمه بعد طلاقها من أبيه - وهو ما يحدث فى (٧٧٪) من الحالات كما أوضحت الدراسة المسحية التى أجراها « دافيز » Davis على (١١) ألف مراهق - يزداد احتمال فشله الدراسى وتورطه فى ارتكاب بعض أنواع السلوك الاجتماعى غير السوى (Wister & Burch, 1989)، وقد يعزى ذلك إلى أن الأم التى يهجرها زوجها تعانى من صعوبات اقتصادية، ومتاعب اجتماعية وآلام نفسية مما ينعكس سلبا على أطفالها فى صورة معاملة تتسم بالبرود، والصرامة، والتذبذب الانفعالى، فضلا عن أنها تقضى معظم أوقاتها خارج المنزل للعمل مما يقلل فرصة الإشراف الدقيق على سلوكهم (Simpson, 1966, 303).

أما إذا تزوجت الأم، وهو ما يحث عادة فى نصف الحالات، فإن البنات، بوجه خاص، اللاتى يقمن مع أزواج أمهاتهن - كما تشير دراسة هيثرينجتون "Hetherington" - يصبحن أكثر اكتئابا وأقل توافقا (Sweet & Bumpass, 1991)، ذلك أنهن أكثر قابلية للتأثر بالتغيرات فى بنية الأسرة، مقارنة بالذكور، حيث يصعب عليهن التوافق مع أزواج أمهاتهن نظرا لعدم تفهمهم لهويتهن، أو لشعورهن بفقدان الخصوصية، وفى المقابل فإنهن يصبحن - كما كشفت الدراسة التتبعية التى أجريت على مجموعة من الفتيات فى العاشرة لمدة ست سنوات - أكثر توافقا حين تبقى الأم بدون زواج (Aquilino, 1991). تدعونا تلك النتائج إلى ضرورة العناية بدور متغير بنية الأسرة فى تشكيل طبيعة السياق النفسى الاجتماعى المصاحب لظاهرة الهروب فى الدراسة الحالية.

ب - **ترتيبالأبناء** : إن ترتيب الفرد فى الأسرة يسهم فى صياغة أساليب تنشئته ومكانته فيها واتجاهاته نحوها (Young, 1974)، فعلى سبيل المثال تختلف أساليب تنشئة الطفل الأول عن الأخير مما يؤثر فى الارتقاء النفسى والنضوج

الاجتماعى لكل منهما، فالأول يحظى باهتمام مكثف ويقع والدا فى أخطاء كثيرة فى تنشئته بسبب جهلهما وعدم خبرتهما بتربية الأطفال مما يؤثر على نمو شخصيته (مرسى، ١٩٧٩، ١٠٣ - ١٠٩)، بينما يصبح الأخير مدللا ويشعر بأنه مهمل وليس له قيمة نظرا لعدم اشتراكه فى القرارات التى تخص الأسرة، ويعانى من سطوة إخوته ويصعب عليه التفاهم معهم. وسنحرص فى الدراسة الحالية على معرفة ترتيب الهاربات داخل أسرهن للتحقق من طبيعة الدور الذى يمارسه هذا المتغير، وخاصة أنه تبين فى دراسة سابقة أن (٤٢٪) من المتغيبين كانوا يشغلون الترتيب الأوسط فى الأسرة (البحوث الفنية، ١٩٨٢).

جـ- **نمط العلاقات داخل الأسرة** : تمارس طبيعة العلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة تأثيرا عميقا على المستوى الوجدانى للفرد، والفتيات بوجه خاص نظرا لأنهن أكثر ارتباطا بعالم الأسرة مقارنة بالبنين الذين تستغرقهم عوالم أخرى كالأصدقاء، فضلا عن أنها تسهم فى تشكيل ملامح السياق الذى تبزغ وترتقى فى ظله القدرات المعرفية وتنجز المهام الارتقائية للمراهقين، ويشير « ستانلى هول » Stanley Hall فى هذا الصدد إلى أن الصراع يصبح ملمحا مميزا للعلاقة بين المراهق ووالديه إبان تلك الفترة، ومن ثم فإن ترك الأسرة يكون أحد الحلول المطروحة للتغلب على تلك العلاقات السلبية (Aquilino , 1991)، بيد أن بحوثا أخرى عديدة لم تتسق نتائجها مع هذا التصور حيث تبين فيها أن العلاقات مع الأسرة تتسم فى تلك المرحلة بالتفاهم والتقدير، فعلى سبيل المثال قرر المراهقون فى دراسة أجراها « أوفير » Offer فى عشر دول أنهم يتبنون اتجاهات إيجابية نحو والديهم وأنفسهم، وأوضحت دراسة « ستينبرج » ومعاونيه Steinberg et al. أن (١٠٪) فقط من المراهقين تتصف علاقاتهم بأسرهم بالطابع السلبى، وأن خلافاتهم مع الأسرة عادة ما تثور حول مسائل بسيطة كالمظهر والطعام وقضاء وقت الفراغ وليس حول القيم الرئيسية (Gecas & Seff, 1990).

أما إن كان هذا الصراع فيما بين الوالدين فإنه يرتبط ارتباطا طرديا دالا بالمشكلات السلوكية للأبناء (Gartland & Day, 1991) فضلا عن أنه يثير لديهم مشاعر الشقاء والتعاسة، ويصبح هذا الصراع أكثر خطورة حين يحاول كل طرف استمالة الأبناء إلى جانبه (Feldman, 1978)، وتجدر الإشارة إلى وجود فروق عبر النوع فى التأثر بهذا المتغير، فالإناث حين يشاهدن الوالدين يتصارعان يتصاعد لديهن مستوى القلق والاكتئاب بدرجة أكبر من الذكور، وقد طرح « بولبى » Bowlby تفسيرا لهذه الظاهرة فحواه أن الأبناء يعتقدون حين ينشب الصراع بين والديهم أنهم سينفصلون مما يجعلهم أكثر قلقا، فضلا عن أن رؤية الأم فى حالة عجز يحمل رسالة، للفتاة بوجه خاص، مفادها أن المرأة عاجزة عن التحكم فى حياتها مما يزيد اكتئابهن، وتتجسد ذروة الآثار السلبية للصراعات الأسرية سواء بين المراهق ووالديه أو إخوته أو بين الوالدين أنفسهما فى أن ينشد المراهق الاستقرار المفتقد خارج الأسرة (Reiss , 1976). ويؤمل فى هذه الدراسة الوقوف على العناصر المؤثرة فى هذا المتغير وطبيعة إسهامها فى الظاهرة موضع اهتمامنا.

د- **أساليب التنشئة الأسرية** : توصل الباحثون إلى تصنيفات متنوعة لأساليب التنشئة داخل الأسرة من أبرزها ذلك التصنيف الذى اقترحه « شيفار » Schaefar والذى يحوى بعدين رئيسيين أولهما التقبل والحب مقابل التجنب والرفض، وثانيهما الاستقلال والحرية مقابل الضبط والقهر (السيد، ١٩٨٠، ٩٢ - ٩٣)، ويزخر التراث السيكولوجى بنتائج الدراسات التى تدعم التصور القائل بأن الرفض الشديد - والذى يتمثل فى دأب الوالدين على تجنب الطفل، وإشعاره بأنه غير مرغوب فيه، وأن وجوده فى الأسرة غير ضرورى - يهيئ مناخا منفرا من الأسرة، ويجعل من العسير على الأبناء تشرب ما تتبناه من قيم، وتشير تلك النتائج أيضا إلى أن الضبط المبالغ فيه يقلل من فرصة الفرد لاكتشاف ذاته، ويعوق عملية الاستقلال ؛ ومن ثم تنخفض ثقته بذاته، ويصبح أكثر قلقا واندفاعا فى التعامل مع المحيطين به، وفى المقابل فإن التراخى فى الإشراف يرتبط بزيادة المشكلات السلوكية لديه (Gecas & Seff , 1990).

وسنتعامل فى الدراسة الحالية مع تلك النتائج بوصفها فروضًا ينبغى التحقق منها للوقوف على دور متغيرات التنشئة الأسرية فى إحداث ظاهرة الهروب من الأسرة.

٣ - العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة:

مع اعترافنا بأن دائرة العلاقات خارج الأسرة تشمل أطرافا متعددة إلا أننا سنعرض فقط للدراسات التى تتصل باثنين منها، وهما الأقران والمدرسة، نظرا لأنهما استقطبا معظم الجهود البحثية فى هذا الميدان، وفيما يلى أبرز ما تم التوصل إليه من نتائج بشأنهما :

أ- **العلاقات مع الأقران** : على الرغم من نمو روح الفردية بشكل تضخمى فى المجتمعات الحديثة إلا أن الفرد ما زال بحاجة للانتماء إلى جماعة تقدم له معايير السلوك والاتجاهات المقبولة فضلا عن تقديم خط الأساس الذى يقارن فى ضوئه نفسه بالآخرين (Hollander, 1976, 379)، وحيث إن الخاصية المفتاحية للمراهقة تكمن فى زيادة الالتصاق بالأقران، والاعتماد عليهم فى إشباع الحاجات الوجدانية، وقضاء وقت الفراغ، وتحديد ما هو مقبول وغير مقبول اجتماعية، وصقل مهاراته الاجتماعية (إسماعيل، ١٩٨٩، ٢٢٧)، فإننا فى حاجة لفهم دور الأقران، بوصفهم جماعة مرجعية فى عملية الهروب، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الدور يصبح أكثر أهمية وأشد أثرا بالنسبة للمراهقين من الطبقات الاجتماعية الدنيا نظرا لشيوع الإحباطات وتراخى الوالدين فى الإشراف عليهم، وكذلك حين يحجم الوالدان عن تزويدهم بما يحتاجونه من حب ورعاية، أو حين يفشلون فى إقامة علاقة وثيقة مع الأقران تتكامل بموجبها جهودهم فى مواجهة ما يعانيه الأبناء من مشكلات (Barber, 1991 ; Gecas & Seff , 1990). حرى بالذكر أن تلك العوامل التى تزيد من تأثير الأقران يتوقع توافرها لدى جمهور الدراسة الحالية، ومن ثم فإننا سنسعى للتحقق من طبيعة ذلك الدور الذى يمارسونه فى تشجيع الفتيات على اتخاذ وتنفيذ قرار الهروب من الأسرة.

ب - **العلاقات المدرسية** : تمارس المدرسة - كمنظمة تجرى فى إطارها العملية التربوية - دورا غير مباشر فى عملية الهروب حيث تسهم فى إيجاد بيئة منفرة تدفع المراهق للتخلص منها من خلال ما تحويه من :

- نظم قد ينظر إليها المراهق على أنها شديدة التسلطية ويصعب التكيف معها.
- مدرسين يعاملونه بقسوة ودونما استبصار بخصائص المرحلة الارتقائية التى يجتازها.
- زملاء مستهترين لا يجد منهم سوى التهكم أو العدوان، أو شديدى الذكاء يشكلون نماذج تتحداه ويعجز عن اللحاق بها أو مسايرتها.
- مقررات لا تتناسب مع قدراته العقلية، أو تستلزم بذل جهود كبيرة لا تسمح له دافعيته المنخفضة ببذلها.
- منشآت متهالكة، وفصول مكتظة ذات تهوية سيئة، ومقاعد محطمة، وأماكن ترويح شبه منعدمة، ودورات مياه غير نظيفة.

ومن المتوقع أن تتفاعل تلك العناصر على النحو الذى يجعلها تشكل ظرفا مهيئا للهروب وفقا **للسيناريو التالى** :

مراهق ذو قدرات عقلية محدودة، ودافع منخفض للتعلم يحيا فى بيئة أسرية غير مساندة، ومن ثم يكون تحصيله أدنى من أقرانه، وينعكس هذا بالطبع على المدرس غير المستبصر بحاله، الذى يسخر منه على مرأى من زملائه، الذين يكررون بدورهم تلك النغمة، فيشعر بالدونية ويهتز مفهومه عن ذاته، وتتفاقم لديه مشاعر الكراهية للمدرسة والرغبة فى التحرر منها، وعلى الجانب الآخر يمارس الوالدان ضغوطا شديدة لحثه على الاستمرار فى التعليم، فضلا عن المقارنات، غير المتكافئة، التى يعقدونها باستمرار بينه وبين نظرائه بغية شحذه على مواصلة الدراسة، إلا أنها قد تؤتى آثارا مغايرة حيث تعمق شعوره بالدونية، ومن ثم يقع فريسة بين ما يريده والداه وما لا يستطيعه هو، ويكون الهرب فى مثل هذا الموقف أحد الحلول المطروحة

على الساحة لفض هذا الصراع، ويؤمل أن نحصل من خلال البحث الحالى على نتائج إمبيريقية تسهم فى التحقق من مدى صحة هذا التصور.

ثالثا : مبررات وأهداف الدراسة الحالية :

حاولنا فيما سبق أن نستطلع آفاق اهتمام الدراسات التى عنيت بظاهرة التغيب، ومن ثم الهروب بوصفه جزءا منها، ويعنّ لنا فى هذا السبيل إبداء بعض التحفظات وطرح بعض أوجه النقد حول المنهج الذى استخدمته تلك الدراسات، وما توصلت إليه من نتائج قوامها ما يلى :

١- **تجاهلت هذه** الدراسات متغيرات ذات صلة وثيقة بظاهرة الهروب من قبيل السمات النفسية للهاربات، فضلا عن أنها أغفلت جوانب هامة فى المتغيرات التى تناولتها حيث لم تُعْنَ، على سبيل المثال، وهى بصدد بحث دور متغير التنشئة الأسرية - بجوانب من قبيل التنازع على السيادة داخل الأسرة، وتعارض أساليب تنشئة كل من الأب والأم للأبناء.

٢- **تعاملت تلك** الدراسات، العربية منها بوجه خاص، مع التغيب بصورة عامة يصعب فى ظلها الفصل بين الأسباب المسئولة عن التغيب وتلك المسئولة عن الهروب، ومن ثم فإننا بحاجة لإجراء دراسات على الهاربين فقط كى نتمكن من الوقوف على ملامح السياقات المصاحبة والمؤثرة فى تلك الظاهرة، يضاف إلى ذلك أن تلك الدراسات شابها بعض أوجه القصور المنهجية من قبيل عدم اعتمادها على مجموعات ضابطة مما يجعل من العسير التيقن من أن المتغيرات النفسية الاجتماعية التى أشارت إلى أنها مصاحبة للظاهرة لدى الهاربات غير موجودة أيضا لدى اللائى لم يهربن من منازلهن، وهو ما يؤخر الإجابة عن السؤال المحورى لتلك النوعية من الدراسات: ترى ما المتغيرات الجوهرية المتصلة بالظاهرة والمميزة لها ؟

٣- **صعوبة الاستعانة** بالدراسات الغربية فى استخلاص إطار تصورى ينظم النتائج المتناثرة للبحوث التى أجريت فى ظل الثقافة العربية أو يوجه البحوث التالية

فيها، نظرا للفروق الثقافية بين هاتين الثقافتين، فالظاهرة تأخذ فى كل منهما طابعا مختلفا، ففى الغرب يتعاملون، غالبا، مع ظاهرة الارتحال عن الأسرة، حيث يترك المراهق الأسرة، بيد أنه يبقى فى مدارها، ويُبقى على اتصاله معها؛ ومن ثم يصبح هذا الانفصال وسيلة للتكامل مع الأسرة، فى حين أن الهروب الذى يشيع ظهوره فى الثقافة العربية يكون، عادة، بمثابة وسيلة للاعتراض على الأسرة، وتعبيرا عن النفور منها، وهو ما يجسده حرص الهاربة على إخفاء مكانها عن أفرادها. فى ضوء تلك التفرقة فإننا نرحب بما تمخضت عنه الدراسات الغربية من نتائج بوصفها أحد المنابع التى تولد فروضا مؤقتة حول طبيعة المتغيرات التى يحتمل ارتباطها بالهروب أكثر منها تفسيرا نهائيا له.

٤- **انصب اهتمام** الدراسات السابقة على الإجابة عن السؤال التالى : لماذا يحدث الهروب ؟

إلا أنه يبقى سؤال مركزى آخر لم تجب عنه، فحواه : **كيف يحدث الهروب** ؟ أو بعبارة أخرى : ترى ما هى ديناميات عملية الهروب ؟

انطلاقا من هذا التصور فإنه يجب السعى لمعرفة الكيفية التى تتفاعل بها الفتاة مع الظروف المحيطة بها على نحو يدفعها للهرب، حتى لا نكون مجرد راصدين للحدث من خارجه، بل نقف على دينامياته الداخلية، ونستشف معطياته على كل من المدى القريب والبعيد، كى نتبنى ما فى وسعنا من تدابير لمواجهته بقدر أكبر من الفعالية.

يشكل ما طرحناه سلفا مبررات إقدامنا على إجراء تلك الدراسة التى يتمثل هدفها الرئيسى فى محاولة الكشف عن ملامح السياقات النفسية والاجتماعية المصاحبة لظاهرة هروب الفتيات من أسرهن، ومن المفترض أن ييسر بلوغ هذا الهدف عقد مقارنة بين مجموعة من الهاربات وغير الهاربات لرصد جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما لتحديد المتغيرات الجوهرية فى الموقف، ويمكن بلورة هذا الهدف فى صورة **الفرض الصفرى التالى** :

– لا توجد فروق دالة فى طبيعة متغيرات السياق النفسى الاجتماعى المحيط بالهاربات مقارنة بغير الهاربات.

ومن اليسير بطبيعة الحال تفكيك هذا الفرض العام إلى عدد من الفروض الفرعية يماثل عدد فئات المتغيرات التي يتضمنها هذا السياق، وما يحويه كل منها من عناصر نوعية، سواء كانت متصلة بخصال الفتاة، أو الأسرة، أو الأقران، أو البيئة الطبيعية، أو أحداث الحياة المفاجئة التى تواجهها.

وحتى يتأتى التحقق من هذا الفرض العام سيتبنى الباحث منهج المشاهدات المضبوطة quasi - experimental method، وفيما يلى عرض لخطواته الرئيسية:

المنهــج:

١-العينــة:

تكونت عينة الدراسة من (٩٠) فتاة تم تقسيمهن إلى مجموعتين متساويتين فى العدد هما :

أ– مجموعة الفتيات **اللائى هربن** من منازلهن (ن= ٤٥) ممن أبلغ بتغيبهن عن أسرهن عام ١٩٩١ بمحافظة القاهرة الكبرى، وقد تبين أن (٩٣,٣٪) منهن مسلمات، و (٥٧,٨٪) ذوات تعليم متوسط، وأن (٦٦,٩٪) منهن لا يعملن، وأن (٢٢,٢٪) منهن طالبات، مقابل (١١,٢٪) منهن يعملن فى مهن بسيطة، ويقطن معظمهن فى أحياء شعبية وعشوائية (٦٤,٤٪)، ويقطن بقيتهن فى أحياء متوسطة، وقد بلغ متوسط أعمارهن (١٩,١ ± ٤,١ عام).

ب– مجموعة **ضابطة** (ن = ٤٥) ممن لم يسبق لهن الهرب من منازلهن، وقد روعى تكافؤهن مع الهاربات (المجموعة التجريبية) فى العديد من المتغيرات وقد تأتى ذلك من خلال اختيارهن باستخدام أسلوب مضاهاة Matching كل فتاة هاربة بأخرى من غير الهاربات فى كل من متغير العمر، وموطن الإقامة، والدين، ومستوى التعليم، والمهنة.

٢- أدوات جمع البيانات:

قام الباحث بتصميم استبار مقنن مكون من (٧٨) بندا تقيس المتغيرات الآتية:

- خصال الفتاة وتشمل مستوى التعليم والمهنة والعمر والدين، ومستوى الاندفاعية، ومفهومها عن ذاتها، ومدى شعورها بالحرمان.
- بنية الأسرة وأساليب التنشئة داخلها، ومعدل التفاعل وطبيعة العلاقات بين أفرادها.
- خصائص البيئة الطبيعية المحيطة بها سواء خارج المنزل أو داخله.
- علاقات الفتاة مع قريناتها سواء كن صديقات أو زميلات، وهل تعرف فتيات هربن من أسرهن، وما هى طبيعة الصلة التى تربطها بهن.
- بيانات حول عملية الهروب من قبيل : الظروف التى أثارت تلك الفكرة لديها، والكيفية التى نفذتها بها، وتقييمها لتلك التجربة، ومتى ولماذا عادت ثانية، وما طبيعة التغيرات السلبية والإيجابية التى خبرتها بعد العودة سواء على المستوى الشخصى أو على مستوى الأسرة أو الصديقات أو المجتمع المحلى.

وقد اجتاز هذا الاستبار الخطوات التالية ليصل إلى صورته النهائية التى استخدم بها :

أ- **صياغة بنود الاستبار** : أمكن الحصول على بنود الاستبار من عدة مصادر هى :

- مسح التراث العلمى المتصل بالظاهرة : نظرا لأن البحوث العربية قليلة فى هذا المضمار، وأن البحوث الغربية تتعامل مع ظواهر غير متماثلة، فلم تكن محصلة تلك الخطوة من البنود وفيرة.
- اقترح الباحث بناء على تحليل عناصر المجال الحيوى النفسى الاجتماعى البيئى للفتيات القاهريات المراهقات من الشريحة الاجتماعية المنخفضة، والتى أوضحت الإحصاءات الرسمية أنهن يشكلن غالبية الهاربات - مجموعة من البنود التى يفترض أن تغطى تلك العناصر.

- زودتنا الخطوتان السابقتان بعدد من النقاط الرئيسية التى كونت عناصر استبار شبه مقنن أجرى على ست من الفتيات الهاربات، وقد أمكن بواسطته الحصول على مجموعة من البيانات الإضافية حول الظاهرة جرى تحويلها، بعد تحليل مضمونها، إلى عدد من البنود التى ضمنت أداة البحث فى صورتها النهائية.

ب - **تجربة الأداة** : للتأكد من مدى كفاءة الأداة فى الكشف عن ملامح السياق النفسى الاجتماعى المصاحب لعملية الهروب، وقدرتها على إثارة اهتمام المبحوثات، وحثهن على التعبير عن خبراتهن فى هذا المجال، فقد تم استبار (١٢) فتاة نصفهن ممن هربن من منازلهن والنصف الآخر ممن لم يهربن، وقد أسفرت هذه الخطوة عن إدخال بعض التعديلات على الأداة تمثلت فى :

- تحويل بعض الأسئلة المفتوحة إلى أسئلة مغلقة النهاية.
- تفتيت بعض الأسئلة العامة إلى أسئلة نوعية.
- تغيير بعض الألفاظ الغامضة وغير الملائمة لمستوى المبحوثات الثقافى.
- إضافة عمود عقب أسئلة الاختيار من متعدد يطلب فيه من المبحوثة تعليل الاختيار الذى قررته.

جـ- التحقق من استيفاء الأداة للشروط السيكومترية الأساسية:

١ - **الثبات** : تكونت عينة الثبات من (١٥) فتاة تم استبارهن مرتين بفاصل زمنى مدته أسبوعين، وقد اعتمد فى تقدير ثبات البنود على حساب معامل الاتفاق بين التطبيقين الأول والثانى لكل منهما، وقد أشارت النتائج إلى أن معامل اتفاق معظم البنود (٧٢ بندًا) يتراوح بين ٧٠ إلى ١٠٠ ٪، أما البنود التى انخفض معامل اتفاقها عن ٦٠٪، وهى ستة بنود، فقد تم استبعادها.

٢ - **الصدق** : لتقدير صدق الأداة اعتمد الباحث على عدة أساليب يفترض أن تشكل فى مجملها مؤشرا عاما للصدق وهى :

- تجانس بنود المتغيرات : نظرا لأن بعض المتغيرات التى تضمنها الاستبار تتكون من عدد من البنود الفرعية (خمسة متغيرات) (*) فقد تم حساب معامل ارتباط كل بند من بنودها بالدرجة الكلية للمتغير، وبينت النتائج أن معامل ارتباط كل بند منها بالدرجة الكلية على المتغير كان دالا عند مستوى (٠١,) فى جميع الحالات مما يعنى تجانس بنود هذه المتغيرات، أى أن كل مجموعة منها تقيس شيئا واحدا كما افترض الباحث :

- **صدق المحتوى** : نظرا لأن بنود الاستبار استمدت من الهاربات اللائى تم استبارهن استبارا شبه حر، وحلل مضمون إجاباتهن للوقوف على خبراتهن الشخصية ودوافعهن للهروب، فضلا عن الاطلاع على التراث العلمى السابق - فمن المفترض تمثيلها، بدرجة ما، لمحتوى الظاهرة مما يعد مؤشرا لصدق المحتوى.

- **صدق المجموعات المتضادة** : حين أجرينا تجربة استطلاعية على (١٢) فتاة نصفهن من الهاربات ونصفهن من غير الهاربات، وعقدنا مقارنة مبدئية حول طبيعة علاقاتهن الأسرية تبين أن علاقات الهاربات بأسرهن أكثر اضطرابا مقارنة بغير الهاربات، وحيث إن اضطراب العلاقات الأسرية من بين العوامل التى أشارت الدراسات إلى أنها توجد المناخ المهيئ لنشأة بعض الظواهر الاجتماعية المرضية كالهروب - فإن هذه النتيجة تقدم مؤشرا مبدئيا لصدق الأداة يؤمل أن يتم دعمه من خلال نتائج الدراسة الحالية بما تنطوى عليه من مقارنات أكثر تنوعا ودقة بين الهاربات وغير الهاربات.

- **من شأن اتفاق** نتائج الدراسة الحالية مع بعض التوقعات المستمدة من أطر نظرية خصبة، أو مع ما توصلت إليه نتائج دراسات سابقة فى المجال أن يزودنا بمؤشرات للصدق التكوينى، وتتمثل هذه التوقعات فى أن الهاربات أكثر اندفاعية من غير الهاربات، وأن معدل التفاعل داخل أسرهن أقل ويغلب عليه الطابع السلبى، وأنهن على صلة أكثر وثاقة بفتيات هاربات، وأنهن يعانين من صعوبات تعليمية بصورة أكبر من غير الهاربات.

(*) العنف الوالدى، النبذ الوالدى، التقارب الأسرى، الاندفاعية، والشعور بالدونية.

٣- الإجراءات:

أ - **كيفية التوصل إلى المبحوثات:** عقب الحصول على عناوين الهاربات من الإدارة المختصة بتلقى البلاغات عن المتغيبات قامت باحثتان (*) مدربتان بالتوجه إلى عناوين هؤلاء الفتيات وأجرين معهن، بعد موافقتهن، استبارا مقننا، وتجدر الإشارة إلى أنه كان بصحبة كل باحثة أحد الباحثين الذى كان يستبر أفراد الأسرة للحصول على بيانات يمكن مقارنتها بما تقدمه الفتاة، فضلا عن أن وجوده مع الأسرة كان يمكن الباحثة من الانفراد بالفتاة لإتاحة الفرصة أمامها للتحدث بتلقائية عن خبراتها.

ب - **صعوبات التطبيق :** تمثلت صعوبات التطبيق فى هذا البحث الذى ينتمى لفئة البحوث التى تتعامل مع ظواهر من قبيل العورات الاجتماعية فيما يلى :

- صعوبة الانفراد بالمبحوثة لعدم وجود مكان يسمح بالخصوصية فى بعض الحالات بسبب ضيق المسكن.

- تهرب الأسرة من الباحثين ورفض أو مقاومة فكرة إجراء البحث نظرا لحرصهم على حجب الأمر عن الآخرين وجعله فى طى الكتمان، وجدير بالذكر فى هذا المقام أن الباحثين حرصوا على عدم إخبار أى شخص أثناء الاستدلال على عنوان الفتاة، أو حتى ضيوف الأسرة الذين تصادف وجودهم أثناء التطبيق - عن السبب الحقيقى للبحث.

- نظرا لصعوبة تحديد سبب غياب الحالة من خلال البلاغ فإنه قد تم استبعاد (**) عدد لا بأس به من الحالات بعد الوصول إليهن - بمشقة - حيث اتضح أن تغيبهن يعزى إلى أسباب أخرى غير الهروب.

(*) الأستاذان: ماجدة إمام وانتصار بدر الباحثتان الميدانيتان بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

(**) كان عدد من وقع عليهن الاختيار ابتداء (٥٨) فتاة ، ولكن حين ذهبت الباحثتان لإجراء الدراسة عليهن تبين أن ثلاث عشرة حالة منهن لا يعزى تغيبهن إلى هروبهن بل لأنهن ضعيفات العقول ، أو لإصابتهن بنوبات مرضية مفاجئة أو تعرضهن لحوادث مما حال دون عودتهن لأسرهن.

- صعوبة الوصول إلى محل إقامة الهاربات لأنه إما أن يكون فى منطقة عشوائية يتعسر الاستدلال عليه فيها، أو تم تغييره بسبب إزالة أو تهدم المبنى حيث إن العديد من المساكن التى تقطن بها الهاربات قديمة وآيلة للسقوط، أو أن العناوين المسجلة فى البلاغ لم تكن لأسرة الهاربة لأن الأهل يلجأون فى بعض الحالات للعم أو للخال ليتقدم بالبلاغ ويسجل عنوانه فيه خشية افتضاح أمر هروب بناتهن.

٤ - أساليب المعالجة الإحصائية للبيانات(*) :

نظرا لضآلة عدد أفراد العينة، فضلا عن الطبيعة الاستكشافية للبحث فقد لجأ الباحث إلى استخدام بعض الأساليب الإحصائية البسيطة وهى :

- اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المتوسطات.
- اختبار النسبة الحرجة لدلالة الفروق بين النسب المئوية غير المرتبطة.
- معامل الارتباط المستقيم.

النتائج:

من المفترض أن تنتظم عناصر السياق النفسى الاجتماعى البيئى للهاربات، والذى يسهم فى اتخاذهن قرار الهروب، فى خمس فئات هى :

أولا : خصال الهاربات.

ثانيا : متغيرات السياق الأسرى.

ثالثا : العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة.

رابعا : خصائص البيئة الطبيعية المحيطة بهن.

خامسا : أسباب الهروب وكيفية حدوثه وعواقبه.

(*) قام بتحليل البيانات إحصائيا على الحاسب الآلى الأستاذ / فؤاد أبو المكارم المعيد بقسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة القاهرة .

وفيما يلى سنعرض للنتائج الخاصة بكل فئة مما سبق :

أولا : خصال الهاربات :

سينصب اهتمامنا فى هذا المقام على بعض السمات الشخصية للهاربات التى يفترض ارتباطها، فى تقديرنا، بالظاهرة أكثر من غيرها وهى :

أ - **الاندفاعية** : تتضمن الاندفاعية عناصر عديدة منها : صعوبة تحكم الفرد فى انفعالاته، وتورطه فى إتيان بعض الأفعال أو الأقوال، أو التسرع فى اتخاذ قرارات سرعان ما يكتشف عدم سلامتها، وتوضح النتائج الخاصة بهذا المتغير (المكون من خمسة بنود فرعية) أن الهاربات أكثر اندفاعية بصورة دالة من غير الهاربات، حيث بلغ متوسط درجاتهن على هذه السمة: ١١,٨ ± ٤,٢ مقابل ٩ ± ٣,٩ لغير الهاربات، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠٠١,) حيث بلغت قيمة ت (٣,٤).

وتُظهر المقارنات بين المجموعتين على البنود الفرعية لتلك السمة ما يلى :

- التسرع فى اتخاذ القرارات : قرر (٢٨,٧٪) من الهاربات مقابل (٤,٤٪) من غير الهاربات أن هذا السلوك يحدث كثيرا، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠١,) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,٩).

- صعوبة التحكم فى الانفعالات : أشار (٤٦,٧٪) من الهاربات مقابل (٢٠٪) من غير الهاربات إلى أنهن يعانين من هذه المشكلة بدرجة كبيرة، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠١,)، حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,٦٧).

- الندم على ما يصدر عنهن من أقوال وأفعال : قرر (٢٨,٩٪) من الهاربات مقابل (٤,٤٪) من غير الهاربات حدوث هذا الموقف بمعدف مرتفع، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠١,) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٣,١٤).

- أما البندان الخاصان بمستوى التوتر، ونقد سلوك الوالد فلم توجد بين المجموعتين فروق دالة عليهما حيث كان لدى كل منهما قدر متوسط من التوتر

(٧١,١٪ من الهاريات مقابل ٨٤,٤٪ من غير الهاريات)، وقلما ينتقدن والديهن (ذكر ٨,٩ ٪ من الهاريات مقابل ١٢,٣٪ من غير الهاريات أنهن يفعلن ذلك).

ب- **الشعور بالحرمان** : لتقدير طبيعة هذا المتغير لدى أفراد العينة قمنا بتوجيه السؤالين التاليين إليهن :

- أسرتك بتجيب ليكى الحاجات اللى نفسك فيها ؟

أوضحت النتائج أن (٨٨,٩٪) من الهاربات ومن غير الهاربات قررن أن أسرهن نادرا ما تحضر إليهن ما يصبون إليه، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (صفر). مما يشير إلى حالة من الحرمان النسبى لدى كل منهما.

- فى حاجات كتير نفسك فيها ومش قادرة تجيبيها ؟

وافق (٤٢,١٪) من الهاربات مقابل (٤٤,٤٪) من غير الهاربات على هذه العبارة بشدة، ولم يكن الفارق بين النسبتين دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (-٢١,). وقد تمثلت هذه الأشياء، لدى الهاربات بوجه خاص، فى شراء الملابس وأدوات الزينة، والرغبة فى تغيير السكن، والزواج، ومصروفات الدراسة.

جـ- **الشعور بالدونية** : نظرا لأن سلوك الفتاة يتحدد وفقا لمفهومها عن ذاتها، وحيث إن احترامها لذاتها وشعورها بالتكافؤ مع الأخريات يعد حجر الزاوية فى بنية هذا المفهوم فقد قارنا بين متوسط كل من الهاربات وغير الهاربات على متغير الشعور بالدونية، وبينت النتائج عدم وجود فروق دالة بينهما، حيث بلغ متوسط الهاربات ٥,٢ ± ٣ مقابل ٤,٨ ± ٢ لغير الهاربات، وكانت قيمة ت (٩١,).

تشير هذه النتيجة إلى أن الهاربات لا يعانين بصورة حادة من الشعور بالدونية فهن يعتقدن أن ذكاءهن لا يقل عن ذكاء زميلاتهن، وكذا شكلهن، وملبسهن، ومصروفهن (كما يبين مضمون البنود الأربعة التى يتكون منها هذا المتغير). وقد يعزى غياب هذا الفارق الدال إلى أنهن يقارن أنفسهن بالنماذج المحيطة بهن، اللائى

يعانين مثلهن أيضا، ويتساوين معهن فى الظروف الشاقة التى يحيون فى ظلها، ومن ثم لا يشعرن بأنهن أقل.

د - **الصعوبات التعليمية** : للتعرف على طبيعة الصعوبات التعليمية التى تواجهها الفتيات اعتمدنا على مؤشرين هما الرسوب، والتزويغ من المدرسة.

- بالنسبة للمؤشر الأول فقد قرر (٥٥,٦٪) من الهاربات مقابل (٤٢,٢٪) من غير الهاربات أنهن رسبن مرة واحدة على الأقل، ومع أن الفارق بينهما لم يكن دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٨٢)، إلا أنه يشير إلى ارتفاع معدل الرسوب لدى كل منهما. وتتضح أهمية هذا المتغير إذا عرفنا أن نسبة المتعلمات فى عينة الهاربات (٧٥,٨٪) فى حين أن نسبة من رسبن فى العينة الكلية للهاربات مرة واحدة على الأقل (٥٥,٦٪). أى أن كل الهاربات المتعلمات تقريبا، يعانين من صعوبات تعليمية.

- أما عن المؤشر الثانى (التزويغ من المدرسة) فقد قرر (١١,١٪) من الهاربات مقابل (٦,٧٪) من غير الهاربات أنهن يأتين هذا السلوك فى بعض الأحيان، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٧٧,).

هـ - **التعاطى** : حين سألنا أفراد العينة عن تعاطيهن لأى مواد نفسية قرر (٤,٤٪) من الهاربات مقابل (٢,٢٪) من غير الهاربات أنهن يدخن السجائر فقط ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٠,٦).

ثانيا: متغيرات السياق الأسرى:

يزخر عالم الأسرة بالعديد من المتغيرات التى يسهم كل منها بمقادير متفاوتة الشدة فى حدوث ظاهرة الهروب، وسنعرض فيما يلى لأبرز تلك المتغيرات :

أ - **بنية الأسرة** : فيما يتصل بهذا المتغير فقد قرر (٣١,١٪) من الهاربات مقابل (١٩,٩٪) من غير الهاربات أنهن لا يقمن فى أسرة ذات بنية طبيعية (أم + أب) ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٣)، وقد تبين أن ذلك يعزى إلى الأسباب التى يتضمنها الجدول رقم (١) :

جدول رقم (١)

يبين أسباب تغير البنية الطبيعية للأسرة

م	العينة / سبب تغير بنية الأسرة	هاريـــات		غير هاربات	
		ك	٪	ك	٪
١	وفاة الأب	٧	١٥,٦	٥	١٣,٣
٢	وفاة الأم	١	٢,٢	–	–
٣	وفاة كلا الوالدين	١	٢,٢	٢	٤,٤
٤	الطلاق	٣	٦,٧	–	–
٥	سفر الأب	١	٢,٢	–	–
٦	غير مبين	١	٢,٢	١	٢,٢
	الاجمالى	١٤	٣١,١	٨	١٩,٩

ب- **الترتيب داخل الأسرة :** أشارت النتائج إلى أن (٢٤,٤٪) من الهاربات يشغلن الترتيب الأول فى الأسرة، وأن (٤٨,٦٪) منهن يشغلن الترتيب الأوسط مقابل (٢٦,٧٪) منهن يشغلن الترتيب الأخير.

جـ - **أساليب التنشئة الأسرية :** سنعنى فى هذا السياق بأسلوبين رئيسيين للتنشئة الأسرة هما :

١- **العنف الوالدى :** يشير مفهوم العنف إلى استخدام أحد الوالدين أو كليهما الإيذاء اللفظى أو البدنى كوسيلة للتعامل مع الفتاة، ويبين الجدول التالى رقم (٢) النتائج الخاصة بالجوانب المتعددة لهذا المتغير.

جدول رقم (٢)

يبين الفروق بين الهاربات وغير الهاربات فى التعرض للإيذاء اللفظى والبدنى من الوالدين

والدك يشتمك

م	العينة / هذا السلوك يحدث	هاربات ك	هاربات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	٦	١٣,٣	١٣	٢٨,٩	٢	,٠٥
ب	أحيانا	٦	١٣,٣	٧	١٥,٦	,٣١	–
جـ	كثيرا	٩	٢٠	٣	٦,٧	١,٨٨	–
د	لا يحدث	٢٤	٥٣,٤	٢٢	٤٨,٨	,٤٦	–
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

والدك يضربك

م	العينة / هذا السلوك يحدث	هاربات ك	هاربات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	٦	١٣,٣	٨	١٧,٨	٠,٥٩	–
ب	أحيانا	٦	١٣,٣٣	٤	٨,٩	٠,٦٧	–
جـ	كثيرا	٦	١٣,٣٣	١	٢,٢	١,٩٨	,٠٥
د	لا يحدث	٢٧	٦٠	٣٢	٧١,١	١,٢	–
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

والدتك تشتمك

م	العينة / هذا السلوك يحدث	هاربات ك	هاربات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	٨	١٧,٨	٢٠	٤٤,٥	٢,٨	,٠١
ب	أحيانا	٦	١٣,٣	٧	١٥,٦	,٣	–
جـ	كثيرا	١٠	٢٢,٢	٣	٦,٧	٢,١	,٠٥
د	لا يحدث	٢١	٤٦,٧	١٥	٣٣,٢	٢	,٠٥
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

والدتك تضربك

م	العينة / هذا السلوك يحدث	هاربات ك	هاربات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	٥	١١,١	١٤	٣١,١	٢,٣	,٠٥
ب	أحيانا	٢	٤,٤	٢	٤,٤	صفر	–
جـ	كثيرا	٦	١٣,٣	–	–	٢,٦	,٠١
د	لا يحدث	٣٢	٧١,٢	٢٩	٦٤,٤	١,١	–
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

وفيما يلى نعرض لأبرز النتائج التى يحويها الجدول السابق رقم (٢) :

- **الإيذاء اللفظى** : للكشف عن طبيعة دور هذا المتغير وجهنا السؤال التالى إلى أفراد العينة :

هل يشتمك والدك ؟

ردا على هذا السؤال تبين عدم وجود فروق بين الهاربات وغير الهاربات فى معدل حدوث هذا السلوك سواء بشكل متوسط أو مرتفع لأننا حين دمجنا نسبة الذين قرروا حدوثه أحيانا وكثيرا اتضح أنهن يشكلن (٣٣,٢٪) من الهاربات مقابل (٢٢,٣٪) من غير الهاربات، ولم يكن الفارق بينهن دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٨٨).

أما بالنسبة للأم فقد قرر (٢٢,٢٪) من الهاربات مقابل (٦,٧٪) من غير الهاربات أنها تشتمهن كثيرا، وقد كان الفارق بين النسبتين دالا عند مستوى (٠٥,) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,١).

وحين تطرقنا إلى أسباب صدور هذا السلوك من قبل الأب والأم كما يدركها الهاربات تبين أنها بالنسبة للأب تتمثل فى : أنه سيئ الطبع وعصبى، وقد قرر ذلك (٢٢,٢٪)، فى حين أشار (١١,١٪) إلى أنهن اللاتى يفعلن أشياء خاطئة.

- أما فيما يتصل بمبررات الإيذاء اللفظى من جانب الأم فقد تمثلت فى : لأننا نرتكب أشياء خاطئة (١٥,٦٪)، ولأنها سيئة الطبع وعصبية (٨,٨٪) أو لخوفها علىّ (٤,٤٪).

تشير النتائج الخاصة بهذا المتغير إلى أن قيام الآباء بتوجيه الإهانات لبناتهن يعد أسلوبا شائعا لدى المجموعتين، فى حين أن أمهات الهاربات يقمن بإهانتهن بمعدل أكبر من أمهات غير الهاربات، ويلاحظ أن الهاربات يعزين ذلك فى حالة الآباء إلى عيب فيهم، ولكنهن بالنسبة للأمهات يرجعن ذلك إلى عيب فى أنفسهن.

أى أنهن يتقبلن الإهانة من الأم بدرجة أكبر ويدركنها على أنها تصدر بدافع الخوف عليهن فى حين أنها تعد أحد أشكال التعسف حين تصدر من الأب.

- **الإيذاءالبدنى** : هل يضربك والدك ؟

إجابة عن هذا السؤال قرر (١٣,٣٪) من الهاربات مقابل (٢,٢٪) من غير الهاربات أن هذا السلوك يصدر عن الوالد كثيرا، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠٥,٠) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٩٨)، مما يعنى أن قيام الوالد بضرب الفتاة أكثر شيوعا لدى آباء الهاربات مقارنة بآباء غير الهاربات.

- أما عن قيام الأم بضربهن : فقد قرر (١٣,٣٪) من الهاربات مقابل (صفر٪) من غير الهاربات حدوث ذلك كثيرا، وقد كان الفارق بين النسبتين دالا عند مستوى (٠١,٠) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,٦).

نخلص من استعراض النتائج الخاصة بهذا المتغير إلى أن الهاربات أكثر عرضة من غير الهاربات للعنف الوالدى سواء كان لفظيا أم بدنيا.

٢- **النبذ الوالدى** : يتمثل النبذ فى عدم منح الفتاة الرعاية الكافية، وتجاهل مشاعرها ورغباتها وإشعارها بأنها ليست ذات أهمية وأن غيابها لن يثير الاهتمام، وقد سعينا للكشف عن جوانب هذا المتغير من خلال عدد من البنود يوضح الجدول رقم (٣) النتائج الخاصة بها.

جدول رقم (٢)

يبين الفروق بين الهاربات وغير الهاربات على متغير النبذ الوالدى

والدك مش بيهتم بيكى

م	العينة / هذه العبارة صحيحة	هاربـــات ك	هاربـــات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	٢	٤,٤	١	٢,٢	,٦٣	–
ب	متوسطة	٤	٨,٩	٤	٨,٩٨	صفر	–
جـ	كبيرة	٨	١٧,٨	٢	٤,٤	٢	,٠٥
د	غير صحيحة	٣١	٦٨,٩	٣٨	٨٤,٣	١,٨–	–
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

والدك بيفضل إخواتك عليكى

م	العينة / هذه العبارة صحيحة	هاربـــات ك	هاربـــات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	–	–	١	٢,٢	١,١	–
ب	متوسطة	١	٢,٢	٣	٦,٧	١,١	–
جـ	كبيرة	٥	١١,١	٢	٤,٤	١,٢–	–
د	غير صحيحة	٣٩	٨٦,٧	٣٩	٨٦,٧	صفر	–
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

والدتك مش بتهتم بيكى

م	العينة / هذه العبارة صحيحة	هاربـــات ك	هاربـــات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	٢	٤,٤	٢	٤,٤	صفر	–
ب	متوسطة	٧	١٥,٦	٣	٦,٧	١,٣	–
جـ	كبيرة	٤	٨,٩	١	٢,٢	١,٥	–
د	غير صحيحة	٣٢	٧١,١	٣٩	٨٦,٧	١,٣	–
	الاجمالى	٤٥	١٠٠		١٠٠		

والدتك بتفضل اخواتك عليكى

م	العينة / هذه العبارة صحيحة	هاربـــات ك	هاربـــات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	–	–	٢	٤,٤	١,٥	–
ب	متوسطة	١	٢,٢	٣	٦,٧	١,١	–
جـ	كبيرة	٤	٨,٩	٣	٦,٧	٠,٣	–
د	غير صحيحة	٤٠	٨٨,٩	٣٧	٨٢,٢	٠,٩٧	–
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

يحوى الجدول السابق عددا من الأسئلة المتصلة ببعض جوانب متغير النبذ الوالدى، وسنناقش فيما يلى أبرز النتائج الخاصة بهذا المتغير والتى من شأنها الكشف عن طبيعة الفروق بين الهاربات وغير الهاربات عليه :

- والدك مش بيهتم بيكى ؟

وافقت على هذه العبارة بشدة (١٧,٨٪) من الهاربات مقابل (٤,٤٪) من غير الهاربات، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠,٠٥) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢).

- أما عن مدى تجاهل أمهاتهن لهن فقد قرر (٨,٩٪) من الهاربات مقابل (٢,٢٪) من غير الهاربات ذلك ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١). يلاحظ انخفاض نسبة من أشاروا إلى تجاهل أمهاتهن لهن مقارنة بآبائهن.

- والدك بيفضل إخواتك عليكى ؟

وافق على هذه العبارة بشدة (١١,١٪) من الهاربات مقابل (٤,٤٪) من غير الهاربات ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٢).

- أما عن تفضيل الأمهات للإخوة الآخرين عليهن، فقد وافق على هذه العبارة (٨,٩٪) من الهاربات مقابل (٦,٧٪) من غير الهاربات، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٠,٣).

توضح نتائج هذا المتغير أن الهاربات يشعرن أن آباءهن أكثر تجاهلا لهن مقارنة بغير الهاربات، بيد أنهن لا يدركن هذا السلوك على أنه تحيز ضدهن نظرا لأنه سمة مميزة لتعامل الأب مع كل الأبناء.

د - **التقارب الأسرى** : يشير هذا المتغير إلى درجة الارتباط الوجدانى بين أفراد الأسرة أو معدل التفاعل بينهم ومدى شعور الفتاة بالتوافق معهم، وقد أظهرت النتائج أن متوسط درجة الهاربات على هذا المتغير كان أقل بصورة دالة عند

مستوى (٠٠٢,)، مقارنة بغير الهاربات حيث بلغ ١٩,٤ ± ٦ مقابل ٢٢,٩ ± ٤,٢ على التوالى، وكانت قيمة ت (٣,٢). أما فيما يتصل بالفروق بين هاتين المجموعتين على البنود الفرعية لهذا المتغير فقد كانت كالتالى :

- بتفضلى تقعدى لوحدك بعيد عنهم (تتجنبيهم) ؟ أجاب (٢٨,٨٪) من الهاربات مقابل (١٧,٨٪) من غير الهاربات بأن ذلك يحدث كثيرا، ولم يكن الفارق بين النسبتين دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٢٨).

- ما حدش عارف يفهمنى ويتجاوب معايا فى البيت؟ وافق (٣٧,٧٪) من الهاربات مقابل (١١,١٪) من غير الهاربات على هذه العبارة بشدة، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠,٠١) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,٩٦)، وهو ما يفسر ميل ما يقرب من ثلث أفراد عينة الهاربات إلى تجنب أسرهن والانعزال عنها كما تبين من البند السابق.

- تطلبى مشورة والدك لما تواجهك مشكلة خاصة ؟ قرر (٥٧,٨٪) من الهاربات مقابل (٣٥,٦٪) من غير الهاربات أنهن لا يفعلن ذلك، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠٥,) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,١)، وحين سألنا الهاربات عن أسباب تجنب استشارة الوالد أشرن إلى أنه :

١- متوفى (٢٠٪)
٢- مفيش تفاهم بيننا (١٣,٣٪).
٣- عصبى (٦,٧٪)
٤- أشور ماما (٦,٧٪)
٥- مشغول عنى بعمله (٦,٧٪)
٦- أفضل مواجهتها بنفسى (٤,٤٪).

- بتشورى والدتك لما تواجهك مشكلة خاصة ؟ نفى (٢٠٪) من الهاربات مقابل (٤,٤٪) من غير الهاربات حدوث ذلك، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠,٠٥) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,٢٦)، أى أن الهاربات أكثر ابتعادا عن أمهاتهن مقارنة بغير الهاربات، ومما يتسق مع هذا الفارق ما أفصحت عنه الهاربات

من أن أمهاتهن يضربنهن بصورة أكبر من أمهات غير الهاربات. وتشير هذه النتيجة أيضا إلى أن الفجوة أكثر اتساعا بشكل عام بين الفتاة وأبيها من الفجوة التى تفصلها عن أمها، وهو ما يتفق مع ما هو مشاهد فى الثقافة المصرية.

- بتأكلوا مع بعض لما تكونوا موجودين فى البيت ؟ أجاب (٨,٧٧٪) من الهاربات مقابل (٦,٩٥٪) من غير الهاربات بأن هذا السلوك يحدث كثيرا، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠١,)، حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (-٥,٢). أى أن فرص اللقاء بين الهاربات وأسرهن أقل، ومن ثم تنخفض احتمالات التفاعل المكثف فيما بينهم.

- بتتكلموا مع بعض فى المسائل العامة وقت الفراغ ؟ قرر (٢,٧١٪) من الهاربات مقابل (٢,٨٢٪) من غير الهاربات أن ذلك يحدث كثيرا، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٧,١).

- بتخرجوا تتفسحوا مع بعض ؟ أشار (١,٢٢٪) من الهاربات مقابل (٥,٢٤٪) من غير الهاربات إلى أن ذلك يحدث كثيرا، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٣٩,).

هـ - **النزاعات الأسرية** : للوقوف على طبيعة النزاعات داخل الأسرة ومدى إسهام كل طرف فيها وجهنا الأسئلة التالية إلى المبحوثات، والتى يبين الجدول رقم (٤) إجاباتهن المفصلة عليها.

جدول رقم (٤)

يبين الفروق بين الهاربات وغير الهاربات على بنود متغير النزاعات الأسرية

بتزعقي لوالدتك لما تضايقك

م	العينة / هذه العبارة صحيحة	هاربات ك	هاربات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	١١	٢٤,٥	١٥	٣٣,٤	,٩٤	–
ب	احيانا	٣	٦,٧	٦	١٣,٣	,٩٧	–
جـ	كثيرا	٢	٤,٤	٢	٤,٤	صفر	–
د	لا يحدث	٢٩	٦٤,٤	٢٢	٤٨,٩	١,٥	–
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

بيحصل خناقات بينك وبين اخواتك

م	العينة / هذه العبارة صحيحة	هاربات ك	هاربات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	١١	٢٤,٥	١٨	٤٠	١,٦	–
ب	احيانا	٦	١٣,٣	١٤	٣١,١	٢	,٥
جـ	كثيرا	٧	١٥,٦	٣	٦,٧	١,٣	–
د	لا يحدث	٢١	٤٦,٦	١٠	٢٢,٢	٢,٦	٠,١
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠	صفر	

بتحصل خناقات بين والدك ووالدتك

م	العينة / هذه العبارة صحيحة	هاربات ك	هاربات %	غير هاربات ك	غير هاربات %	النسبة الحرجة	مستوى الدلالة
أ	قليلا	٥	١١,١	١٢	٢٦,٦	١,٨٩	–
ب	احيانا	٢	٤,٤	١٢	٢٦,٧	٢,٩	,٠١
جـ	كثيرا	٢١	٢٦,٧	٤	٨,٩	٢,٢	,٠٥
د	لا يحدث	٢٥	٥٧,٨	١٧	٣٧,٧	٢	,٠٥
	الاجمالى	٤٥	١٠٠	٤٥	١٠٠		

- بتزعقى لوالدتك لما تضايقك ؟ أجاب (٤٤,٤٪) من الهاربات مقابل (٤٤,٤٪) من غير الهاربات أن ذلك السلوك يحدث كثيرا، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (صفر).

- بيحصل خناقات بينك وبين إخواتك ؟ أشار (١٣,٣٪) من الهاربات مقابل (٣١,١٪) من غير الهاربات أن ذلك يحدث أحيانا، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠٥,) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢) وهو ما يعنى أن مشكلات الهاربات لا تكمن عادة مع إخوتهن ولكن مع أطراف أخرى.

- بيحصل خناقات بين والدك ووالدتك ؟ أجاب (٢٦,٧٪) من الهاربات مقابل (٨,٩٪) من غير الهاربات أن ذلك يحدث كثيرا، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠٥,) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٢,٢)، وقد قررت الهاربات أن تلك النزاعات تنشب عادة بسبب الخلاف على نفقات المنزل، أو سوء طباعهما أو عدم تحمل كل منهما للآخر.

ثالثا : العلاقات الاجتماعية خارج الأسرة :

فى محاولة لاستكشاف طبيعة علاقات المبحوثات الاجتماعية بالآخرين الذين يتمثلون عادة فى الصديقات أو الزميلات أو الأفراد من الجنس الآخر قمنا بتوجيه الأسئلة الآتية إليهن :

- **هل لك صديقات** ؟ أجاب (٢٨,٩٪) من الهاربات مقابل (١٥,٦٪) من غير الهاربات بأنه ليس لهن صديقات، ومع أن الفارق بينهما لم يكن دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,٥)، إلا أن إقرار حوالى ثلث عينة الهاربات بأنه ليس لديهن صديقات يشكل ملمحا مميزا للسياق الميسر لعملية الهروب، فهن لا يعانين - كما أشارت النتائج السابقة - من الشعور بالوحدة داخل المنزل فقط، بل وخارجه أيضا نظرا لغياب الصديقات مما يقلل من فرص تفريغ توترهن. وثمة جانب آخر يشير إلى مدى عمق هذه المشكلة تمثل فى أن بعض الهاربات يررن عدم وجود صديقات بأنهن لا يثقن فى أحد، أى أن لديهن حالة توجس من الآخرين وهو مما يعمق الهوة بينهما .

- بتشعرى بالراحة وانتى وسطهم أكثر من أسرتك ؟ أجاب (٤٤,٤٪) من الهاربات مقابل (٣٣,٣٪) من غير الهاربات بنعم، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١,١). تجدر الإشارة إلى أن إقرار ما يقرب من نصف الهاربات بأنهن يشعرن بقدر أكبر من الراحة مع صديقاتهن مقارنة بأسرهن لهو دليل على أن المناخ الأسرى يغلب عليه الطابع السلبى، وهو ما قد يفسر تعاظم تأثير القرينات عليهن.

- **ياترى بتعرفى حد من الشبان؟** أجاب (٢٨,٦٪) من الهاربات مقابل (٢٠٪) من غير الهاربات بالإيجاب، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٩٩,). وحول مدى عمق تلك العلاقة سألناهن :

- متفقين على الجواز ؟ قرر (٢٦,٧٪) من الهاربات مقابل (١٥,٦٪) من غير الهاربات أن ذلك هو واقع الأمر. وحول مدى معرفة الأسرة بهذه العلاقة ورد فعلها إزاء ذلك. أوضح (١٣,٣٪) من الهاربات أن أسرهن رفضوا هذه العلاقة، وأشار (٦,٧٪) أنهم وافقوا بشرط أن يتقدم بشكل رسمى، فى حين أن (٤,٤٪) قالوا إنهم ضربونى. أى أن معظم الأهل رفضوا العلاقة عندما علموا بها، ومن ثم شكّل هذا الرفض منبعا من المنابع الرئيسية الدافعة للهرب.

رابعا : خصائص البيئة الطبيعية :

مع تزايد الوعى فى الحقبة المعاصرة بدور المتغيرات الإيكولوجية (*) فى تشكيل سلوك الأفراد فقد عنى الباحثون فى مجال المشكلات الأسرية بتقييم الإسهام النسبى لتلك المتغيرات فى نشوء تلك المشكلات، وسنعرض فيما يلى للنتائج الخاصة بدور كل من متغيرى الازدحام ودرجة الحرارة، بشكل خاص، فى ظاهرة الهروب.

أ - **الازدحام** : أشارت النتائج إلى أن أغلبية الهاربات (٦٤,٤٪) يقطن فى

(*) تعرف بأنها «متغيرات البيئة الطبيعية والجغرافية المحيطة بالفرد مثل: الضوضاء، درجة الحرارة، الموقع الجغرافى، التلوث، الازحام (Wolman, 1975) .

أحياء عشوائية وشعبية مزدحمة، وتقع بيوتهن فى أزقة وحارات ضيقة يبلغ متوسط عرضها (٥,٣ ± ١,٩) متر، حسب تقدير الباحثين، وأن الازدحام لا يقتصر على الحى والشارع فقط، ولكنهن يخبرنه فى منازلهن أيضا حيث بلغ متوسط عدد أفراد أسرة الهاربات (٦) أفراد، وقد جسدت إحدى الهاربات آثار التكدس الشديد داخل المنزل بقولها : « ما اقدرش اقعد لوحدى لما أتضايق من أسرتى لأن البيت مكون من غرفة واحدة » أى أن هناك ازدحامًا خارج المنزل (الحى) وتكدسًا داخله، ومما يعطى لهذا المتغير بعدا جديدا أن المسألة ليست كثافة سكانية مرتفعة فقط، ولكن شعور نفسى داخلى بالازدحام حيث قرر (٥٥,٥٪) من الهاربات أن درجة الازدحام شديدة جدا بدرجة لا تطاق حتى أن إحداهن قالت : « أنا مخنوقة فى شقتنا ونفسى أسيبها »، وعبرت أخرى عن تذمرها من الحى كله بقولها : « نفسى أسكن فى حى راقى »، وتجاوزت شكوى ثالثة عالمنا بأسره حيث قالت : « نفسى أعيش فى كوكب تانى ».

ب - **درجة الحرارة** : لتقدير دور متغير درجة الحرارة كعنصر قد يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر فى الظاهرة قمنا بحساب نسبة الهاربات فى فصول السنة الأربعة، وقد أشارت النتائج إلى أن :

- (٣٨٪) هربن فى فصل الصيف. - (٣٣٪) فى فصل الشتاء.
- (٢٠٪) فى فصل الخريف. - (٩٪) فى فصل الربيع.

وهو ما يوحى بوجود علاقة بين درجة الحرارة والهروب.

خامسا : أسباب الهروب وكيفية حدوثه وعواقبه :

ينصب الاهتمام فى هذا الجزء من النتائج على بيان أسباب الهروب وتوقيته وكيفية حدوثه وعواقبه الإيجابية والسلبية، وفيما يلى أبرز ما توصلنا إليه فى هذا السبيل :

أ- **وجود نماذج محيطة لهاربات** : للوقوف على طبيعة هذا المتغير توجهنا بالأسئلة التالية إلى المبحوثات :

- سمعتى عن واحدة من اللى حواليكى سابت البيت وهربت ؟ إجابة عن هذا السؤال قرر (١٧,٨٪) من الهاربات مقابل (١٣,٣٪) من غير الهاربات ذلك، ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٠,٧).

- مين هى ؟ أشار (٨,٩٪) من الهاربات إلى أنها صديقة، أو زميلة (٤,٤٪)، أو جارة (٤,٤٪)، أما غير الهاربات فقد قرر (٨,٩٪) منهن أنها جارة، أو ليس لهن بها صلة (٤,٤٪). أى أن الهاربات تربطهن صلات أوثق بمن هربن مقارنة بغير الهاربات.

- تفتكرى هى عملت كده ليه ؟ عزا (١٣,٤٪) من الهاربات ذلك إلى سوء معاملة الأسرة، أو رفض الأسرة لمن اختارته الفتاة زوجا لها (٢,٢٪)، أو لإجبارها على الزواج من شخص لا ترغبه (٢,٢٪).

ب - **التفكير فى الهروب** : مع أن النتائج أشارت إلى أن أيا من الهاربات أو غير الهاربات لم يسبق لهن الهروب، إلا أن هذا لا يعنى أنهن لم يفكرن فى الهروب من قبل، ولسبر هذا الموقف سألناهن السؤال التالى :

- حصل إنك فكرتى تهربى من المنزل قبل كده لأى سبب ؟ أجاب (٨٤,٤٪) من الهاربات أنهن فكرن فى ذلك بالفعل مقابل (٦,٧٪) من غير الهاربات، وقد كان الفارق بينهما دالا عند مستوى (٠,٠٠٠١) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٨,٤)، أى أن فكرة الهروب كانت واردة لدى الهاربات من قبل تنفيذها نظرا لتوفر الظروف المواتية لنشأتها.

جـ- **تنفيذ قرار الهروب** : سعيا للإحاطة بالظروف التى تم تنفيذ قرار الهروب فى ظلها توجهنا إلى المبحوثات بالأسئلة التالية :

- إيه الظروف اللى خليتك تنفذى الفكرة دى ؟ ويوضح الجدول التالى رقم (٥) تلك الأسباب :

جدول رقم (٥)

يوضح أسباب تنفيذ قرار الهروب

م	السـبب	النسبة المئوية لمن ذكرنه
١	عندما ضربونى (أفراد الأسرة)	٢٨,٩
٢	خوفى من العقاب عند تأخرى فى العودة إلى المنزل	٢٤,٤
٣	لرفض الأسرة زواجى ممن أحب	١٣,٣
٤	عندما قرروا تزويجى ممن لا أحب	١٣,٣
٥	عندما رسبت فى الامتحان	٦,٧
٦	لرفضهم إكمال تعليمى	٢,٢
٧	التشاجر المستمر للوالدين	٢,٢
٨	مضايقات العمل	٢,٢
٩	أسباب أخرى متنوعة	٦,٧

- ناقشتى حد فى الفكرة دى ؟ أجاب (١٣,٣٪) من الهاربات بنعم. وكان هذا الأحد، فى نصف الحالات، الصديقة، قد يعزى انخفاض نسبة مناقشة مسألة الهروب مع آخرين إما لأن الفكرة قد تكون طرأت بشكل فجائى لذهن الفتاة وأنها نفذتها بسرعة، وهو ما يشير إلى دور متغير الاندفاعية، أو لأنها كانت مختمرة فى ذهنها ولم تشأ مناقشتها مع أحد حتى لا يفتضح أمرها وتتخذ الأسرة تدابير وقائية ضدها، ومما يرجح هذا الاحتمال أن ما يربو على (٨٤٪) من الهاربات قررن أنهن فكرن فى الهروب قبل ذلك.

- رجعتى بعد أد إيه؟ يوضح الجدول التالى رقم (٦) تلك المدة على النحو التالى :

جدول رقم (٦)

يبين توزيع الهاربات تبعا لمدة الهروب

م	مدة الهروب	٪
١	أقل من ٤ أيام	٤٨,٩
٢	من ٥ إلى ١٤ يوماً	٢٤,٥
٣	من ١٥ إلى شهر	١١,١
٤	أكثر من شهر	١٥,٥
	الإجمالى	١٠٠

د - **أسباب العودة** : يا ترى إيه الظروف اللى خليتك ترجعى ؟ أوضحت إجابات الهاربات أن أسباب العودة، والتى يوضحها الجدول التالى رقم (٧)، تتمثل فيما يلى :

جدول رقم (٧)

يبين أسباب عودة الفتاة إلى أسرتها

م	السبب	٪
١	تدخل من أقيم عنده	٣٣,٣
٢	الحنين للأسرة	٢٢,٢
٣	أهلى بحثوا عنى وتوصلوا إلى مكانى	١٣,٣
٤	أقنعنى من أقيم عنده بالعودة	٨,٩
٥	لأن أهلى استجابوا لمطالبى	٦,٧
٦	للمشاق التى عانيتها	٤,٤
٧	الندم	٤,٤
٨	أسباب أخرى متفرقة	٦,٧

- أهلك عملوا ليكى إيه لما رجعتى ؟ إجابة عن هذا السؤال أشارت الهاربات إلى ردود الفعل التالية والتى يوضحها الجدول رقم (٨) :

جدول رقم (٨)

يوضح ردود فعل الأهل بعد عودة الفتاة

م	رد فعل الأهل	٪
١	الضرب والإهانة	٣٧,٨
٢	لم يفعلوا شيئا	٢٦,٧
٣	صالحوني وأحسنوا معاملتي	١٧,٨
٤	تنفيذ مطالبي	٤,٤
٥	تجنبوني لفترة	٤,٤
٦	تقييد حريتي	٢,٢
٧	أساليب أخرى متنوعة	٦,٧

هـ- **تقييم التجربة** : حتى نقف على حصاد التجربة من واقع التقييم الشخصى للفتاة الهارية بعد عودتها توجهنا إليها بما يلى من أسئلة :

- انتى شايفه إن رجوعك حل بعض المشكلات اللي خليتك تهربى ؟

أجـاب (٤٨,٩٪) منهن بنعم. أى أن مـا يربو على نصف المبـحـوثات مـا زلن معرضات لتكرار عملية الهروب نظرا لبقاء الأسباب التى دعتهن لفعل ذلك فيما سبق.

- ازاى ؟ حـينئـذ طلبنا منهن أن يحـددن كـيف أن عـودتهن أدت إلى حل المشكلات التى دعتهن للهروب، وقد ذكرن أن الأهل :

- استجابوا لمطالبى (٢٤,٤٪)

- توقفوا عن ضربى (٤,٤٪)

- أحسنوا معاملتى (٤,٤٪)

- أصبحوا أقل تدخلا فى خصوصياتى (٤,٤٪)

- أصبحوا أكثر تفاهما معى (٤,٤٪)

- شعرت بقيمة الأسرة (٤,٤٪)

- انتى شايفه إن التجربة دى فادتك ؟ ردا على هذا السؤال قرر (٥٣,٢٪) من الهاريات أن ذلك هو ما حدث فعلا.

- إزاى ؟ كانت إجابتهن على النحو التالى كما يوضحها جدول رقم (٩) :

جدول رقم (٩)

يوضح جوانب استفادة الهاربة من تجربة الهروب

م	جوانب الاستفادة من تجربة الهروب	٪
١	زاد اهتمام أفراد الأسرة بى	١٣,٣
٢	تزوجت ممن أريد	٨,٩
٣	أصبح من الصعب خداعى	٦,٧
٤	أعصابى هديت	٦,٧
٥	أصبحوا لا يضغطون على	٦,٧
٦	تعلمت التريث فى اتخاذ القرار	٤,٤
٧	شعرت بقيمة الأسرة	٤,٤

- ايه هى المشاكل اللى عانيتى منها بعد التجربة دى ؟ إجابة عن هذا السؤال قررت الهاريات أن تلك المشاكل تتمثل فى :

١- الشعور بالندم (٢٢,٢٪)

٢- أصبح أفراد أسرتى أكثر ارتيابا فىّ (١٥,٦٪)

٣- سوء المعاملة (٨,٩٪)

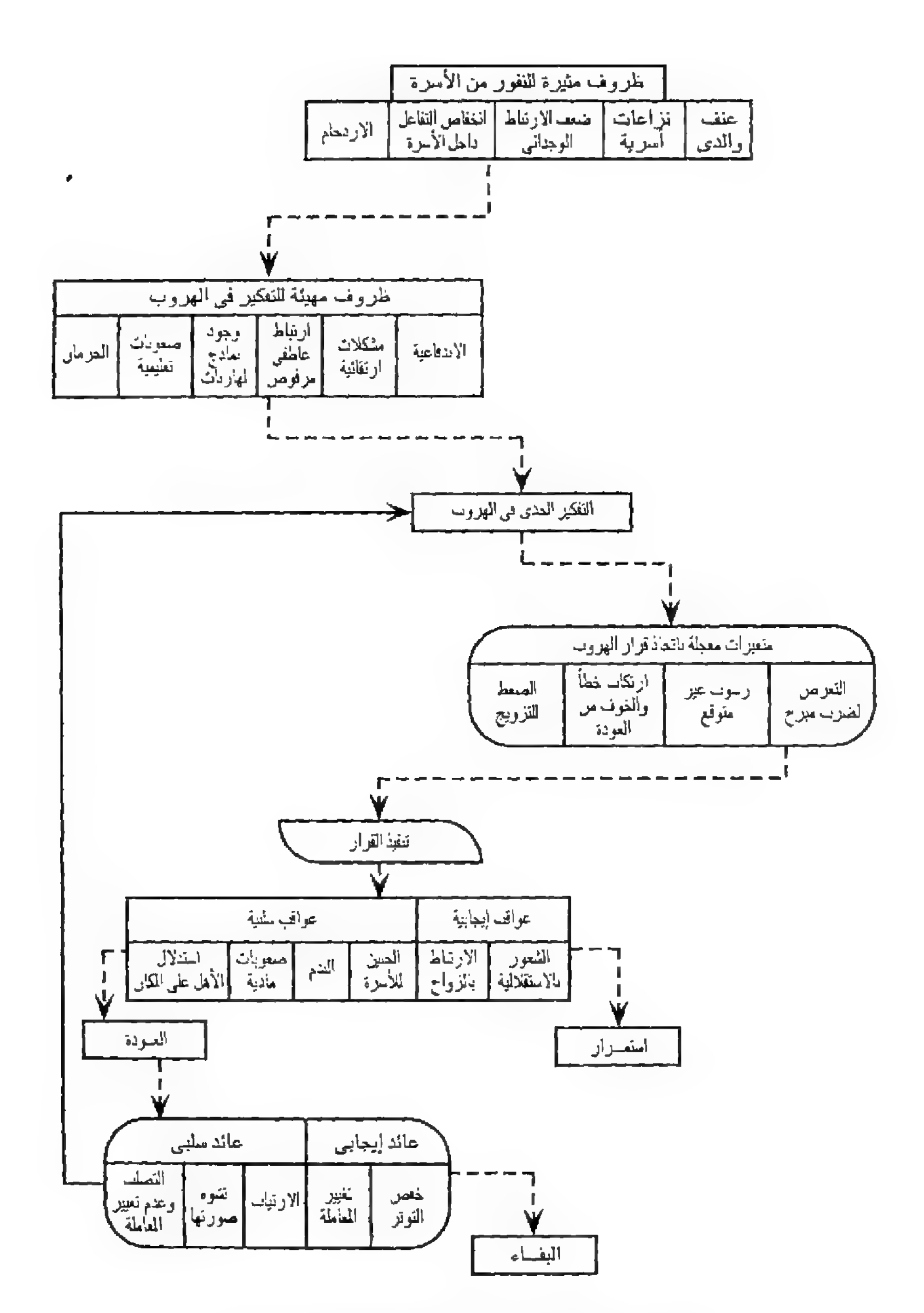
٤- تشوه صورتى أمام الناس (٨,٩٪)

٥- الشعور بالغربة (٤,٤٪)

٦- مقاطعة الآخرين لى (٤,٤٪)

مناقشة النتائج:

نظرا لتعقد الظاهرة وتعدد مناحى تناولها فإنه لا يمكننا التحدث عن أسباب بعينها تؤدى إلى الهروب، ولكن ما يستطيعه الباحث فى العلوم السلوكية الآن هو أن يتحدث عن عوامل متعددة تهيئ مجتمعة المناخ الملائم لحدوث الظاهرة (سليمان، ١٩٧٣، ٥٦ - ٥٧)، وحتى نستطيع أن نفهم الكيفية التى تتفاعل بها تلك العوامل سننحو منحى عالم الآثار الذى يستعين بما يصل إليه من حفريات على إعادة ترتيب الوقائع للوقوف على كيفية وقوع حدث ما، حيث نسعى إلى تبنى إطار تصورى يمكننا من ترتيب مكونات السياق المحيط بالهاربة وما يحويه من أحداث متشابكة، كشفت عنها النتائج، على نحو ييسر علينا فهم الكيفية التى تحدث بها عملية الهروب، ويوضح الشكل رقم (١٠) ذلك الإطار المقترح الذى نعتقد أن مسار عملية الهروب يحدث وفقا له



شكل رقم (١٠) يبين ديناميات عملية الهروب من الأسرة

وفيما يلى نعرض لديناميات عملية الهروب كما يوضحها الشكل رقم (١٠) والتى تتضمن المراحل التالية :

١ - ظروف مثيرة للنفور من الأسرة:

الأسرة هى التربة التى تزدهر فيها القدرات والمهارات والاتجاهات الإيجابية للفتاة المراهقة بيد أنها إن كانت غير مواتية تثير لديها مشاعر النفور، وبعض مظاهر الاضطراب الوجدانى، وتشير نتائج الدراسة الحالية إلى أن المناخ الأسرى للفتيات الهاربات يتسم بخصائص يغلب عليها الطابع السلبى قوامها ما يلى :

أ - **التعرض للعنف الوالدى**، سواء كان لفظيا أم بدنيا، وبوجه خاص من أمهاتهن، مما يولد لديهن شعورا بالنفور منهم وهو ما حدا بإحدى الهاربات إلى القول « أنا حاسه إنهم مش أهلى »، ومما يفاقم هذا الشعور أن عنف الوالدين لا يتفجر كدالة لأفعال الفتاة فقط بل يعزى أيضا إلى سوء توافق الوالدين إما مع بعضهما البعض أو كل منهما مع نفسه أو مجتمعه نظرا لوجود خلل فى شخصية الوالدين يصعب عليهما بمقتضاه - كما يفترض سبنلتا ورافر Spinltta & Righer - التحكم فى دفعاتهم العدوانية، فضلا عن تأثرهم بشكل مبالغ فيه بأحداث الحياة العصيبة، وصعوبة تكيفهم معها مما يقلل من قدرتهم على القيام بأدوارهم الاجتماعية بكفاءة (Wolfe , 1985)، ومما يدعم من صدق هذا التفسير أن بعض الهاربات قررن أن والديهن يضربهن فى أحيان كثيرة دونما جريرة بسبب سوء طباعهم وعصبيتهم الزائدة.

ب- **النزاع بين الوالدين** : تبين أن النمط السائد للنزاعات فى أسر الهاربات ليس بينهن وبين إخوتهن أو والديهن، بل فيما بين الوالدين، وبطبيعة الحال تنعكس تلك النزاعات عليهن بشكل مباشر حين يشاهدنها حيث يشعرن بالخشية من انهيار استقرارهن العائلى مما يؤثر سلبا على صحتهن النفسية (Peterson & Zill, 1986) وقد يؤثر النزاع عليهن بطريقة غير مباشرة حيث يشكل سلوك الوالدين نموذجا يحذونه فى علاقاتهن الاجتماعية مع الآخرين، الآن أو حين يتزوجن، مما يهدد

توافقهن الاجتماعى تبعا للمقولة الشهيرة بأن « سوء توافق الأبناء كثيرا ما تكمن جذوره فى سلوك الوالدين » (كونجز وآخرون، ١٩٧٠، ٤٨٨).

جـ- **ضعف الارتباط الوجدانى** : أوضحت النتائج أن الهاريات أقل ارتباطا وجدانيا بأسرهن، وأن معدل التفاعل بين أفراد أسرهن منخفض، وأنهن يشعرن بالوحدة، وهو ما جسده قول إحداهن: « باحس إنى وحيدة فى الدنيا وليس لى أهمية ».

وتبين أنهن أقل تفاهما مع أسرهن، فهن يتجنبن إشراك والديهن فى ما يواجهنه من مشكلات شخصية، ويدركن أن أمهاتهن يعاملنهن بطريقة أسوأ مما تعامل به الأمهات الأخريات بناتهن، حتى أن إحداهن قالت : « نفسى فى أم تفهمنى زى كل البنات » وجدير بالذكر أن ثمة مبررًا موضوعيًا لذلك الإدراك السلبى للأم قوامه إيذاؤها للفتاة لفظيا وبدنيا بصورة متكررة، واتضح أيضا أن الهاربات يشعرن بعدم ثقة أفراد الأسرة بهن، وهو ما يفسر وهن علاقتهن بأسرهن، فالعلاقة القوية تتطلب خلفية من الثقة المتبادلة.

د - **الازدحام** : كشفت نتائج الدراسة الحالية عن أن معظم الهاربات يقطن فى أحياء عشوائية وشعبية يعد الازدحام سمة مميزة لها، وتقع بيوتهن فى أزقة ضيقة، ولا يقتصر هذا الازدحام على الحى والشارع فقط بل إن ثمة تكدسًا داخل المنزل أيضا، وهو ما يتسق مع ما توصلت إليه دراستان سابقتان تبين فى الأولى أن ٦٠٪ من المتغيبات يقطن فى أحياء شعبية مزدحمة مقابل ٥٦ ٪ فى الثانية (البحوث الفنية، ١٩٨٢ ؛ حسن وآخرون، ١٩٨٥).

وحيث إن الازدحام يكون مصحوبا عادة بدرجة مرتفعة من الضوضاء، فضلا عن أنه يرتبط إيجابيا بأساليب التنشئة الوالدية المتسلطة (Wilson, 1980) فإنه يعجل بنشأة شعور منفر من هذه البيئة بمجملها لدى الهاربات.

٢- ظروف مهيئة للتفكير فى الهروب:

تسهم المتغيرات السابقة فى نشأة حالة من النفور من الأسرة لدى الفتاة، وهو

ما يعد ضروريًا لكى يتأتى لمجموعة أخرى من الظروف إثارة فكرة الهروب فى ذهنها، أى أن تلك المتغيرات ضرورية وليست كافية. ومما يدلل على ذلك أن كثيرا من الفتيات المصريات يتعرضن لتلك المتغيرات ولكنهن لا يهربن، وتتمثل هذه الظروف فى :

أ - **الإحباط** (*) : والذى ينجم من مصادر عديدة كحالة الحرمان النسبى التى تخبرها الهاربات، وغير الهاربات أيضا، والفشل المتكرر فى إشباع الحاجات أو تحقيق الأهداف من قبيل رفض الوالد أن تكمل الفتاة تعليمها، أو الرغبة فى تغيير السكن، أو إزالة القيود عن تحركاتها، أو شراء ملابس، أو الزواج، والذى قد يعد، بدوره، بديلا للهروب (**).

ب - **الاندفاعية** : إن ارتفاع مستوى الاندفاعية لدى الهاربات يتجلى فى مظاهر متعددة تكمن فى كونهن أكثر تسرعا فى اتخاذ القرارات (والهروب قرار)، وأنه يصعب عليهن التحكم فى انفعالاتهن مما يثير مزيدًا من ردود الفعل الوالدية السلبية إزاءهن، فضلا عن أنهن أسرع ندما على ما يأتينه من أقوال وأفعال، وهو ما يجسده سرعة عودتهن بعد الهروب ندما على تنفيذهن هذا القرار.

جـ- **خصائص المرحلة الارتقائية** : تزخر المراهقة بوصفها مرحلة ارتقائية بمجموعة مركبة من التغيرات البيولوجية والنفسية والاجتماعية التى تظهر آثارها فى الأسرة، بشكل خاص، فى جنوح الفتاة المراهقة للاستقلالية المفرطة مما يصل بالعلاقات بينهما لدرجة الأزمة، وخاصة حين ترفض الأسرة الاعتراف بهذا الواقع الجديد (Richardson et al ., 1986)، ولا يقتصر الأمر على الفتاة فقط بل إن الوالدين يدركان المراهقة على أنها أصعب مرحلة بالنسبة إليهما نظرا لخشيتهما من فقد السيطرة على الفتاة وخوفهما على سلامتها (Gecas & Seff, 1990)، وحيث إن

(*) Frustration : حالة تصيب الفرد حين يفشل فى الحصول على الأهداف التى يسعى إليها (Drever, 1975) .

(**) وهو ما عبرت عنه إحدى الهاربات بقولها: «نفسى اتجوز عشان اخرج من البيت ده».

معظم الهاربات ما زلن فى مرحلة المراهقة فقد كشفت النتائج عن أنهن يعانين من عدد من المشكلات التى تنعكس سلبا على علاقاتهن بأسرهن من قبيل إقامة علاقة عاطفية مع شاب ترفضها الأسرة، عادة، أو الانعزال أو الإصرار على رفض تدخلهم فى خصوصياتها.

د - **وجود نماذج محيطة لهاربات** : كما يسيل لعاب الجائع حين يرى آخر يأكل طعاما شهيا، كذلك فإن الفتاة التى تعانى من مشكلات وضغوط أسرية تثور فى نفسها فكرة الهروب حين ترى أو تسمع عن هاربة تبعا لآلية الاقتداء، وقد أوضحت النتائج أن ما يقرب من خُمس عينة الهاربات لهن صديقات أو زميلات أو جارات هربن من منازلهن، أى أنه يربطهن صلات وثيقة بهاربات.

ومما يزيد من تأثير هذه النماذج ما يتصف به الهاربات من قدر مرتفع من الاندفاعية، والتى يشير « إيزنك » إلى أن لها علاقة بالقابلية للإيحاء الاجتماعى، أى التأثر بالنماذج المحيطة بالفرد (Eysanck, 1977, 46)، فضلا عن أن الضبط الشديد الذى يمارسه الوالدان، وخاصة الأم، يجعلهن ينظرن للأقران والصديقات بوصفهن الجماعة المرجعية التى يعايرن سلوكهن فى ضوئها، ويُفقِد، فى المقابل، الوالدين جاذبيتهما كنماذج يقتدى بها ؛ ومن ثم يتضاءل تأثيرهم فى تشكيل سلوك الهاربات.

٣ - التفكير الجدى فى الهروب :

حين تتوفر العوامل المثيرة لفكرة الهروب، فإن تلك الفكرة تتبلور فى ذهن الفتاة، ومن ثم تعاود النظر فيها، وتتدبر سبل تنفيذها وعواقبها، أى تجرى «بروفة عقلية » لها قبيل التنفيذ، وتجدر الإشارة فى هذا السياق إلى أن معظم الهاربات قررن أنهن فكرن فى الهروب من قبل ولكنهن لم ينفذن تلك الفكرة.

٤ - الظروف المعجلة باتخاذ قرار الهروب وتنفيذه :

عقب قيام الفتاة بالتفكير الجدى فى قرار الهروب، ووضع المخططات الكفيلة بتنفيذه فإنه يستقر فى يقينها، بيد أنها لا تفاتح أحدا بشأنه عادة، أى تصبح هاربة

بالقوة، ولا يتحول القرار إلى فعل إلا حين تقع أحداث موقفية طارئة (*) تكون بمثابة مفجر أو إشارة البدء فى التنفيذ من قبيل : التعرض لضرب مبرح، أو الرسوب غير المتوقع، أو ارتكاب خطأ ما والخوف من العودة، أو رفض محاولات أهلها للضغط عليها لتزويجها ممن لا تحب، أو نجاح إحدى صديقاتها فى إقناعها بالفكرة، ويلاحظ أنه يحن يكون تأثير تلك الأسباب المؤقتة قويا فإن الفتاة تراجع نفسها وسرعان ما تشعر بالندم مما يدعوها للعودة بسرعة، ومما يدلل على صحة ذلك أن ما يقترب من نصف الهاربات عدن فى غضون أربعة أيام.

٥ - عواقب تنفيذ القرار:

حالما تقوم الفتاة بتنفيذ قرار الهروب فإنها تواجه موقفا جديدا تظهر فيه مجموعتان من العواقب مختلفتى الوجهة أولاهما إيجابية تحث الفتاة على الاستمرار بعيدا عن الأسرة مثل : التزوج ممن تحب على غير رغبة الأسرة والتوافق معه لفترة قد تكون مؤقتة، أو الشعور بمزايا الاستقلال، والتخفف من المشكلات التى كانت تعانيها فى الأسرة، وانخفاض توترهن نظرا لأنهن فعلن ما يردنه، والثانية ذات طابع سلبى تدعو الفتاة للعودة مثل : تلك الصعوبات المادية التى تواجهها، وما تتعرض له من ضغوط ومتاعب نفسية، وما تخبره من شعور بالندم، أو الحنين للأسرة، وإدراك قيمتها (**)، أو إحساسها أنها غير مقبولة عند من تقيم عندهم.

٦ - العودة للأسرة:

حين تعود الهاربات لأسرهن تكون تلك العودة، فى نصف الحالات، نهاية لمرحلة وإيذانًا ببدء عهد جديد حيث يتلقين عائدا إيجابيا يتمثل فى تحقيق ما كن يرغبنه من تغيرات فتتحسن أساليب معاملتهن، وتصبح الأسرة أقل تدخلا فى خصوصياتهن وأكثر تفاهما معهن فضلا عن أنهن يشعرن بقيمة الأسرة ويصبحن

(*) قالت إحدى الهاربات: «كنت تعبانة من الشغل ولما ماما زعقت لى تعبت واتضايقت وهربت».

(**) «الإنسان ليس له إلا بيته»، هكذا قالت إحدى الهاربات.

أكثر صبرا على الصعوبات اللائى كن يتذمرنمنها سابقا، وأكثر قدرة على التريث فى اتخاذ قراراتهن، وأكثر حنكة نظرا لما اكتسبنه من خبرة إبان هذا الحدث، وفى المقابل كان هذا العائد سلبيا فى النصف الآخر من الحالات حيث قررن أن العديد من المشكلات التى أدت إلى هروبهن ما زالت قائمة، وهو ما يحمل مآلا غير مطمئن لاحتمال معاودة التفكير فى الهروب.

وقد جسدت إحدى الهاربات ذلك الموقف بقولها : « المشاكل ما زالت موجودة وممكن أهرب تانى »، وقالت أخرى : « ساعات أبقى مش طايقه نفسى وعايزه أسيب البيت تانى ».

ولا يقتصر الأمر على مجرد استمرار المشكلات السابقة، بل إن ثمة مشكلات جديدة تبدأ فى الظهور، يدور محورها، غالبا، حول تشوه صورة ذاتها فى عيون الآخرين سواء كانوا أفراد الأسرة، الذين تشعر الفتاة أنهم أصبحوا أكثر ارتيابا فيها وتقييدا لحريتها، أو جيرانًا حيث ذكرت إحدى الهاربات : «أنا حاسة إن كل واحد من الجيران بيتكلم عن هروبى عندما أمشى فى الشارع »، وقالت أخرى : « العين بقت علىّ أكثر من اللازم »، وقد يصل الأمر إلى معايرة أهلها بها، «الجيران عايروا أمى بى حين تشاجروا معها »، أو صديقات حيث قررت إحداهن : « إن علاقتى بأصحابى ما بقتش زى الأول »، ويمثل هذا التحول أهمية خاصة بوصفه منبئا بالعودة للهروب ذلك أن تقدير الفتيات لذواتهن، والذى يؤثر فى سلوكهن اللاحق، يتأثر بدرجة كبيرة بصورتهن لدى الآخرين (Gecas & Schnalbe , 1986)، ومن ثم فإن هذه الصورة الجديدة تيسر عليها معاودة التفكير بجدية فى الهروب، أى أن الفتاة تهرب، عادة، لتحل مشكلة مع أسرتها، فتفاجأ بأن هروبها تسبب فى نشأة مشكلات أخرى أشد منها مع المحيطين بها. إنها تصبح كالمطلقة التى يساعدها الطلاق على حل مشكلتها مع زوجها الذى تكرهه، إلا أنه يثير مشكلات عديدة لأولادها، أولها حين تتعامل مع الآخرين فيما بعد (Adams , 1984).

الخلاصة :

أثمرت هذه الدراسة ثمرتين رئيسيتين هما :

١- **رسم ملامح** المبيان النفسى الاجتماعى للفتيات الهاربات على النحو الذى يمكننا من التنبؤ باحتمال حدوث تلك الظاهرة فى حالة توفر العناصر التى تشكل هذا المبيان، والتى تتمثل فى أنهن يقطن فى أحياء عشوائية مزدحمة، وينشأن فى أسر فقيرة كبيرة العدد، ويحصلن على نزر يسير من التعليم، ولديهن قدر مرتفع من سمة الاندفاعية، ويعانين من الشعور بالحرمان، ويتعرضن للضرب والإهانة اللفظية من قبل الأب والأم، بوجه خاص، وارتباطهن الوجدانى بالأسرة ضعيف، ومعدل تفاعلهن داخل أسرهن منخفض، ويشيع النزاع بين والديهن، وتربطهن روابط قوية، إلى حد ما، بهاربات، ولديهن ارتباط عاطفى مرفوض من جانب الأسرة.

٢- **إثارة مجموعة** من التساؤلات التى يتأتى لنا فى حالة الإجابة عنها مستقبلا توجيه خطى البحث وترشيد سبل توظيف ما نتحصل عليه من نتائج على نحو يمكننا من فرض مزيد من السيطرة على تلك الظاهرة، وفيما يلى نعرض لأبرز تلك التساؤلات والتى تشكل نقاطا بحثية مستقبلية :

أ- **أصبحت ظاهرة** هروب الفتيات من الأسرة تأخذ طابعا مختلفا عما كانت عليه فى الماضى فهى ليست مجرد عملية تبدأ بفتاة منحرفة أو تنتهى بانحراف فتاة، إنها إفصاح عن نمط معين من الحياة يرفضه الآخرون، ومحاولة للفت نظرة الأسرة إلى ما تعانيه الفتاة من مشكلات داخلها حتى تتمكن من الاستمرار فيها، ومن هذا المنطلق فهى وسيلة تكيفية، وهو ما يثير فى أذهاننا السؤال التالى : ترى ألا يمكن الاستعاضة عن الهروب بوسيلة أخرى لاستعادة التكيف المفقود فى الأسرة ؟

ومن المفترض أن تكمن الإجابة، وهو ما يجب أن تركز عليه البحوث التالية، فى كيفية تدريب الفتاة فى كنف الأسرة على ممارسة أساليب متنوعة وأصيلة لمواجهة مشكلاتها بنفسها من قبيل بحث أسباب المشكلة مع الأطراف التى تعتقد

أنهم مسئولون عنها، وتعديل أساليب تعاملها معهم، ودعوتهم إلى تغيير سبل تعاملهم معها - بوصفها بديلا ملائما للهروب.

ب - **نحن في حاجة** لدراسة الفتيات اللائى تكرر هروبهن. وتكمن أهمية دراستهن فى أن الوقوف على العواقب السلبية التى دفعتهن لإعادة الكرة يمكننا من طرح بعض التصورات حول ما ينبغى تقديمه من مدعمات وتهيئته من ظروف لاستمرارهن يضاف إلى ذلك أننا بحاجة أيضا إلى دراسة الفتيات اللائى هربن ولم يعدن بعد - فى حالة نجاحنا فى الوصول إليهن - لكى نكون على وعى بالبواعث التى شجعتهن على الاستمرار بعيدا عن الأسرة، والتحولات التى طرأت عليهن كدالة للخبرات التى تعرضن لها بالإضافة إلى الآثار طويلة المدى التى تحيق بأسرهن حتى نضع بعض المقترحات حول ما يمكن تقديمه من حوافز لحثهن على العودة.

جـ- **حرصنا فى** هذا البحث على الكشف عن خصال الفتاة الهاربة ومفهومها عن ذاتها قبل الهروب، وكذلك أساليب التنشئة الأسرية التى تتعرض لها، وطبيعة علاقاتها داخل أسرتها وخارجها، بوصفها محددات للهروب، ومن ثم فنحن فى حاجة فى بحث تال لسؤال هؤلاء الفتيات عن هذه الجوانب مجتمعة بعد عودتهن حتى يتأتى لنا رصد حجم ووجهة التغيرات التى تطرأ على تلك الجوانب نتيجة للعودة، ومن المتوقع وجود عدة سبل للقيام بذلك، منها : أن نطلب منهن الإجابة عن نفس السؤال مرتين: الأولى فى حالة قبل الهروب، والثانية بعده، أو نطلب من الأسرة نفس الشىء، وبذا نصل إلى مؤشر تقريبى أكثر دقة لطبيعة تلك التحولات.



قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا - المراجع العربية:

١- إسماعيل ، محمد عماد الدين (١٩٨٩)، **الطفل من الحمل إلى الرشد**، الكويت : دار القلم .

٢- آل ثانى، هناء محمد جابر (١٩٩٢) **العلاقة بين إدراك الجو الأسرى وبعض سمات الشخصية** ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس .

٣- حسن ، عماد وآخرون (١٩٨٥) ، **ظاهرة الغياب بالنسبة للكبار والصغار**، القاهرة: أكاديمية الشرطة ، كلية التدريب والتنمية .

٤- السيد ، عبد الحليم محمود (١٩٨٠) ،**الأسرة وإبداع الأبناء** ، القاهرة : دار المعارف .

٥- سليمان ، عبد الله محمود (١٩٧٣) **المنهج العلمى وكتابة تقرير البحث فى العلوم السلوكية** ، القاهرة: الأنجلو .

٦- كونجز (جون) ، موش (بول) ، كيجان (جيروم) ترجمة : أحمد عبد العزيز سلامة، وجابر عبد الحميد جابر (١٩٧٠) **سيكولوجية الطفولة والمراهقة** ، القاهرة : النهضة العربية.

٧- مرسى ، كمال إبراهيم (١٩٧٩) ، **القلق وعلاقته بالشخصية فى مرحلة المراهقة**، القاهرة : النهضة العربية .

٨- وزارة الداخلية، إدارة البحوث الفنية (١٩٨٢) **دراسة ظاهرة الغياب** ، القاهرة .

ثانيا - المراجع الأجنبية :

9- Adams, B. W. (1985) : A The family Problems and solutions" ***Journal of Marriage and the family*** , (August) , 525 - 529 .

10- Aquilino , W. S. (1991) , "Family structure and home - leaving : A further specification of the relationship". ***Journal of Marriage and the family*** 53 (November) 999 - 1010 .

11- Barber, B. (1992) "Family , personality, and Adolescence problem behaviors" . ***Journal of Marriage and the family*** 54 (February) 69 -79.

12- COleman, D. (1980) , "Leaving home" . ***Psyehology today*** , August, 14 , 3, 54 - 61 .

13- Devos, S. (1989) "Leaving the parental home : Patterns in six latin american countries" . ***Journal of Marriage and the family*** , 51 (August) : 615 - 626 .

14- Drever, J. (1975) . "*Dictionary of psychology* " . London: penguin Books .

15- Eysenck, H. J. (1977) . " *Crime and personality* " London : Routledge & Regan paul .

16- Feldman, M. P. (1978) , *Criminal Behaviour : Psychological analysis* " . London: Chichester, John Wily & Sons .

17- Gartland , H., & Day, H. D. (1991) . "Parental conflict and male adolescent problem behavior" *The journal of genetic psychology* , 153 (2) , 201 - 209 .

18- Gecas, V., & Schwalbe, M. L. (1986). "Parental behavior and Adolescent self - esteem" . *Journal of Marriage and the family* , 48(February) :37 - 46 .

19- Gecas, V., & Seff , M. A. (1990) "Families and adolescents : A Review of the 1980s" . *Journal of Marriage and the family* - 52 (November) : 941 - 958 .

20- Goldscheider, F. K., & Goldscheider, C. (1989) "Family structure and conflict : Nest - Leaving Expectations of young Adults and their parents" . *Journal of Marriage and the family* 51 (February) : 87 - 97 .

21- Hollander , E. (1976) *Principles and methods of social psychology* . New York : Oxford Univerity press.

22- Mitchell, B. ; Wister, A. V., & Burch, T. K. (1989) "The family environment and leaving the parental home" . *Journal of Marriage and the family* 51 (August) : 605 - 613 .

23- Peterson, J. L. & Zill, N. (1986) : "Marital disruption, Parentchild Relationships, and behavior problem in children" *Journal of Marriage and the family* 49 (May) : 295 - 307 .

24- Reiss, I. (1971) *The family system in america* , New York: Holte, Rinehart & Winston .

25- Richardson, R. A; A Bramowitz, R. H. ; Asp, C. E. & petersen, A. C. (1986) "parent - Child Relationships in Early Adolescence: Effects of family structure" *Journal of Marriage and the family* 48 (November) : 805 - 811 .

26- Simpson, G. .(1988) *people in families* . New York : The world pyblishing company .

27- Sweet , J., & Bumpass, L. (1991) "Relationships between fathers and children who live apart : the father's role after separation" *Journal of Marriage and the family* 53 (February) : 79 - 101 .

28- Sweetser, D. A. (198%) "Broken homes : Stable Risk , Changing reasons , Chanaina forms" . *Journal of Marriage and the family* (August): 709 - 715 .

29- Wilson, H. (1980) "Parental supervision: A neglected aspect of delinqeuency" . *The British Journal of Criminology* , 20 , 3, 203 - 235 .

30- Wolfe , P. A . (1985) " Child - Abusive Parents : An empirical Review and Analysis" . ***Psychological Bulletin***, 97, 3. 462 - 482 .

31- Wolman . B. (1975) ***Dictionary of behavioral Science*** , London , Macmillan press .

32 - Young , C., M. (1974) "Ages. Reasons and sex diferences for children leaving home : observations from survey data for Australian" . ***Journal of Marriage and the family*** (November) : 769 - 777 .





(*) اشترك مع الباحث فى إجراء هذا البحث سعادة الأستاذ الدكتور عبد المنعم شحاتة رئيس قسم علم النفس بكلية الآداب - جامعة المنوفية.

مقدمة :

تسعى الدراسة الحالية إلى اكتشاف أبعاد سلوك المحاجة والمهارات الفرعية التى تنتظم فى تلك الأبعاد، وذلك كخطوة أولية نحو قياس كفء لهذا الجانب المهم من الشخصية الإنسانية.

يعرف « انفنت ورانسر »(*) **المحاجة** بأنها « العملية التى يقوم الفرد من خلالها بالدفاع عن المواقف والآراء التى يتبناها حول قضايا معينة، فضلاً على هجومه على، وانتقاده لآراء الاخرين المخالفة حولها » (Infant & Rancer, 1982). **وتظهر** أهمية المحاجة فى كونها نموذجًا لفهم التفاعل اليومى بين الأفراد والمتمثل فى محاولة البعض إقناع البعض الآخر بصحة قول ما أو فعل بعينه، ومحاولة تقييم مدى صحة الاعتقاد فى أدلة ودعاوى الآخرين، أى أن المحاجة، من هذا المنطلق، إحدى الوسائل المهمة لحل الخلاف بين وجهتى نظر مختلفتين حول موضوع ما بهدف التوصل إلى حلول لم تكن لتظهر لولا انخراط الأطراف فى عملية المحاجة هذه (Rips, 1998). **فضلاً على** أنها، بما تحويه من تدريب على المنطق والاستدلال، تزيد الروح النقدية بين الناس، وبالتالى تقلل من احتمال أن تضللهم الاستدلالات الزائفة التى يتعرضون لها بلا انقطاع فى أنحاء شتى من العالم (تارسكى، ١٩٧٠، ٣١ - ٣٢). **كذلك** فإنه من شأن البحث فى طوبوغرافية المحاجة مساعدتنا على الوقوف على ملامح المبيان النفسى لمهاراتها الفرعية لدى الفرد بما يتضمنه من مواطن قوة، يجب الحفاظ عليها، ونواحى ضعف حرى بنا تنميتها حتى نتجنب الآثار السلبية الناجمة عنها والتى يتمثل أبرزها فى ميل الفرد، حينئذ، لممارسة ضروب من

(*) يقدم «الباجى» وهو أحد علماء القرن الخامس الهجرى، تعريفًا مشابهًا للجدل قوامه أنه: «تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، والغرض منه إلزام الخصم وإسكاته، ودفع ما يُلزم به». (ابن عقيل، ب - ت، ٣٥).

العدوان اللفظى أو البدنى حيال الطرف الآخر كبديل عن عجزه فى الاستمرار فى عملية المحاجة، أو عزوفه عن الحوار مع الآخرين، وتجنب التفاعل معهم.

يضاف إلى ذلك أن الكشف عن مستوى المهارات الحجاجية للفرد من شأنه الإسهام فى تخطيط وتصميم برامج تنمية مهارات المحاجة من خلال التركيز على مهارات بعينها، والتى تعد الأكثر احتياجًا للتنمية من غيرها، ومن شأنه أيضًا أن يحدد خط الأساس لمستوى المهارات الحجاجية للفرد قبيل عمليات التدريب حتى نتمكن من رصد آثاره بشكل دقيق، ويساعدنا أيضا فى القيام بالبحوث الارتقائية للوقوف على طبيعة التغيرات فى تلك المهارات عبر العمر، **فضلا على** ذلك فإن قياس مهارات المحاجة يمكننا من التعرف على الأفراد الأكثر مهارة حجاجيا، مبكرًا، وتوجيههم للمجالات المتوقع نجاحهم فيها كمجال العدالة، والبحث الجنائى، والتفاوض السياسى، والإعلامى، ونظرا لندرة هذه النوعية من البحوث فى ثقافتنا العربية عامة، والمصرية خاصة فقد سعى الباحثان لإجراء تلك الدراسة بهدف الإجابة عن **التساؤلين التاليين** :

- ما هى الأبعاد التى ينتظم فيها سلوك المحاجة ؟
- هل تختلف هذه الأبعاد كدالة للنوع ؟

الدراسات السابقة والإطار النظرى:

إعمالاً لمبدأ التراكمية فى العلم فقد قام الباحثان بمسح الجهود البحثية السابقة، المتاحة، فى هذا المضمار، وتبين أنه يمكن تصنيفها فى الفئتين التاليتين :

أولا : إسهامات فلاسفة وعلماء من الحضارة اليونانية والإسلامية:

حين نفحص تلك الجهود سنجد أن **الفلاسفة اليونانيين** وعلى رأسهم سقراط وتلميذه أفلاطون، وتلميذه أرسطو فضلاً على بعض الفلاسفة السوفسطائيين مثل بروتاجوراس وهيبياس قد قدموا، وطرحوا، بعض الأساليب الحجاجية الماهرة التى

اشتهروا بها، وأصبحت من بين المكونات المحورية فى عمليات الحجاج من بعدهم، من قبيل : الأسئلة السقراطية المؤدية لتوليد المزيد من المعانى وإظهار تناقض الآخر، ومطالبة الآخر بالتحديد الدقيق لمفاهيمه (أفلاطون : ١٩٧٠)، وضرب الأمثال لتقريب المعنى، ثم طرح مقدمات، ومسلمات، واستخلاص نتائج تلزم عنها لتفنيد رأى الطرف الآخر، والتهكم (أفلاطون، ١٩٦٦)، والمغالطات المنطقية والتى برع فيها السوفسطائيون حتى أن « هيبياس » الصغير كان يفخر بأنه يدافع أمام القضاء فى آن واحد عن عشر قضايا، ويجيب عن كل الاعتراضات عليها ثم ينتقل إلى صف الخصوم لقاء أجور أخرى فيدافع عن القضايا العشر المناقضة، ويجيب عن كل الاعتراضات عليها (الفندى، ١٩٨٢، ٨). وحين ننتقل إلى **الحضارة الإسلامية** سنجد كتابات متنوعة لفلاسفة وعلماء مبرزين إبان فترة ازدهار تلك الحضارة تشكل إرهاصًا لاهتمامات معاصرة فى مجال المحاجة حيث حاولوا تقديم تصورات، وتصنيفات لبعض السلوكيات والجوانب الفرعية المندرجة فى عملية المحاجة، ومن المتوقع أن يزودنا وعينا بها بقائمة لا بأس بها من السلوكيات الحجاجية القابلة للاستخدام، والتضمين فى أداة معاصرة لقياس مهارات المحاجة، ويمكن تصنيف تلك الجهود فى الفئات التالية :

١- **مهارات المحاجة** : اقترح ابن سينا فى هذا المقام عددًا من المهارات النوعية للمحاجة منها : تقسيم الدعوى، أو الحجة، إلى عناصر فرعية، والرد على كل منها منفردًا، وتلخيص المعانى الأساسية، ودحض الحجة استنادًا إلى مقارنة عناصرها بعناصر أخرى سابقة، وطلب إما تفصيل المجمل أو توضيح الغامض، ومراجعة المسلمات إما لاكتشاف التكرار أو التناقض، وإما التأكد من صحتها أو تسلسلها أو تطابق الروايات (ابن سينا، ١٩٦٦ : ٧٢)، ويضيف الشيرازى والدبوسى عناصر أخرى مثل : دحض الحجة إما بالمطالبة بالدليل، والتنازع فى معناه على أى وجه يفهم، وإما بالتنازع فى المدى الزمنى لإبراز التعارض، والتمييز بين علة الحكم وحكمته، والمنازعة فى العلة، ودفع الآخر إلى الاستغراق فى النفى، وتقديم التفسيرات ونقل الخلاف إليه، واستخدام الأمثلة الواقعية وتحديد الألفاظ وكشف

مغالطات الآخر (الدبوسى، ب. ت، ١١٢ - ١١٨ ؛ الشيرازى، ١٩٨٨ : ١٤٦ - ٢٦٠)، فضلا على توجيه الأسئلة بأنواعها المختلفة إلي الطرف الآخر سواء كانت استكشافية، أو استطلاعية، أو تعجيزية، أو تعجبية، أو ترجيحية، أو تثبتية (الألمعى، ١٤٠٤، ٣٧ -٤٤).

٢- **آداب أو ضوابط التحاجى** : مثل، وضوح الإجابة وإيجازها، وأن يقصد الحق لا مجرد الغلبة، وأن يبتعد عن الخلط أو المغالطة بالعناية بحدود الألفاظ والتحلى بالإنصاف والانضمام للحق، والابتعاد عن التقليد أو التعصب، وتجنب مناظرة المعاند والجاهل وطالب الغلبة لذاتها (الجليند : ١٩٨٦ : ١٢٥ - ١٢٨).

٣- **الكشف عن أخطاء الاستدلال والقياس أثناء المحاجة** : مثل، قلب القياس بجعل العلة معلولا، واعتماد إثارة انفعالات السامعين بدلا من الاستنباط، وتعظيم الأمر أو تهوينه، واقتصار القول على المقدمة الشرطية وإضمار الثانية (الفارابى : ب - ت : ٣٤ - ٣٦، ٤٩)، والاستناد عند الاستنتاج إلى الشيوع والألفة والهالة (ابن سينا : ١٨ : ١٩٦٦).

ثانيا : بحوث معاصرة تتناول الاهتمامات التالية :

١ - **اكتشاف مكونات المحاجة من خلال تحليل محتوى : إما كتابات** كما هو الحال عند تحليل مضمون ٦٦ محاورة أو مقالة كتبت فى فترات تاريخية مختلفة (فكر يونانى - وفكر إسلامى - وفكر معاصر عربى وأوربى) (شحاتة وشوقى : ١٩٩٧)، وكذلك قيام «أنطاكى ولودار » بتحليل محتوى سلسلة من المحادثات الجدلية (٤٠) بين مجموعة من الأفراد بعضهم يعرف أنه يتم تسجيلها والبعض الآخر لا يعرفون (Intaki & Leudar, 1992)، فضلاً على قيام باحثين آخرين بتحليل محتوى (١٠٧) مقالة صحفية تغطى (٣٢) حدثًا رياضيا، وكذلك تحليل محتوى (١٢٣) مقالات صحفية تغطى الانتخابات الألمانية، بالإضافة إلى تحليل محتوى (٦١) خطابا أرسل إلى باب «شكاوى» الذى تنشره مجلتان ألمانيتان، وكذلك ردود المحرر على هذه الخطابات (weiner, 1985).

وإما محادثات : كما فعل Woldrom & Applegate (١٩٩٤) عندما قسما (٨٠)

طالبًا جامعيا (٦٠٪ منهم إناث) إلى أزواج، طلب من كل منهم التحاور معًا، حول قضايا معينة وسجلت هذه المحاولات وتم تحليل محتواها، وكما فعل Statom عندما طلب من أطفال الصف السادس إجراء حوار صحفى مع مدرسيهم وسجل (٢٦) حوارًا وحلل محتواها (Winer, 1985).

وهناك أيضا العديد من المبادئ الحجاجية التى كان يستخدمها ألبرت نورث هوايتهد فى محاوراته مثل البحث عن التفسير الآخر للحدث، وطرح تقييم رقمى للمسألة، والتأكد من دقة التعميمات، وأوجه الشبه بين الأشياء، والفصل بين الاعتقاد والواقع، وعدم خلط الأمور العامة بالشخصية، وإمطار الآخر بالمزيد من الأسئلة والاستفسارات (برايس، ١٩٦١)، ومن خلال تحليل محتوى محاورات «برتراند رسل» تبين أن من أهم السلوكيات الحجاجية التى كان يمارسها تحديد الملامح الدقيقة للسياق الذى يستخدم فيه المفهوم، وذكر وقائع تناقض النتيجة التى توصل إليها الطرف الآخر، وإعادة تعريف المفاهيم بما يخدم القضية التى يتبناها (رسل، ١٩٧٩).

ويضيف « هيمان » إلى أن من مبادئ الحوار الجيد التأكد من أنك فهمت ما قال الآخر جيدًا أولاً، وتجنب اللغة الانفعالية (Hyman, 1999)، والقدرة على ابتكار حجج جديدة، واستبدالها بأخرى حين ترفض، وطرح تفسيرات متعددة للحدث (Woldrom & Applegate, 1994)، ووجد « رسكوس » فى دراسة أجراها على طلاب جامعيين أن من بين الأساليب الحجاجية التى يستخدمونها تعمد الغموض، والمضاهاة، والاستشهاد بمصدر موثوق فيه، والإحصاءات والنتائج الواقعية (Roskos, 1997).

٢- **آداب التحاجى**، والتى تعد مبادئ لتوفير وقت المحاور، ومنها اتباع الأسلوب المباشر المحدد والمختصر، وعدم إضاعة الوقت فى التأكد مما هو معروف، واستخدام خطط توجه أنشطة المحادثة مع مراعاة بساطة هذه الخطط حتى تصبح المحادثة فعالة، والانتقال بين طرفيها يسيرًا، والحجج المتداولة فيها أكثر وضوحًا ونوعية (Coldthwaite et al , 1997)، والبعد عن تقديم معلومات مضللة أو مثيرة

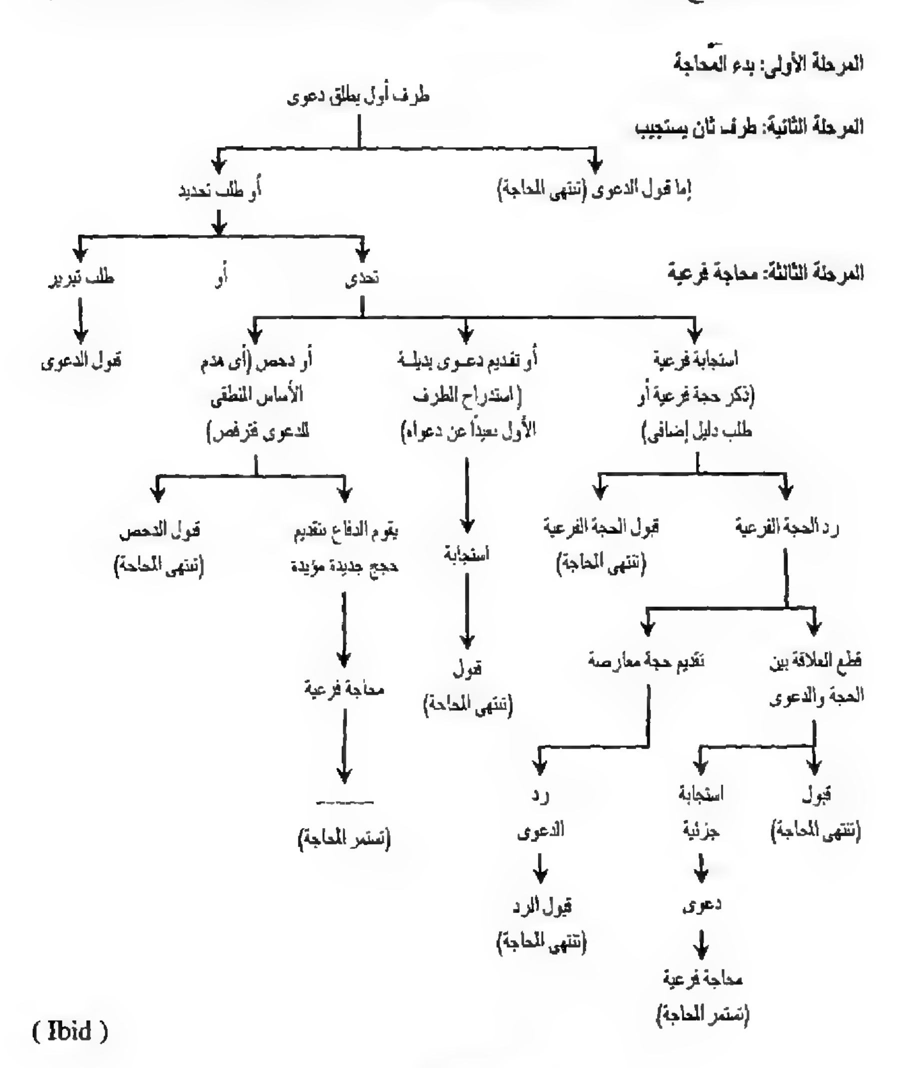
للخلط، وتجنب تكرار إما السؤ ال وإما الإجابة، وتجنب إعطاء إجابتين مختلفتين عن السؤال نفسه (Hilton, 1995).

٢- **كشف المغالطات وأخطاء القياس في الاستدلال:** المغالطة هي أن يؤتى بما يشبه برهانًا أو جدلا، وهو ليس كذلك، مثل أخذ ما بالعرض مكان ما بالذات، مثل من رأى إنسانًا أبيض يكتب فيظن أن كل كاتب كذلك (العبد، ١٩٧٨، ٦٨)، ومن أشكال المغالطات تقديم تقسيمات غير شاملة، وغير قائمة على عناصر معينة، أو تجاهل المطلوب، والمصادرة عليه، والاشتراك في المعنى (سالم، ب. ت، ١٣١ - ١٣٥)، والمغالطات قد تكون في الدليل (عدم كفاية الأمثلة، ووجود حلول أخرى)، أو في الاستدلال (الهجوم على حجة الأخر بدون معلومات كافية، والانصياع لأثر الهالة، والتسرع بإثبات علاقة سببية بين ظاهرتين لمجرد تعاقبهما زمنيًا) أو في اللغة (الغموض واستخدام كلمات ذات معانٍ متعددة) (Cronbeck et al , 1995, 413)، وبجانب ذلك هناك العديد من أخطاء القياس والاستدلال من قبيل الاحتكام إلى خبرة ذاتية، والتعميم المفرط، والتحيز الشخصي، والتأثر بالأغلبية، أو بالإتاحة، أو بانطباعات طرف عن آخر (سولو، ١٩٩٦، ٦٥٤ - ٦٥٩)، أو قول أشياء غير متعلقة بالموضوع، أو يشوبها الغموض، أو أكثر أو أقل من المطلوب (Hilton. 1990)، أو قول أشياء ليس لدى الفرد عليها دليل كاف (Nofsinger, 1991 , 37).

مما سبق يتضح أن المحاجة سلسلة متتابعة من السلوك الذي يهدف إلي تكوين تصورين لدى الفرد : أولهما ما يريد أن يطرحه. وثانيهما ما يريد الآخر أن يطرحه، أي افتراض مقصده، إما من خلال فهم المعنى المباشر لكلامه وإما من خلال فهم السياق الذي قيل فيه (Hilton, 1992)، ثم المقارنة بين التصورين لاتخاذ قرار بتأييد أحدهما، وتتطلب هذه المقارنة استثمار الفرد لمهاراته الحجاجية وعلى رأسها : القيام بالمماثلة (الفارابي، ب. ت : ٣٩). والترجيح من خلال الموازنات، ومناقشة الروابط بين المقدمات والنتائج (ابن سينا، ١٩٦٦ : ٢٩)، وتقديم تفسير بديل، واستعادة الحجج الفعالة وتذكرها وتمثل ما يتبناه الآخر منها، وارتجال حجج جديدة واستبدالها إذا

دحضت (Woldrom & Applegate, 1994)، وطلب إما إيضاح أو دليل إضافى أو تبرير، وتقديم دعوى مضادة (Rips, 1998)، وتخطيط المحاورة قبل إجرائها وتقسيمها إلى مراحل لكل منها هدفها الخاص (Goldthwaite, 1997).

ويمكن توضيح المراحل السلوكية لموقف محاجة بين فردين فى الشكل التالى :



(Ibid)

شكل رقم (١)

المراحل السلوكية لموقف المحاجة بين طرفين

في ضوء ما تم الوقوف عليه من ملامح لسلوك المحاجة ومهاراتها الفرعية كما كشفت عنه تصورات واجتهادات الباحثين السابقين يتسنى لنا **استخلاص تعريف إجرائي للمحاجة** ستعتمده هذه الدراسة قوامه أنها « قدرة الفرد على تفنيد ودحض حجج الطرف الآخر بالأدلة والبراهين الاستدلالية والواقعية، وحثه على التخلى عنها، والدفاع فى الوقت نفسه عن آرائه، وتقديم حجج لإقناع الطرف الآخر بها، وذلك حين يتحاجون حول قضية خلافية معينة.

تعقيب على التراث السابق :

من خلال استقراء التراث، المتاح، المتراكم من الدراسات حول طبيعة مهارات المحاجة يتقدم الباحثان بعدد من الملاحظات التى من شأنها تعظيم الاستفادة منه، واستثمار الجهود المبذولة فى إطاره سواء بتمثل النتائج الموثوق فيها منه وتوظيفها فى الدراسة الحالية، أو بتجنب تكرار مواطن الزلل الذى شابته، وتتمثل تلك الملاحظات فى :

- **ركزت تلك** الدراسات على مهارات حجاجية نوعية دون غيرها مثل : التلخيص، والتقسيم، وضبط عملية التعميم، والكشف عن أخطاء الاستدلال، وكشف التناقض، وطرح تفسيرات بديلة، وعلى الرغم من أهمية تلك السلوكيات الحجاجية إلا أن هناك سلوكيات أخرى لم يتم رصدها أو لم تلق اهتمامًا مماثلاً من قبيل المداهنة، وإعادة هيكلة القضية، والإبداع الحجاجى، والاستمالة، ومن شأن وضع مثل تلك السلوكيات وغيرها، فى الاعتبار فى دراسات لاحقة، ومنها الدراسة الحالية بالطبع، توسيع مدى السلوكيات الحجاجية التى يتم رصدها والتعامل معها، وهو ما سيمكننا من التوصل إلى أبعاد أكثر تمثيلاً وتعبيرًا عن واقع السلوك الحجاجى، كما يمارس فى الحياة اليومية، وبشكل خاص فى بعض قطاعات الثقافة المصرية.

- **لم تعنى** تلك الدراسات بالكشف عن بعض مظاهر الاختلاف فى المهارات الحجاجية كدالة لبعض المتغيرات الأخرى، ومن أبرزها النوع، مثلاً، والذى تتمثل

أهميته فيما يتوقع أن يمارسه من تأثير فى تشكيل طبيعة تلك المهارات، ومعدل ممارستها أيضًا، ومدى فعاليتها على المستوى الشخصى والاجتماعى، وهو ما سنسعى لوضعه فى اعتبارنا فى الدراسة الحالية.

- **ضآلةعدد** العينات المستخدمة فى الدراسات السابقة - القليلة - التى تستهدف التوصل إلى مهارات المحاجة مما يقلل من احتمال التوصل إلى مهارات ممثلة بصورة دقيقة لما يعتقد وجوده فى الجمهور العام، **فضلاعلى** أن معظم تلك الدراسات اعتمد على أسلوب تحليل المضمون، وهو أسلوب على الرغم من أهميته إلا أننا نظل بحاجة إلى استخدام أساليب أخرى بجانبه ذات طابع إحصائى بهدف رفع موضوعية ومصداقية ما نصل إليه من نتائج بواسطته. ومن هنا فقد راعينا فى الدراسة الحالية التوسع فى أعداد عيناتها، من جهة، والاعتماد على أسلوب إحصائى مقنن، وهو التحليل العاملى، فى التوصل إلى أبعاد سلوك المحاجة، من الجهة الأخرى، حتى نصل إلى أبعاد أكثر دقة وتمثيلاً للسلوك الحجاجى فى الحياة اليومية فى الثقافة المصرية.

ونود فى هذا السياق أيضا **الإشارةإلى** أن هذه الدراسة تعد مكملة لدراسة سابقة أجراها الباحثان لتحليل مكونات المحاجة مستخدمين أسلوب تحليل المضمون حيث حللا محتوى (٦٦) محاورة حجاجية جرت فى إبان الحضارة اليونانية والإسلامية، والأوربية والعربية الحديثة والمعاصرة وتوصلا نتيجة لذلك إلى مجموعة من المكونات والسلوكيات الحجاجية، ومن ثم استقر الرأى على استخدام التحليل العاملى للوقوف على أبعاد سلوك المحاجة على المستوى الإمبيريقى لشريحة من أفراد المجتمع المصرى، ومن المتوقع في حالة تشابه تلك الأبعاد والعناصر الفرعية مع ما سبق التوصل إليه من مكونات أن يعتبر نوعًا من الصدق التكاملى لكلتا الدراستين.

فروض الدراسة :

بناء على ما سبق بيانه من ملاحظات، وما تمثلناه من دروس من استعراض الجهود التراثية السابقة فى هذا الميدان فقد قمنا بصياغة **الفروض التالية** بغية التحقق منها منهجيا بالأساليب الملائمة، لتحقيق أهداف الدراسة، وهى :

- تنتظم سلوكيات المحاجة فى مجموعة محدودة من الأبعاد الرئيسية.
- لا يوجد اختلاف فى أبعاد سلوك المحاجة لدى كل من الذكور والإناث.

منهج الدراسة :

- العينة :

بلغ العدد الإجمالى لأفراد عينة البحث (٦١٧) فردًا من الطلاب والطالبات والموظفين والموظفات المصريين، ويوضح الجدول التالى خصائص أفراد العينة :

جدول رقم (٢)

خصائص أفراد عينة الدراسة

النوع	ذكـــــــــور			ذكـــــــــور		
العدد والعمر	العـــدد	العمــــر		العـــدد	العمــــر	
المهنـــة		م	ع		م	ع
طــلاب	١٥٨	١٩,٤	٢,١	١٦٠	١٨,٩	١,٧٢
موظفــون	١٥٠	٣٠,٧	٧,٤٥	١٤٩	٣٢,٣	٩,٠٢
الإجمالى	٣٠٨	٢٤,٩	٧,٨٣	٣٠٩	٢٥,٩	٩,٢٥

- الأدوات :

تمثلت الأداة الرئيسية للدراسة فى مقياس أبعاد سلوك المحاجة الذى أعده الباحثان ويتضمن فى صورته النهائية (٩٥) بندًا موزعة على (٢٨) مكونا فرعيا يوضحها الجدول التالى رقم (٣).

جدول رقم (٢)

مكونات مقياس أبعاد سلوك المحاجاة والبنود التي تمثلها

م	المكــــون	البنــــود				
١	الاستشهاد والتوثيق لتقوية الحجة	١*	٢٩	٥٧	٨٥	٩٢
٢	تحرى الدقة الحجاجية	٢	٣٠	٥٨	٨٦	٩٣
٣	ضبط ومراعاة السياق	٣	٣١	٥٩		٩٤
٤	كشف التناقض	٤	٣٢	٦٠		
٥	التشكيك	٥	٣٣	٦١		
٦	الاستدراج	٦	٣٤	٦٢		
٧	الاستفزاز	٧	٣٥	٦٣	٨٧	
٨	الإرهاب الحجاجى	٨	٣٦	٦٤		
٩	التشتيت	٩	٣٧	٦٥		
١٠	التعمية والمراوغة	١٠	٣٨	٦٦		
١١	التوكيد الحجاجى	١١	٣٩	٦٧	٨٨	
١٢	توجيه مسار المحاجة	١٢	٤٠	٦٨		
١٣	التأكد من الفهم	١٣	٤١	٦٩		
١٤	الحكمة الحجاجية	١٤	٤٢	٧٠	٨٩	٩٥
١٥	تشريح الحجج وتجزيئها	١٥	٤٣	٧١		
١٦	فحص طبيعة العلاقات بين الظواهر	١٦	٤٤	٧٢	٩٠	
١٧	ضبط عملية التعميم	١٧	٤٥	٧٣		
١٨	نظام ترتيب وإدارة الحجج	١٨	٤٦	٧٤		
١٩	حصر قوائم الحجج السلبية والإيجابية	١٩	٤٧	٧٥		
٢٠	إعادة هيكلة الموضوع	٢٠	٤٨	٧٦		
٢١	الإبداع الحجاجى	٢١	٤٩	٧٧	٩١	
٢٢	التمثيل والتشبيه	٢٢	٥٠	٧٨		
٢٣	عقد المقارنات	٢٣	٥١	٧٩		
٢٤	الإنهاك الفكرى	٢٤	٥٢	٨٠		
٢٥	القلب والمناقضة (الاستدلال العكسى)	٢٥	٥٣	٨١		
٢٦	المداهنة	٢٦	٥٤	٨٢		
٢٧	التعجيز	٢٧	٥٥	٨٣		
٢٨	إبراز الجوانب الإيجابية	٢٨	٥٦	٨٤		

(*) يوجد بملاحق الدراسة صورة كاملة لبنود المقياس.

وقد اجتاز المقياس حتى يصل إلى صورته الحالية الخطوات التالية :

أ- **الاطلاع** على الجهود البحثية السابقة والمعاصرة، سواء كانت عربية أو غربية، قديمة أو معاصرة، المعنية بالكشف عن وتحديد طبيعة المهارات الفرعية للمحاجة، وقد نتج عن هذه الخطوة استخلاص (٢٨٩) بندًا تغطى الجوانب المتعددة للسلوك الحجاجى تعتبر بمثابة أحد المصادر التى تشكل مجتمع البنود الذى يمكن اختيار مجموعة منه لتكون مقياس سلوك المحاجة.

ب- **توجيه** مجموعة من الأسئلة المفتوحة (ستة) إلى (٦٣) فردًا من المجتمع البحثى للدراسة (طلابا وطالبات جامعيين، وموظفين وموظفات من الحاصلين على مؤهلات عليا) تدور حول السمات المميزة لمحاور حاز إعجابهم، وأساليبه فى تفنيد وجهة نظر من يحاوره والطرق التى يستخدمها كاتب يرونه مقنعًا لعرض وتأييد وجهة نظره، فضلاً على الأساليب التى يستخدمونها هم فى إقناع الآخرين بما يتبنونه من آراء، بالإضافة إلى الجوانب التى يعتقدون أنها تقلل من قدرة متحدث ما فى إقناع غيره، وتتمثل قيمة هذا الإجراء فيما يشكله السؤال المفتوح من أهمية حددها « أوبنهايم» Oppenhim فى أنه يمكننا من التعرف على مواطن الغموض التى تحيط بموضوع الدراسة وأبعاده الأساسية، كما أنه، أى السؤال المفتوح يساعد فى ابتكار صياغة محددة للبنود (خليفة وشحاتة، ١٩٩٢ : ١٠٨) وقد تم تحليل محتوى إجابات المستجيبين (ن : ٦٣) واستخلاص (٣١٥) بندًا إضافيا بواسطة هذا الإجراء.

جـ- **مضاهاة الأفكار** التى استخلصناها من الاطلاع علي تراث المحاجة (فى الخطوة أ) بتلك التى كشف عنها تحليل مضمون إجابات (٦٣) من المستجيبين عن الأسئلة المفتوحة الستة (كما فى الخطوة ب)، وفى ضوء ذلك تم حذف بعض الأفكار لتكررها، كما تم دمج البعض الآخر لتشابهها، أو لأنها تكمل بعضها بعضًا ؛ بناء على ذلك تمت صياغة (١٠١) بند موزعة على (٣٤) مكونا فرعيا شكلت الصورة المبدئية للمقياس.

د- قدم المقياس فى صورته المبدئية السابقة (١٠١ بند) إلى تسعة (*) من المتخصصين في علم النفس لتحديد مدى استقلال المكونات، وما إذا كان البند ينتمى للمكون الذى وضع ضمنه أم لا ؟، وهل تتسم صياغته بالوضوح أم تفتقده ؟.

وفى ضوء ما اقترحه المحكمون من ملاحظات تم إدخال بعض التعديلات علي المقياس تمثلت فى دمج بعض المكونات المتشابهة، وحذف بعض المكونات التى أشاروا إلى أنها غير متصلة بالموضوع، وبعض البنود التى لم يجمعوا على أنها تنتمى لمكوناتها، وحذف بعض البنود المكررة وغير المفهومة، وإدخال تعديلات فى صياغة بعض البنود الغامضة وتبسيط بعضها الآخر، واستبدال الأمثلة التوضيحية لبعض البنود (أى العبارات بين الأقواس). وبذا أصبح المقياس فى صورته النهائية يتضمن (٩٥) بندًا تقيس (٢٨) مكونًا لسلوك المحاجة.

هـ- **تجربة الصياغة** : تم تقديم المقياس بعد تعديله بناء على رأى المحكمين (كما فى الخطوة د) إلى مجموعة من الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمع بحث الدراسة بلغ عددهم (٢٩) فردًا من الطلاب والطالبات الجامعيين والموظفين والموظفات وطلب منهم تحديد مدى دقة صياغة البنود وفهمهم لها، وطبيعة ملاحظاتهم عليها، وقد أكد أفراد العينة أنها واضحة ومفهومة وأنه ليس لديهم ملاحظات جوهرية عليها.

الخصائص السيكومترية للمقياس :

- الثبات :

تم تقدير المقياس بعدة طرق هى :

- إعادة الاختبار : حيث أجاب عليه (٥٣) فردًا، روعى التشابه بينهم وبين

(*) يتوجه الباحثان فى هذا المجال بالشكر الجزيل إلى الزملاء الأعزاء الأساتذة الدكاترة: مصطفى كامل، أحمد عبد الرحمن، جمعة سيد، عبد الرحمن المهدى، معتز سيد، فتحى الشرقاوى، شعبان جاب الله، عادل هريدى، ومحمد حسانين.

عينة البحث، مرتين بفاصل زمنى مقداره خمسة عشر يومًا، فبلغ معامل الارتباط بين إجابتيهم (٠,٨٤).

• التجزئة النصفية : تم حساب معامل ارتباط إجابات أفراد العينة الكلية (٦١٧) فردًا على كل من البنود الفردية والزوجية فبلغ الارتباط بينهما (٠,٧٦) قبل تصحيح أثر الطول، وبعد تصحيحه بمعادلة « سبيرمان - براون » أصبح (٠,٨٦) وهو معامل مناسب.

• وحسب ثبات المقياس بواسطة معامل ألفا فبلغ (٠,٩٢).

- الصدق:

اعتمد الباحثان على المؤشرات التالية لتقدير صدق المقياس :

- تجانس مكونات المقياس : بما أن التجانس يعد شرطًا ضروريا للصدق فقد قمنا بحساب مدى تجانس مكونات المقياس، وقد تبين أن جميع معاملات ارتباط الدرجة على كل مكون من المكونات الـ (٢٨) بالدرجة الكلية للمقياس لدى العينة الكلية كانت دالة عند مستوى (٠,٠١) (تراوحت هذه المعاملات بين ٠٦٧, - ٠,٣٣) مما يعنى أنها تقيس مجالاً متجانسًا، وهو بالطبع فى حالتنا هذه السلوك الحجاجى.

- صدق المحتوى : تم التحقق من أن المقياس يتسم بصدق المحتوى من خلال ثلاثة مصادر : الأول يتمثل فى أن محتوى العديد من البنود مستمد بالفعل من محاجات حقيقية مدونة بالمصادر التى تم الاطلاع عليها سواء مكتوبة أو مسموعة، قديمة أو حديثة، والثانى قوامه أن العديد من البنود مستخلص من واقع ما أدلى به مجموعة من الأفراد كإجابة على ستة من الأسئلة المفتوحة التى تدور حول ما يعتقدون أنه من بين السلوكيات الحجاجية التى يدركون أنها تصدر عن الآخرين فضلاً على التى يمارسونها هم. أما المصدر الثالث فيتمثل فى أن مجموعة من المحكمين المتخصصين فى علم النفس قرروا أن تلك البنود - المستمدة من المصادر السابقة - تعبر عن، وتقيس سلوك المحاجة وأنها تنتظم فى المكونات الفرعية المقترحة عليهم.

- الصدق العاملى : وهو أحد أشكال صدق التكوين ويتسنى تقديره من خلال التحليل العاملى لبنود ومكونات المقياس للوقوف على طبيعة العوامل التى تنتظم فيها، ويتوقع أن تقدم النتائج اللاحقة للبحث، المتمثلة فى أبعاد سلوك المحاجة التى ستنتج عن التحليل العاملى، مؤشرات تدعم الصدق العاملى للمقياس وذلك حين تتسق العوامل الناتجة مع الإطار النظرى للبحث والنتائج الرئيسية السابقة فى التراث، والمكونات المقترحة سلفا من قبل باحثين سابقين، وهو ما سيتم التأكد منه لاحقا.

التصميم المنهجى للدراسة وإجراءاتها وأساليب تحليل بياناتها إحصائيا :

ابتداء حرى بنا التنويه إلى أن هذه الدراسة تنتمى إلى المنهج الوصفى الارتباطى. أما الإجراءات الرئيسية لوضع تصميمها موضع التنفيذ فقد تمثلت فيما يلى :

- **إعداد** مقياس أبعاد سلوك المحاجة وفق خطوات متعددة سبق ذكرها.

- **اختيار** عينات متنوعة من حيث النوع والعمر والمهنة (طلابا وطالبات جامعيين، وموظفين وموظفات حاصلين على مؤهلات عليا).

- **قام باحثون** (*) متخصصون فى علم النفس بتطبيق المقياس على أفراد العينة فى أماكن تجمعهم فى صورة استخبار جمعى، ولم تكن مدة التطبيق تستغرق أكثر من نصف ساعة.

- **عقب ذلك** يتم تحليل البيانات المستمدة من المبحوثين إحصائيًا بالأساليب المناسبة لفروض البحث والتى تمثلت بصورة أساسية فى التحليل العاملى بطريقة المكونات الأساسية لهوتللنج، وحرى بالذكر أنه روعى الالتزام بمجموعة من الشروط إبان استخدام هذا الأسلوب وتفسير بياناته قوامها :

- تمثلت وحدة التحليل الأساسية فى المكونات الـ (٢٨) وليس فى البنود

(*) يتوجه الباحثان بالتقدير والعرفان لهؤلاء الزملاء والزميلات وهم: الأستاذ عماد رمضان، والأستاذات غادة عبد الغفار ونشوة عبد التواب، وأمانى عبد العظيم.

الـ (٩٥) التى تنتمى إليها، ذلك أنه يفضل - على حد قول كومرى - استخدام المتغيرات التى تمثل محصلة جمع عدد من البنود المتجانسة والتى يفترض أنها تقيس نفس المتغير، لأن المتغيرات ذات الدرجات الكلية تفوق كفاءتها بيانات المتغير ذى البند الواحد (Comrey , 1978).

• التأكد من اعتدالية توزيع درجات الأفراد على المتغيرات الـ (٢٨) وذلك بفحص معامل التواء كل منها، والتحقق من أنه أقل من ١,٩٦، أى غير دال، وبالفعل تم فحص معامل التواء جميع المتغيرات قبل التحليل، وتبين أنها جميعا غير ملتوية بشكل دال حيث تراوحت معاملات التوائها بين ١,٢٤ - ٠,١٢.

• فحص مصفوفة ارتباطات المتغيرات قبيل التحليل وقد تبين أن نسبة كبيرة منها ترتبط فيما بينها ارتباطا دالاً مما يعنى أنها قابلة لإنتاج عوامل كافية.

• التوقف عن استخلاص العوامل التى يقل جذرها الكامن عن واحد صحيح وفقًا لمحك « كايزر ».

• عدم قبول المتغيرات التى يقل تشبعها على العامل عن (٠,٤).

• تم تحليل عوامل العينة الكلية أولاً، ثم الذكور، فالإناث، ونظرًا لأن العوامل قبل التدوير لم تكون واضحة سيكولوجيا فقد تم تدويرها بطريقة فاريماكس .

وسنعرض فيما يلى لنتائج تلك العملية :

النتائج ومناقشتها:

يوضح الجدول التالى رقم (٤) نتائج تحليل متغيرات العينة الكلية وعينة الذكور والإناث كل على حدة عامليا بعد التدوير.

جدول رقم (٤)

عوامل الدرجة الأولى لسلوك المحاجة لدى إجمالى العينة والذكور والإناث بعد التدوير

م	العينـة / العامل / المكون	اجمالى (ن = ٦١٧)					الذكور (ن – ٣٠٨)						الإناث (ن – ٣٠٩)				
		الأول	الثانى	الثالث	الرابع	قيم الشيوع	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس	قيم الشيوع	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	قيم الشيوع
١	الاستشهاد والتوثيق	٠,١١	٠,٣٨	٠,٦٥	٠,٠٠-	٠,٥٨	٠,٠٢	٠,٧١	٠,٠٥-	٠,٢٧	٠,١٢	٠,٥٩	٠,١٦	٠,٢٠	٠,٦٩	٠,٠٢	٠,٥٥
٢	تحرى الدقة	٠,٤٤	٠,٤٨	٠,٢٨	٠,٣٢	٠,٤٨	٠,٢-	٠,٤١	٠,٠٢	٠,١١	٠,٦٣	٠,٦١	٠,٢١-	٠,٦٢	٠,٢٧	٠,٠٩-	٠,٥١
٣	ضبط ومراعاة السياق	٠,١٦-	٠,٤٤	٠,٢٦	٠,٥١	٠,٥٦	٠,١٧-	٠,٥٠	٠,٣٣	٠,٠٨	٠,٤٤	٠,٥٨	٠,٠٧-	٠,٦٩	٠,٢٠	٠,٠٦	٠,٥٢
٤	كشف التناقض	٠,٤٤	٠,١٣	٠,٢٢	٠,٠٩	٠,٦١	٠,٢٩	٠,٣٦	٠,٦٤	٠,٠٥	٠,٠٦	٠,٦٣	٠,٥٧	٠,٤٧	٠,٠٣	٠,٠٣-	٠,٥٤
٥	التشكيك	٠,٣٨	٠,٢٣	٠,٠٥-	٠,٥٤	٠,٥٤	٠,٣١	٠,٠٢	٠,٦٧	٠,١٠	٠,١٨	٠,٥٩	٠,٤٦	٠,٥١	٠,١٠-	٠,١٥	٠,٥
٦	الاستدراج	٠,٥٩	٠,١١	٠,١٧	٠,٣٩	٠,٥٥	٠,٥٦	٠,٢	٠,٤١	٠,٠٠	٠,١١	٠,٥٣	٠,٦٢	٠,٤٠	٠,٠٢	٠,١٣-	٠,٥٤
٧	الاستفزاز	٠,٨١	٠,١٠-	٠,٠٨-	٠,٠١	٠,٦٧	٠,٧٨	٠,٢١-	٠,١٢	٠,٠٥-	٠,٠٩-	٠,٦٨	٠,٧٦	٠,١٠-	٠,٠٣-	٠,٢٩	٠,٦٧
٨	الإرهاب الحجاجى	٠,٧٦	٠,٠٥-	٠,٠٥-	٠,٠١-	٠,٥٨	٠,٧٦	٠,٤٣	٠,٠٩	٠,٠٢	٠,٠٤-	٠,٦٢	٠,٧٠	٠,١١-	٠,٠٦	٠,١٢	٠,٥١
٩	التشتيت	٠,٥٥	٠,١٤	٠,٠٦-	٠,٠٧	٠,٣٣	٠,٦٥	٠,٠٩	٠,٠٠	٠,١١-	٠,١٢	٠,٤٥	٠,٤٤	٠,٠٤-	٠,٠٣	٠,١١	٠,٥
١٠	التمويه والمراوغة	٠,٧٣	٠,٠١	٠,٠٠	٠,٠٦	٠,٥٣	٠,٦٩	٠,١٠-	٠,١٤	٠,١٥	٠,٠٣-	٠,٥٤	٠,٦٩	٠,٠٤-	٠,٠٢	٠,١٣	٠,٥
١١	التوكيد الحجاجى	٠,٠٨	٠,٥٢	٠,١٠	٠,٤٨	٠,٥٢	٠,٠٥-	٠,١٤	٠,٤٦	٠,٤٣	٠,٤	٠,٥٧	٠,١٧	٠,٦٦	٠,٢٠	٠,٠٠-	٠,٥
١٢	توجيه مسار المحاجة	٠,١٤	٠,٢٨	٠,٣	٠,٥٢	٠,٤٧	٠,٠٦	٠,٣٣	٠,٣٩	٠,١٠	٠,٢٦	٠,٤٣	٠,٢٩	٠,٥٦	٠,١٨	٠,٠٨-	٠,٤٤
١٣	التأكد من الفهم	٠,٠٧-	٠,١٤	٠,٥٧	٠,٤٢	٠,٥٢	٠,١٥-	٠,٦٥	٠,٢٦	٠,٠٣	٠,١٦	٠,٥٣	٠,١٤	٠,٤٢	٠,٣٥	٠,١٦-	٠,٣٤

تابع جدول رقم (٤)

م	العينة	اجمالى (ن = ٦١٧)					الذكور (ن – ٣٠٨)						الإناث (ن – ٣٠٩)				
	العامل / المكون	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	قيم الشيوع	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس	قيم الشيوع	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	قيم الشيوع
١٤	الحكمة الحجاجية	٠,٠٢	٠,٦٥	٠,١٠	٠,١٦	٠,٤٥	٠,٠٥	٠,١٤	٠,٠٨	٠,٢١	٠,٦٦	٠,٥١	٠,٠١	٠,٥٣	٠,٤٠	٠,١٨	٠,٥٢
١٥	تشريح الحجج وتجزئتها	٠,١٦	٠,٥٧	٠,٠٥	٠,٠٧	٠,٤٧	٠,٠٩	٠,٣٠	٠,٢٠	٠,٤٧	٠,٣٣	٠,٤٥	٠,١٤	٠,٣٢	٠,٥٩	٠,٠١-	٠,٤٧
١٦	فحص طبيعة العلاقات	٠,٢٣	٠,٦٦	٠,١٦	٠,٠٧	٠,٥٣	٠,١٦	٠,٢٥	٠,٠٢	٠,٧٠	٠,٢٢	٠,٦٣	٠,٢٠	٠,٥٢	٠,٢٨	٠,٠٣	٠,٣٩
١٧	ضبط عملية التعميم	٠,٠٩	٠,٦٤	٠,١٦	٠,٠١٦	٠,٤٧	٠,٠٢	٠,٣٦	٠,١٣	٠,٥٦	٠,١٤	٠,٤٨	٠,٠٤	٠,٥٧	٠,٢٧	٠,٣٢	٠,٥١
١٨	نظام ترتيب الحجج	٠,٦٤	٠,٠٧	٠,١٣	٠,٣٢	٠,٥٤	٠,٥٠	٠,١٤	٠,٤٩	٠,١١	٠,١٨-	٠,٥٥	٠,٦٩	٠,٢٧	٠,٠٦	٠,٠٠١-	٠,٥٥
١٩	حصر قوائم الحجج	٠,٣٨	٠,١٧	٠,٤٦	٠,٣٨	٠,٥٣	٠,١٩	٠,٥٧	٠,٤٣	٠,٢٦	٠,٢١-	٠,٦٥	٠,٥١	٠,٣٨	٠,٢٨	٠,١٠-	٠,٤٨
٢٠	إعادة هيكلة الموضوع	٠,٦٢	٠,٢٣	٠,١٣	٠,١٠-	٠,٤٦	٠,٥٤	٠,٠٥-	٠,٠٨	٠,٣٨	٠,٢-	٠,٤٩	٠,٥٤	٠,٠٦	٠,٤١	٠,١١	٠,٤٨
٢١	الإبداع الحجاجى	٠,٦٣	٠,١٤	٠,٢٤	٠,٠٢	٠,٥١	٠,٥٩	٠,٢٤	٠,٠٩	٠,٢١	٠,٠٨-	٠,٤٥	٠,٥٨	٠,١٤	٠,٣٥	٠,٣٢	٠,٥٩
٢٢	التمثيل و التشبيه	٠,٠٠٠-	٠,٣٢	٠,٦٦	٠,٠٩	٠,٥٥	٠,٠٣	٠,٦٦	٠,٠٦	٠,٢	٠,١٦	٠,٥	٠,٠٠١	٠,٢٤	٠,٧١	٠,٠٨-	٠,٥٧
٢٣	عقد المقارنات	٠,١١	٠,٤٧	٠,٤٧	٠,٠٨	٠,٤٥	٠,٠٧	٠,٦٣	٠,١٤	٠,٣٩	٠,٠١	٠,٥٧	٠,٠٧	٠,٢٩	٠,٥٥	٠,٢٧	٠,٤٦
٢٤	الإنهاك الحجاجى	٠,٦٦	٠,٠٢	٠,٢٢	٠,٢١	٠,٥٣	٠,٥٤	٠,٢	٠,٣١	٠,٢٥	٠,١٥-	٠,٥٢	٠,٧٤	٠,١٠	٠,٠٨	٠,٠٤-	٠,٦١
٢٥	القلب والمناقضة	٠,٧٤	٠,١٠	٠,٠٢	٠,١٥	٠,٥٨	٠,٧١	٠,٠٩-	٠,٢٦	٠,١٠	٠,٠٣	٠,٥٨	٠,٧٦	٠,١٣	٠,٠٧	٠,٠٤	٠,٦١

تابع جدول رقم (٤)

م	العينـــة	اجمالى (ن = ٦١٧)					الذكور (ن – ٣٠٨)						الإناث (ن – ٣٠٩)				
	العامل / المكون	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	قيم الشيوع	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس	قيم الشيوع	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	قيم الشيوع
٢٦	الداهية	٠,٥٥	٠,٢	٠,٣٦	٠,٠٨	٠,٤٤	٠,٥٨	,٠٣١	٠,٠١-	٠,١-	٠,٠٧	٠,٤٥	٠,٦١	٠,١٤	٠,٢٥	٠,٢٠-	٠,٦٩
٢٧	التعجيز	٠,٧٢	٠,٠٣	٠,٢٥	٠,٠٢	٠,٥٧	٠,٧٤	٠,١٦	٠,٠٣-	٠,٠٥	٠,٠٢-	٠,٥٨	٠,٧١	٠,٠٤	٠,٢٢	٠,٠٤-	٠,٥٧
٢٨	إبراز الجوانب الإيجابية	٠,٢٦	٠,١٤	٠,٦١	٠,٢٢	٠,٥	٠,٦٨	٠,٦٠	٠,٠٦	٠,٠٣-	٠,٢٦	٠,٥١	٠,٣٦	٠,٢٧	٠,٢٧	٠,٤٧	٠,٥٦
	الجذر الكامن	٨,٣٤	٤,٠٦	١,١١	١,٠		٧,٢٣	٤,٦٨	١,١٧	١,٠٨	١,٠٣		٩,٦١	٣,٦	١,٢٥	١,٠٤	
	التباين	٢٩,٨	١٤,٥	٤,٠	٣,٦		٢٦,٢	١٦,٧	٤,٢	٣,٩	٣,٧		٣٠,٧	١٢,٩	٤,٥	٣,٧	

نظرًا لكثرة ما يحويه الجدول السابق من بيانات فإننا سنعرض أولاً لعوامل العينة الكلية يليها عوامل عينة الذكور ثم الإناث.

أولاً: عوامل العينة الكلية:

تمثلت التشبعات المقبولة لمكونات المحاجة لدى العينة الكلية فى العوامل الأربعة التالية والتى يوضحها الجدول رقم (٥).

جدول رقم (٥)

العوامل المدورة لسلوك المحاجة لدى العينة الكلية

العامل	الأول		الثانى		الثالث		الرابع	
م	المكون	ر	المكون	ر	المكون	ر	المكون	ر
١	الاستفزاز	٠,٨١	فحص طبيعة العلاقات بين الظواهر	٠,٦٦	التمثيل والتشبيه	٠,٦٦	كشف التناقض	٠,٦٠
٢	الإرهاب الحجاجى	٠,٧٦	الحكمة الحجاجية	٠,٦٥	الاستشهاد والتوثيق	٠,٦٥	التشكيك	٠,٥٤
٣	القلب والمناقضة	٠,٧٤	ضبط عملية التعميم	٠,٦٤	إبراز الجوانب الإيجابية	٠,٦١	توجيه مسار المحاجة	٠,٥٢
٤	التعمية والمراوغة	٠,٧٣	التشريح والتجزىء	٠,٥٧	التأكد من الفهم	٠,٥٧	ضبط و مراعاة السياق	٠,٥١
٥	التعجيز	٠,٧٢	التوكيد الحجاجى	٠,٥٢	عقد المقارنات	٠,٤٧	التوكيد الحجاجى	٠,٤٨
٦	الإنهاك الحجاجى	٠,٦٦	تحرى الدقة	٠,٤٨	حصر قوائم الحجج السلبية والإيجابية	٠,٤٦	التأكد من الفهم	٠,٤٢
٧	ترتيب إدارة الحجج	٠,٦٤	عقد المقارنات	٠,٤٧				
٨	الإبداع الحجاجى	٠,٦٣	ضبط ومراعاة السياق	٠,٤٤				
٩	إعادة هيكلة الموضوع	٠,٦٢						
١٠	الاستدراج	٠,٥٩						
١١	الداهية	٠,٥٥						
١٢	التشتيت	٠,٥٥						
١٣	كشف التناقض	٠,٤٤						
١٤	ضبط ومراعاة السياق	٠,٤٤						
	الجذر الكامن	٨,٣٤		٤,٠٦		١,١١		١
	التباين العاملى	٢٩,٨٪		١٤,٥٪		٤٪		٣,٦٪

حين نستقرئ نتائج الجدول السابق سنجد أن مكونات المحاجة لدى العينة الكلية انتظمت فى أربعة عوامل رئيسية يمكن تفسيرها نفسيا على النحو التالى :

- العامل الأول:

ويعتبر أكثر هذه العوامل أهمية إذ بلغ جذره الكامن (٨,٣٤)، واستوعب (٢٩,٨٪) من التباين العاملى للمصفوفة، وتشبع عليه (١٤) مكونًا تشبعًا دالاً. ويتضح من الجدول السابق رقم (٤) أن أولها وأعلاها تشبعًا عليه « الاستفزاز » (٠,٨١) والذى تشير بنوده الفرعية إلى ميل الفرد المحاج إلى تعمد إثارة انفعال الطرف الآخر حتى يصبح تفكيره غير منظم (*)، ومقاطعته بصورة متكررة على نحو لا يعطيه الفرصة الكافية ليعبر عن رأيه، وتعمد توجيه أسئلة شخصية محرجة له، واستخدام ألفاظ وتعبيرات تثير ضيقه، ثم أتى « الإرهاب الحجاجى » فى المقام التالى (٠,٧٦) والذى يتضمن سلوكيات من قبيل تصيد أقوال الطرف الآخر وتضخيمها للتشهير به، وتخويفه، وإحراجه بطرح بديلين كليهما سيئ عليه وإلزامه باختيار أحدهما، ثم أتى مكون « القلب والمناقضة » فى المقام الثالث (٠,٧٤) ويتضمن قيام الفرد بالرد على سؤال الطرف الآخر بسؤال آخر، واتخاذ مواقف وتقديرات مضادة لتلك التى أخذها، وقلب حجته بمعنى استخدام نفس الحجة للتوصل إلى نتيجة مخالفة. ثم أتى مكون « التعمية والمراوغة » فى المرتبة الرابعة (٠,٧٣) ويتضمن استخدام الفرد ألفاظًا مبهمة تُفهم على أكثر من وجه طالما كان ذلك مفيدًا، وتعمد الغموض حتى لا يترتب التزامات على ما يقول، والرد على أضعف جزئية فى كلام الطرف الآخر وتجاهل الأكثر قوة لأنه يسهل دحضها. وبعد ذلك جاء « التعجيز » فى المرتبة الخامسة (٠,٧٢) حيث يسعى الفرد لتقديم مبررات تحول دون قبول حجة الطرف الآخر، ومطالبته بحل كل المشكلات المترتبة على قبول حجته كشرط مسبق لموافقته عليها مع علمه باستحالة ذلك، وإثارة الكثير من

(*) وذلك من خلال «الصوت العالى، والعصبية الزائدة» كما ذكر أحد الطلاب أو «بالتشبث برأيه مع تأكده من صحة رأى الطرف الآخر» مثلما أشارت إحدى الطالبات.

الاعتراضات التى يصعب تفنيدها أمامه، وبعد ذلك أتى مكون الإنهاك الحجاجى (٠,٦٦) فى المرتبة التالية وتشير سلوكياته الفرعية إلى افتراض خطأ ما يقول الطرف الآخر سلفًا ومطالبته بإثبات عكس ذلك، ومطالبته بتفسير أشياء يُعتقد أنها بديهية لاستنزاف طاقته، وتأجيل الحجج القوية حتى النهاية حتى يصعب على الطرف الآخر الرد عليها لأنه سيكون منهكًا حينئذ.

وأتى بعد ذلك « نظام ترتيب وإدارة الحجج» (٠,٦٤) ومن سلوكياته الفرعية البدء بعرض الحجج الأقل قوة أولاً فالأقوى، والرد على أضعف حجج الطرف الآخر أولاً لإثبات ضعف موقفه وتقليل ثقته بنفسه، أو فعل العكس بمعنى البدء بالحجة الأقوى مبكرًا لإنهاء المناقشة بالضربة القاضية، وبعد ذلك أتى مكون « الإبداع الحجاجى » (*) (٠,٦٣) ويشير إلى إضافة عناصر جديدة لما يطرحه الآخر من أفكار لتصبح أكثر وجاهة، واستخدام عمليات التقديم والتأخير فى الجملة للإيحاء بمعانٍ مختلفة، وطرح حجج غير متوقعة لإرباك الطرف الآخر، والبحث عن أسباب أخرى غير التى يطرحها الطرف الآخر لتفسير الظاهرة موضع الخلاف. وبعد ذلك أتى مكون « إعادة هيكلة الموضوع » (٠,٦٢) ويعنى إخراج الأمر من الإطار الذى يضعه فيه الطرف الآخر ومن ثم فهمه بطريقة مختلفة، وتعريف المفاهيم بصورة أخرى إن تيسر ذلك، والنظر للموضوع من زاوية جديدة غير التى ينظر منها إليه.

ثم أتى فى المرتبة التالية مكون « الاستدراج » (٠,٥٩) والذى يعنى ادعاء عدم الفهم لاستدراج الطرف الآخر لمزيد من التفاصيل التى قد توقعه فى الخطأ، وتوجيه المزيد من الأسئلة إليه ليفيض فى الحديث فتكثر أخطاؤه، وإقناعه بمسلمات قد يلزم عنها نتائج لم يكن ليقبلها قبل ذلك، وأتى بعد ذلك مكون «المداهنة» (٠,٥٥) ومن بنوده استمالة الطرف الآخر فى بداية الحوار ببعض المدح حتى تقل مقاومته لما

(*) أشار أحد الموظفين فى هذا المقام إلى أن من أكثر السلوكيات التى تجعله يقتنع بحديث الآخر أنه «يكشف حقيقة غابت عنه»، وقال أحد الطلاب الجامعيين: « أن يطرق زوايا جديدة فى الموضوع لم يسبقه إليها غيره».

سيقال، والإيحاء بالاتفاق معه واستحسان ما يقول لانتزاع موافقته على ما يريد، والبدء بذكر نقاط الاتفاق معه أولاً حتى يصغى لما يقال بهدوء والذى قد يتضمن جوانب الاختلاف معه، ثم أتى بعد ذلك « التشتيت» (٠,٥٤) ومن بين سلوكياته محاولة إبعاد الطرف الآخر عن أصل الموضوع، وتعمد الدخول فى قضايا جانبية. وجاء فى المرتبة التالية مكون « كشف التناقض» من خلال إعادة طرح السؤال بصيغ مختلفة للتأكد من ثبات إجابة الطرف الآخر عليه، والبحث عن الوقائع التى تتناقض مع ما يقوله، والكشف عن مواطن عدم الاتساق بين أقواله وأفعاله. وأخيرًا جاء مكون « ضبط ومراعاة السياق » (٠,٤٤) ويشير إلى مطالبة الطرف الآخر بتحديد الملابسات المحيطة بالموضوع بدقة، ومقاومة عملية اقتطاع بعض الكلمات من سياقها، ومراعاة فهم الأحداث فى سياقها، ومطالبته بتوضيح مدلولات ألفاظه بدقة. حين نفحص المكونات التى تشبعت على هذا العامل والسلوكيات الفرعية المنضوية تحت لوائها، بدرجة دالة، سنجد أنها ذات طابع هجومى وتعكس محاولة الفرد المحاج السيطرة على الطرف الآخر، وكسب الجولة الحجاجية بأساليب تفنيدية - هجومية على حججه باستخدام طرق من قبيل الاستفزاز، والتشتيت، والإنهاك، وإن لم يفلح ذلك فالتشكيك والمناقضة، أو بالمراوغة والتعمية، أو إعادة هيكلة القضية والنظر لها من زوايا أخرى، ويمكن أن نطلق على هذا العامل عامل « **الهيمنة الحجاجية** » والذى يهدف إلى السيطرة على الطرف الآخر من خلال دحض وتفنيد حججه.

- العامل الثانى :

وقد تشبع على هذا العامل الذى استوعب (١٤,٥٪) من التباين العاملى للمصفوفة، وبلغ جذره الكامن (٤,١)، ثمانية مكونات بدرجة دالة تزيد على (٠,٤) أتى فى مقدمتها « فحص طبيعة العلاقات بين الظواهر » (٠,٦٦) ومن بين السلوكيات المتضمنة فيه التفريق بين الوقائع وتفسيراتها ذات الطابع الذاتى، والفصل بين الشخص وآرائه، ومطالبة الآخر بعدم الخلط بين السبب والنتيجة، وتقدير مدى أهمية تفسيرات الطرف الآخر. وأتى بعد ذلك مكون « الحكمة

الحجاجية » (٠,٦٥) ويشمل تجنب إثارة الطرف الآخر، وتغيير الموضوع لتخفيف التوتر، والتجاوز عن النقد الشخصى اللاذع الذى يوجهه الطرف الآخر وتجنب الهجوم على شخصه، وتجنب الدخول فى محاجات غير مجدية، والتحكم فى الانفعال الذاتى [*]، وتلا ذلك مكون « ضبط عملية التعميم » (٠,٦٤) ومن بين سلوكياته الفرعية تجنب إطلاق أحكام مفرطة فى التعميم، ومراعاة أن تكون الأحكام مشروطة وذات طابع نسبى، والتأكد من تمثيل وعشوائية أحكام الطرف الآخر، وبعد ذلك جاء مكون « التشريح والتجزئ الحجاجى » (٠,٥٧) فى المرتبة التالية ويتضمن تحليل الفكرة أو الحجة المضادة إلى عناصرها الأولية، والبحث عن أسباب الظواهر موضع الحوار، وتصنيفها إلى فئات فرعية. وجاء بعد ذلك مكون « التوكيد الحجاجى » (٠,٥٢) ويشمل إخبار الطرف الآخر بما فى كلامه من مغالطات، وعدم الانسياق وراء ما يطرحه من آراء، ومطالبته بذكر مبررات تبنيها، وبعد ذلك أتى مكون « تحرى الدقة » (٠,٤٨) ومن بين سلوكياته الفرعية مراجعة المعلومات التى يقدمها الطرف الآخر، وتجنب قول أشياء ليس لديه عليها دليل كافٍ، وعدم التسرع لا بالنفى أو الإثبات دونما دليل، والابتعاد عن الألفاظ الغامضة وحث الطرف الآخر على ذلك. وأتى فى المرتبة التالية مكون « عقد المقارنات » (٠,٤٧) ويشير إلى فهم المواقف والظواهر الحالية من خلال مقارنتها بمواقف وظواهر مشابهة سابقة، ثم جاء فى المرتبة التالية « ضبط ومراعاة السياق » (٠,٤٤) حتى لا يساء تفسير أو فهم الظاهرة بمعزل عن سياقها الأصلى. حين ننظر فى المكونات الفرعية التى تشبعت على هذا العامل سنجد أنها ذات طبيعة استدلالية منطقية حيث تعكس حرص الفرد المحاج على فحص طبيعة العلاقات بين المتغيرات والظواهر موضع الحجاج، وكشف والابتعاد عن عملية التعميم المفرط، وتحليل الحجج إلى عناصرها الأولية وعمل مقارنات لتقريب المعنى وتحرى الدقة إبان ذلك ؛ لذا يمكن تسمية هذا العامل « **الاستدلال الحجاجى** » أو الإقناع من خلال الاستدلال.

(*) أشارت إحدى الموظفات إلى ضرورة أن يحتفظ المحاج «بهدوئه أثناء المناقشة» و «ألا يتحدث بعصبية».

- **العامل الثالث:**

استوعب هذا العامل (٤٪) فقط من التباين العاملى للمصفوفة وبلغ جذره الكامن (١,١٠) وتشبع عليه تشبعًا دالاً ستة مكونات كان أكثرها تشبعًا عليه مكون «التمثيل والتشبيه » (٠,٦٦) ويتضمن ضرب الأمثلة لتوصيل المعنى وتقريبه للأذهان، وذكر قصص رمزية توضح المعنى المراد بلوغه، ومطالبة الآخرين بذلك أيضًا. وأتى فى المرتبة التالية مكون « الاستشهاد والتوثيق » (٠,٦٥) ويشير إلى حرص الفرد المحاج على الاستدلال أثناء المحاجة بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمأثورات الدينية للبرهنة على صحة ما يقول، فضلاً على اقتباس بعض الحكم، والأمثال الشعبية، وأقوال الشخصيات المشهورة لدعم حجته، وكذلك آراء الخبراء المتخصصين وما توصلوا إليه من حقائق، والاستشهاد بالوقائع الحقيقية التى حدثت له أو للغير، وتدعيم كلامه بالإحصاءات والأرقام ليصبح أكثر مصداقية. وجاء مكون « إبراز الجوانب الإيجابية » فى المقام التالى (٠,٦١) وفيه يسعى الفرد إلى توضيح الجوانب الإيجابية التى ترجح حجته لإقناع الطرف الآخر بها، وإظهار المزايا التى قد يحصل عليها فى حال تبنى تلك الوجهة من النظر. ويلى ذلك مكون « التأكد من الفهم » (٠,٥٦) ويشمل قيام الفرد بتلخيص ما قاله الآخر ليتأكد من صحة فهمه لما قال، وتلخيصه لما يقول فى نهاية حديثه أيضًا حتى يتأكد من فهم الآخر له، وطرح أسئلة عديدة عليه لفهم وجهة نظره بوضوح (*).

وبعد ذلك جاء مكون « عقد المقارنات » (٠,٤٧) وتشير بنوده الفرعية إلى محاولة فهم المواقف والظواهر الحالية فى ضوء أخرى سابقة، يليه مكون « حصر قوائم الحجج السلبية والإيجابية » (٠,٤٦) وفيه يقوم الفرد بحشد أكبر عدد من الحجج المؤيدة لرأيه لإقناع الطرف الآخر بها، فضلا على شهادات لأفراد من المعسكر الذى ينتمى إليه الطرف الآخر تؤيد ما يدعيه أو تعارض ما يقوله ذلك

(*) ويتسنى ذلك من خلال «حسن الاستماع لرأى الطرف الآخر واحترامه حتى يفهمها أولاً» كما أشار بعض أفراد العينة.

الطرف. تعكس المكونات المشبعة على هذا العامل ميل الفرد إلى توظيف تأثير الجماعة المرجعية من خلال عمليات الاستشهاد والتوثيق، والتمثيل (*) والمقارنات فى استمالة الآخر إلى صفه، والاستعانة فى ذلك أيضا بإبراز مزايا الاقتناع بما يعرضه عليه من آراء، والأضرار التى سيتلافاها حينئذ، ويمكن تسمية هذا العامل « **الاستمالة الحجاجية** ».

- العامل الرابع:

بلغ جذره الكامن (١)، واستوعب (٦,٣٪) فقط من التباين العاملى للمصفوفة أى أنه أقل العوامل أهمية نفسيا، وقد تشبع عليه ستة مكونات فى ظل المعيار الموضوع سلفًا للتشبعات المقبولة. أولها « كشف التناقض » (٠,٦) وذلك من خلال اكتشاف تعارض إجابات الطرف الآخر على أسئلة مشابهة فى أوقات مختلفة، أو البحث عن وقائع تتعارض مع ما يدعى، أو عدم اتساق بين ما يفعل وما يقول، وجاء « التشكيك » فى المرتبة التالية (٠,٥٤) ويتضمن التلميح إلى عدم موثوقية المصادر التى ينقل عنها الطرف الآخر بياناته، وإظهار عدم الثقة فى صحة الوقائع الشخصية التى يستعين بها لدعم موقفه، وعدم التسليم بسهولة بما يطرحه من مسلمات. يلى ذلك مكون « توجيه مسار المحاجة » (٠,٥٢) ويحوى سلوكيات من قبيل مطالبة الطرف الآخر بعدم الخروج عن الموضوع الأساسى، ومعارضة محاولته الانتقال إلى نقطة جديدة إلا بعد الانتهاء من التى يتحدثون فيها، ووضع أسس معينة يطالبه بالالتزام بها حتى يبدأ الحديث معه. وبعد ذلك جاء «ضبط ومراعاة السياق » (٠,٥١) ويشير إلى حرص الفرد على توضيح معالم الموقف وعدم اجتزاء كلام أو وقائع من سياقها حتى لا يحدث تشوه فى الفهم. ثم أتى « التوكيد الحجاجى» (٠,٤٨) حيث يسهل على الفرد إخبار الطرف الاخر بما يحويه كلامه من مغالطات (**)، ولا ينساق مع ما يسعى لفرضه عليه من أفكار، ويطالبه بذكر مبررات

(*) «أن يدلل على فكرته بأكثر من مثال»، و «يستدل بتجارب الآخرين وأفكار العلماء والحكماء»، و «يلجأ إلى بعض الإحصاءات والأرقام». هذه بعض المواصفات التى ذكرها أفراد العينة للمحاج الجيد.

(**) قالت إحدى الموظفات أن المحاج البارع هو «القادر على مواجهة أى شخص بآرائه فيه»، وقال آخرى: «أن يكون جريئًا ولا يخجل من التعبير عن أفكاره».

اقتناعه برأى ما، ويرفض الضغوط التى يمارسها عليه لانتزاع موافقته على ما يريد. وأخيرًا جاء « التأكد من الفهم » (٠,٤٢) حيث يتضمن سلوكيات قوامها تلخيص ما قاله الفرد أو ما قاله الآخر فى نهاية الحديث للتأكد من الفهم المشترك، وتوجيه المزيد من الأسئلة وترك فرصة كافية للآخر للإجابة عنها حتى يفهم وجهة نظره بصورة دقيقة. يشير هذا العامل إلى قدرة الفرد على إصدار سلوك مؤكد للذات إبان المحاجة يتمثل فى توجيه مسارها، وضبط سياقها، وعدم التوانى فى إخبار الطرف الآخر بمظاهر تناقضه وعدم اتساقه إبانها بل والتشكيك فى صحة بعض ما يدعيه وهو ما يمكن تسميته بعامل «**المبادأة والتوكيد الحجاجى**» بعد أن فرغنا من استعراض العوامل التى تشبعت عليها مكونات المحاجة لدى أفراد العينة الكلية ننتقل لنلقى نظرة أكثر تفصيلاً على العوامل الخاصة بعينتى الذكور والإناث كل على حدة.

أ - عوامل الذكور:

يوضح الجدول التالى رقم (٦) العوامل المهمة التى تشبعت عليها المكونات الفرعية لسلوك المحاجة لدى الذكور.

جدول رقم (٦)

العوامل المدورة للذكور التى تشبعت عليها مكونات سلوك المحاجة

العينة	الأول		الثانى		الثالث		الرابع		الخامس	
م	المكون	التشبع	المكون	التشبع	المكون	التشبع	المكون	التشبع	المكون	التشبع
١	الاستفزاز	٠,٧٨	الاستشهاد والتوثيق	٠,٧١	التشكيك	٠,٦٧	فحص طبيعة العلاقات	٠,٧٠	الحكمة الحجاجية	٠,٦٦
٢	الإرهاب الحجاجى	٠,٧٦	التمثيل والتشبيه	٠,٦٦	كشف التناقض	٠,٦٤	ضبط عملية التعميم	٠,٥٦	تحرى الدقة	٠,٦٣
٣	التحذير	٠,٧٤	التأكد من الفهم	٠,٦٥	ترتيب وإدارة الحجج	٠,٤٩	التشريح والتحرى	٠,٤٧	ضبط ومراعاة السياق	٠,٤٤
٤	القلب والمناقضة	٠,٧١	عقد المقارنات	٠,٦٣	التوكيد الحجاجى	٠,٤٦	التوكيد الحجاجى	٠,٤٣		
٥	التعمية والمراوغة	٠,٦٩	إبراز الجوانب الإيجابية	٠,٦٠	حصر قوائم الحجج السلبية والإيجابية	٠,٤٣				
٦	التشتيت	٠,٦٥	حصر قوائم الحجج السلبية والإيجابية	٠,٥٧	الاستدراج	٠,٤١				
٧	الإبداع الحجاجى	٠,٥٩	ضبط ومراعاة السياق	٠,٥٠						
٨	المداهنة	٠,٥٨	الإرهاب الحجاجى	٠,٤٣						
٩	الاستدراج	٠,٥٦	تحرى الدقة الحجاجية	٠,٤١						
١٠	الإنهاك الحجاجى	٠,٥٤								
١١	إعادة هيكلة الموضوع	٠,٥٤								
١٢	ترتيب وإدارة الحجج	٠,٥٠								
	الجذر الكامن	٧,٣		٧,٤		١,٢		١,١		١
	التباين العاملى	٢٦,٢٪		١٦,٧٪		٤,٢٪		٣,٩٪		٣,٧٪

يتضح من الجدول رقم (٦) أن هناك خمسة عوامل لسلوك المحاجة لدى الذكور سنعرض لها بشيء من التفصيل على النحو التالى :

- العامل الأول:

حين نفحص طبيعة المحتوى السلوكى للمكونات المشبعة على هذا العامل سنجدها متشابهة إلى حد كبير مع تلك التى تشبعت علي العامل الأول فى العينة الكلية، والتى كان يغلب عليها طابع التفنيد الهجومى للهيمنة علي الطرف الآخر حيث تتضمن سعى الفرد إلى تفنيد ومهاجمة حجج الطرف الآخر، بشراسة أحياناً، بطرق مختلفة منها استفزازه، وإرهابه، وتعجيزه، ومناقضة ما يقول، وتشتيته، وإنهاكه، واستدراجه لمزيد من الأخطاء، وإن لم يفلح ذلك فمحاولة إعادة تأطير الموضوع، والنظر إليه من زوايا مختلفة أخرى، أو مداهنته لكسب وده، ويمكن أن يطلق عليه عامل « **الهيمنة الحجاجية** ».

- العامل الثانى:

يشير مضمون المتغيرات المشبعة على هذا العامل إلى أن الفرد يحاول إقناع الطرف الآخر بمحتوى حججه من خلال استخدام أساليب من قبيل الاستشهاد بأقوال آخرين ذوى أهمية، وضرب الأمثال، وعقد المقارنات، وإبراز المزايا المترتبة علي قبول حجته مع بيان أوجه النقد الموجهة إليها والرد عليها ليزداد اقتناع الطرف الآخر بها كضرب من ضروب الموضوعية، وتحرى الدقة ومراعاة السياق الذى يتحدث فى ظله حتى يبدو أكثر عقلانية (*)، ويمكن بناء على ذلك تسمية هذا العامل «**الإقناع الحجاجي**».

- العامل الثالث :

تشبع على هذا العامل ستة مكونات فرعية ويشير محتواها إلى قيام الفرد بالتشكيك فى الوقائع والأحداث التى يرويها الطرف الآخر، وفى المصادر التى يعتمد

(*) ومن أبرز وسائله في ذلك أن «يقدم الأدلة والبراهين على صحة ما يقول» كما ذكر أحد الطلاب.

عليها لإضفاء مصداقية على ما يقول، وكشف تهافت حججه دونما تهيب ومطالبته بالإتيان بأدلة كافية على صحة ما يدعى، وتقديم قائمة بالحجج المنافية لما يطرحه هذا الطرف، والمؤيدة لما يدعيه هو بصورة منظمة على نحو ينطوى على المبادأة ويمكن بناء على ذلك تسمية هذا العامل « **المبادأة الحجاجية** ».

- العامل الرابع:

استوعب (٩٣,٪) من التباين العاملى، وبلغ جذره الكامن (١,١)، وتعد المكونات المشبعة عليه ذات طبيعة استدلالية منطقية أولها فحص وبيان طبيعة العلاقات بين المتغيرات والظواهر موضوع الحجاج (٠,٠٧)، وكشف عمليات التعميم المفرط (٠,٥٦)، وتجنب ارتكاب مثل هذا النمط من الأخطاء الاستدلالية، وتحليل الحجج إلى عناصرها الأولية (٠,٤٧) دونما وجل أو تهيب من الطرف الآخر ويمكن تسميته بعامل « **الاستدلال الحجاجى** ».

- العامل الخامس:

أستوعب (٣,٧٪) من التباين العاملى، وبلغ جذره الكامن (١)، وتشبع عليه ثلاثة مكونات هى الحكمة الحجاجية، وتحرى الدقة، وضبط ومراعاة السياق، ويعكس حرص المحاج على أن يبدو فى صورة الشخص المتزن والمتروى المراعى لمتطلبات السياق، والمتجنب اجتزاء وقائع منه لخدمة أغراض مؤقتة على حساب الدقة والموضوعية ويمكن تسميته عامل « **الحكمة الحجاجية** ».

- عوامل الإناث:

يوضح الجدول التالى رقم (٧) أبرز العوامل التى تشبعت عليها مكونات المحاجة لدى الإناث.

جدول رقم (٧)

العوامل المدورة لتشبعات مكونات سلوك المحاجة لدى الإناث

العينة	الأول		الثانى		الثالث		الرابع	
م	المكون	التشبع	المكون	التشبع	المكون	التشبع	المكون	التشبع
١	القلب والمناقضة	٠,٧٦	ضبط ومراعاة السياق	٠,٦٩	التمثيل والتشبيه	١٣	التشتيت	٠,٦١
٢	الاستفزاز	٠,٧٦	التوكيد الحجاجى	٠,٦٦	الاستشهاد والتوثيق			
٣	الإنهاك الحجاجى	٠,٧٤	تحرى الدقة	٠,٦٣	التشريح والتجزىء			
٤	التعجيز	٠,٧١	ضبط عملية التعميم	٠,٥٧	عقد المقارنات			
٥	الإرهاب الحجاجى	٠,٧٠	توجيه مسار المحاجة	٠,٥٦	إبراز الجوانب الإيجابية			
٦	ترتيب وإدارة الحجج	٠,٦٩	الحكمة الحجاجية	٠,٥٣	إعادة هيكلة الموضوع			
٧	التعميه والمراوغة	٠,٦٩	فحص طبيعة العلاقات	٠,٥٢	الحكمة الحجاجية			
٨	الاستدراج	٠,٦٢	التشكيك	٠,٥١				
٩	الداهمة	٠,٦١	كشف التناقض	٠,٤٧				
١٠	الإبداع الحجاجى	٠,٥٨	التأكد من الفهم	٠,٤٢				
١١	كشف التناقض	٠,٥٧						
١٢	إعادة هيكلة الموضوع	٠,٥٤						
١٣	حصر قوائم الحجج السلبية والإيجابية	٠,٥١						
١٤	التشكيك	٠,٤٦						
١٥	التشتيت	٠,٤٤						
	الجذر الكامن	٩,٦	الجذر الكامن	٣,٦	الجذر الكامن	١,٢	الجذر الكامن	١
	التباين العاملى	٪٣٠,٧	التباين العاملى	٪١٢,٩	التباين العاملى	٪٤,٥	التباين العاملى	٪٣,٧

يكشف الجدول رقم (٧) عن وجود أربعة عوامل تشبعت عليها مكونات المحاجة لدى الإناث هى :

- العامل الأول:

استوعب هذا العامل (٣٠,٧٪) من التباين العاملى، وبلغ جذره الكامن (٩,٦١)، وتشبع عليه بشكل دال (١٥) مكون تشبه بدرجة كبيرة تلك التى تشبعت على العامل الأول للذكور، وللعينة العامة، مما يوحى بمدى أهمية واتساق هذا العامل، وشيوعه أيضًا، ويشير محتوى المكونات المشبعة عليه، كما ذكرنا آنفًا، إلى لجوء المحاج إلى ممارسات تؤدى إلى تفنيد حجج الطرف الآخر من قبيل المناقضة، والاستفزاز، والتعجيز، والإنهاك، والإرهاب الحجاجى بيد أن هناك سبلاً أخرى فى جعبته يتم إبرازها فى الوقت المناسب من قبيل المراوغة، والتعمية، والاستدراج، والمداهنة، وذلك بصورة منطقية أحيانًا ومبدعة أحيانًا أخرى تعتمد على كشف التناقض وإعادة هيكلة الموضوع، ويمكن تسميته بعامل «**الهيمنة الحجاجية**».

- العامل الثانى:

استوعب (١٢,٩٪) من التباين العاملى، وبلغ جذره الكامن (٣,٦) وقد تشبع عليه عشرة مكونات كما يوضح ذلك الجدول رقم (٦) وحين نستقرئ طبيعة تلك المكونات سنجد أنها تعكس حرص الفرد على ضبط ومراعاة خصائص وملابسات السياق المحيط بالموقف المتصل بالحجة، والإفصاح عما يريد قوله بوضوح للطرف الآخر (*)، وتحرى الدقة، وتجنب التعميم المفرط، والعمل على توجيه مسار المحاجة، ولكن بصورة حكيمة، لا تنطوى على قهر، ومنطقية من خلال فحص طبيعة العلاقات بين الظواهر، وكشف التناقض فى حجج الطرف الآخر ومواقفه، والتشكيك فيها. ويمكن تسمية هذا العامل « **العقلانية الحجاجية** ».

(*) وذلك من واقع كلام إحدى الموظفات: «من خلال استخدام اسلوب رصين بسيط دونما فلسفة».

- **العامل الثالث:**

استوعب (٤,٥٪) من التباين العاملى للمصفوفة، وبلغ جذره الكامن (١,٣)، وتشبع عليه بصورة دالة سبعة مكونات يشير محتواها إلى استخدام أساليب للإقناع تعتمد على ضرب الأمثلة والتشبيهات، والاستشهاد بالأقوال المأثورة، وعقد المقارنات، وتحليل الحجج إلى عناصرها الأولية، وإبراز الجوانب الإيجابية فى حججه، واستمالة الطرف الآخر لها بصورة هادئة، والاحتفاظ باتزانه أثناء ذلك، والتعامل بحكمة معه، ويمكن تسميته بعامل « **الاستمالة الحجاجية** ».

- **العامل الرابع:**

استوعب (٣,٧٪) من التباين العاملى، وبلغ جذره الكامن (١)، وتشبع عليه مكون واحد بدرجة مقبولة، وفق الشروط الموضوعة سلفًا بمقدار (٠,٦١) وهو التشتت، أما المكونات الأخرى فكان تشبعها أقل من (٠,٤)، ومن ثم لن نتطرق لتفسير مدلولاته النفسية.

عقب أن عرضنا لأبرز العوامل التى تشبعت عليها مكونات سلوك المحاجة لدى كل من الذكور والإناث نجد من المهم عقد مقارنة بينهما للكشف عن جوانب التشابه والاختلاف فى عواملها. ويوضح الجدول التالى رقم (٨) عوامل كل منهما، ومقدار تباينها العاملى، ومعامل التشابه بينهما.

جدول رقم (٨)

مقارنة مسمى عوامل الذكور والإناث ومعامل التشابه بينها

النوع	ذكور		إناث		معامل التشابه بينهما
م	العامل	التباين	العامل	التباين	
١	الهيمنة الحجاجية	٢٦,٢ ٪	الهيمنة الحجاجية	٣٠,٧ ٪	٠,٩٠
٢	الإقناع الحجاجى	١٦,٧ ٪	العقلانية الحجاجية	١٢,٩ ٪	٠,٧١
٣	المبادأة الحجاجية	٤,٢ ٪	الاستمالة الحجاجية	٤,٥ ٪	٠,٧٨
٤	الاستدلال الحجاجى	٣,٩ ٪	الإنهاك	٣,٧ ٪	
٥	الحكمة الحجاجية	٣,٧ ٪			

تشير نتائج الجدول السابق إلى وجود معاملات تشابه كبيرة نسبيا بين العوامل ذات التباين العاملى الكبير أى ذات الأهمية النفسية لدى كل منهما (الأول والثانى)، وهو ما يوحى بأن كلاً من الذكور والإناث يلجأ - بشكل عام - إلى استراتيجيات حجاجية متشابهة تقوم فى المقام الأول على التفنيد ومحاولة دحض وإفحام الطرف الآخر ثم إقناعه بما يريدون بعد ذلك بطريقة تمزج بين العقلانية - المنطقية والاستمالة الوجدانية، وأن الاختلافات بينهما تكمن فى العوامل الأقل أهمية نفسيا حيث يغلب لدى الذكور عنصر المبادأة والاستدلال والحكمة الحجاجية فى حين أن عامل الاستمالة أكثر بروزًا لدى الإناث.

مناقشة النتائج:

حين ننظر نظرة متفحصة فى نتائج هذه الدراسة سنجد أنه بإمكاننا وضع أيدينا على العديد من النقاط التى من شأن تمثلها الإسهام فى تعميق فهمنا لطوبوغرافيا السلوك الحجاجى ودلالاته الثقافية بصورة أفضل، وتتمثل تلك النقاط فيما يلى :

١- **تبين أن** العامل الأكثر أهمية الذى تنتظم فيه مكونات السلوك الحجاجى ومهاراته الفرعية، والأكثر استخدامًا وشيوعًا سواء لدى أفراد العينة الكلية، أو لدى الذكور أو الإناث، وهم من ذوى مستويات التعليم المرتفعة، هو عامل الهيمنة الحجاجية، أو بلغة أخرى التفنيد الهجومى لحجج الطرف الآخر لإفحامه، والذى يعكس ميلاً لدى المحاج إلى تفنيد حجج الطرف الآخر من خلال استخدام أساليب متعددة ذات طابع هجومى عادة تتمثل فى المناقضة، والاستفزاز، والتخويف، والتعجيز، والتشتيت، والاستدراج، وكشف التناقض، مما يعنى أنه يركز فى المقام الأول على دحض حجج الآخر، والهجوم عليها بدرجة أكبر من اهتمامه بإقناعه بالحجج التى يطرحها عليه، وهو أسلوب من شأنه إثارة حساسية الطرف الآخر، وإيجاد مناخ يساعد على تحول عملية المحاجة إلى نزاع لفظى مما يقلل من

احتمالات الوصول إلى نقطة سواء لحل الخلاف بين الطرفين حول المسألة مناط الحوار. ترى هل تعد هذه الظاهرة ظاهرة غير صحية ؟ أم أن طبيعة الموقف كما يقول « سلاشر واندرسون » - تملى ذلك النمط من السلوك ذلك أن إقناع الفرد بقبول معلومات جديدة وتغيير موقفه حولها يبدو أنه يصبح مهمة أكثر صعوبة حين يكون لديه تصورات ومعتقدات مسبقة مقتنعًا بها حولها لأن المسألة حينئذ لن تكون مجرد إقناعه بصحة تلك المعلومات، بل يجب إقناعه أولا بضرورة التخلى عن معتقداته القديمة وخاصة حين يكون مقتنعًا بها بأدلة منطقية (Slusher & Anderson, 1996)، أى أنه يجب بذل مجهود مضاعف لتفنيد الحجج التى يتبناها الطرف الآخر قبل إقناعه بالحجج التى يطرحها عليه.

٢- أتى عامل الإقناع باستخدام عمليات الاستدلال المنطقى والتى تعد من أكثر أنشطة حل المشكلات أهمية بما تتضمنه من عمليات تعميم وتمثيل واستنباط (Nesbett et al , 1983) فى الدرجة الثانية من الأهمية سواء فى العينة الكلية، أو العينتين الفرعيتين للذكور والإناث، ويبدو أن هذه النتيجة متسقة مع التسلسل المنطقى لمسار المحاجة فالفرد يبدأ أولاً بتفنيد حجج الآخر ثم يشرع بعد ذلك فى إقناعه بما لديه من حجج، وقد اتضح فى هذا الصدد أن هناك مهارات وسلوكيات حجاجية شائعة الاستخدام تتمثل فى فحص العلاقات بين الظواهر والتى قد تأخذ أشكالاً متنوعة منها : التناقض، والتضاد، والتضايف، والتماثل، والتعدى، (سالم، ب. ت)، بالإضافة إلى ضبط عملية التعميم، وتحليل الحجة إلى عناصرها الأولية، وعقد المقارنات بين الظواهر والأحداث وتوخى الدقة فى البيانات المقدمة، وضرب الأمثال، والاستعانة بالأقوال المأثورة، والمضاهاة وعقد المقارنات، وفيما يتصل بالمضاهاة فهى تنطوى - بدورها - على عمليات استدلالية يتم بموجبها فهم المواقف الجديدة من خلال ربطها بمواقف مألوفة سابقة (Holyoak & Thagard, 1997). ومما يجدر ملاحظته فى هذا المقام أن الجانب الإقناعى له وزن أقل فى تلك العملية

بشكل عام من الجانب التفنيدى. ترى هل هذه سمة ثقافية لعمليات المحاجة فى السياق الثقافى المصرى ؟

٣- **برزعامل** الاستمالة الحجاجية، والذى تتمثل أهميته كما يوضح «كرونك» فى أنه حين يريد الفرد إقناع آخر بشىء ما يجب أن يتضمن كلامه أكثر من المنطق حتى يتولد لديه الرغبة فى الاقتناع بما يقال له (Cronbeck et al , 1990 ,413) - كعامل له أهمية نفسية قليلة كما كشف عن ذلك حجم تباينه العاملى الضئيل، على نحو يبدو معه أنه لا يستخدم إلا فى حدود ضيقة، كوسيلة إضافية مساندة لعمليات الإقناع المنطقى، لتخفيف حدة الآثار السلبية لعمليات التفنيد الهجومى، وخاصة لدى الإناث، أى أنه عامل ملطف لعملية المحاجة. وفى المقابل ظهر عامل المبادأة والتوكيد الحجاجى، وإن كانت أهميته النفسية ضئيلة أيضًا، مما يعنى أن عمليات إقناع الطرف الآخر ومواجهته دونما توتر، أو حدة، غير شائعة، وهو ما يعنى انخفاض احتمال تخفيف شدة الانفعالات المستثارة أثناء المحاجة أو غياب العوامل الملطفة للمناخ الحجاجى، وهو ما يزيد احتمال إنهائها دونما الوصول إلى النتيجة المرجوة أو العائد الفعال.

٤- **تشيرالنتائج** الخاصة بالفروق بين الذكور والإناث فى مهارات المحاجة إلى أن ثمة تشابها ملحوظًا، بل وكبيرًا، بينهما فى تلك المهارات بشكل عام فكلاهما يركز على عملية التفنيد الهجومى لحجج الطرف الآخر، ويأتى فى المقام الثانى فى الأهمية الإقناع المنطقى بالأساليب الاستدلالية، وليس العكس، مع أن الإقناع أكثر صعوبة من التفنيد ويحتاج لجهود أكثر، كما البناء والهدم. أما العوامل الأخرى التى يختلفون فيها فهى، بشكل عام، ذات وزن نفسى أقل، من قبيل أن عامل المبادأة والتوكيد الحجاجى كان أكثر بروزًا لدى الذكور. فى حين أن عامل الاستمالة الحجاجية كان أكثر ظهورًا لدى الإناث. ترى هل تعزى هذه الفروق إلى ميل كل طرف إلى أن يكون متسقًا مع الصورة الاجتماعية له كمحاج فالرجل يجب أن يكون مبادئًا والمرأة مُهدِّئة ؟ أى أنه يمكننا القول، بصورة عامة، إننا إزاء استراتيجية

وعقلية حجاجية تكاد تكون واحدة بغض النظر عن نوع الفرد الذى يمارسها، ذكرًا كان أو أنثى، وقد يعزى هذا إلى أننا نتعامل مع عينات متجانسة تعليميا، ويتعرضون بصورة تكاد تكون متشابهة إلى وسائل الإعلام، والتى من أهدافها كما يشير « بروينر وسميث » Brunner & Smith تحسين مهارات الاستدلال والمهارات الاتصالية (Hobbs, 1998)، وينتمون إلى جماعات مرجعية متجانسة، وسياق ثقافى واحد، يضاف إلى ذلك أن ثمة تحولات قد حدثت لدى المرأة المصرية جعلتها أكثر توظيفًا لقدراتها العقلية، ومهاراتها الحجاجية، وخاصة فى ظل الفرص المتزايدة للتفاعل مع الآخرين، والتعرض المتكافئ للمؤثرات البيئية - الثقافية مما يعمل على تنمية واستثارة تلك المهارات لديها. بيد أنه من الضرورى الإشارة إلى أن نتائج بعض البحوث التى أجريت فى ثقافات أخرى أشارت إلى أن النساء أقل قدرة على المحاجة من الرجال (Walters et al , 1998)، وهو ما يدعونا إلى التساؤل عما إذا كانت هناك عوامل تمارس دورًا معدلاً لتلك الفروق كالتعليم أو العمل فعلى سبيل المثال قد تتضاءل الفروق فى ظل مستوى التعليم المرتفع بينهما، وتزداد فى ظل المستويات المنخفضة منه ؟

٥ - **ظهر تأثير** متغير السياق الثقافى جليا فى ثنايا نتائج الدراسة، ومن مؤشرات ذلك أنه يبدو أن هناك طابع ثقافيا لعمليات المحاجة فى الثقافة المصرية جسده أداء أفراد العينة - مع الاعتراف بعدم تمثيلها بصورة دقيقة للمجتمع ككل - قوامه وجود غلبة لسلوكيات التفنيد الهجومى لحجج الطرف الآخر على السلوكيات الرامية لإقناعه أو استمالته لتبنى والموافقة على حجج الفرد، ووجود تشبعات إيجابية دالة عليها لمكونات ذات طابع سلبى كالاستقرار، والتشتيت، والتعجيز، والتخويف، والتعمية مما يعنى أن عملية المحاجة يغلب عليها الطابع الصراعى أو يسهل تحولها إلى نزاع فى ظل هذه الممارسات، ومما يثير الاستغراب أيضًا أن هذه الأساليب العدائية فِى الحجاج، التى يزيد المكون الهجومى الاستثارى فيها، تصدر

عن أفراد مرتفعى التعليم (*)، ذكورًا وإناثًا، مما يحدو بنا للتساؤل عن الشكل الذى ستكون عليه السلوكيات الحجاجية لدى منخفضى التعليم أو غير المتعلمين ابتداء؟

وظهر أيضًا الغياب النسبى لمكون المبادأة والتوكيد الحجاجى مما يعنى أن الطرف الآخر عليه أن يبدأ أولا، فضلا على الغياب النسبى لعمليات المصارحة وطرح الاستفسارات، والتراجع العلنى عن الآراء التى يعتقد الفرد - كنتيجة للمناقشة - عدم صحتها، ولعل هذا يفسر صعوبة الاشتراك فى والاستمرار فى عمليات محاجة منتجة يمكن حدوث تحولات فى آراء الفرد فى أعقابها، ما دام يدرك أن الآخر حريص على إكراهه على تبنى وجهات نظره وآرائه، وليس ثمة جهد مشترك من الطرفين لإفساح المجال لعمليات الاستكشاف المتبادل لحجج كل طرف، وتلقيحها للوصول إلى آراء جديدة بل إنه يلمس، فى المقابل، حرصًا من ذلك الطرف، قد لا يكون منطقيا، إلى تفنيد ما يقوله أولاً دونما محاولة لاستيعابه وتمثله بصورة كافية، وحين ننتقل، على الجانب الآخر، لتحليل طبيعة السلوكيات الحجاجية فى بعض الثقافات الأخرى للوقوف على طبيعتها، سنجد فروقًا ملحوظة، فعلى سبيل المثال يميل اليابانيون، بشكل عام، إلى تجنب الانخراط فى محاجة مع الآخر بصورة مباشرة أو تفنيد حججه بل يسعون إلى استكشافها أولاً، والبحث عن صيغ بديلة لتطويرها وتنقيحها للوصول إلى حجج جديدة (دى بونو، ١٩٩٦، ٤١ - ٤٢).

٦- **من المفيد** فى هذا السياق التنويه إلى عدد من مؤشرات صدق أداة الدراسة الرئيسية (مقياس أبعاد سلوك المحاجة) التى أثمرتها نتائجها، ومنها أن المكونات الفرعية التى توصلنا إليها وتم تضمينها فى المقياس تشابهت مع العديد من المكونات التى تم استغلالها فى دراسة سابقة أجراها الباحثان قاما فيها بتحليل مضمون (٦٦) محاورة (محاجة) حدثت فى الماضى والحاضر سواء فى إبان ازدهار الحضارة اليونانية أو الإسلامية، والأوربية، والعربية والمصرية الحديثة والمعاصرة (شحاته،

(*) من شواهد ذلك أن أحد الطلاب الجامعيين ذكر أن من صفات المحاج البارع أن «يهاجم آراء الآخرين دائمًا».

وشوقى، ١٩٩٧)، يضاف إلى ذلك أن البناء العاملى لمكونات سلوك المحاجة فى العينة الكلية اشتمل على عوامل فرعية مثلما كان متوقعًا، وتبين أن هذه الأبعاد تتسق أيضًا مع التعريف الإجرائى للمحاجة والذى يشير إلى قيام الفرد بتفنيد حجج الطرف الآخر وإقناعه بما يتبناه من حجج، وهو ما يتطلب المواجهة وما تستدعيه من مبادأة وتوكيد، وهو ما وجدناه بالفعل من عوامل فى تلك العينة مما يعد مؤشرًا للصدق العاملى للأداة.

أخيرًا. وبعد أن وقفنا على أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج نعتقد أنها مفيدة، يمكن النظر إليها والتعامل معها بوصفها نقطة ارتكاز وخط أساس لبحوث لاحقة لارتياد ميدان الدراسات البنائية والدينامية للسلوك الحجاجى - يعن لنا اقتراح عدد من **النقاط البحثية** التى يجب الاهتمام بدراستها مستقبلاً، والتى لم نتمكن من الإحاطة بها بطبيعة الحال فى هذه الدراسة، نظرًا لمحدودية جهودنا وتحديد مجال اهتمامنا الحيوى فيها، وتتمثل **هذه النقاط** فى :

• **الكشف عن** أنماط سلوك المحاجة فى الثقافة المصرية، والتى تنتج عن التفاعل بين الأبعاد الرئيسية للمحاجة، فعلى سبيل المثال حين يحصل فرد على درجة مرتفعة على بعدين منها (التفنيد - والمبادأة) ومنخفضة على البعدين الآخرين (الإقناع والاستدلال) سيكون له نمط حجاجى مختلف عن الذى يحصل على درجة منخفضة على الأولين ومرتفعة على الآخرين، فالأول سيمكن وصفه بالنمط الحجاجى المهيمن، والثانى العقلانى - المنطقى، ومن ثم يمكننا بناء على هذا التصور تحديد طبيعة الأنماط السائدة فى الثقافة، وهو ما يساعدنا، لاحقًا، فى فهم الأسس النفسية لعمليات المحاجة المرتبطة بهذه الأنماط فضلاً على تخطيط سياسات التعديل الاجتماعى للسلوك الحجاجى.

• **رصد طبيعة** الفروق داخل الثقافات الفرعية (ريف، حضر) فى أبعاد سلوك المحاجة للوقوف على مدى تأثير متغير الثقافة الفرعية فى تشكيل أبعاد سلوك

المحاجة، وهو ما لم نتمكن من بحثه فى الدراسة الحالية نظرًا للطبيعة النوعية لأهدافها. ولا يفوتنا فى هذا المقام أيضًا الإشارة إلى أهمية أن تمتد جهودنا لتكشف عن الفروق فى تلك الأبعاد عبر الثقافات العالمية بوجه عام، والعربية بوجه خاص، للتأكد مما إذا كان هناك ثبات نسبى لتلك الأبعاد عبرها، مثلما الحال فى أبعاد الشخصية، أم لا ؟. ومن المحبذ أيضًا دراسة تأثير بعض المتغيرات الأخرى المتوقع أن تمارس إما دورًا معدلاً لتأثير الثقافة فى أبعاد المحاجة، أو تؤثر مباشرة فى تلك الأبعاد من قبيل متغير مستوى التعليم، والدين.

- **تأثيرالعمر** على البناء العاملى لأبعاد سلوك المحاجة، فهل تحدث تحولات جوهرية فى السلوكيات والمهارات الحجاجية عبر الزمن داخل نفس الأفراد أم لا ؟، وإن كان ذلك صحيحًا، فهل تلك التغيرات تأخذ منحى ارتقائيًا أم لا ؟ وإن كان ثم تحسن فهل هذا التحسن عام أم نوعى ؟، وما هى طبيعة المبيان الارتقائى لها عبر الشرائح العمرية المختلفة ؟، وما هو الدور المعدل لمتغير التعليم والتنشيط الثقافى والفكرى فى تلك العملية ؟

كل هذه القضايا تحتاج إلى إجابات موضوعية، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال إجراء برنامج بحثى نظامى للتثبت منها. وهو ما نأمل القيام به مستقبلاً بإذن الله.



قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا - المراجع العربية:

- ابن سينا، أبو على (١٩٦٦) تحقيق : عبد الرحمن بدوى، **الشفاء:المنطق ٩- الشعر**، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر.

- ابن عقيل الحنبلى، أبو الوفاء على (ب، ت) **كتاب الجدل على طريقة الفقهاء**، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية.

- أفلاطون (١٩٦٦) ترجمة : زكى نجيب محمود، **محاورات أفلاطون : أوطيفرون الدفاع - أقريطون - أفيدون** : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- أفلاطون (١٩٧٠) ترجمة : محمد حسن ظاظا، **محاورة جورجياس**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- الألمعى، زاهر عواض (١٤٠٤ هـ) **مناهج الجدل فى القرآن الكريم**، (ط٣١)، الرياض : مطابع الفرزدق التجارية.

- برايس، لوسيان (١٩٦١) ترجمة : محمود محمود، **محاورات الفرد نورث هوايتهد**، القاهرة : دار المعرفة.

- تارسكى، الفرد (١٩٧٠) ترجمة : عزمى إسلام، **مقدمة للمنطق ولمنهج البحث فى العلوم الاستدلالية**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- الجليند، محمد السيد (١٩٨٦) **نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان. دراسة مقارنة لخصائص البرهان الفلسفى والقرآنى**، القاهرة : مطبعة التقدم.

- خليفة، عبد اللطيف وشحاتة، عبد المنعم (١٩٩٢)، **سيكولوجية الاتجاهات**، القاهرة : دار غريب.

- الدبوسى، عبيد الله بن عمر (ب، ت) **تأسيس النظر**، القاهرة : مطبعة الإمام.

- دى بونو، إدوارد (١٩٩٦) ترجمة فاطمة السنوسى، **الصراعات : أفضل السبل لحلها**، أبو ظبى، منشورات المجمع الثقافى.

- رسل، برتراند (١٩٧٦) ترجمة : جلال العشرى، **محاورات برتراندرسل**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- سالم، محمد عزيز نظمى (ب، ت) **المنطق وأشكاله**، الإسكندرية : مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية.

- سولسو، روبرت (١٩٩٦) ترجمة : محمد الصبوة، مصطفى محمد كامل ومحمد الحساتين الدق، **علم النفس المعرفى**، الكويت : دار الفكر الحديث.

- شحاته، عبد المنعم وشوقى، طريف (١٩٩٧)، مكونات المحاجة : دراسة فى تحليل مضمون بعض المحاورات الفكرية، **المجلة العلمية لكلية الآداب المنوفية**، ج ٣٠، ١٦٧ - ١٩٩.

- الشيرازى، أبو إسحاق (١٩٨٨) تحقيق، عبد المجيد تركى، **المعونة فى الجدل**، بيروت : دار الغرب الإسلامى.

- العبد، محمد عبد اللطيف (١٩٧٨)، **التفكير المنطقى**، القاهرة : دار النهضة العربية.

- الفارابى، أبو نصر (١٩٧٦) تحقيق : محمد سليم سالم، **كتاب فى المنطق، الخطابة**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الفندى، محمد ثابت (١٩٨٢) **محاضرات فى مناهج العلوم التجريبية**، بيروت : مكتبة كريدية إخوان.

ثانيا - المراجع الأجنبية :

- Antaki , C & Leudar, I (1992) Explaining in conversation : towards an argument model, ***European journal of Social psychology*** , 22, 181-194.

- Comrey, A , L. (1978) common methodological problems in factor analytic studies, ***journal of consulting & clinical psychology***, 46, 4, 648 - 669 .

- Cronbeck , B, E, ; Mckerrow, E; Ehninger, D. & Monroe, A, H (1990) ***principles and types of speech conmunication*** (IIed), London : Scott, foresman and company .

- Goldthwaite, D (1997) Knowledge of pragmatic. Conversational structure, ***journal of psycholanguistic Research***, 26, 5, 497 - 508 .

- Hilton , D. J (1990) conversational processes and causal explanation , ***psychological Bulletin*** . 197 , 1, 65 - 81 .

- Hilton , d (1995) The social context of reasoning : conversational infer ence and rational judgment , ***psychological Bulletin***, 118, 2, 248 - 2741.

- Hobbs, & (1998) the seven great debates in the media,movement , ***journal of communication*** . Winter, 16- 32 .

- Holyoak , K, J & Thagard, p (1997) The analogical mind , ***American psychologist*** , journal , 52 , 2, 178 - 182 .

- Hyman , R (1995) How to critique a published article , ***psychological Bulletin*** , 118 , 2, 178 - 182 .

- Infante , D, A, & Rancer, A , S , (1982) A conceptualization and measuer of argumentativeness, *journal of personality assessment* , 46, 72 - 80 .
- Nisbett , R, E.; Krantz, D, H; jepson , C. & Kunda, Z . (1983) The use of statistical heuristics in everyday inductive reasoning, *psychological Review*, 90 , 4, 339 - 363 .
- Nofsinger, R, E, (1991) *Everday Conversation*, London: Sage publications .
- Rips , L, J (1998) Reasoning and conviction , *psychological Review* , 109 , 3, 411 - 441 .
- Roskos - woldsen , D, R, (1997) implicit theories of persuasion , ***Human communication Research*** , 24, 1, september, 1, 31 - 63 .
- Slusher, M, R & Anderson, : C, A (1996) using causal persuasive arguments to chang beliefs and teach new information: the mediating role of explanation availability and evaluation biase in the acceptance of knowledge, ***journal of Educational psychology*** , 37 , 110 - 122 .
- Woldrom, V, R & applegate, J, L, (1994) Interpersonal construct differentiative and converstional planning : an examination of two cognitive accounts for the production of competent verbal disagreement tactics , ***Human communication Research*** , 21 . 1. september , 3- 35 .
- Walters , A , E; stuhlmacher, A, F. & Meyer, L, L (1998) gender and negatiator competitiveness : A meta analysis , ***organezational and behavior and Human decision processes*** 7, 6, 1- 29 .
- Weiner, B (1985) spontaneous causal thinking, ***psychological Bulletin*** , 97, 1, 74 - 84.

الملاحـــق :

مقياس أبعاد سلوك المحاجة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القاهرة
كلية آداب بني سويف
قسم علم النفس

الإخوة الأعزاء ،،،

نقوم بإجراء دراسة حول أبعاد سلوك المحاجة والتى يعرفها الباحثون بأنها.. «قدرة الفرد على تفنيد ودحض حجج الطرف الآخر وحثه على التخلى عنها، ثم إقناعه بتبنى الحجج والآراء التى يطرحها عليه، وذلك حين يتحاجون (يتجادلون) حول قضية خلافية ما ».

ومن المؤكد أنك عزيزى المبحوث تتناقش بصورة شبه يومية مع زملائك وأصدقائك والمحيطين بك حول قضايا خلافية متعددة، (مثل : الضرب فى المدارس – حرية الفتاة فى الأسرة – المشاركة السياسية – عطالة الشباب – الزواج المبكر)، وبطبيعة الحال فإنك تلجأ أثناء ذلك إلى استخدام مجموعة من الأساليب والسلوكيات التى تسعى من خلالها إلى إقناعهم بوجهة نظرك من جهة وعدم صواب وجهة نظرهم من الجهة الأخرى.

وسنقدم لك فيما يلى مجموعة من تلك الأساليب والسلوكيات والمرجو منك وضع علامة (√) فى العمود الذى يشير إلى معدل صدور كل منها عنك.

وتقبلوا مودتنا واحترامنا ،،،

فريق البحث

م	هذا السلوك يحدث	دائمًا	كثيرًا	أحيانًا	قليلاً	نادرًا
١	أستدل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمأثورات الدينية للبرهنة على صحة ما أقول.					
٢	أراجع المعلومات (الأرقام والتواريخ) التي يقدمها الطرف الآخر للتأكد من دقتها وعدم تناقضها مع الحقائق الثابتة.					
٣	أطالب الطرف الآخر بتحديد الملابسات المحيطة بالموضوع الذي نتحدث بشأنه حتى نفهمه على نحو دقيق.					
٤	أعيد طرح نفس السؤال على الطرف الآخر في فترة لاحقة بصيغة أخرى حتى أكشف عن تناقضه في حالة اختلاف إجاباته.					
٥	ألمح إلى عدم موثوقية المصادر التي ينقل عنها الآخر أقوالاً يدعم بها حجته.					
٦	أدعي عدم الفهم لاستدراج من يتحاج معي إلى ذكر تفاصيل قد توقعه في الخطأ.					
٧	أتعمد إثارة من يحاجني حتى ينفعل ويصبح تفكيره غير منظم فيسهل علي إضعاف موقفه.					
٨	أتصيد أحد أقوال أو أحكام الطرف الآخر وأضخمها لتبدو متطرفة لأشهر به.					
٩	أغرق الطرف الآخر في تفاصيل كثيرة حتى أبعده عن أصل السؤال الذي وجهه لي ولا أريد الإجابه عنه.					
١٠	أستخدم ألفاظا مُبهمة تفهم على أكثر من وجه حين أعتقد أن ذلك مفيد.					
١١	لا أتوانى عن إخبار الطرف الآخر بأن هناك بعض المغالطات في كلامه أو أن بعض جوانب إجابته غير متعلقة بالموضوع.					
١٢	أطالب من أتحاج معه بعدم الخروج عن الموضوع الأساسي لمسائل جانبية.					
١٣	أعيد صياغة وتلخيص ما قاله الآخر حتى أتأكد من صحة فهمي له.					
١٤	إذا شعرت أن الحاجة ستثير حساسية الطرف الآخر أتوقف فورا أو أغير الموضوع حتى أخفف من حدة الموقف.					
١٥	أحلل الفكرة أو الحجة المضادة إلى عناصرها الأولية وأناقش كلاً منها على حدة.					
١٦	أفرق بين الواقعة التي يصفها من يحاورني وتفسيره لها فهما مختلفتان في مقدار صحتهما: كأن يقول إن صديقه حصل على مجموع كبير ويعزي ذلك إلى كفاءة المدرسين.					
١٧	أتجنب إطلاق أحكام عامة (تعميمات مفرطة) لأن هناك العديد من الحالات الاستثنائية التي تتعارض معها.					

م	هذا السلوك يحدث	دائمًا	كثيرًا	أحيانًا	قليلاً	نادراً
١٨	أبدأ بعرض الحجج الأقل قوة على الطرف الآخر أولا ثم الأقوى بعد ذلك حتى أنهكه فكريا.					
١٩	أحشد أكبر عدد من الحجج المؤيدة لرأيي لإقناع الطرف الآخر بما أدعي.					
٢٠	أخرج الأمر من الإطار الذى يضعه فيه الطرف الآخر وأفسره بشكل مختلف فإذا قال ، مثلا ، إن الضرائب مصدر مهم لتمويل خزانة الدولة أوضح له أن دورها الرئيسي أنها وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية.					
٢١	أضيف عنصرا جديدا لفكرة طرحها الطرف الآخر لتصبح أكثر وجاهة وإحكاما.					
٢٢	أضرب أمثلة متعددة لتوصيل المعنى بصورة واضحة وتقريبية لذهن من أتحاور معه.					
٢٣	أحاول فهم الموقف الحالي من خلال مقارنته بمواقف سابقة مشابهة.					
٢٤	أفترض أن ما يقوله الآخر خطأ ابتداء وأطالبه بإقامة الدليل على صحته.					
٢٥	أرد على السؤال الذى يطرحه من يتحاج معي بسؤال آخر.					
٢٦	أوجه بعض المدح لشخص الطرف الآخر فى بداية الحوار حتى أستميله وأقلل من مقاومته لما أقول.					
٢٧	أفترض عواقب سلبية كثيرة ستحدث فى حالة قبول حجة الطرف الآخر لكي أبرر استحالة قبولها.					
٢٨	أوضح الجوانب الإيجابية التى ترجح حجتى و تقنع الطرف الآخر بها.					
٢٩	أقتبس بعض الحكم والأمثال الشعبية وأقوال الشخصيات المشهورة لأدعم بها حجتى.					
٣٠	أتجنب قول أشياء (آراء وأحكام) ليس لدى دليل كاف على صحتها.					
٣١	أرفض أن يقتطع الآخر بعض كلماتى من سياقها ويفسرها على نحو مختلف.					
٣٢	أبحث عن الوقائع التى تتناقض مع ما يقوله الطرف الآخر لأثبت عدم صحة حجته كأن أوضح ، مثلا لمن يقول إن طلاب المدارس الحكومية أقل كفاءة أن غالبية أوائل الثانوية العامة منهم.					
٣٣	أشكك فى صحة الوقائع الشخصية التى يستعين بها الطرف الآخر لإقناعي بموقفه وأبين له تحيزها.					

م	هذا السلوك يحدث	دائمًا	كثيرًا	أحيانًا	قليلاً	نادرًا
٣٤	أوجه لمن يتحاور معي أسئلة متنوعة لكي يفيض في الحديث ومن ثم أكتشف المزيد من أخطائه.					
٣٥	أقاطع الطرف الآخر بشكل متكرر ولا أعطيه الفرصة الكافية ليعبر عن رأيه.					
٣٦	أقاطع الطرف الآخر بشكل متكرر ولا أعطيه الفرصة الكافية ليعبر عن رأيه.					
٣٧	أفترض افتراضات غير واقعية وخطيرة تترتب على قبول حجته وأعتبر هذا دليلاً على خطأ تلك الحجة.					
٣٨	أتعمد أن أكون غامضا في بعض الحالات حتي لا يترتب على أية التزامات بناء على ما أقول					
٣٩	لا أنساق في فهم الموضوع تبعا للتصور الذى يفرضه الطرف الآخر ، فمثلا إن قال إن العولمة وسيلة للارتقاء والتواصل مع الحضارات الغربية أوضح أنها محاولة من الأخير لطمس هويتنا.					
٤٠	أعارض محاولة انتقال الطرف الآخر إلى نقطة جديدة إلا بعد الانتهاء من التى نتحدث فيها أولا.					
٤١	ألخص في نهاية حديثى ما قلته حتى أتأكد من أن الطرف الآخر فهمني على نحو صحيح.					
٤٢	أتجاوز عن النقد اللاذع لشخصي وأكتفي بالرد على محتوى الحجة المضادة فقط.					
٤٣	أحلل أسباب حدوث الظواهر التى نتحدث بشأنها كخطوة أساسية للتعامل معها.					
٤٤	أفصل بين الفعل وفاعله وأنظر إلى كل منهما على حدة فمثلا ليس من الضروري أن أقتنع بالآراء السياسية لعالم أثق في كفاءته العلمية.					
٤٥	أراعي أن تكون أحكامي مشروطة وذات طابع نسبي ، فالكبت ، مثلا ، لا يولد الانفجار إلا في ظل شروط معينة.					
٤٦	أرد علي أضعف حجج الطرف الآخر أولا لإثبات ضعف موقفه وتقليل ثقته بنفسه.					
٤٧	أحرص على ذكر شهادات لأفراد من المعسكر الذى ينتمي إليه الطرف الآخر تؤيد ما أدعيه أو تعارض ما يقوله (وشهد شاهد من أهلها).					
٤٨	أعرف المفاهيم (الكلمات) المستخدمة في المحاجة بصورة أخرى غير التى يعرفها بها الطرف الآخر.					

م	هذا السلوك يحدث	دائمًا	كثيراً	أحيانًا	قليلاً	نادراً
٤٩	أستخدم عمليات التقديم و التأخير في الجملة للإيحاء بمعنى مختلف فبدلا من أن أقول ، مثلا « المرض الخبيث لفلان » أقول «مرض فلان الخبيث ».					
٥٠	أذكر قصصا رمزية توضح المعنى المراد بلوغه وأراعي أن تصف الموقف الذي أستشهد بها فيه بصورة مناسبة.					
٥١	أحكم على الظاهرة موضع الحوار من خلال مقارنة وضعها الراهن بوضعها السابق كأن أقارن مستوى تعليم المرأة قبل وبعد الثورة للحكم على مدى فعالية الثورة في هذا المجال.					
٥٢	أطالب الطرف الآخر بتفسير أشياء يعتقد أنها بديهية لكي استنزف طاقته.					
٥٣	أقدم تقديرات مضادة لتقديرات الطرف الآخر حتى أقلل من تأثيرها فإذا قال ، مثلا إن هذا العمل جيد أقول إن به أخطاء فادحة.					
٥٤	أتحدث بطريقة توحي باستحسان كلام الطرف الآخر والاتفاق معه لانتزاع موافقته على ما أريد.					
٥٥	أطالب الطرف الآخر بحل كل المشكلات المترتبة على قبول حجته سلفًا كشرط ضروري لقبولها.					
٥٦	أبين للطرف الآخر المزايا التي قد يحصل عليها في حال الاقتناع بحجتي.					
٥٧	أستعين بآراء الخبراء المتخصصين وما توصلوا إليه من حقائق وبراهين لأثبت بها صحة كلامي.					
٥٨	لا أسرع في نفي أو قبول ما يقوله الطرف الآخر طالما ليس لدى دليل أقوى على ذلك.					
٥٩	أحرص على أن أفهم الأحداث والمواقف في سياقها فقد تأخذ معنى مختلفًا في سياق آخر.					
٦٠	أبحث عن مظاهر التناقض بين أقوال وأفعال الطرف الآخر لأكشف عدم اتساقه					
٦١	لا أسلم بصحة الأفكار والمسلمات التي يقترحها الآخر ليقنعني بما يستنبطه منها من نتائج كأن يقول لي هل تسلم معي بأن المرأة عاطفية جدا لذا لا يجب أن تعمل قاندة.					
٦٢	أقنع الطرف الآخر بحجة معينة وأتخذ ذلك مقدمة تلزم عنها نتيجة كان يرفضها مسبقا كأن أقول له هل تسلم معي بأن العمل الجماعي أفضل من الفردي إذن لماذا ترفض أن تشترك معي في تلك المهمة.					

م	هذا السلوك يحدث	دائمًا	كثيرًا	أحيانًا	قليلاً	نادرًا
٦٣	أتعمد توجيه العديد من الأسئلة الشخصية للطرف الآخر بغرض إحراجه.					
٦٤	أضع من يتحاج معي في موقف يحتم عليه الاختيار بين بديلين فقط كلاهما ليس في صالحه (كثرة القراءة إما أن تفقدك أصدقاءك أو تضعف بصرك).					
٦٥	أتعمد الدخول في قضايا جانبية حتى أتهرب من التحدث في الموضوع الأساسي .					
٦٦	أرد علي جزئية معينة في كلام من يتناقش معي لأنه يسهل دحضها وأتجاهل باقي الأجزاء.					
٦٧	أطالب الطرف الآخر بذكر الأسباب التي تدعوه إلى التمسك برأيه وعدم الاقتناع برأيي.					
٦٨	أضع أسسا معينة أطالب من يحاججني بالالتزام بها سلفا حتى أستطيع بدء الحديث معه وإلا توقفت.					
٦٩	أطرح على الطرف الآخر أسئلة متعددة وأنصت لإجابته عنها لأفهم وجهة نظره بوضوح وأستفيد بما فيها من جوانب وجيهة.					
٧٠	أتجنب الهجوم على شخص الطرف الآخر وأركز هجومي على حججه فقط.					
٧١	أصنف مكونات الظاهرة إلى فئات فرعية ولا أتعامل معها كشيء واحد فبينها فروق ، فمثلا ليس كل حالات الإدمان بنفس الشدة.					
٧٢	أطالب الطرف الآخر بعدم الخلط بين السبب والنتيجة.					
٧٣	أتأكد من أن الأمثلة والحالات التي يستدل بها الطرف الآخر على صحة ما يقول ممثلة للأفراد الذين يعمم أحكامه عليهم.					
٧٤	أطرح أقوى حججي في البداية على الطرف الآخر حتى أقطع عليه الطريق وأنهي المناقشة مبكرا.					
٧٥	أحصر الآراء المؤيدة لرأي الطرف الآخر والمنافية لرأيي وأقوم بتفنيدها رأيا رأيا لإثبات عدم صحتها.					
٧٦	أنظر إلى الموضوع من زاوية أخرى غير التي ينظر منها الطرف الآخر.					
٧٧	أطرح حججا غير متوقعة لإرباك الطرف الآخر.					
٧٨	أطلب من الطرف الآخر أن يذكر أمثلة واقعية توضح المعنى الذي يقصده.					
٧٩	أذكر أحداثا مشابهة لتلك التي تتحاج بشأنها لأستمد منها دروسا تقنع الطرف الآخر بحجتي .					
٨٠	أؤجل الحجج القوية إلى اللحظة التي أشعر فيها أن الطرف الآخر أصبح منهكا لأنهي الموقف لصالحي.					

م	هذا السلوك يحدث	دائمًا	كثيرًا	أحيانًا	قليلاً	نادرًا
٨١	أقلب الحجة على الطرف الآخر بمعنى أن أستخدم نفس الحجة للتوصل إلى نتيجة مخالفة ، فإذا قال مثلاً إن المذاكرة ليلا مفيدة حيث الهدوء والتركيز أقول إنها ليست كذلك لأن الفرد يكون حينئذ منهكا ذهنيا وبدنيا.					
٨٢	أشير إلى النقاط التي أتفق فيها مع الطرف الآخر في البداية حتى يصغي لما أقول ثم أشرع في عرض نقاط اختلافي معه فيما بعد.					
٨٣	أثير الكثير من الاعتراضات التي يصعب على الطرف الآخر تفنيدها لكي أعلن اقتناعي بوجهة نظره.					
٨٤	أبصر الطرف الآخر بالمشكلات التي من الممكن أن يتلافاها في حالة تبني وجهة نظري.					
٨٥	أستشهد بوقائع حقيقية حدثت لي أو للغير لأقنع الطرف الآخر بما أقول.					
٨٦	أبتعد عن استخدام الألفاظ الغامضة التي لها أكثر من معنى.					
٨٧	استخدم في حواري مع الطرف الآخر ألفاظا وتعبيرات تثير ضيقه (مندفع – غيور).					
٨٨	إذا حاول الطرف الآخر ممارسة ضغط أدبي علي لانتزاع موافقتي على شيء معين فإنني أرفض بطريقة لا تجرح مشاعره.					
٨٩	أتجنب الدخول في محاجات متكررة مع نفس الشخص حول ذات الموضوع فهذا يعني أنه لا جدوى منها ما دام لا يقتنع برأيي.					
٩٠	أتحقق من مدى ملاءمة السبب الذي يقترحه الطرف الآخر للظاهرة فقد لا يكون ذا أهمية ، كالذي يقول إن العلماء يبدعون إبداعاتهم للحصول علي المال في المقام الأول.					
٩١	أبحث عن أسباب أخرى للظاهرة غير التي اقترحها الطرف الآخر.					
٩٢	أحرص على تدعيم كلامي بالأرقام والإحصاءات والنسب المئوية ليصبح أكثر مصداقية.					
٩٣	أنبه الطرف الآخر إلى ضرورة تجنب استخدام الألفاظ التي تحمل معاني متعددة.					
٩٤	أطالب الطرف الآخر بتوضيح مدلولات ألفاظه بدقة وفقا للسياق المستخدمة فيه.					
٩٥	أتحكم في انفعالاتي ولا أبدي غضبي – قدر الإمكان – من أسلوب الطرف الآخر غير اللائق في المحاجة.					



ارتقـــاء مهـــارات المحاجـــة

(دراسة مستعرضة لفئات عمرية متنوعة من الطلاب المصريين) (*)

(*) نشر هذا البحث بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد السادس والثلاثون، ابريل ٢٠٠٠، ٤٣ - ١٢٧ .

مقدمة :

يعتبر التغير من السمات المحورية التى تميز الظواهر النفسية، والذى قد يتخذ وجهة إيجابية نحو مزيد من الإتقان، والتآزر، والتمايز فيصبح حينئذ ضربا من الارتقاء، أو يسير فى الاتجاه المغاير - السلبى - فيصير تدهورا، والمحاجة كظاهرة نفسية ينطبق عليها تلك السمة أيضا، فعلى سبيل المثال قد يجد فتى فى مقتبل عمره صعوبة فى تفنيد حجج طرف آخر لا يتفق معه بشأن مسألة ما، أو إقناعه، فى المقابل، بما يتبناه من آراء بيد أن الموقف قد يختلف عندما يصبح راشدا حيث يتمكن من القيام بهاتين العمليتين بنجاح، وهو ما يعنى فى قاموسنا النفسى أن تلك المهارات الحجاجية قد ارتقت لديه ؛ ومن ثم فإننا بحاجة إلى الوقوف على مظاهر هذا الارتقاء وكيفية حدوثه وطبيعة المتغيرات المسئولة عنه، بيد أن اهتمامنا فى البحث الحالى سينصب فقط على الكشف عن **مظاهر الارتقاء فى مهارات المحاجة** لدى الفرد عبر فترات عمرية متتابعة من منطلق أن تلك الخطوة الوصفية تعد مقدمة ضرورية لفهم محددات وآليات هذا الارتقاء توطئة للتحكم فيه بصورة مخططة من خلال تصميم برامج مقننة تهدف إلى تحسين مستوى تلك المهارات لدى من يعانون من جراء انخفاضها.

حرى بالذكر أن ظاهرة المحاجة أصبحت تنال اهتماما علميا ملحوظا فى الحقبة المعاصرة من باحثين فى تخصصات مختلفة بدءًا من علماء النفس، وانتهاء بعلماء البلاغة، ومروراً بعلماء القانون، والسياسة، والإعلام، والإدارة، والدين أيضا **لأسباب عديدة** منها :

١- **ينخرط** الناس، بمعدلات متفاوتة، فى حياتهم اليومية فى عمليات محاجة حول قضايا متنوعة تتعلق بحالة المجتمع وشئونه المصيرية من قبيل وضع المرأة، والأقليات، والسياسات الاقتصادية والاجتماعية فضلاً على المسائل والأمور

الشخصية، وتمكنهم المحاجة من التعبير عن وجهات نظرهم، وتعديلها على نحو يجعلها أكثر وضوحاً واتساقا، وفهم الأمور بصورة أفضل مما ييسر عليهم اتخاذ قرارات أكثر دقة حولها، وهى عملية أساسية فى الديمقراطيات المعاصرة التى يعد الدخول فى مناظرات حول تلك الأمور من ملامحها البارزة (Mcreck, 1990, 7-9)

٢ - **تبدأ المحاجة** عادة حين يكون هناك اختلاف وتعارض بين وجهات نظر لأطراف متعددة حول مسألة معينة، وتستمر حتى ينتهى، ومن هنا يمكن القول بأن المحاجة آلية لحل الصراعات (Johson & Roloff, 1998)، وفض النزاعات، وإزالة سوء التفاهم المتبادل بين الأطراف المختلفة، وانطلاقا من هذا التصور يشير "شولتز" Shultz إلى أن الأفراد الأكثر قدرة على المحاجة يسهمون بقدر أكبر فى حل المشكلات داخل الجماعة (Rancer, et al, 1997; Kumar, 1997) اعتمادا على عمليات من قبيل إقناع الآخرين بأدلة الفرد، وتفنيد دعاواهم ضده، وفى المقابل فإن الفرد الذى قد يفشل فى إدراك واستخدام المحاجة كوسيلة لحل الصراع فإنه قد يلجأ إلى طرق أخرى أقل تحضرا كأن يعتدى على الطرف الآخر، أو يهينه، أو ينسحب من المناقشة (الموقف)، أو يظهر ردود فعل دفاعية، مما يقلل من احتمال التوصل إلى اتفاق حول المسألة بل وقد يؤجج الصراع حولها (Johson & Roloff, 98).

٠٣ **إن الدخول** فى محاجات متنوعة ينمى مهارات المحاجة لدى الفرد ويجعلها أكثر قوة، وينشط جهاز المناعة الحجاجية لديه حيث يسعى لتفنيد الحجج المضادة، وإنتاج حجج جديدة لإقناع الآخرين بموقفه فضلا على أنها تعلمه تحمل الاختلاف، وتجنب تصعيده، وفى الجهة المقابلة فإن تحاشى التعرض لتلك المواقف الحجاجية يؤدى إلى ضعف تلك المهارات، وبالتالى استبعاد فرصة أن يتعلم الفرد من خلالها كيف يتحدث فى صميم المشكلات التى يهتم بها، ويتناقش حولها، ويكتسب مهارة الوصول إلى حلول لها (فيشر وبراون، ١٩٩١، ٣٩)، وهو أمر غير مطلوب بالطبع، ذلك أن الخلافات بين الآخرين متوقعة دوما، ولا تنتهى عادة بإقناعهم بما نريد أو

اقتناعنا بما يريدون، بل إنها قد تستمر على حد قول "تراب وولف " Trapp & Wolf " لأيام أو شهور، أو سنوات، أو ربما مدى الحياة (Johson & Roloff, 1998).

٤ - **هناك مؤشرات** عديدة تشير إلى أن القدرة المرتفعة على المحاجة ترتبط إيجابيا بالصحة النفسية للفرد، ورضاه عن ذاته، وتبنيه مفهوما إيجابيا لها، وقدرته على التأثير فى الآخرين، ومقاومة عمليات فرض الهيمنة عليه من قبلهم، وثمة أدلة إمبيريقية تدلل على صحة ذلك، فعلى سبيل المثال أشارت دراسة أجراها " انفنت Infant, " إلى أن مرتفعى المحاجة أدركوا أنهم كفاءة اتصاليا وانفتاحا عقليا، وقدرة على التعلم، وحل المشكلات، ولديهم قدر مرتفع من تقدير الذات (Rancer et al, 1997)،وإذا حاولنا فهم ديناميات تلك النتائج سنجد أنه من شأن اشتراك الفرد فى محاجات متكررة مع آخرين، وحصوله على **بعض المزايا** فى أعقابها أن يزيد من ثقته بنفسه من جهة، وأن يغريه بالدخول فى محاجات أخرى جديدة من جهة أخرى مما يعنى ضمنا مزيداً من التدريب والتنمية لتلك المهارات الحجاجية فيما بعد، ومن ثم زيادة تقديره الإيجابى لقدراته ومن ثم لذاته، كذلك فكونه أكثر انفتاحا عقليا يمكن فهمه فى ضوء أن الاشتراك المتكرر فى عمليات محاجة يساعده على استكشاف وجهات النظر الأخرى حول الموضوعات المطروحة مما يزيد من حجم معلوماته، ودقتها، حولها على نحو يجعله أكثر قدرة على تقييم الأمور بصورة متوازنة، وبدرجة أكبر من الموضوعية. أما فيما يتصل بأنه أكثر قدرة على التعلم فإن ذلك يعزى إلى أنه يتعلم من الطرف الآخر معلومات جديدة حول جوانب نوعية من القضايا المطروحة فهو يعرف المزيد من الاعتراضات على وجهة نظره، والأدلة التى تدعم وجهة النظر الأخرى، ويتعلم كيف يكون حججا جديدة باستخدام المعلومات المتاحة من كل الأطراف الأخرى. ويشير " بونانتو وفازيلو" فى هذا الصدد إلى أن نجاح المحامين المخضرمين يعتمد على استخدامهم الفورى On Lin Use للمعلومات من معارضيهم أى أن المحاجة وفقا لهذا التصور وسيلة فعالة للتعلم، وترشيد مسار التفاعلات، والاتصالات مع الآخرين (Bonainto & Fasulo, 1997) ويجب أن يكون

الحوارات اليومية تتحسن مع العمر، وذلك فى بحث أجراه على (٤٢) طالباً وطالبة فى الصف الخامس الابتدائى، وعينة مماثلة فى العدد فى الصف الثانى الإعدادى، وعينة مكونة من (٤١) فى الصف الثانى الثانوى. وقد تعزى تلك النتائج التى تكشف عن شيوع تلك التحيزات إلى أن الناس تحمى هويتها من قوة حجج الآخرين، ويستخدمون قدراتهم الاستدلالية انتقائيا للاحتفاظ بنظرتهم الحالية للعالم (Ibid). وعلى أية حال فنحن فى حاجة لدراسة تلك الظاهرة فى سياقنا الثقافى للوقوف على طبيعة التغير عبر الزمن فى مهارات ضبط التحيز الاستدلالى، والوعى به، وكشف المغالطات المنطقية فى حجج الآخرين بوصفها مهارات يتوقف عليها مسار ومدى العائد الذى يجنيه الفرد من الانخراط فى عمليات محاجة مع الآخرين.

تعقيب على الدراسات السابقة :

حين نستقرئ الدراسات السابقة - المتاحة - فى مجال ارتقاء مهارات المحاجة سنجد ثمة **بعض الملاحظات** التى ينبغى تسجيلها بصددها تتمثل فيما يلى :

* **ركزت** تلك الدراسات - فى مجملها - على عناصر ومهارات نوعية للمحاجة، وما يطرأ عليها من تغيرات ارتقائية، دون غيرها، وبوجه خاص اعتبار منظور الآخر، والتفكير الافتراضى، والمماثلة، والاستدلال الاستنباطى، والتحيز الاستدلالى، وكشف المغالطات بيد أنها لم تعنى بشكل مماثل بمهارات أخرى مهمة من قبيل : الإطلالة على جانبى المسألة المطروحة، واستخدام الأسئلة كعنصر محورى فى المحاجة والتى اعتمد عليها سقراط ومن بعده تلميذه الشهير أفلاطون فى محاوراته، وكذلك الأساليب الحجاجية البارزة كالقلب، والاستمالة الوجدانية، والإحراج، وهو ما يدعو إلى وضع تلك المهارات، وغيرها، فى الحسبان فى الدراسة الراهنة حتى نرصد ما يطرأ عليها من تغير كدالة للزمن.

* **أجرى** العديد من هذه الدراسات على عينات فى أعمار صغيرة فى الصفوف الابتدائية، وامتد بعضها للمرحلة الثانوية، والقليل منها للجامعية، وبما أن

العمليات الصورية الاستدلالية المستخدمة فى المحاجة تبدأ فى الظهور - كما يشير بياجيه ومعاونوه - بصورة ملحوظة منذ الثانية عشرة، ومن المتوقع أن تبلغ ذروتها فى نهاية مرحلة المراهقة، وبداية الرشد، فإنه من المهم أن نضع ذلك فى اعتبارنا ونجرى دراستنا على مدى عمرى متنوع يمتد من الثانية عشرة - أى بداية المراهقة، وتستمر حتى بداية الرشد أى فى الحادية والعشرين. حتى نقف على أبرز التغيرات فى المهارات الحجاجية فى تلك الحقبة.

* انصب الاهتمام فى هذه الدراسات على مظاهر ارتقائية دون غيرها كالتحسن فى مستوى المهارة، أو ظهورها بعدما لم تكن موجودة، إلا أنه يفترض وجود مظاهر أخرى للارتقاء من قبيل أن يأخذ التغير منحى مختلفاً بمعنى انحسار وضعف بعض السلوكيات الحجاجية السلبية كالتعميم المفرط، والألفاظ التهجمية، والأحكام المتطرفة، وهو ما يعد أيضا مؤشرًا ارتقائيا، فضلا على الاستخدام الفعال لأكثر من مهارة معا على نحو يشكل نمطا حجاجيا. وبناء على ذلك فإننا سنعتمد على مدى أكثر شيوعا من المؤشرات الارتقائية لمهارات المحاجة فى دراستنا على نحو يسمح لنا بالتقاط مظاهر التغير على نحو أكثر دقة وواقعية.

يضاف إلى ذلك أنه نظرا للنقص النسبى فى الدراسات العربية والمصرية، ولأن معظم الدراسات المتاحة أجريت فى الثقافة الغربية، وبما أنه من المتوقع أن تمارس الفروق الثقافية آثارًا متنوعة فى طبيعة، وحجم عمليات الارتقاء فى المحاجة فإن هذا يوجب علينا دراسة تلك الظاهرة على المستوى المحلى حتى نقف على، ونرصد تلك التغيرات بصورة أكثر تحديدا.

بناء على ما سبق فإننا سنتقدم لإجراء الدراسة الحالية للتحقق من **الفروض** العامة التالية، والتى يمكن بطبيعة الحال تجزئتها إلى فروض فرعية وهى :

١ - يوجد تغيرات ارتقائية (كمية وكيفية) متنوعة فى مهارات المحاجة عبر الحقبة الزمنية الممتدة من ١٢ حتى ٢١ عاما.

٢ - لا يوجد فروق دالة بين الذكور والإناث فى طبيعة تلك التغيرات عبر تلك الحقبة الزمنية.

منهج الدراسة :

أولا - مجتمع وعينة البحث:

تمثل مجتمع البحث فى الطلاب والطالبات المصريين فى المراحل الإعدادية والثانوية والجامعية، وتكونت عينة البحث من (٣٠٠) طالب وطالبة اختيروا بالتساوى من المراحل الإعدادية والثانوية والجامعية بواقع (١٠٠) فرد فى كل عينة نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الإناث، وكان معظمهم من المقيمين فى القاهرة الكبرى، وكان المدى العمرى لعينة الإعدادى يتراوح بين (١٢ - ١٣) عاما بمتوسط قدره (١٢,٥٥ ± ٠,٨٦) عاما، والمدى العمرى لعينة الثانوى يتراوح بين (١٥ - ١٦) عاما بمتوسط مقداره (١٥,١١ ± ٠,٥٢) عاما، أما المدى العمرى لعينة الجامعة فكان يتراوح بين (١٩ - ٢١) عاما بمتوسط مقداره (١٩,٩٥ ± ١,٧٥) ويلاحظ أن المدى العمرى لأفراد العينة تراوح بين ١٢ -٢١ عاما وهو المدى الذى يتوقع أن تحدث فيه عمليات ارتقاء بارزة فى العمليات المعرفية الصورية، وكما هو معروف فإن مهارات المحاجة تعتمد عليها بصورة محورية، ولكن هذا لا ينفى ارتقاء بعض تلك المهارات فى أعمار قبل ذلك.

ثانيا - الأدوات:

تمثلت الأداة الرئيسية فى مجموعة من القضايا (*) ذات الطابع الخلافى التى يفترض أن يتجادل الفرد حولها مع شخص آخر يتبنى رأيا مختلفا عنه بشأنها، ومن ثم يحاول تفنيد هذا الرأى وإقناعه، فى المقابل، بما يطرحه عليه من آراء. والمطلوب من المبحوث أن يذكر كتابة أكبر عدد من الحجج التى يفند بها رأى الطرف الآخر من جهة، ويقنعه بواسطتها بتبنى رأيه بشأنها من الجهة الأخرى.

(*) هذه القضايا موضحة بالجدول رقم (١) وتحمل الأرقام التالية: ١، ٢، ٥، ٧، ١٠، ١١، ١٢.

وقد قام الباحث بإجراء عدد من الخطوات لتصميم واختيار هذه القضايا تتمثل فيما يلى :

١ - **فى ضوء اطلاع** الباحث على العديد من المناظرات، والمحاجات، والمعارك الفكرية الدائرة فى السياق الثقافى والاجتماعى المصرى والعربى سواء على صفحات الصحف أو الكتب أو شاشات التليفزيون فضلا على ملاحظاته الشخصية للعديد من مواقف المحاجة التى يرقب المحيطين به إبانها فى حياته اليومية توصل إلى مجموعة من القضايا الخلافية بلغ عددها إحدى وثلاثين (٣١) قضية.

٢ - **نظرا لكثرة** عدد تلك القضايا على نحو يصعب معه تقديمها للمبحوث مجتمعة فقد تم تقديمها إلى تسعة من المحكمين المتخصصين فى علم النفس (*)، وطلب منهم تقييم مدى ملاءمتها للفئات العمرية الثلاث التى شكلت عينة البحث، وذلك على متصل من عشر درجات، وفيما يلى قائمة تحوى تلك القضايا ومدى تقدير المحكمين لملاءمتها للعينات الثلاث يتضمنها الجدول التالى رقم (١).

جدول رقم (١)

مدى تقدير المحكمين لملاءمة القضايا الخلافية لعينات البحث الثلاث مجتمعة

م	القضية	متوسط درجة الملاءمة	الترتيب
١	الدروس الخصوصية ضرورية لنجاح الطلاب وتفوقهم.	٨,٤	١
٢	منع البائعين الجائلين من الوقوف بالشوارع والأرصفة.	٧,٩	٢
٣	مطالبة الطلاب بإعادة كتبهم الدراسية آخر العام حتى يستفيد منها طلاب العام التالى.	٧,٨	٣
٤	امتداد يوم العمل أو اليوم الدارسى حتى الرابعة عصرا وتصبح الإجازة الأسبوعية يومين.	٧,٥	٤

(*) يتوجه الباحث بوافر شكره وتقديره إلى هؤلاء المحكمين وهم: الأساتذة الدكاترة: محروس الشناوى، وجمعة سيد يوسف، ومعتز عبد الله، وفتحى الشرقاوى، وأحمد طنطاوى، وشعبان جاب الله، وسعدية محمد، ومحمد نعيمة، ومحمود غلاب.

تابع جدول رقم (١)

م	القضية	متوسط درجة الملاءمة	الترتيب
٥	انهاء الإرسال التليفزيوني مبكرا في الحادية عشر مساء حتى نقضى على السهر .	٧,٤	٥
٦	نقل العاصمة من القاهرة إلى إحدى المدن الجديدة (توشكى مثلا) .	٧,٣	٦
٧	الغاء مباريات كرة القدم لأنها تشغل الشباب	٧,٢	٧
٨	زرع أشجار فاكهة في الطرق العامة بدلا من أشجار الظل غير المثمرة. السماح بدخول الجامعة لكل من يرغب من الطلاب بدون التقيد	٧,١	٨
٩	بشرط المجموع .	٧	٩
١٠	عدم توظيف النساء لتوفير فرص عمل للرجال .	٧	٩
١١	إعدام المدمنين فليس هناك فائدة في علاجهم .	٦,٨	١١
١٢	إزالة الأحياء العشوائية فورا ونقل سكانها خارج القاهرة .	٦,٨	١١
١٣	تحويل كل المدارس إلى مدارس لغات حتى نرتقي بمستوى الطلاب .	٦,٧	١٣
١٤	تجنيد الفتيات في الجيش .	٦,٥	١٤
١٥	يجب على كل طالب يريد دخول الجامعة العمل لمدة سنة أولا في مجال محو الأمية .	٦,٤	١٥
١٦	التوسع في عمل النساء كضابطات شرطة في الأقسام حتى تتحسن المعاملة .	٦,٣	١٦
١٧	قصر مهنة التدريس على النساء لأنهن أكثر تفهما للطلاب من الرجال .	٦,٣	١٦
١٨	انتخاب مديرى المدارس من قبل المدرسين .	٦,٢	١٨
١٩	إلغاء عقوبة السجن والاكتفاء بأن يدفع مرتكبو الجرائم غرامات مالية تتناسب مع جرائمهم .	٦,١	١٩
٢٠	تشجيع النساء على العمل في المهن المقصورة على الرجال مثل الميكانيكي وسائق التاكسي وعامل البناء .	٦,١	١٩
٢١	إزالة النوادى الموجودة على النيل لأنها تحجب الرؤية .	٦	٢١
٢٢	القبض على المسئولين وإيداعهم بالسجن .	٦	٢١
٢٣	يجب على كل طالب يريد دخول الجامعة العمل لمدة سنة أولا في استصلاح الأراضي .	٥,٩	٢٣
٢٤	انتخاب مديرى المدارس من قبل الطلاب .	٥,٩	٢٣
٢٥	يجب أن تعمل المرأة قاضية .	٥,٧	٢٥
٢٦	فرض زى قومى على كل المصريين (الجلابية مثلا) حتى تختفى ظاهرة التباهى	٥,٧	٢٥

تابع جدول رقم (١)

م	القضية	متوسط درجة الملاءمة	الترتيب
٢٧	إلغاء الجمارك على السيارات حتى يتمكن لك فرد من شراء سيارة.	٥,١	٢٧
٢٨	تولى الشباب صغار السن قيادة المؤسسات الكبرى فهم أكثر حيوية وفعالية من الشيوخ.	٤,٩	٢٨
٢٩	الغاء المهور بالقانون لتيسير فرص الزواج.	٤,٩	٢٨
٣٠	تعيين أعضاء مجلس الشعب بدلا من انتخابهم لتضمن أن يكون أكثر خبرة.	٤,٨	٣٠
٣١	زواج الابن مع أبيه.	٤,٦	٣١

٣. **تم ترتيب** القضايا تبعا لتقديرات المحكمين ترتيبا تنازليا من أكثرها إلى أقلها ملاءمة لعينات البحث، وارتؤى الاقتصار على (١٢) قضية منها فقط، وهى التى حظيت بأكبر قدر من الاتفاق بين المحكمين على ملاءمتها لكل الفئات العمرية الممثلة فى الدراسة.

٤- **قبيل توجيه** تلك القضايا للعينة الرئيسية للبحث أجريت دراسة استطلاعية عليها للتأكد من مدى أهميتها للمبحوثين، وهل هى بالفعل خلافية من وجهة نظرهم أم لا، وذلك بتقديم هذه القضايا إلى (١٢٠) طالباً وطالبة مقسمين بالتساوى على عينات البحث الثلاث، بيد أنه كان هناك هدف آخر لتلك الخطوة تمثل فى التوصل إلى تصور مبدئى حول فئات التحليل الأساسية لمهارات المحاجة من خلال تحليل مضمون إجابات أفراد عينة الدراسة الاستطلاعية حتى نعتمد عليها فى تحليل إجابات أفراد العينة الرئيسية، لأنه من الأفضل أن تكون فئات التحليل مستمدة من المبحوثين أنفسهم، لا أن تكون مقحمة على المحتوى من قبل الباحث لأن هذا قد ينطوى على استبعاد مهارات محورية قد لا توجد فى ذهن الباحث ولكنها موجودة فى البيانات التى يدلى بها المبحوثون، إلا أن هذا لا يحول دون وجود بعض الأفكار المبدئية لدى الباحث حول عدد من فئات مهارات المحاجة مستمدة من استقراء التراث السابق، واستبصاره الشخصى، ومداولاته مع الزملاء الآخرين، وقد توصلنا

من خلال هذا الإجراء إلى (٧٢) فئة من سلوكيات المحاجة ومهاراتها منها على سبيل المثال : استخدام إحصاءات للتدليل على صحة ما يقول الفرد، والاستشهادات بأقوال مأثورة، وضرب أمثلة، والاستدلال بالخبرة الشخصية، والاستمالة الوجدانية، وإعادة تأطير القضية، وكشف تناقض الطرف الآخر، وحشد الأدلة النافية لحجج الطرف الآخر، وقد شكلت تلك الفئات إطارا تحليليا أكثر تعبيرا عن واقع مهارات المحاجة المستخدمة فى سياقنا المحلى كما تكشف عنه إجابات أفراد العينة. جدير بالذكر أن الملاحظات المبدئية للباحث والمستقاة من تحليل مضمون إجابات المبحوثين على تلك القضايا (١٢ قضية) كشفت عن نمطية الإجابة بشأن بعضها (*) على نحو يصعب معه أن تستثير قدرًا متنوعًا من الحجج بشأنها، يضاف إلى ذلك أن التعليقات التى أدلى بها المبحوثون حولها والتى تضمنت الشكوى من كثرة عدد القضايا، وأن الإجابة عنها تستغرق وقتا طويلا يصعب فى ظله الاحتفاظ بتركيزهم مرتفعا أثنائه، لذا فقد قام الباحث باختصار عددها لتصبح (٧) سبع قضايا فقط حتى يتمكن المبحوثون من ذكر أكبر عدد من الحجج بصددها.

الخصائص السيكومترية للأداة:

أ- الثبات: تم التحقق من ثبات الأداة بعدة طرق منها :

* **ثبات الأداء:** قام الباحث بإعادة تطبيق الأداة على (٣٠) مبحوثا بفاصل زمنى أسبوعين تقريبا، وقام بحساب معامل ارتباط سبيرمان بين العدد الإجمالى للحجج التى طرحوها فى المرة الأولى والثانية فكان مقداره (٧٩, ٠)، وهو دال عند مستوى (٠, ٠١)، مما يكشف عن الثبات النسبى لأداء المبحوثين الحجاجى على الأداة، فضلا على أنه يعنى ضمنا ثباتا مرتفعا للتصحيح.

* **ثبات المصحح** (**) : تم حساب معامل الاتفاق بين اثنين من المصححين لمجموعة

(*) القضايا الموجودة بالجدول رقم (١) والتى تحمل الأرقام: ٦ ، ٨ ، ٩ .

(**) يتوجه الباحث بجزيل عرفانه وتقديره إلى الأستاذ الدكتور فتحى الشرقاوى أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس لآرائه وجهوده واستبصاراته الثرية فى هذا الخصوص.

من استمارات البحث (ن = ١٦)، وقد بلغ معامل الاتفاق بينهما (٦١٪)، وهو معامل مقبول. وإن كان انخفاضه النسبى قد يعزى إلى صغر حجم العينة من جهة، فضلا على الطبيعة المتفردة لإجابات المبحوثين وتنوع الفئات التى تحويها حججهم (حوالى ٧٢ فئة) من الناحية الأخرى.

ب- الصدق: تم تقدير صدق الأداة بعدة طرق منها :

- **صدق المحتوى:** هناك عدة مؤشرات تم الاعتماد عليها لإثبات تمتع الأداة بهذا النوع من الصدق تتمثل فيما يلى :

* بما أن تلك القضايا تم التوصل إليها من خلال متابعة ورصد مناظرات فكرية طرحت على منابر عامة فهى معبرة إذن عن قضايا واقعية يختلف الناس بالفعل حولها.
* كذلك فإن ثمة مجموعة من المحكمين قرروا أنها قضايا مهمة وذات طبيعة خلافية، وملائمة لمجموعة الأفراد متنوعى الأعمار الذين يشكلون عينة البحث، وهو ما يعنى أنها تصلح لأن تكون بمثابة منبهات تثير السلوك الحجاجى لهؤلاء الأفراد.
* يضاف إلى ذلك أننا أجرينا دراسة استطلاعية على تلك القضايا حيث قدمناها لمجموعة من الأفراد (ن = ١٢٠)، وحصلنا من خلال تحليل محتوى إجاباتهم على حجج متنوعة، بعضها سلبى والبعض الآخر إيجابى، تعكس انقسامهم حولها ما بين مؤيد ومعارض على نحو مشابه للواقع الاجتماعى بصددها مما يعنى تعبيرها الدقيق عن هذا الواقع فضلا على أننا حصلنا من خلال تحليل محتوى تلك الإجابات على مهارات وسلوكيات حجاجية متنوعة مشابهة نسبيا لتلك التى تواترت فى التراث السابق.

- **صدق التكوين:** ثمة مجموعة من الافتراضات والمؤشرات التى نتوقع الحصول عليها عقب تحليل نتائج الدراسة، ومن شأن الحصول عليها أن يقدم دعما للصدق التكوينى للأداة قوامها.

* كلما ازداد متوسط أفراد العينة ارتفع معدل ما يذكرونه من حجج سواء لتفنيد رأى الأطراف الأخرى أو للتدليل على صحة آرائهم.

* أن معدل العبارات العدائية والأحكام المتطرفة، والتعميم المفرط إبان المحاجة سيميل للانخفاض عبر العمر.

* ارتفاع معدل شيوع الحجج الاستدلالية، بشقيها الاستنباطى والاستدلالى، والتفسيرات العقلانية والواقعية عبر العمر.

* ظهور مهارات حجاجية معينة فى الفئات العمرية الأكبر سنا (الجامعيين) لم تكن موجودة لدى الأصغر سنا (طلاب الإعدادى)، تعكس قدرا أكبر من الارتقاء فى المهارات الحجاجية مثل طرح المسلمات والحجج الشرطية، والافتراضية، واستخدام الأسئلة كوسيلة حجاجية.

ثالثا: التصميم المنهجى:

التصميم المنهجى الذى اعتمدت عليه هذه الدراسة هو التصميم المستعرض فضلا على السببى المقارن، حيث عقدنا مقارنة بين ثلاث مجموعات عمرية متدرجة (من ١٢ حتى ٢١ عاما) للكشف عن الفروق بينها فى مهارات المحاجة وفقا لعدد من المؤشرات الارتقائية المتعارف عليها، على أساس الاستدلال من تلك المقارنة على العلاقة السببية بين العمر ومهارات المحاجة.

رابعا: الإجراءات:

* قام الباحث بصياغة مجموعة من القضايا الخلافية الملائمة لأعمار فئات عينات البحث الثلاث، كما أقر بذلك عدد من المحكمين المتخصصين فى علم النفس.

* تم اختيار مائة فرد نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الإناث من السنة الثانية الإعدادية، ومن الثانية الثانوية ببعض مدارس القاهرة الكبرى فضلا على مائة من الطلاب والطالبات الجامعيين.

* قدمت تلك القضايا إلى أفراد عينات البحث الثلاث وطلب منهم أن يسجلوا كتابة أكبر عدد من الحجج المؤيدة لوجهة نظرهم حولها فضلا على المفندة لوجهة النظر المخالفة لهم. وكان التطبيق يتم جمعيا فى صورة استخبار فى المدارس والجامعات على أيدى مجموعة مدربة من الباحثين النفسيين المتخصصين (*). عقب ذلك تم تحليل مضمون إجابات أفراد العينة والحجج المتضمنة فيها للتوصل إلى السلوكيات والمهارات الحجاجية النوعية المستخدمة فيها، وما تتدرج فيها من فئات فرعية حتى تتم مقارنة أفراد العينات الثلاث فى ضوئها.

خامسا: أساليب التحليل الإحصائى:

تمثلت تلك الأساليب فى :

* تحليل المضمون : نظراً للطبيعة الخاصة بالدراسة فقد تمثل الأسلوب الرئيسى فى معالجة بياناتها فى تحليل مضمون إجابات أفراد العينة على القضايا التى قدمت إليهم سواء على المستوى الكمى أو الكيفى. وحرى بالذكر أن " كابلان وبيرلسون " Kaplan & Berelson يعرفان تحليل المضمون بأنه : أسلوب علمى موضوعى منظم يهدف إلى التصنيف الكمى والكيفى لمضمون أو مادة علمية معينة، وذلك فى ضوء نظام للفئات، والتوصل إلى استدلالات من ذلك التحليل يسمح للباحث بالتحقق من صحة فروضه (طعيمة، ١٩٨٧، ٢١ - ٢٧).

* المتوسطات والتكرارات والنسب المئوية.

* معادلة " ت " لدلالة الفروق بين المتوسطات ومعادلة النسبة الحرجة لدلالة الفروق بين النسب.

* تحليل التباين الأحادى والثنائى.

(*) ينتهز الباحث هذه المناسبة ليتوجه بجزيل شكره وتقديره للزملاء الأعزاء الذين عاونوه في جمع المادة العلمية من الميدان وهم الأستاذتان غادة عبد الغفار ، ونشوة عبد التواب المدرستان المساعدتان بكلية آداب المنيا ، والأستاذ عماد رمضان الأخصائى النفسي بوزارة التربية والتعليم .

نتائج الدراسة :

ثمة إطار متعدد المحاور سيقوم الباحث باستعراض نتائج الدراسة فى ضوئه يتمثل فيما يلى :

١ – الفروق فى متوسطات العدد الكلى للحجج بين عينات البحث الثلاث.

٢ – زيادة معدل شيوع بعض مهارات المحاجة عبر العمر.

٣ – بزوغ بعض المهارات الحجاجية فى مراحل عمرية لاحقة.

٤ – انحسار بعض السلوكيات الحجاجية السلبية عبر الزمن كمؤشر ارتقائى.

٥ – المهارات الحجاجية التى لم يتغير معدل شيوعها عبر الزمن بصورة جوهرية.

٦ – الفروق بين الذكور والإناث فى مؤشرات ارتقاء مهارات المحاجة.

١ - الفروق فى متوسطات العدد الكلى للحجج بين عينات البحث الثلاث :

حتى نقف على طبيعة الفروق الكمية فى متوسط عدد الحجج التى ولدها أفراد عينات البحث الثلاث – المتفاوتة الأعمار – أجرينا تحليل تباين أحادى لمقارنة تلك الفروق بينها لمعرفة ما إذا كان هناك تأثير دال لمتغير العمر على عدد الحجج أم لا، ويبين الجدول التالى رقم (٢) طبيعة تلك الفروق وقيمة " ف " التى تكشف عن أثر متغير العمر على عدد الحجج.

جدول رقم (٢)

أثر متغير العمر على متوسط عدد الحجج عبر عينات البحث الثلاث

العينة / المتغير	الإعدادى		الثانوى		الجامعة		قيمة ف	مستوى الدالة	الفرق بين عينة الاعدادى والثانوى	الفرق بين عينة الإعدادى والجامعة	الفرق بين عينة الثانوى والجامعة
عدد الحجج	١١,٣٢	٢,٤٥	١٣,٣	٤,٣٦	١٧,٢	٥,٨	٤١,٨	٠,٠٠١	دال	دال	دال

حين نفحص نتائج الجدول السابق سنجد أن قيمة ف دالة عند مستوى (٠,٠٠١) مما يعنى أن متغير العمر يؤثر فى متوسط عدد الحجج تأثيرا إيجابيا بمعنى أنه كلما زاد العمر ارتفع متوسط عدد الحجج التى يصدرها الفرد فى مواقف المحاجاة حول القضايا الخلافية. وقد دعمت نتائج التحليل اللاحق للفروق بين متوسط عدد الحجج للمجموعات الثلاث تلك النتيجة حيث كان متوسط عدد الحجج التى أصدرها أفراد عينة الإعدادى أقل بصورة دالة من متوسط عدد حجج عينة الثانوى، وكان متوسط عدد حجج أفراد عينة الجامعة أكبر بشكل دال من متوسط عدد حجج عينة الثانوى، وهو ما يعنى أن ثمة ارتقاء كميا قد حدث فى عدد الحجج كدالة للعمر. وبطبيعة الحال يفترض أن يعكس هذا الارتقاء الكمى ارتقاء كيفيا فى المهارات الفرعية للمحاجة، فالكم - كما يقال - يولد الكيف.

كما تبين آنفا فإن الجدول السابق يتصل بالجزئية الخاصة بالتغير الذى يطرأ على العدد الكلى للحجج بشكل عام عبر العمر، ولكن ماذا عن التغير الذى يحدث للسلوكيات المفصلة المستخدمة فى إطار هذه الحجج وما تكشف عنه من تحسن مهارات حجاجية نوعية، وما طبيعة الفروق فيها عبر العمر لدى العينات الثلاث ؟

للإجابة عن هذا السؤال سنعرض لمجمل السلوكيات والمهارات الحجاجية التى وردت - كما اتضح من خلال تحليل مضمون الإجابات - فى ثنايا الحجج التى طرحها أفراد العينة بفئاتهم المتنوعة، وسيشمل هذا العرض معدل شيوع كل سلوك أو مهارة حجاجية عبر العينات الثلاث حتى نتمكن من عقد مقارنات بينها للوقوف على أوجه الاختلاف الذى قد يتمثل فى زيادة معدل شيوع مهارات معينة عبر التقدم فى العمر، أو بزوغ مهارات جديدة إبان ذلك، أو انحسار سلوكيات حجاجية سلبية، وهى جميعا مؤشرات ارتقائية لمهارات المحاجة، وفى المقابل الوقوف على السلوكيات والمهارات التى لم يطرأ عليها تغير جوهرى عبر العمر أو كانت تتسم بالغياب النسبى لدى أفراد العينة بشكل عام، ويحوى الجدول التالى رقم (٣) بيانا تفصيليا بتلك الجوانب.

جدول رقم (٢)

مدى شيوع السلوكيات والمهارات الحجاجية المتنوعة لدى عينات البحث الثلاث

م	العينة / المهارة	الأعدادى ك	الثانوى ك	الجامعة ك
١	التمثيل (ضرب الأمثال)	١٤	١٦	٢٠
٢	التكميم	٩	١٦	١٥
٣	التعميم المفرط	٢٢	١٤	١٢
٤	الاستدلال القياسي	٥	٥	٩
٥	الاستدلال الخطأ	٦	٤	٨
٦	عقد المقارنات	--	١٢	٣٤
٧	الشحصنة	--	٧	٨
٨	التمركز حول الذات	٦٦	٢٧	٢٥
٩	الجزئية	٨٩	٧٦	٢٦
١٠	العمومية	٢٧	٣٧	١٢
١١	السطحية	٤٣	٢٢	٥
١٢	التجذير	١٥	٣٤	٦٩
١٣	التفريد	٣٠	٢٧	٥٩
١٤	التجريد	١١	٢٩	٢٤
١٥	العيانية	٤٢	١٧	٧
١٦	اعتبار الآخر	٢١	٣٦	٣٤
١٧	العقلانية	١٦	٣٦	٤٩
١٨	الواقعية	٣٦	٦٢	٩٣
١٩	طرق زوايا متنوعة	٢٥	٢٣	٢٦
٢٠	التصلب الحجاجي	٤٤	١٦	١٦
٢١	التطرف الحكمي	٤٧	١٦	٤
٢٢	التحيز الحجاجي	١٠	٤	٦
٢٣	الفهم المغلوط	١٣	٧	٣

تابع جدول رقم (٣)

م	المهارة / العينة	الاعدادى ك	الثانوى ك	الجامعة ك
٢٤	الانفعالية	٣٥	٣٤	٢٩
٢٥	القفز على المقدمات	١٠	٦	٦
٢٦	التفكك	٢٢	١٥	٥
٢٧	المبالغة	١١	١٧	٦
٢٨	الإطناب	١٢	١٣	٧
٢٩	عدم تنظيم الأولويات	٣٥	١٧	٨
٣٠	التفكير الجزافى	٢٦	١٠	٤
٣١	إبطال مفعول الحجة المضادة	٥	١٠	٢٤
٣٢	تعظيم مفعول الحجة الشخصية	٤	٦	٤٥
٣٣	التفكير الافتراضي الاحتمالى	١١	٢٠	٣٠
٣٤	الححج الشرطية	١٦	٣٨	٦٣
٣٥	الدقة الحجاجية	١٣	٢٦	١٥
٣٦	العقلية التصنيفية	٢٠	٣١	٣٩
٣٧	القدرة التمييزية	٣	٣٠	١٥
٣٨	التفكير الشبكي	٤	١٩	١٩
٣٩	إعادة تأطير القضية	١٧	٢٨	١٢٩
٤٠	النظرة المستقبلية	١٤	٢٤	٣٨
٤١	التسلسل الحجاجي	٤٠	٥٨	٥٧
٤٢	التفكير الآني	٢	٦	٢
٤٣	الإشارات الدينية	١٨	٥١	٢٠
٤٤	الانسياقية	١٩	١٠	١٦
٤٥	المناقضة	–	٢	١
٤٦	الحلول التوفيقية	–	–	٢٢
٤٧	استخدام الأسئلة	–	٨	٥٢

تابع جدول رقم (٢)

م	المهارة / العينـــة	الأعدادى ك	الثانوى ك	الجامعة ك
٤٨	الخروج من الموضوع	١٠	١٧	–
٤٩	التهكم	–	–	٧
٥٠	طرح حجج تشخيصية علاجية	–	–	١٠
٥١	الطلاقة الحجاجية	١٧	٢٩	١٦
٥٢	إبراز البديل الأسوأ	٢	١١	٤٤
٥٣	الاستشهاد بالمأثورات	٢	٥	١١
٥٤	المسئولية الاجتماعية	٢	٢	١٠
٥٥	الاستمالة الوجدانية	٢٧	٢٩	٢١
٥٦	الإفصاح عن الرأي الشخصي	٢	٢٨	١٩
٥٧	التفكير التعليلي	٢٦	١٤	٢٥
٥٨	التفكير الوجوبي	٤٨	٢٤	٤
٥٩	الأحكام السببية	٥	٢٤	٣١
٦٠	الإطلالة على جانبي المسألة	٦٨	٨٤	١٤٢
٦١	الأحكام القيمية المطلقة	١٢	١٤	١٣
٦٢	البدائل المتدرجة	١٨	١٤	١٣
٦٣	التركيز على النتائج وليس الأسباب	١	–	٨
٦٤	اللوم والمساءلة	–	–	٦
٦٥	طرح مسلمات	–	١	٥٩
٦٦	الاستدلال العكسي	–	–	٣٢
٦٧	تحديد المسئوليات	١	١	١٣
٦٨	التقييم الشخصي	–	–	٩
٦٩	الاستدلال التاريخي	–	٢	١١
٧٠	التفكير الاستباقي	–	–	٢٠
٧١	طرح بديل مغاير	٣٨	٥١	٨٨
٧٢	النقد الذاتي	–	–	١
	الإجمالي	١٢٠٠	١٣٦٦	١٨١٥

يمكن استخلاص مؤشرات متعددة من الجدول السابق رقم (٣) تعكس التغيرات الارتقائية فى مهارات المحاجة قوامها ما يلى :

٢- زيادة معدل شيوع بعض مهارات المحاجة عبر العمر:

كما هو معروف فإن عدد أفراد العينات الثلاث متساو، ومن ثم فإن ارتفاع معدل صدور سلوكيات حجاجية إيجابية معينة فى العينات الأكبر سنا (الجامعيين) مقارنة بالأصغر سنا (الإعدادى والثانوى) يعد مؤشرا لارتقاء المهارات الحجاجية، ويكشف الجدول رقم (٤) عن الفروق بين المجموعات الثلاث فى معدل شيوع بعض السلوكيات الحجاجية الماهرة على النحو التالى :

جدول رقم (٤)

الفروق بين العينات الثلاث فى معدل شيوع بعض المهارات الحجاجية

م	العينة / المهارة الحجاجية	الاعدادى	الثانوى	الجامعة
١	الإطلاله على جانبى المسألة	٦٨	٨٤	١٤٢ *
٢	طرح بديل مغاير	٣٨	٥١	٨٨
٣	الواقعية	٣٦	٦٢	٩٣
٤	التعريد	٣٠	٢٧	٥٩
٥	العقلية التصنيفية	٢٠	٣١	٣٩
٦	إعادة تأطير القضيه	١٧	٢٨	١٢٩
٧	الحجج الشرطية	١٦	٣٨	٦٣
٨	العقلانية	١٦	٣٦	٤٩
٩	التجذير	١٥	٣٤	٦٩
١٠	النظرة المستقبلية	١٤	٢٤	٣٨
١١	تعظيم مفعول الحجه الشخصية	٤	٦	٤٥
١٢	إبراز البديل الأسوأ	٢	١١	٤٤
١٣	التفكير الافتراضي الاحتمالي	١١	٢٠	٣٠

(*) قد يستخدم الفرد المهارة أكثر من مرة فى اجابته، ومن ثم قد يزيد عدد تكرار ظهور المهارة عن عدد أفراد العينة.

تشير نتائج الجدول السابق رقم (٤) إلى أن هناك سلوكيات ومهارات حجاجية معينة تزداد قوة عبر الزمن بصورة متدرجة، كما يدل على ذلك معدل شيوعها فى العينات الثلاث، وكانت أبرز تلك المهارات " إعادة تأطير القضية المطروحة" (*) حيث برزت بصورة جلية لدى الجامعيين مقارنة بطلاب الإعدادى، وهى تشير إلى قدرة الفرد على إعادة طرح المسألة بصورة أخرى غير التى طرحها بها الطرف الآخر، وإعادة تقييمها من منظور شخصى مختلف عن الطرح المقدم، وإضفاء معانى جديدة على المفاهيم وإعادة هيكلتها، وتحسنت فى الوقت نفسه، مهارة " طرح بديل مغاير " يتناغم مع النظرة الجديدة للمسألة قد يكون ذا طابع افتراضى احتمالى، وكذلك كان هناك ارتفاع ملحوظ فى مهارة " النظر إلى جانبى المسألة " بإيجابياتها وسلبياتها قبيل تحديد موقف الفرد منها، وحدث تحسن واضح أيضا فى : النظرة الواقعية للقضية " التى تعنى أن يضع الفرد القضية فى حجمها الحقيقى، وعدم تجاهل المتغيرات الفعلية الموجودة فى الموقف، والاحتكام للواقع كمحك هام لتقييمها، وارتفعت كذلك، وإن كان بقدر أقل، مهارات مثل " استخدام الحجج الشرطية " و " التفريد "، أى التعامل مع الظروف والحالات الخاصة للمسألة المتحاج بشأنها وكذلك " العقلانية " وتشير إلى رفض الأحكام المطلقة والاعتماد على أسس ومعايير منطقية لإقامة الدليل، والسعى إلى " تعظيم مفعول الحجة الشخصية " من خلال التأكيد على مزاياها وآثارها الإيجابية " وإبراز البديل الأسوأ " الذى يترتب على عدم قبولها من قبل الطرف الآخر، والنظرة المستقبلية التى تعبر اللحظة الراهنة. وبطبيعة الحال فإن هذه الجملة من التغيرات الارتقائية تنبئ بظهور نمط من المحاجات الأكثر عقلانية ومنطقية، والذى يُعنى بفحص الجوانب المتعددة للموضوع، والنظرة إليه بصورة مستقلة تمكنه من طرح وجهات نظر مختلفة بشأنه متحررة من وجهات النظر السائدة والتى يسعى الطرف الآخر

(*) قال أحد طلاب الجامعة ردا على قضية ضرورة إنهاء الإرسال التليفزيونى مبكرا للقضاء على السهر بقوله «ليس الإرسال التليفزيونى هو الذى يؤدى إلى السهر ، ولكن هناك أسبابا أخرى منها، على سبيل المثال ، عدم قدرة الفرد على تنظيم وقته » .

لفرضها عليه، وتوضح ما قد يترتب على عدم قبولها من آثار سلبية بيد أنه لا يطلق أحكاما على المسألة بصورة تطمس تفردها وحالاتها المتنوعة.

٣ - بزوغ بعض المهارات الحجاجية فى مراحل عمرية لاحقة:

لوحظ من استقراء بيانات الجدول الأسبق رقم (٣) أن بعض المهارات الحجاجية لم تظهر لدى عينة الإعدادى فى حين بدأت فى الظهور بصورة محدودة لدى عينة الثانوى، وبصورة أكبر لدى عينة الجامعة ويوضح الجدول رقم (٥) تلك المهارات.

جدول رقم (٥)

المهارات الحجاجية التى بزغت فى المراحل العمرية الأكبر فى عينات البحث

م	العينة / المهارة	الاعدادى	الثانوى	الجامعة
١	طرح مسلمات	–	١	٥٩
٢	استخدام الأسئلة	–	١٨	٥٢
٣	عقد المقارنات	–	١٢	٣٤
٤	الاستدلالي العكسي	–	–	٣٢
٥	الحلول التوفيقية	–	–	٢٢
٦	التفكير في العواقب والمعوقات	–	–	٢٠
٧	الاستدلال التاريخي	–	٢	١١
٨	الحجج التشخيصية العلاجية	–	–	١٠
٩	التقييم الشخصي	–	–	٩
١٠	التهكم	–	–	٧

يشير الجدول السابق رقم (٥) إلى أن هناك بعض المهارات الحجاجية التى لم تظهر تقريبا إلا فى مرحلة الجامعة (الرشد المبكر) وأولها " طرح مسلمات " خاصة كمقدمات يستخلص منها الفرد نتيجة معينة يلزم الطرف الآخر بقبولها وهى تعكس ارتقاء مهارة الاستدلال الاستنباطى، يليها مهارة " طرح أسئلة متنوعة " واستخدامها فى المحاجة كوسيلة للاستفهام تارة والاستنكار تارة أخرى، وليس لمجرد الحصول على المعلومات، وهو الاستخدام المتعارف عليه، ثم " عقد المقارنات " والقيام بعمليات

المماثلة بين الظواهر لتوضيح وجهات النظر الشخصية فى المسألة وتقريبها إلى الأذهان، يلى ذلك مهارة " الاستدلال العكسى" (*) والانتقال للنقيض لإثبات الحجة، ثم مهارة " طرح حلول وسط " ذات طابع توفيقى لتقريب وتقليص الفجوة بين المواقف المتعارضة، وكذلك التفكير فى العواقب المستقبلية للحجة المطروحة أى إدخال البعد المستقبلى فى عملية التقييم مما يضفى قوة أكبر عليها، وبدأت سلوكيات أخرى فى الظهور تعكس التعامل المرن مع عامل الزمن وإدماجه فى منظور الفرد للحجة حيث ظهرت مؤشرات الاعتماد على " الاستدلال التاريخى " حيث يقوم الفرد بحشد الأدلة الوقائع التاريخية لدعم الحجة، فضلا على استخدام " التهكم " (**) كوسيلة مفيدة فى المحاجة. وهو يعنى أن هناك مهارات إضافية نوعية بدأت فى البزوغ فى تلك المرحلة يعتمد عليها الفرد فى المحاجة مما يزيد من كفاءته فيها.

٤ - انحسار بعض السلوكيات الحجاجية السلبية عبر الزمن كمؤشر ارتقائى:

تكشف نتائج الجدول الأسبق رقم (٣) عن انخفاض معدل شيوع بعض السلوكيات الحجاجية ذات الطابع السلبى، ويوضح الجدول التالى رقم (٦) تلك السلوكيات.

جدول رقم (٦)

السلوكيات الحجاجية التى ينخفض معدل شيوعها مع التقدم النسبى فى العمر لدى عينات البحث

م	العينة / المهارة	الاعدادى	الثانوى	الجامعة
١	النظرة الجزئية	٨٩	٧٦	٢٦
٢	التمركز حول الذات	٦٦	٢٧	٢٥
٣	الوجوبية	٤٨	٢٤	٤

(*) كنموذج لذلك النوع من الاستدلال أجاب أحد طلاب الثانوي ردا على قضية " أن الدروس الخصوصية ضرورية لنجاح الطلاب وتفوقهم بقوله " إنها ليست ضرورية بدليل أن هناك طلابا أوائل على مستوى الجمهورية لا يعرفون طريقها ، وآخرين يأخذونها ولا يتمكنون من النجاح .

(**) قالت إحدى طالبات الجامعة ردا على قضية " ضرورة إعدام المدمنين فلا فائدة من علاجهم " متهكمة بقولها " إذا كان الإعدام هو الحل الوحيد للتخلص ممن لا فائدة منه لفرغت الأرض من سكانها " وقالت أخرى " إذا أخذنا الأمور بهذه الطريقة فعلينا إعدام كل مرضى السرطان الذين لا أمل في شفائهم" .

تابع جدول رقم (٦)

م	المهارة / العينة	الاعدادى	الثانوى	الجامعة
٤	التطرف الحكمى	٤٧	١٦	٤
٥	التصلب	٤٤	١٦	١٦
٦	السطحية	٤٣	٢٢	٥
٧	العيانية	٤٢	١٧	٧
٨	عدم تنظيم الأولويات	٣٥	١٧	٨

تكشف نتائج الجدول السابق عن أن هناك بعض السلوكيات الحجاجية التى ينخفض معدل شيوعها، وبما أنها فى مجملها ذات طابع سلبى فإن الانخفاض النسبى عبر العمر يعد علامة ارتقائية حينئذ، فعلى سبيل المثال كانت " النظرة الجزئية للأمور " شائعة فى عينة الإعداى والثانوى وهى تشير إلى الانشغال بالجزئيات عن الموضوع الرئيسى الكلى، والاستغراق فى تفاصيل فرعية معينة فى الحجة وإغفال الإطار العام لها، بيد أنها انخفضت بصورة ملحوظة فى عينة الجامعة. وكذلك حدث تناقص واضح فى " التمركز حول الذات " أثناء المحاجة مع الطرف الآخر فى عينة الثانوى والجامعة مقارنة بالإعدادى مما يعكس ميلا أكبر فى تلك الحقبة لاعتبار منظور الآخر بدلا من التركيز على منظور الفرد فقط، كذلك فقد حدث انحسار ملحوظ فى " الأسلوب الوجوبى " والذى يفرض الفرد بمقتضاه على الآخر ما يجب عليه أن يقوله ويفعله، وأيضا تناقص معدل إصدار " الأحكام المتطرفة القاطعة " (التطرف الحكمى) وكذلك " التصلب الحجاجى " حيث يغلب على الفرد النظرة الأحادية للأمور وإغفال الأبعاد الأخرى فى الموقف. وهناك انخفاض أيضا فى " النظرة السطحية " لموضوع المحاجة وعدم الغوص فيه ومناقشة أساسه حيث كان ملمحا بارزا فى عينة الإعدادى وانخفض لدى عينة الثانوى بقدر ملحوظ ثم تدنى حتى كاد أن يغيب لدى عينة الجامعة، وواكب ذلك أيضا انخفاض " التناول العيانى " للقضية والبعد عن النظرة المباشرة الضيقة التى لا تتجاوز الواقع

المادى للأمور ، وأصبح فى المقابل أفراد عينة الجامعة أكثر " تنظيما لأولوياتهم " إبان مناقشة القضايا الخلافية. نخلص من هذا إلى أن هناك توجها فى المحاجة يتصاعد عبر العمر فيزيد فى عينة الثانوى مقارنة بالإعدادى وبالجامعة مقارنة بالثانوى، يتمثل فى مزيد من التجرد، والبعد عن التناول الجزئى العيانى للأمور، والابتعاد عن الأحكام الوجوبية التى لا ترى الظروف المتفردة للطرف الآخر، وتجنب الأحكام القاطعة الحادة ذات الطابع العدائى.

٥ - المهارات الحجاجية التى لم يتغير معدل شيوعها عبر العينات بصورة جوهرية:

حين نستطلع نتائج الجدول الأسبق رقم (٣) سنجد أن هناك بعض المهارات الحجاجية التى لم يطرأ عليها - نسبيا - تغيرات ملحوظة مع التقدم فى العمر عبر العينات الثلاث فهى إما متوسطة الشيوع أو منخفضة، ويكشف الجدول التالى رقم (٧) عن أبرز تلك المهارات.

جدول رقم (٧)

المهارات الحجاجية التى بزغت فى المراحل العمرية الأكبر فى عينات البحث

م	المهارة / العينة	الاعدادى	الثانوى	الجامعة
١	الانفعالية	٣٥	٣٤	٢٩
٢	الاستمالة الوجدانية	٢٧	٢٩	٢١
٣	المرونة الحجاجية	٢٥	٢٣	٢٦
٤	الانسياقية	١٩	١٠	١٦
٥	الطلاقة الحجاجية	١٧	٢٩	١٦
٦	التمثيل (ضرب الأمثال)	١٤	١٦	٢٠
٧	إصدار أحكام قيمية مطلقة	١٢	١٤	١٣
٨	المناقضة	-	١	١
٩	الفهم المغلوط للحجة	٤	٢	-
١٠	النقد الذاتي	-	-	١

يتضح من نتائج الجدول السابق رقم (٧) أن هناك بعض السلوكيات الحجاجية موجودة بمعدلات متقاربة، تميل إلى الانخفاض النسبى، لدى كل العينات مثل استخدام العبارات والألفاظ الانفعالية، وكذلك الاستمالة الوجدانية (*) والمرونة الحجاجية التى تنطوى على التنوع وطرق زوايا جديدة وتقليب الأمر على وجوهه، واستخدام الأمثال أثناء المحاجة، وإصدار أحكام قيمية على الأشياء. وفى المقابل كانت هناك مهارات تكاد تكون غير موجودة لدى كل العينات تقريبا مثل " المناقضة " أى تعليق الحكم على مستحيل، والنقد الذاتى.

٦ - الفروق بين الذكور والإناث فى مؤشرات ارتقاء مهارات المحاجة:

أ - الفروق بين الذكور والإناث فى متوسط عدد الحجج عبر العمر:

حين قارنا بين متوسط عدد حجج الذكور ككل مقابل الإناث بغض النظر عن العمر بلغ متوسط عدد حجج الذكور (١٣,٧ ± ٥,٣) مقابل (١٤,٢ ± ٥,٢) للإناث ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة ت (-٠,٨). إلا أن الأمر اختلف إلى حد ما حين أجرينا تحليل تباين ثنائى لندرس طبيعة التفاعل بين العمر والنوع وأثر ذلك على متوسط عدد الحجج، ويبين الجدول التالى نتيجة ذلك الإجراء.

جدول رقم (٨)

التفاعل بين العمر والنوع وأثره على متوسط عدد الحجج لدى عينات البحث

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة « ف »
العمر	١٨٠٣,٢	٢	٩٠١,٦	٤٣,٩ *
النوع	١٧,٣١	١	١٧,٣	٠,٨
التفاعل بينهما (التعليم × النوع)	٣٤٢	٢	١٧١	٨,٣ *

* دال عند مستوى ٠,٠٠١

(*) ذكر أحد طلاب الجامعة مدافعا عن عدم إلغاء مباريات كرة القدم لأنها تعطل الشباب بقوله " إن الرياضة هى الصخرة التى تتحطم عليها سفينة الشهوات ".

وقالت طالبة فى الإعدادى في محاولة لإقناع الآخرين برأيها فى ضرورة عمل المرأة " لكل بنت احلام تحلم بها من أهمها أن تسأل نفسها ماذا سأعمل عندما أكبر ".

تابع جدول رقم (٨)

مصدر التبايـن	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمـة « ف »
التباين المفسر	٢١٦٢,٥	٥	٣٤٢,٥	٢١
البواقى	٦٠٤,٦	٢٩٤	٢٠,٦	-
المجموع	٨٢٠٥,١	٢٩٩	٢٧,٤	-

تشير نتائج الجدول السابق إلى أن العمر أثر منفرداً فى متوسط عدد الحجج، وكان مؤثرا أيضا حين تفاعل مع النوع حيث كان لهما تأثير دال فى متوسط عدد الحجج بيد أن النوع منفرداً لم يكن له تأثير دال على متوسط عدد الحجج.

وللكشف عن الآثار الفرعية للنوع على كل فئة من فئات العمر الثلاث منفردة عقدنا مقارنة بين الذكور والإناث فى كل عينة للوقوف على الفروق فى متوسط عدد الحجج بينهما، ويوضح الجدول التالى رقم (٩) نتائج تلك المقارنة.

جدول رقم (٩)

الفروق بين عينات البحث الثلاث من الذكور والإناث فى متوسط عدد الحجج

العينة	إعـــدادى				قيمة	مستوى	ثانوى				قيمة	مستوى	جامعة				قيمة	مستوى
النوع	ذكور		إناث		ف	الدلالة	ذكور		إناث		ف	الدلالة	ذكور		إناث		ف	الدلالة
المتغير	م	ع	م	ع			م	ع	م	ع			م	ع	م	ع		
موضوع المقارنة																		
متوسط عدد الحجج	١١,٦٨	٣,٣٧	١٠,٩٦	٣,٥٤	١,٠٤	غير دال	١١,٥٦	٣,٩٢	١٥	٤,٤	٣,٣٤	٠,٠٠٠١	١٧,٨٨	٥,٩٢	١٦,٥١	٥,٩٨	١,١٤	غير دال

تشير المقارنات الفرعية بين العينات الثلاث فى ضوء النوع إلى عدم وجود فروق فى متوسط عدد الحجج بين الذكور والإناث فى عينة الإعدادى، بيد أن الإناث فى عينة الثانوى أصدرن عددا أكبر من الحجج بشكل دال من الذكور، وفى الجامعة عاد الاثنان ليتساويا حيث ارتفع متوسط الذكور ليلحق بمتوسط الإناث. أى

أن الذكور لحقوا ارتقائيا بركب الإناث اللائى من المعروف فى التراث العلمى أنهن أسرع ارتقاء فى مرحلة المراهقة الوسطى من المراهقين فى الجوانب البدنية واللغوية بشكل خاص.

عقب بيان طبيعة الفروق الكمية فى متوسط عدد الحجج عبر النوع والعمر تقدمنا خطوة أخرى - أكثر تفصيلا - للأمام بغية الوقوف على الفروق النوعية بينهما فى طبيعة المهارات والسلوكيات الحجاجية المتنوعة التى يستخدمونها إبان عملية المحاجة من واقع تحليل مضمون الحجج التى قدموها فى القضايا الخلافية التى طرحت عليهم.

ب - الفروق بين الذكور والإناث عبر العمر فى مستوى شيوع المهارات الحجاجية:

يوضح الجدول التالى رقم (١٠) أكثر المهارات الحجاجية التى حدث زيادة فى معدل شيوعها عبر العمر لدى كل من الذكور والإناث.

جدول رقم (١٠)

أكثر المهارات الحجاجية التى زاد معدل شيوعها عبر العمر لدى كل من الذكور والإناث

م	النوع / العينة / المهارة	ذكـــور		
		الإعدادى	الثانوى	الجامعة
١	الإطلالة على جانبى المسألة	٣٨	٢٧	٨٦
٢	إعادة تأطير القضية	٩	٥	٦٩
٣	الواقعية	١٥	٢٢	٤٧
٤	طرح بديل مغاير	٢١	٢٠	٤٥
٥	الحجج الشرطية	١١	١٣	٣٠
٦	إبراز البديل الأسوأ	٢	٥	٣٠
٧	العقلانية	٧	١٢	٢٣
٨	النظرة المستقبلية	٤	٩	٢٣
٩	اعتبار منظور الآخر	١١	١٤	٢٠
١٠	الإشارات الدينية	٩	٢٠	٢٠
١١	العقلية التصنيفية	١٠	١٠	٢٤

م	النوع / العينة / المهارة	ذكـــور		
		الإعدادى	الثانوى	الجامعة
١	إعادة تأطير القضية	٨	٢٣	٦٠
٢	الإطلالة على جانبى المسألة	٣٠	٥٧	٥٦
٣	الواقعية	٢١	٤٠	٤٦
٤	طرح بديل مغاير	١٦	٣١	٤٣
٥	التحذير	١٥	١٩	٣٤
٦	التفريد	١٤	١٦	٣٤
٧	التسلسل الحجاجي	٨	٣٤	٣٤
٨	الحجج الشرطية	٥	٢٥	٣٣
٩	العقلانية	٩	٢٤	٢٦
١٠	الأحكام النسبية	١	٢٣	٢٥

حين نفحص نتائج الجدول السابق لنستدل منها على الفروق بين الذكور والإناث فى طبيعة المهارات التى يحدث فيها تحسن عبر العمر من خلال فحص معدل شيوعها فى عمليات المحاجة سنجد أن أكثر تلك المهارات تغيرا لدى الذكور هى : الإطلالة على جانبى المسألة ثم إعادة تأطير القضية، والنظرة الواقعية لها وعدم تجاهل متغيرات الواقع إبان مناقشتها، ثم القدرة على طرح بديل مغاير وهى مهارة مكملة لمهارة إعادة تأطير القضية، يلى ذلك استخدام الحجج الشرطية، وإبراز البديل الأسوأ فى حالة عدم قبول البديل المطروح، ثم اعتبار منظور الآخر (*) والعقلية التصنيفية، والاستعانة ببعض المأثورات الدينية. وحين ننتقل للوقوف على طبيعة التغيرات الإيجابية فى مهارات المحاجة لدى الإناث سنجد أن أكثرها ارتقاء عبر العمر هو إعادة تأطير القضية، والإطلالة على جانبى المسألة، والواقعية، وطرح بدائل مغايرة للتى يطرحها الطرف الآخر، والتجذير أى الغوص إلى ومناقشة أصل المسألة، وليس مظاهرها، والتفريد أى الاهتمام بالحالات الخاصة والظروف الاستثنائية فى القضية، وتحسنت، وإن كان بقدر أقل، النظرة العقلانية للأمور، وكذلك مهارة إصدار أحكام نسبية. حين ننظر بشكل عام إلى مظاهر الاختلاف فى الارتقاء الحجاجى بين الذكور والإناث سنجد أن هناك مهارات تحسنت بصورة متقاربة لدى كل منهما حيث كان ترتيب شيوعها متشابها، تقريبا، واحتلت المراكز المتقدمة لديهما، وتمثلت تلك المهارات فى : الإطلالة على جانبى المسألة، وإعادة تأطير القضية، والواقعية، وطرح بديل مغاير، والعقلانية، واستخدام الحجج الشرطية. وحرى بالذكر أن هذا الارتقاء ينطوى على مزيد من الاستقلالية الفكرية والمرونة، والنظرة العقلانية للأمور وهى سمات يفترض بزوغها فى تلك المرحلة النمائية بوجه عام (مرحلة المراهقة المتأخرة - مرحلة البحث عن الهوية المتمايزة والمستقلة فكريا وماديا عن الراشدين) بيد أن هناك مهارات تطورت بدرجة أكبر

(*) قالت إحدى طالبات إعدادى معللة رفضها الموافقة على إعدام المدمن بقولها " إن المدمن إنسان مثلنا " وقالت أخرى " كل واحد منا معرض لأن يكون فى مثل هذا الموقف " .

لدى الذكور مقارنة بالإناث مثل إبراز البديل الأسوأ، والإشارات الدينية، والنظرة المستقبلية، واعتبار منظور الآخر، والعقلية التصنيفية. أما المهارات التى تحسنت لدى الإناث بدرجة أكبر مقارنة بالذكور فهى التجذير، والتفريد، والتسلسل الحجاجى، وإصدار الأحكام النسبية.

ويمكننا القول بأن ذلك التفرد ينطوى على ميل لدى الذكور لإقناع الآخر بوجهة نظر معينة وحشد الأدلة الحالية، والمستقبلية لذلك، أما الإناث فيبدو أنهن يحاولن فهم حجة الآخر بصورة أعمق حتى يقتنعن بها أو يرفضنها بأدلة قوية. وعموما فهذا تفسير ذو طابع مبدئى، ومن ثم فإن هذه الفروق تدعونا بشكل عام إلى إفراد بحث خاص لها أكثر عمقا للوقوف على محدداتها وتأثيرها فى عناصر أخرى متصلة بالمحاجة من قبيل الاتجاه نحو المحاجة والاستراتيجيات المفضلة فى المحاجة لدى كل منهما.

ج - بزوغ مهارات حجاجية لدى كل من الذكور والإناث عبر العمر:

يقدم الجدول التالى رقم (١١) قائمة بالمهارات التى بزغت لدى كل من الذكور والإناث فى مراحل عمرية لاحقة بعدما لم تكن موجودة فى المراحل السابقة.

جدول رقم (١١)

الفروق بين الذكور والإناث عبر العينات الثلاث فى بزوغ مهارات حجاجية مستحدثة

م	النوع	ذكـــــور		
	المهارة / العينة	الإعدادى	الثانوى	الجامعة
١	طرح مسلمات	–	–	٣٨
٢	التجذير	–	١٥	٣٥
٣	استخدام الأسئلة	–	–	٣٣
٤	الاستدلال العكسى	–	–	٢٦
٥	عقد مقارنات	–	٥	٢١
٦	التـركـيـز على العواقب	–	–	١٣
٧	الاستدلال التاريخى	–	–	٨
٨	الحلول التوفيقية	–	–	٦

م	النوع	ذكـــــور		
	المهارة / العينة	الإعدادى	الثانوى	الجامعة
١	تعظيم مفعول الحجة	–	٣	٢٨
٢	الشخصية			
	طرح مسلمات	–	١	٢١
٣	استخدام الأسئلة	–	٨	١٩
٤	الحلول التوفيقية	–	–	١٦
٥	إبراز البديل الأسوأ	–	٦	١٤
٦	عقد مقارنات	–	٧	١٣
٧	الإفصاح عن الرأي الشخصي	–	٢٤	١١
٨	تحديد المسئوليات	–	١	١٠
٩	الأحكام القيمية	–	٢	٧
١٠	الاستدلال العكسي	–	–	٦
١١	التركيز على العواقب	–	–	٦

حين نستعرض نتائج الجدول السابق الخاصة بالمهارات الحجاجية لدى الذكور والتى لم تظهر فى مرحلة الإعدادى وبدأ ظهورها فى المرحلة الثانوية، وتنامت بدرجة أكبر فى مرحلة الجامعة، سنخالها تتمثل فى عقد المقارنات " كوسيلة لإثبات أو نفى حجة، " والتجذير " (*) والذى يصبح الفرد بموجبه أكثر ميلا للبحث عن جذور الموضوع. أما المهارات الأخرى فلم تظهر سوى فى عينة الجامعة فقط مثل مهارة طرح المسلمات، وتوجيه الأسئلة كوسيلة حجاجية فى صيغ استنكارية أو تعجبية أو استفهامية والاستدلال العكسى، والتاريخى، وتحديد العواقب والمعوقات، والتقدم بحلول توفيقية.

أما لدى الإناث فإن معظم المهارات مناط اهتمام هذا المحور فقد ظهرت فى الثانوى واستمر تحسنها فى الجامعة مثل استخدام الأسئلة، وإبراز البديل الأسوأ،

(*) قالت إحدى طالبات الجامعات «ليس إعدام المدمنين هو العلاج ولكن الحل يكمن فى اكتشاف الأسباب التى أدت إلى ذلك والقضاء عليها».

وإصدار أحكام قيمية على الأشياء، وطرح المسلمات، وتحديد المسئوليات، أما المهارتان اللتان ظهرتا فقط فى الجامعة فهما " الحلول التوفيقية" و " الاستدلال العكسى " .

د- الفروق بين الذكور والإناث عبر العمر فى معدل انحسار بعض السلوكيات الحجاجية :

يوضح الجدول التالى رقم (١٢) طبيعة السلوكيات الحجاجية التى انخفض معدل ظهورها لدى كل من الذكور والإناث عبر التقدم النسبى فى العمر.

جدول رقم (١٢)

السلوكيات الحجاجية التى حدث بها انخفاض ملحوظ عبر العمر لدى عينات البحث من الذكور والإناث

م	النوع	ذكــــور		
	المهارة / العينة	الإعدادى	الثانوى	الجامعة
١	الجزئية	٤٣	٤٩	١٢
٢	التمركز حول الذات	٢٨	١١	١٣
٣	السطحية	٢٥	١٢	٢
٤	التطرف الحكمى	٢٥	١٠	١
٥	عدم تنظيم الأولويات	٢٣	٩	١
٦	الوجوبية	٢٢	١٤	٢
٧	العيانية	٢٠	٨	٣
٨	التفكير الجزافى	١٩	٩	٣
٩	التصلب الحجاجى	١٧	٦	٧

م	النوع	ذكــــور		
	المهارة / العينة	الإعدادى	الثانوى	الجامعة
١	الجزئية	٤٦	٢٧	١٤
٢	التمركز حول الذات	٣٨	١٦	١٢
٣	التصلب الحجاجي	٢٧	١٠	٩
٤	الوجوبية	٢٦	١٠	٢
٥	العيانية	٢٢	٩	٤
٦	التطرف الحكمى	٢٢	٦	٣
٧	العمومية	١٩	١٩	٥
٨	السطحية	١٨	١٠	٣
٩	التفكك	١٧	٨	٢
١٠	التعميم المفرط	١٢	٦	٥

حين نستقرئ بيانات الجدول السابق سنجد أنه فيما يتعلق بالذكور فقد حدث انخفاض ملحوظ فى عدد من السلوكيات الحجاجية وبوجه خاص «النظرة الجزئية للأمور» (*) ، وكان ذلك بصورة واضحة فى المرحلة الجامعية فقط، و«التمركز حول الذات» حيث انخفض بدءًا من المرحلة الثانوية وكذلك «النظرة السطحية للأمور»، و «العيانية»، و «التطرف فى الحكم»، و «التفكير الجزافى»

(*) قالت إحدى طالبات الإعدادى فى هذا المقام «أوافق على إنهاء الإرسال التليفزيونى مبكرًا حتى نوفر استهلاك الكهرباء».

و«الوجوبى» وبما أن هذه السلوكيات ذات طابع سلبى إذن فإن انخفاضها يعد مؤشرا على ارتقاء المهارات الحجاجية.

وفى المقابل حدث انخفاض واضح لدى الإناث فى بعض السلوكيات الحجاجية من قبيل النظرة الجزئية، التمركز حول الذات، والسطحية، والعيانية، والتطرف فى الحكم والوجوبية، والتفكك الحجاجى.

هـ - مهارات تشابه معدل ظهورها لدى العينات ذكوراً وإناثا عبر العمر ولم يطرأ عليها تغيرات جذرية:

يحوى الجدول التالى رقم (١٣) قائمة بالمهارات الحجاجية التى لم يطرأ عليها تغير ملحوظ عبر النوع والعمر لدى عينات البحث.

جدول رقم (١٣)

المهارات الحجاجية التى لم يطرأ عليها تغيرات جذرية لدى عينات البحث الثلاث من الذكور والإناث

م	النوع	ذكــــور		
	المهارة / العينة	الإعدادى	الثانوى	الجامعة
١	التعميم المفرط	١٠	٨	٧
٢	المرونة	١٠	١٣	١٦
٣	التحيز	٢	٣	٤
٤	الانفعالية	١٥	١٣	١٢
٥	الإطناب	٧	٢	٥
٦	إبطال مفعول الحجة المضادة	٣	٥	٥
٧	التفكير الآنى	٢	١	-
٨	المناقضة	-	١	١
٩	اللوم والمساءلة	-	-	٢
١٠	النقد الذاتى	-	-	١

م	النوع	ذكــــور		
	المهارة / العينة	الإعدادى	الثانوى	الجامعة
١	ضرب الأمثال	٧	٩	٦
٢	التجريد	١٠	١٦	١٢
٣	المرونة	١٥	١٠	١٠
٤	التحيز	٤	١	٢
٥	المبالغة	٦	٧	٥
٦	الانسياقية	٥	٣	٩
٧	الاستمالة الوجدانية	١٩	١٨	١٢
٨	الاستدلال الخطأ	١	-	٢
٩	القفز على المقدمات	-	١	٣
١٠	المناقضة	-	١	-
١١	التهكم	-	-	٣
١٢	الاستدلال التاريخى	-	٢	٢

بالنسبة للذكور نلاحظ أن هناك مهارات لم يطرأ عليها تغيرات جذرية كبيرة مثل المرونة والانفعالية، والتحيز، والتعميم المفرط (*) أما فيما يتصل بالإناث

(*) قالت إحدى طالبات الإعدادى ردا على قضية منع توظيف النساء لتوفير فرص عمل للرجال، بقولها: =

فالتغيرات لم تشمل مهارة التجريد، والمرونة، والتحيز أيضا، والاستمالة الوجدانية، واستخدام وضرب الأمثال. ومن الناحية الأخرى فهناك مهارات تكاد تكون غير موجودة لدى الذكور مثل النقد الذاتى والمساءلة، والمناقضة، والتفكير الآنى، أما بالنسبة للإناث فتمثلت تلك المهارات فى الاستدلال الخطأ، والتهكم، والفهم المغلوط، والاستدلال التاريخى، والقفز على المقدمات. وهو ما يعنى أن الجوانب المزاجية (الانفعالية، والتحيز، والاستمالة الوجدانية) لا يطرأ عليها تعديلات تذكر مما يوحى بأنها مقاومة للتغير لدى كلا النوعين، كذلك فإنه يبدو أن هناك نمطا للمحاجة قد يكون شائعا فى الثقافة تغيب فيه عناصر النقد الذاتى والمساءلة.

مناقشة النتائج:

كشفت نتائج الدراسة عن عدة مؤشرات من شأنها إثراء فهمنا لعملية ارتقاء مهارات المحاجة ودلالاتها الشخصية والاجتماعية يمكن عرضها وفق الإطار التصورى التالى :

أولا : مظاهر الارتقاء عبر العمر فى مهارات المحاجة.

ثانيا : الفروق بين الجنسين عبر العمر فى مهارات المحاجة.

ثالثا : أنماط المحاجة.

رابعا : مؤشرات صدق الأداة والنتائج.

خامسا : بحوث مقترحة وأفكار مستقبلية.

أولا : مظاهر الارتقاء عبر العمر فى مهارات المحاجة:

أوضحت النتائج أن ارتقاء مهارات المحاجة يأخذ عدة مظاهر تتمثل فيما يلى:

١ - **النمو فى القدرة على توليد الحجج** : حيث تبين أن متوسط عدد الحجج يتزايد

= «أوافق لأن النساء لا يفعلن أى شىء فى العمل سوى تجهيز الخضروات فى المكاتب» ، ورفض أحد طلاب الثانوى ذلك بقوله: «إن المرأة تساوى الرجل فى كل شىء» .

بصورة مطّردة عبر الشريحة العمرية الممتدة من ١٢ حتى ٢١ عاماً حيث كان متوسط عدد الحجج منخفضاً لدى عينة الإعدادى (١١-١٣) ثم ارتفع بصورة دالة لدى عينةالثانوى (١٥- ١٦) واستمر فى الارتفاع على نحو دال أيضا لدى طلاب الجامعة (١٩ - ٢١)، وهو ما يعكس ارتقاء فى القدرات والمهارات العقلية المسئولة عن توليد الحجج كالاستدلال، والاستقراء، والاستنباط، والاستنتاج، والطلاقة الفكرية، ومهارات التفكير الناقد، والتفيئة، والتعميم، والتفكير الاحتمالى الافتراضى، واعتبار منظور الآخر وهى عمليات يترتب على ارتقائها توفر العناصر الأساسية الضرورية لبزوغ المهارات الحجاجية المحورية وممارستها بكفاءة وفعالية.

٢ - **تحسن مهارات حجاجية معينة عبر العمر** : أوضحت النتائج أن هناك مهارات حجاجية بعينها يطرأ عليها تحسن كبير عبر العمر حيث يزيد معدل استخدامها فى عمليات المحاجة مما يعد ملمحا ارتقائيا من قبيل مهارة إعادة تأطير القضية والتى تنطوى على إعادة تعريف المسألة المطروحة بصورة جديدة تخدم هدف الفرد، وعدم الانسياق أو الاعتماد على الاستخدام الذى يفرضه الطرف الآخر عليه. وهو ما يكشف عن قدر أكبر من الاستقلالية الفكرية. وكذلك ارتفاع مهارة التعامل مع جانبى المسألة (*)، والتى تعكس قدرة الفرد على إدراك الحجج المؤيدة والمعارضة فى ذات الوقت، والموازنة بينهما مما يزيد من موضوعيته إبان المحاجة، وسعة أفقه فى النظر للموضوع، فمن المعروف أن الحجة ذات الوجه الواحد One side argument تقدم فقط الوجهة التى يرغبها المتحدث أما ذات الوجهين two side فهى تضع فى اعتبارها الأدلة المؤيدة والمعارضة (Mcgee & Wilson, 1984, 485). ويؤكد « دى بونو » فى هذا السياق على أن الخطوة الأولى فى تعليم التفكير تكمن فى توجيه انتباه الفرد إلى جميع النقاط المهمة - الإيجابية والسلبية - ذات الصلة بالموقف وتشجيعه على تفحصها بترو (دى بونو، ١٩٨٩، ٥٤) ومن يفشل فى فعل ذلك أى

(*) ذكر أحد طلاب الإعدادى ما يعبر عن ذلك بقوله : « إن الدروس الخصوصية تزيد من تفوق الطالب فى المدرسة ولكن يدفع فيها الآباء أموالاً باهظة ».

الذى يركز على وجه واحد من المسألة ويتجاهل المعلومات التى تتعارض معها، فإنه سيميل للوثوق فى صدق أحكامه بصورة مفرطة مما يؤثر سلبا فى فعالية عملية المحاجة (Galotti, 1990)، وكذلك حدث تحسن ملحوظ فى كل من مهارة «التجذير» أى البحث فى أصل المسألة والإمساك بالعوامل المحورية فيها، و« العقلانية » والتى ترتكز على رفض الأحكام المطلقة والاعتماد على معايير موضوعية لإقامة الدليل، و« التفريد »[*] أى مراعاة الفروق الفردية والظروف الخاصة والحالات الاستثنائية فى الموقف، « والواقعية » والتى تتضمن وضع القضية فى حجمها الطبيعى، وعدم تجاهل متغيرات الموقف، والاحتكام للواقع كمحك، ومن المفترض أن يؤدى نمو مهارات من قبيل الواقعية، والعقلانية إلى أن يكون الفرد أكثر قدرة على تقييم الحجج والتأكد من أنها تقوم على مقدمات مقبولة، ومتصلة بالحقيقة، وأن عينة الوقائع القائمة عليها ممثلة للواقع (Zechmeister & Johnson, 1992 , 264)، وتجعله أكثر وعيا بمخاطر التعميم المفرط والاستدلال من عينات صغيرة العدد، وتمكنه من التعرف على طبيعة العلاقات السببية بين الظواهر (Lehman et al , 1988). وحدث تحسن ملحوظ أيضا فى مهارة « التفريد » أى النظر للحالات الخاصة والظروف والملابسات المحيطة بموقف معين، « وطرح بديل مغاير »[**] وابتكار فكرة مختلفة للحل عن التى طرحها الآخر، أو الموافقة المشروطة على ما يطرحه، و « تعظيم مفعول الحجة الشخصية » بوسائل متعددة من بينها إبراز «البديل الأسوأ » أى إبراز الآثار السلبية الناجمة عن عدم الموافقة على حجته مما يحث الطرف الآخر على الموافقة عليها، وهى مهارة قريبة الشبه بما يسميه المناطقة « قياس الإحراج »، أو ما يطلق عليه المتخصصون فى علم التفاوض السياسى

(*) قال أحد طلاب الجامعة مبررا رفضه إنهاء الإرسال التليفزيوني مبكرا للقضاء على السهر بقوله : «هناك من يعودون من العمل ليلا متأخرين وبذلك لن يكون متاحا لهم وقت للمشاهدة ». وذكرت إحدى طالبات الجامعة ردا على مسألة منع توظيف النساء لتوفير فرص عمل للرجال: « هناك نساء أرامل ومطلقات فى حاجة ماسة إلى وظيفة ».

(**) «بدلا من إنهاء الإرسال مبكرا لمنع السهر نغير نمط الإرسال ونقدم برامج متخصصة»، هكذا قال أحد طلاب الجامعة .

«تكنيك لا ترسلنى إلى سيبريا » أى عرض بديلين على الطرف الآخر الأول سيئ جدا، والآخر، الذى يريده الفرد، أقل سوءاً، مما يشجع الطرف الآخر على قبوله مع أنه كان سيرفضه إذا قدم منفردا (الخضيرى، -١٩٨٨، ٢٧٣)، «والعقلية التصنيفية » والتى تتضمن القدرة على تكوين فئات واقتراح أطر تصنيفية ذاتية، وتتمثل أهمية تلك المهارة فى أنها تعد إحدى الوسائل الأساسية التى تساعدنا على أن نعرف العالم بصورة منتظمة (Cudy - Kunst, 1991, 32)، و « التفكير الافتراضى الاحتمالى » أى القدرة على تخيل أوضاع افتراضية معينة والحكم على صحة الحجة فى ضوئها، وهى من دلائل دخول الفرد فى مرحلة العمليات الصورية الارتقائية المعرفية والتى يعرفها بياجيه بأنها « القدرة على أن يضع الفرد فى اعتباره كل الاحتمالات الافتراضية لحل المشكلة المطروحة وعواقبها أيضا» , Mcgee & Wilson, 1984) (274 حين نفحص التغيرات الارتقائية السابقة سنجد أنها تشير إلى أن هناك نمطا من الارتقاء الحجاجى تصبح بموجبه البنية الحجاجية للفرد أكثر تماسكا، وتمايزا، فهناك قدرة أكبر على إدراك أبعاد الموقف بصورة واقعية تحرص على البحث عن جذور المسألة وإصدار أحكام عقلانية حيالها، وتضع فى حسبانها الاعتبارات الخاصة للقضية، ويعرض بموجبها الفرد حججه بصورة أكثر تسلسلا ومنطقية، وينتهى فيه إلى طرح بديل مغاير يسعى لإقناع الطرف الآخر به اعتمادا على أساليب متنوعة منها طرح حجج شخصية متنوعة، وإبرازه للبدائل الأسوأ التى قد تحدث فى حالة عدم قبولها.

٣- **بزوغ مهارات مستحدثة** فى مراحل نمائية لاحقة لم تكن موجودة من قبل: إن بزوغ تلك المهارات فى مرحلة الثانوية والجامعة بعدما لم تكن موجودة بصورة محددة فى مرحلة الإعدادى مثلما يظهر شعر الشارب لدى الفتى بعدما لم يكن له وجود فعلى، يعد أحد المؤشرات الارتقائية، وتتمثل أهم هذه المهارات فى « طرح مسلمات » كنقطة بداية ينطلق منها الفرد فى عملية المحاجة ليستمد منها نتائج يقنع أو يلزم بها الطرف الآخر، والمسلمات كما هو معروف عبارة عن مطلب يتقدم به الرياضى

ويقول سلموا لى بنقطة البداية هذه، وسوف يضطر ذهنكم طوال عملية الاستدلال إلى قبول ما استنبطه منها (موى، ١٩٦٧، ١١٢ - ١١٣)، وهى مهارة مهمة لأنها تعكس عملية استدلال معقدة تتم بهدف إقناع الآخر بوجهة نظر معينة، وكذلك مهارة استخدام الأسئلة فى المحاجة سواء كانت ذات طابع استفهامى أو استنكارى (*) لأنه من خلال الاستخدام الملائم للأسئلة يستطيع الفرد الحصول على، والربط بين المعلومات الحالية والجديدة لتشكيل نظام من المعرفة (King, 1994)، وهو ما يحسن من نوعية عملية المحاجة بطبيعة الحال ويجعلها أكثر خصوصية ومما يشير إلى أهمية الأسئلة أن عالم الفيزياء الشهير « إيزادور رابى» Isador Rabi الحاصل على جائزة نوبل فى الفيزياء ذكر أن أمه كانت تسأله حين يأتى من المدرسة وهو طفل « ليس ماذا تعلمت »، ولكن ما هى الأسئلة الجيدة التى سألتها اليوم ؟ مما شجعه على تنمية العقل المتسائل والناقد لديه (Ibid)، وهو ما يدعونا لسبر دور السؤال فى المحاجة بصورة أكثر تحديدا، وخاصة الاستفهامى، والتوليدى، والاستنكارى، والتعجبى، وأثر ذلك فى تحديد مستوى فعاليتها ونأمل أن يتسنى لنا ذلك فى بحث لاحق.

وتنامت أيضا مهارة « **الاستدلال العكسى** » والذى يعنى الانتقال للنقيض لإثبات صحة الحجة أى قلبها.. وكذلك مهارة عقد المقارنات بين مواقف مختلفة للتدليل على صحة ما يذهب الفرد إليه. ومن المعروف أن المماثلة كما يشير « جنتنر وهوليوك » آلية معرفية مفيدة تمكن الناس من إدراك أوجه الشبه وفهم الموقف الجديد فى ضوء موقف سابق أصبح مألوفا وهى عملية مفيدة فى بناء الحجج وحل المشكلات (Gentner & Holyoak, 1997)، وكذلك مهارة « التوصل إلى حلول توفيقية لحسم الاختلاف حول المسألة وهو مؤشر ارتقائى وصمام أمان لضمان عدم تفاقم النقاش وتحوله إلى نزاع ومن ثم صراع، وكذلك « الاستدلال التاريخى »

(*) بدأ استخدام الأسئلة الاستنكارية على أيدي طلاب الجامعة كوسيلة للمحاجة مثل الطالب الذى قال ردا على قضية يجب منع الباعة الجائلين من الوقوف بالشوارع «لماذا نغلق بابا للرزق الحلال ، لأناس لم يجدوا ما يسد جوعهم واحتياجات بيوتهم» ؟ .

وتوظيف المعلومات التاريخية لتقديم أدلة مدعمة للحجة وهو ما يكشف عن سعة إطلاع الشخص، وفى هذا الصدد يشير « سمول » إلى أن الاعتماد على معلومات مرجعية يزيد مع العمر (Small , 1990, 429).

٤- **انحسار بعض السلوكيات** السلبية عبر الزمن كمؤشر للارتقاء : حيث بينت النتائج انخفاض معدل صدور بعض السلوكيات ذات الطابع السلبى مع التقدم فى العمر حيث كانت أقل لدى الجامعيين مقارنة بعينة الإعدادى والثانوى من قبيل النظرة الجزئية للأمور، ويشير دى بونو فى هذا المقام إلى أن الجزئية تعنى أن ينظر الشخص إلى جزء من الموقف فحسب، ويقيم حجته على أساس ذلك، كالطائفة التى تطالب بزيادة أجورها متجاهلة ما قد يسببه ذلك من ضرر للآخرين (دى بونو، ١٩٨٩، ٨٣) « والتفكير الوجوبى » الذى يركز على ما يجب أن يكون، « والتطرف الحكمى » حيث يصدر الفرد أحكاما (*) قاطعة لا مجال للتفاهم بشأنها، و« التصلب الحجاجى » أى النظر للموقف من منظور أحادى وإغفال الأبعاد الأخرى فيه وهو ما يتناقض، كما يقول « بالدوين »، مع مبادئ الاتصال الفعال الذى يتضمن التأكد من الفهم المتبادل، والتحدث بطريقة غير انفعالية، (Baldwin, 1992)، وكذلك «التمركز حول الذات »، والذى يرى، بموجبه، الطفل العالم من وجهة نظر واحدة هى نظرته (Matin, 1992, 314) ويضيف « جلوفر » بعداً آخر قوامه أنه يصعب على المتمركز حول ذاته اعتبار المعايير الاجتماعية، وبالتالى يميل إلى إصدار أحكام من منظور شخصى (Glover, 1977)، ومن المفترض أن يجعل ذلك الوضع من الصعب على الفرد أن يضع نفسه موضع الآخر لكى يفهمه ويتفهم توقعاته (Rubin et al , 1990) وهو ما يقلل من احتمال الوصول إلى اتفاق حول موضوع النقاش بينهما. وبناء على ذلك فإن الانخفاض التدريجى لذلك السلوك لدى عينة الجامعيين مقارنة بعينة الإعدادى، ومرورا بالثانوى، يعنى قدرا أكبر من اعتبار الآخر، وانحسر أيضا معدل

(*) أشار أحد طلاب الإعدادى فى هذا المقام إلى أنه يوافق على إعدام المدمنين لأنهم «سوف يحرضون جميع المصريين على الإدمان».

صدور سلوكيات من قبيل « العيانية » و « السطحية » فالمراهق كما يشير « إيلكند » Elkind, لم يعد يفهم كل شيء حرفيا كما كان من قبل بل يبدأ في إدراك المعانى المتعددة المتضمنة فى صورة أو كلمة ما (الطواب، ١٩٩٧، ٢١١) ، وهو تصور مقبول علميا على أساس أن من مظاهر النمو العقلى فى مرحلة المراهقة ارتقاء التفكير المجرد (إسماعيل، ١٩٨٩، ٢١١) وانخفض أيضا معدل صدور سلوك «الشخصنة» Adhominem والذى يشير إلى التهجم على شخص الطرف الآخر وليس على حجته (Verderber, 1991 , 342) ويلجأ الفرد عادة إلى ذلك حينما يتجادل مع آخر يقدم حجة قوية ولا يجد ثغرة فى منطقه لتفنيدها (Zechmestir & Johnson, 1992 , 273) ومن المفترض أن يقدم الانخفاض النسبى لهذه السلوكيات فى العينات الأكبر سنا (الجامعيين) مقارنة بالأصغر سنا (الإعدادى) مؤشرا إضافيا لحدوث ارتقاء فى مهارات المحاجة.

٥- **وجود مهارات لم يحدث** بها تغير ملحوظ عبر العمر : ذلك أن بعض المهارات ظل معدل شيوعها ثابتا - نسبيا - بحيث كانت تميل للانخفاض النسبى عبر كل العينات مثل « الانفعالية » (*)، والاستمالة الوجدانية، وهى تنتمى للجانب المزاجى، ومن المعروف أنه أقل عرضة للارتقاء مقارنة بالجوانب المعرفية، وكذلك لم يطرأ تغير يذكر على مهارة طرق زوايا جديدة (المرونة الحجاجية)، واستخدام الأمثال فى المحاجة، وكان هناك مهارات تكاد تكون لم تستخدم تقريبا من قبل أفراد العينة مثل « المناقضة » أى تعليق الموافقة على أمر مستحيل، والنقد الذاتى، والمساءلة. ونجد من الضرورى فى هذا المقام التذكير بأن بعض هذه المهارات ذات أهمية كبيرة، ومن ثم فإن الانخفاض النسبى فى معدل شيوعها، كضرب الأمثال مثلا، يدعونا إلى النظر فى حث الأفراد على التوسع فى استخدامها بطرق متنوعة، فتقديم الأمثلة - كما يقول « ديك » - من أكثر الأساليب فعالية لتوضيح المفاهيم وخاصة حين تكون مجردة، وحين نتحدث عنها لأول مرة، ولا يتاح لها نظير فى العقل (Decyk, 1994)،

(*) قال أحد طلاب الثانوى فى هذا المقام «إن عدم توظيف النساء يعتبر ظلما بشريا».

فضلا على أنها قد تؤيد ما يحاول الفرد إثباته، ودحض ما يسعى لنفيه (Nisbett & Ross, 1980 , 383)، وينطبق هذا التحليل أيضا على مهارات من قبيل طرق زوايا جديدة لموضوع المحاجة، والنقد الذاتى.

ثانيا: الفروق بين الجنسين عبر العمر فى ارتقاء مهارات المحاجة:

١- **كشفت النتائج** عن أن النوع لم يؤثر بصورة دالة على مهارات المحاجة بشكل عام، بينما كان العمر صاحب التأثير الأكبر حيث لم نجد فروقا دالة بين الذكور ككل مقابل الإناث فى متوسط عدد الحجج، ولم تُظهر المقارنات الفرعية فروقا بين طلاب وطالبات الإعدادى، وكذلك الجامعة، إلا أن الفرق الوحيد تمثل فى أن إناث ثانوى أصدرن عددا من الحجج أعلى من ذكور ثانوى، فى تلك المرحلة فقط (المراهقة)، ولكن الذكور تساووا معهم فى مرحلة الجامعة. وهو ما قد يشجعنا على القول إننا إزاء عقلية حجاجية واحدة سواء كان صاحبها ذكرا أو أنثى، وأن الخلاف فى مستوى وطبيعة تلك العقلية يعزى لعوامل أخرى غير النوع مثل مستوى ارتقاء المهارات الفكرية والقدرات العقلية، وسعة الاطلاع، الانفتاح الثقافى بشكل عام.

٢ - **أما الفروق فى** نمط الارتقاء المهارى للمحاجة فقد أوضحت النتائج أن المهارات الأكثر تغيرا (تحسنا) لدى الذكور تمثلت فى إعادة تأطير الحجة، والإطلالة على جانبى المسألة والواقعية، وطرح بديل مختلف، وإبراز البديل الأسوأ، والموافقة المشروطة (*) والإشارات والاستشهادات الدينية، والنظرة المستقبلية أما الإناث فقد تشابهن مع الذكور فى تحسن بعض المهارات لديهن مثل إعادة التأطير، والإطلالة على جانبى المسألة، وطرح بديل مغاير، والواقعية، والموافقة المشروطة، بيد أنهن اختلفن فى تحسن مهارة التجذير، والتفريد، والأحكام النسبية. حين نمعن النظر فى المهارات التى ارتقت لدى الذكور والإناث بصورة متشابهة سنجد أنها تكشف عن

(*) ذكرت إحدى طالبات الإعدادى فى هذا الصدد «أوافق على إلغاء المباريات فى أيام الدراسة فقط وإذاعتها فى أيام العطلات».

ملامح لعملية المحاجة لديهم تتسم بالاستقلالية، والمرونة الفكرية وأخذ المتغيرات الموقفية بعين الاعتبار تمهيدا لاتخاذ موقف عقلانى من المسألة سواء بالموافقة - المشروطة عادة - أو طرح بديل مغاير يعتقد أنه أكثر كفاءة. وحين نتحول لفحص المهارات التى ارتقت بدرجة أكبر لدى الذكور سنلاحظ أنها تعكس قدراً أكبر من الاستدماج لبعد الزمن فى عملية المحاجة سواء كان فى الماضى من خلال الاستشهاد بالمأثورات الدينية أو فى المستقبل حيث يضع هؤلاء الشباب النظرة المستقبلية فى اعتبارهم إبان المحاورة. وفى المقابل نجد أن الإناث تميزن بارتقاء مهارات تعكس الميل إلى النظرة التفصيلية للأمور والأخذ فى الحسبان الظروف الخاصة للحالة (*) موضع النقاش وهو ما يجعلهن يملن إلى إصدار أحكام ذات طابع نسبى. وبطبيعة الحال فإنه من شأن نمو تلك المهارات أن يسهم فى تحسين نوعية المحاجة، والتعامل مع عناصر الاختلاف مع الطرف الآخر فيها بصورة أكثر رقيا.

٣ - **فيما يتصل** بالفروق بين النوعين فى بزوغ مهارات حجاجية معينة فى مراحل لاحقة فقد أوضحت النتائج أن مهارتى عقد المقارنات والتجذير بدأ ظهورهما لدى الذكور فقط فى عينة الثانوى ثم ازداد تحسنهما فى الجامعة، أما طرح مسلمات والاستدلال العكسى، والتاريخى، والحلول الوسط فلم تظهر تقريبا سوى فى الجامعة، أما فى عينة الإناث فإن مهارات عقد المقارنات واستخدام الأسئلة، وإبراز البديل الأسوأ (**) والإفصاح عن الرأى فقد بدأ ظهورها فى عينة الثانوى فى حين أن الحلول الوسط، والاستدلال العكسى ظهرت فى الجامعة فقط. ويلاحظ أن حجم التحسن كان أكبر لدى الذكور مقارنة بالإناث فى مهارات عقد المقارنات، والاستدلال العكسى، وطرح المسلمات واستخدام الأسئلة. أما الإناث فكان التحسن أكبر لديهن فى مهارة التقدم بالحلول التوفيقية.

(*) قالت إحدى طالبات الثانوى فى هذا السياق «تعتبر الدروس الخصوصية ضرورية فقط للطلاب منخفضى الذكاء».

(**) أشار أحد طلاب الجامعة كنوع من إبراز البديل الأسوأ فى حالة منع الباعة الجائلين من الوقوف بالشوارع بقوله: «كلمة بائع جائل أفضل بالتأكيد من متسول أو مجرم».

٤ - **انحسار وضعف** سلوكيات حجاجية معينة عبر النوع والزمن : تبين من استقراء النتائج أنه قد حدث تناقص ملحوظ لدى الذكور فى بعض السلوكيات الحجاجية من قبيل : السطحية، والتطرف الحكمى، وعدم تنظيم الأولويات والتفكير الوجوبى، والجزافى، والنظرة الجزئية، والتمركز حول الذات، أما الإناث فقد انخفضت لديهن النظرة الجزئية، والوجوبية، والسطحية، والتعميم المفرط، والتصلب، والعمومية، وهو انخفاض ينطوى على أن نمط المحاجة لديهن يسير فى وجهة أكثر عمقا، وتجريدا، وعقلانية، واعتباراً للآخر مما يعنى ضمنا الارتقاء بمستوى عملية المحاجة.

٥ - **هناك مهارات** لم يحدث فيها تغير جوهرى لدى كل من الذكور والإناث فلدى الذكور تمثلت تلك المهارات فى الانفعالية والمرونة، ثم التحيز، والإطناب، أما لدى الإناث فشملت التجريد، والمرونة، والاستمالة الوجدانية، والمبالغة، والانسياقية، وهناك مهارات تكاد تكون لم تظهر لدى كل منهما تمثلت لدى الذكور فى المساءلة، والنقد الذاتى، والمناقضة، ولدى الإناث فى المناقضة، والاستدلال التاريخى، والتهكم، والقفز على المقدمات، والفهم الخاطئ، وهو ما يعنى أنها تعد من الملامح المميزة للظاهرة فى الثقافة المحلية لدى تلك الشريحة العمرية.

ثالثا : أنماط المحاجة :

من المفترض أن هناك أنماطا شائعة للمحاجة، مثلما أنماط الشخصية، وأن كل فرد يمكن تصنيفه فى نمط حجاجى معين يتكرر بصورة متسقة عبر القضايا فهناك، مثلا، التفصيلى، والمطنب، والتجريدى، والمعمم، والعقلانى. وهذا النمط له ملامح معينة تميل للتكرار، وهى نقطة من الأهمية بمكان بحثها بصورة أعمق لما لها من فائدة محورية فى بناء برامج تنمية مهارات المحاجة بحيث تصمم تلك البرامج بطريقة تتناسب مع هذه الأنماط واحتياجاتها التنموية. وحتى نبدأ بداية صحيحة لاكتشاف هذه الأنماط علينا أولا أن نكشف عمن نسميهم المحاجين، ثم نسعى

للوقوف على نمط المحاجة السائد لديهم فى كل مرحلة عمرية، وفيما يلى خطوات القيام بذلك :

١ - **تحديد الأفراد** الأكثر حجاجا أو من لديهم قدرة على توليد الحجج عبر العمر. كى نستطيع أن نقف على نسبة هؤلاء عبر الفئات العمرية قمنا بحساب نسبة وتكرارات الأفراد فى كل فئة من فئات عدد الحجج لكل عينة، ويبين الجدول التالى حجم ونسبة هؤلاء.

جدول رقم (١٤)

نسب وتكرارات فئات الحجج فى العينات الثلاث

العينة / تكرارات ونسب / فئة عدد الحجج	اعدادى*	ثانوى	جامعة
	ك (٪)	ك (٪)	ك (٪)
٧ - ١٠	٤٥	٣٣	١٠
١١ - ١٤	٣٥	٢٩	٢٣
١٥ - ١٨	١٨	٢٢	٣٠
١٩ - ٢٢	٢	١٤	١٦
٢٣ - ٢٦	-	٢	١٥
أكثر من ٢٦	-	-	٦
الإجمالى	١٠٠	١٠٠	١٠٠

* نظرا لأن عدد أفراد كل عينة (١٠٠) فرد فإن التكرار سيكون مطابقًا للنسبة المئوية ولذا اكتفينا بوضعهما معا فى عامود واحد.

يكشف الجدول السابق رقم (١٤) عن عدة مؤشرات هى :

- الانخفاض التدريجى لنسبة من طرحوا عددا قليلا من الحجج (التى تقل عن عشر حجج) عبر العمر حيث كانت نسبة هؤلاء فى عينة الإعدادى (٤٥٪) وأصبحت (٣٣٪) فى الثانوى، وحين حسبنا دلالة الفرق بين النسبتين بلغت قيمة النسبة الحرجة (٣,٢) وهى دالة عند مستوى (٠,٠١)، أى أنها انخفضت بصورة دالة. وأصبحت هذه النسبة لدى عينة الجامعة (١٠٪) فقط، وقد كان الفارق بين

نسبة هؤلاء فى الجامعة والثانوى دالا أيضا عند مستوى ٠,٠١ حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٩,٨)، وبطبيعة الحال كان الفارق بين نسبة هؤلاء فى الجامعة مقارنا بالإعدادى دالا أيضا.

• بلغت نسبة من قدموا عدداً أكبر من الحجج (أكثر من خمس عشرة حجة) على مجمل القضايا فى عينة الإعدادى (٢٠٪) فقط ثم ارتفعت هذه النسبة لتصل إلى (٣٨٪) من عينة الثانوى، وقد كان الفارق بين النسبتين دالا عند مستوى (٠,٠٠١) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٦,٧)، وازداد ارتفاع نسبة هؤلاء المحاجين فى عينة الجامعة لتبلغ (٦٧٪). أى أن ذوى القدرة المرتفعة على توليد الحجج لم يشكلوا سوى خُمّس عينة صغار السن (الإعدادى) مقابل ثلثى أفراد عينة الأكبر سنا من طلاب الجامعة، وهو ما يكشف عن ارتقاء حجاجى يتمثل فى ظهور نسبة أكثر من المحاجين فى تلك المرحلة العمرية الأكبر.

• لم يصل أى فرد فى عينة الإعدادى إلى فئة من لديهم قدرة فائقة على طرح الحجج أو ذوى الطلاقة الحجاجية المرتفعة (أكثر من ٢٣ حجة)، فى حين لم يشكلوا سوى نسبة (٢٪) من الثانوى، وارتفعت نسبتهم لتصل إلى (٢١٪) من طلاب الجامعة، وقد كان الفارق بين النسبتين دالا عند مستوى ٠,٠١ حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١٧,١).

• حين فحصنا تكرارات نسب فئات عدد الحجج تبعاً للعمر والنوع معاً لم تختلف ملامح الصورة كثيراً سوى أن بنات الثانوى كن أكثر طلاقة حجاجية من ذكوره.

٢ - **تقدمنا خطوة** أكثر تفصيلاً للوقوف على طبيعة النمط الحجاجى السائد لدى أفراد العينات العمرية الثلاث ومظاهر تحولاته الارتقائية. ويوضح الجدول التالى رقم (١٥) أبرز المهارات الحجاجية الشائعة لديهم على النحو التالى :

جدول رقم (١٥)

ملامح نمط المحاجة السائد لدى أفراد العينات الثلاث

العينة / ترتيب المهارة	الإعــدادى		الثانــوى		الجامعــة	
	المهــارة	ك	المهــارة	ك	المهــارة	ك
١	الجزئية	٨٩	إدراك جانبى الحجة	٨٤	إدراك جانبى المسألة	١٤٢
٢	إدراك جانبى المسألة	٦٨	الجزئية	٧٦	إعادة تأطير القضية	١٢٩
٣	التمركز حول الذات	٦٦	الواقعية	٦٢	الواقعية	٩٢
٤	الوجوبية	٤٨	التسلسل	٥٨	طرح بديل مغاير	٨٨
٥	التطرف الحكمي	٤٧	طرح بديل مغاير	٥١	التجذير	٦٩
٦	التصلب الحجاجي	٤٤	الإشارات الدينية	٥١	الحجج الشرطية	٦٣
٧	السطحية	٤٣	الحجج الشرطية	٣٨	طرح مسلمات	٥٩
٨	العيانية	٤٢	العمومية	٣٧	التفريد	٥٩
٩	التسلسل الحجاجي	٤٠	اعتبار الآخر	٣٦	التسلسل الحجاجي	٥٧
١٠	طرح بديل مغاير	٣٨	العقلانية	٣٦	استخدام الأسئلة	٥٢
١١	الواقعية	٣٦	التجذير	٣٦	العقلانية	٤٩
١٢	عدم تنظيم الأولويات	٣٥	الانفعالية	٣٤	تعظيم معقول الحجة	٤٥
١٣	الانفعالية	٣٥	العقلية التصنيفية	٣١	إبراز البديل الأسوأ	٤٤
١٤	التفريد	٣٠	القدرة التمييزية	٣٠	العقلية التصنيفية	٣٩
١٥					النظرة المستقبلية	٣٨
١٦					اعتبار الآخر	٣٤
١٧					عقد المقارنات	٣٤
١٨					الاستدلال العكسي	٣٢
١٩					الأحكام النسبية	٣١
					التفكير الاحتمالي الافتراضي	٣٠

حين نفحص نتائج هذا الجدول لكى نستخلص ملامح نمط المحاجة فى كل مرحلة عمرية سنجد ما يلى :

- فيما يتصل بمرحلة الإعدادى فإن أكثر تلك السلوكيات بروزا تمثلت فى النظرة الجزئية، والنظر من زاوية واحدة للمسألة (التصلب)، والتطرف فى الحكم والتفكير الوجوبى، والسطحية، والعيانية، والتمركز حول الذات وهى سلوكيات ذات طابع سلبى، أما السلوكيات الحجاجية الإيجابية فقد أتت فى مكانة أقل تقدماً،

وكانت أقل شيوعا من قبيل التسلسل الحجاجى، وطرح بديل مغاير (*)، والواقعية، والتفريد، أى أن السلوكيات السلبية بلغ عددها (٩) مقابل (٥) إيجابية.

• أما المهارات الحجاجية السائدة فى عينة الثانوى فتمثلت فى الإطلالة على جانبى المسألة، والتسلسل الحجاجى، والإشارات الدينية والواقعية، واستخدام الحجج الشرطية، واعتبار الآخر، والعقلانية، والتجذير، والعقلية التصنيفية، وهى سلوكيات ذات طابع إيجابى، أما ذات الطابع السلبى فكانت النظرة الجزئية، والانفعالية والعمومية أى أن معظم المهارات الأكثر شيوعا والتى شكلت النمط الحجاجى لهم كانت ذات طابع إيجابى (١١) مقابل ثلاثة سلوكيات فقط ذات طابع سلبى.

• وبالنسبة لعينة الجامعة فقد كانت مجمل المهارات الأكثر شيوعا والمعبرة عن نمطهم الحجاجى ذات طابع إيجابى (١٥ مهارة) حيث تمثلت فى الإطلالة على جانبى المسألة، وإعادة تأطير القضية، والواقعية، وطرح بديل مغاير، والتجذير، واستخدام الحجج الشرطية، والتفريد، وطرح مسلمات، والتسلسل الحجاجى، واستخدام الأسئلة، والعقلانية، وتعظيم مفعول الحجة الشخصية، وإبراز البديل الأسوأ، والعقلية التصنيفية، والنظرة المستقبلية للأمور.

نخلص من هذا إلى أن كل فئة تتسم بغلبة نمط حجاجى معين فيها دون غيرها ففى الإعدادى كان سائدا نمط حجاجى سلبى يتسم بالذاتية وأحادية الرؤية والتعجل فى إصدار الأحكام، والتشبث بالرأى الشخصى بغض النظر عن صحته، وتجاهل المتغيرات الواقعية، والغياب النسبى للنظرة المستقبلية بيد أن هذا النمط الحجاجى أصبح يأخذ ملامح مختلفة - أكثر إيجابية - وفى المرحلة الثانوية تمثلت فى التخلى عن رؤية المسألة من زاوية واحدة فقط، وإصدار أحكام أكثر عقلانية، ومحاولة البحث فى جوهر القضية، وتفهم وجهة نظر الآخر حولها. وفى المرحلة الجامعية حدث تحسن نوعى أيضا فى ذلك النمط حيث أصبح الفرد أكثر تفهما

(*) قالت إحدى طالبات الإعدادى «الرأى الأصوب - بدلا من إعدام المدمنين - هو إعدام من يروجون للمخدرات».

للآخر، وانفتاحا على آرائه، ومحاولة فهمه، والإحاطة بجوانبه التفصيلية، من خلال طرح المزيد من الأسئلة عليه، والسعى فى الوقت ذاته لإقناع الطرف الآخر برأيه بوسائل متنوعة بعضها إغرائى من خلال طرح مسلمات واشتقاق نتائج ملزمة منها، والآخر تخويفى وذلك بإبراز البديل الأسوأ فى حالة عدم قبول ما يترتب على مسلماته، وذلك فى ظل مراعاة الطابع الخاص للموقف والأخذ بعين الاعتبار الحالات الخاصة والاستثنائية للمسألة أى أنه يمكننا القول بأن النمط الحجاجى للأفراد يسير فى وجهة ارتقائية تمتد على عدة محاور قوامها المزيد من المرونة الحجاجية، والنظر للجوانب الإيجابية والسلبية للمسألة، والتخلى عن التمركز حول الذات واعتبار منظور الآخر بدرجة أكبر، والاحتكار للمعايير العقلانية والواقعية فى إصدار الأحكام على الأمور، والغوص بدرجة أكبر نحو أساس الأشياء وعدم الاكتفاء بالتعامل معها وفهمها بصورة سطحية، وتجميع مزيد من المعلومات بوسائل متعددة عنها، وتتمايز الوظائف الحجاجية لدى الفرد حيث لا يكتفى بأن يكون مفندا لوجهات نظر الآخر ومدافعا عن وجهات نظره أى النظرة التفنيدية - الدفاعية، بل يحاول أيضا أن يمارس الوظيفة الإقناعية الاستمالية لجذب الآخر لصفه. كذلك يتعامل الفرد مع عامل الزمن بصورة أكثر تنوعا فتتجاوز نظرته اللحظة الراهنة ويستند إلى الأدلة التاريخية لدعم تصوراته، ويضع النظرة المستقبلية للأمور فى حسبانه أيضا.

- ويلاحظ أن هذا النمط الحجاجى لا يختلف كثيرا لدى الذكور عن الإناث حيث إننا حين حاولنا استطلاع نمط الذكور مقابل الإناث فى المحاجة وجدنا أن أكثر المهارات شيوعا لدى الذكور تمثلت مرتبة ترتيبا تنازليا من حيث الشيوع فى الإطلالة على جانبى المسألة، والقفز على المقدمات، والنظرة الجزئية، وطرح بديل مختلف عن الذى يطرحه الآخر، والواقعية، وإعادة تأطير المسألة، والتسلسل الحجاجى، والحجج الشرطية، والتفريد، والتمركز حول الذات، والتجذير.

أما بالنسبة للإناث فكان الإطلالة على جانبى المسألة، والواقعية وطرح بديل مغاير، وإعادة تأطير القضية، والتسلسل الحجاجى، والتمركز حول الذات، والحجج الشرطية والتجذير، والتفريد، والعقلانية، والانفعالية.

تكشف هذه المقارنة - بشكل عام - عن وجود قدر مرتفع من التشابه فى النمط الحجاجى بينهما حيث احتلت قائمة المهارات الأكثر شيوعا لدى كل منهما تسع مهارات متشابهة، بغض النظر عن الاختلاف النسبى لترتيب كل منها بالقائمة، وهو ما يشير بصورة عامة، إلى تشابه بنية مهارات المحاجة لديهما على الرغم من وجود بعض الفروق المحدودة من قبيل أن الذكور أكثر جزئية ومحاولة لفرض وجهات نظرهم على الآخر بالقفز على المقدمات فى حين أن الإناث أكثر استقلالية ولديهن ميل للعرض المتوازن للحجج، ويغلب عليهن أحيانا الطابع الانفعالى وقد يعزى ذلك إلى التنفيس أو مقاومة فرض وجهات النظر عليهن، أو تعظيم الأثر الإقناعى للحجة.

رابعا : مؤشرات صدق الأداة والنتائج :

تم الحصول من نتائج البحث على العديد من مؤشرات صدق التكوين لأداته حيث دعمت تلك النتائج الكثير من التصورات النظرية المسبقة، واتفق بعضها مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة من وقائع، وقد تمثلت تلك المؤشرات فى :

- تبين كما هو متوقع أن هناك علاقة إيجابية بين العمر ومتوسط عدد الحجج التى يولدها الفرد فى مواقف المحاجة وبخاصة فى الشريحة العمرية المستهدفة للدراسة (من ١٢ حتى ٢١ عاما) حيث كان متوسط عدد حجج عينة الجامعة أكبر من عينة الثانوى بصورة دالة، والإعدادى أقل من الثانوى بشكل دال أيضا أى أن هناك تأثيراً واضحًا لمتغير العمر على عدد الحجج.

- حدث انخفاض ملحوظ عبر العمر فى معدل شيوع العديد من السلوكيات الحجاجية السلبية مثل : إصدار الأحكام القاطعة دونما أدلة كافية، والتعميم

المفرط، والألفاظ العدائية، والنظرة الجزئية للأمور (*)، والتمركز حول الذات حيث كانت هذه السلوكيات شائعة بدرجة أكبر لدى عينة الإعدادى حتى أنها شكلت نمطهم الحجاجى فى حين تراجعت بدرجة كبيرة فى عينة الثانوى، وبدرجة أكبر فى عينة طلاب الجامعة.

• أوضحت النتائج أن هناك بعض المهارات الحجاجية تزداد قوة عبر الزمن بصورة متدرجة مثل مهارة" إعادة تأطير القضية " حيث برزت بصورة أكثر شيوعا لدى الجامعيين مقارنة بطلاب الإعدادى، وكذلك.. الإطلالة على جانبى المسألة، والنظرة الواقعية للمسألة والأخذ فى الاعتبار العديد من المتغيرات الموقفية، وهى مؤشرات ارتقائية تتسق مع الأطر النظرية الخاصة بارتقاء المهارات المعرفية نحو مزيد من التجريد، واعتبار منظور الآخر، وتجاوز النظرة الأحادية للقضية. ويلاحظ أن العديد من هذه النتائج اتفق بشكل عام مع نتائج دراسات سابقة مثل دراسات Galotti, التى أثبتت ارتقاء التفكير الافتراضى عبر العمر وخاصة إبان فترة المراهقة، ودراسة Schaffer, والتى تشير إلى ارتقاء مفهوم اعتبار الآخر فى تلك الشريحة العمرية، وكذلك دراسات Small, والتى كشفت عن نمو القدرة على التعامل مع الحجج الشرطية فى تلك الفترة أيضا.

خامسا : بحوث مقترحة وأفكار مستقبلية :

من المتعارف عليه أن معيار كفاءة ومصداقية أى بحث تتمثل فى قدرته على إثارة العديد من التساؤلات الواجبة البحث على أيدى باحثين آخرين مستقبلا، وقد أثمر هذا البحث فى **إثارة العديد من التساؤلات** التى يقترح دراستها لاحقا قوامها ما يلى :

• **طالما أن** النتائج تشير إلى أن هناك ارتقاء يحدث فى مهارات المحاجة، لذا فنحن فى حاجة لفهم الكيفية التى يحدث بها هذا الارتقاء، والوقوف على العوامل

(*) علل أحد طلاب الإعدادى موافقته على إزالة الأحياء العشوائية ونقل سكانها خارج القاهرة بقوله: «إن الأحياء العشوائية يقطن بها البلطجية والمدمنون».

التى تسهم فى تشكيل وتوظيف ذلك الفهم فى توجيه الدراسات التحكمية التى تهدف إلى تنمية مهارات المحاجة بصورة مخططة، وبناء على هذا التصور تقترح إجراء دراسات حول دور بعض المتغيرات المحورية فى تحديد مستوى مهارات المحاجة من قبيل سمات الشخصية، وكنموذج لها سمة " التيقظ العقلى " Mindfulness والتى يشير " إيلين لانجير ,Ellenlanger إلى أنها تتضمن ثلاثة مكونات فرعية هى صنع فئات جديدة، والانفتاح على أفكار مختلفة أصيلة، والوعى بأكثر من منظور للمسألة (Gudykunst, 1991, 32)، وكذلك متغير الاتجاه نحو المحاجة ودوره فى حث الفرد على الانخراط فى - أو الانصراف عن - الاشتراك، فى المحاجات المتنوعة، وكذلك متغير معدل التعرض لمحاجات سابقة، إدراك عائدها، فضلا على القدرات الإبداعية وبوجه خاص المرونة والأصالة والطلاقة الفكرية، وكيفية استثمارها فى تطوير ورفع كفاءة العملية الحجاجية.

• **الكشف عن** المحاجين وهم الأفراد الأكثر قدرة على إنتاج الحجج وإجراء دراسات مكثفة عليهم للوقوف على العوامل التى أسهمت فى تنمية المهارات لديهم، فضلا على الاستراتيجيات الحجاجية التى يلجأون إليها، وفى هذا الصدد يشير "ماكلويد " ,Macled إلى أن الناس يختارون الاستراتيجية الحجاجية الملائمة فى ضوء تحليل التكلفة بين المتاح لهم منها، وبين التى تمكنهم قدراتهم من تنفيذها بفعالية، والمفضلة لديهم بدرجة أكبر (Roberts et al., 1997).

• **الثقافة والمحاجة** : من المفترض وجود علاقات متنوعة بين الثقافة والمحاجة فهناك فروق بين أفراد الثقافات المختلفة فى المهارات الحجاجية، والقدرة على توليد الحجج، وفى مدى حث الثقافة على ممارسة عمليات المحاجة، ودعمها أو كفها، ومن المتوقع فى العالم العربى أن نجد فروقا عبر ثقافية، وداخل الثقافة الواحدة عبر ثقافاتها الفرعية فى معدل ممارسة عمليات المحاجة، ومدى المهارة فى ذلك، ويشير " إدواردز " ,Edwards فى هذا السياق إلى أن مدى ثراء الثقافة، وتشجيعها على ممارسة العمليات الاستدلالية (الحجاجية)، ومدى اتصال أفرادها بثقافات أخرى

يسهم فى صقل تلك المهارات لديهم (Mrqulis & Valavides, 1997) يضاف إلى ذلك أننا بحاجة إلى الكشف عن مظاهر سوء الفهم الثقافى أثناء عمليات المحاجة بين أفراد من ثقافات مختلفة حتى نزيد من فعالية تلك العمليات بينهم، وخاصة فى مجالات التفاوض السياسى، والعلاقات الدولية.

• **تحليل مجموعة** من المحاجات الفعلية سواء تلك التى تجرى فى ساحات المحاكم، أو المناظرات التليفزيونية، أو المناقشات الزواجية، أو المعارك الصحفية، وكذلك تحليل عمليات التفاوض، والمساومة، وكتابات المشاركين فيها بعد انتهائها (Lambert, 1997) بغية الكشف عن مجموعة المبادئ والآليات الحوارية المستخدمة فيها مثل : الاقتناص، وادعاء عدم الفهم للاستدراج، والإنهاك، وتعمد الإبهام، والتعميم المفرط، والاستمالة، والمماثلة، وتوظيف وعينا بتلك الأساليب فى بناء برامج لتنمية مهارات المحاجة والتى يشير العديد من الباحثين إلى إمكانية تنميتها من خلال المران (Sills, 1997)، وفى فترات عمرية مبكرة فعلى سبيل المثال كشفت دراسات " هيرنشتاين وزملائه Hernshtien et al " أنه يمكن تدريب الأطفال فى الابتدائى على استراتيجيات الاستدلال وكيفية استخدامها فى تحليل القضايا، والحجج المركبة، وتقييم مدى اتساقها.

• **دور عمليات العزو** والقواعد الاستدلالية المختصرة فى المحاجة : ابتداء يشير العزو Attlibution إلى قدرة الفرد على التسليم بوجود العديد من المعارف والمشاعر والنوايا لدى الآخر، والاعتماد عليها فى تفسير والتنبؤ بسلوكه (Bonaiuto & Fasulo, 1997) ومن المتوقع أن يؤدى فهم دور عملية العزو فى المحاجة إلى تعظيم فعاليتها، فقد تكون الحجة المضادة قائمة على خطأ تحيزى عزوى ومن ثم فإن كشفه يهدم الحجة. وكما هو معروف فهناك مصادر متعددة لأخطاء العزو مثل تحيز العزو الأساسى Fundamental attribution والذى يتمثل فى ميل الفرد لعزو سلوك الآخرين لاستعدادات شخصية وعوامل داخلية، وعزو سلوكه فى المقابل لعوامل خارجية (Nisbett et al., 1982)، فنجده مثلا ينسب فشله لعوامل خارجية، وفشل

الآخرين لعوامل ذاتية (فحين يرسب الآخر فلأنه قليل الذكاء أما هو فلأن المصحح متشدد ويضطهده) وفى المقابل ينسب نجاحه لعوامل ذاتية، ونجاحهم لعوامل خارجية (فهو ترقى لكفاءته أما هم فلأن لهم أقارب مهمين). (Baron & Byrne, 1991, 66-70)، وهناك مصادر تحيز أخرى تنبع من الاعتماد على القواعد الاستدلالية المختصرة Heuristics، ومن المعروف أن الشخص يلجأ لاستخدام تلك القواعد لأنها تفيده فى تقييم احتمالات، والتنبؤ بقيم معينة بيد أنها نظرا لارتجاليتها قد تؤدى إلى أخطاء منتظمة، ومن القواعد الاستدلالية الشهيرة : التمثيل أى مدى انتماء الموضوع وتمثيله لفئة معينة (تمثيل العينة للجمهور)، والإتاحة، أى تقييم احتمال ما من خلال سهولة حضور الأمثلة المتصلة به للذهن (تقدير نسب الطلاق من خلال الحالات المحيطة بالفرد)، والإرساء أى إصدار تقديرات من خلال البدء من قيمة أولية وتعديلها فى ضوئها (Tversky & Kahneman, 1982)، وعموما فنحن نستخدم تلك الطرق العقلية الاستدلالية المختصرة نظرا لمحدودية معلوماتنا وطاقتنا المحدودة على معالجتها لكى تساعدنا على تفسير ما ندركه (Kumar, 1997) وقد ينتج عن استخدام تلك القواعد بعض المغالطات Fallacies (Baron & Byrne, 1991, 126)، ومن شأن فهم دور تلك الأخطاء وآثارها السلبية فى عملية المحاجة تقليص تلك الآثار. فعلى سبيل المثال فإن الوعى بالأخطاء الناتجة عن عملية التمثيل يجعلنا أثناء المحاجة أكثر تحريا للدقة ونحن بصدد إصدار عمليات التعميم ، والميل إلى التكميم بدلا عن الأوصاف الكيفية.

وفى ختام البحث يعن للباحث من قبيل ممارسة **النقد الذاتى** تسجيل بعض النقاط التى يحسن تجنبها فى بحوث لاحقة قوامها :

- اقتصر البحث الحالى على دراسة الارتقاء فى مهارات المحاجة فى شريحة عمرية محدودة (من ١٢ حتى ٢١ عاما)، وبما أنه يتوقع أن الارتقاء قد يبدأ من فترة قبل ذلك، ويستمر إلى ما بعدها أيضا، لذا فنحن فى حاجة لاحقا إلى البدء من أعمار أصغر مما تناولناه فى عينتنا فضلا على الامتداد إلى فئات عمرية أكبر سنا

تشمل الثلاثينات والأربعينات وحتى الخمسينات من العمر حتى ندرس طبيعة التغيرات الارتقائية فيها.

• من المعروف أن تعميم نتائج البحوث مرهون بطبيعة العينة ومدى تمثيلها للجمهور المستمدة منه، وبما أن عينة البحث الحالى تم الحصول عليها بطريقة غير عشوائية، إذن فإنه يجب وضع هذا القيد فى الاعتبار ونحن بصدد محاولة الامتداد بنتائج الدراسة، من خلال عمليات الاستقراء، إلى أفاق أوسع.

• قمنا فى البحث الحالى بتحليل عمليات محاجة كتابية قام بها طرف فعلى (المبحوث) ردا على طرف غير موجود أمامه مباشرة وهو ما يجعل تناولنا للمحاجة ذا طابع بنائى إلى حد ما، ومن ثم فنحن فى حاجة مستقبلا إلى تحليل عمليات محاجة تفاعليه بين أطراف فى موقف مواجهة لأن ذلك يمكننا من فهم ديناميات المحاجة بصورة أكثر عمقا على نحو يسهم بإلقاء مزيد من الضوء على طبيعة تلك العملية.

ونأمل أن نتمكن نحن أو غيرنا من الباحثين من استيفاء تلك النقاط حتى نتمكن من تحقيق قدر أكبر من الإحكام فى دراسة تلك الظاهرة بما يثرى معلوماتنا حولها ويعود بالنفع على مواطنينا.



قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا - المراجع العربية:

- أبو حطب، فؤاد، وصادق، أمال (١٩٩٥) **نمو الإنسان من الجنين حتى المسنين** (ط٣)، القاهرة : الأنجلو المصرية.
- إسماعيل، محمد عماد الدين (١٩٨٩) **الطفل من الحمل إلى الرشد** (جـ٢)، الكويت : دار القلم.
- الخضيرى، محسن أحمد (١٩٨٨) **التفاوض**، القاهرة : الأنجلو المصرية.
- دى بونو، إدوارد (١٩٨٩) ترجمة : عادل عبد الكريم عيسى، وإيمان أحمد ملحم، وتوفيق أحمد العمرى، **تعليم التفكير**، الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمى.
- سلطان، حنان عيسى (١٩٨٦) تأثير الرياضيات التقليدية والمعاصرة فى تنمية التفكير الاستدلالى لطلاب وطالبات الصف الأول الثانوى فى مدينة الرياض، **دراسات تربوية**، ٣، ٧٩ - ١٢٢.
- الطواب، سيد محمود (١٩٩٧)، **النمو الإنسانى أسسه وتطبيقاته**، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية.
- الفقى، حامد عبد العزيز (١٩٩٤)، أسئلة الأطفال وأجوبتهم وعلاقتها بنمو المفاهيم العقلية لديهم، فى الأسرة والطفل وفرص السلام القادم فى العالم العربى، الكويت : **الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية**، الكتاب السنوى التاسع، ٨١ - ١٠٥.
- فيشر روجرز، براون سكوت (١٩٩١)، ترجمة محمد محمود رضوان : **نحو التآلف والاتفاق**، القاهرة : الدار الدولية للنشر والتوزيع.
- موى، بول (١٩٦٧) ترجمة فؤاد زكريا، **المنطق وفلسفة العلوم**، القاهرة : دار النهضة المصرية.

ثانيا - المراجع الأجنبية :

- Baldwin, T.T (1992) *effects of alternative modeling strategies on outcomes of interpersonal skills training*, ***Journal of Applied psycholgy***, 27,2,147,154.
- Baron, R & Byrne, D (1991) Social Psycholog : ***understanding human interaction*** (6ed), Boston : Allyn and Bacon .

- Boiney, L, G; Kennedy, J & Nye, P (1997) Instrumental bias in motivated reasoning : more when more is nedded, ***organizational Behavior and Human decision processes***, 72, 1, October, 1-24.
- Bonaiuto, M & Fasulo, A (1997) Rhetorical intentionally attribution : its ontogenesis in ordinary conversation, ***Britsh Journal of social psychology***, 36, 911-936.
- Croven, V,E (1976) The interaction of refutation type, involvement and authoritativeness, in Blankenship, J & stelzner, H,G (Eds) ***Rhetorie and communication***, Chicago : Univerdity of fillinois press, 155 - 170.
- Decyk, B, N (1994) using examples to teach concepts, in Halpern, D, F ***changing college classroom***, San Francisco : Kossey - Bass pub , 39-63.
- Galotti, K,M (1990) Approachs to studying formal and everyday reasoning , ***psychological Bulletin***, 105,3,331-351.
- Gentner, D & Holyoak, K,J (1997) Reasoning and learning by analogy , ***American psychologist***, January, 92, 1, 32-34.
- Glover, R, J (1997) Relationships in moral reasoning and religion among members of conservative, moderate, and liberal religious, ***The Journal of social Psychology***, 137, 2, 2,247-254.
- Gudykunst, E,B (1991), ***Bridging differences effective inter group communcation***, London : sage pub .
- Halpern, D,F (1994) Rethinking college instruction for a changing world in Halpern, N,F, ***changing college classroom***, San Francisco : Jossey - Bass pub, 1-12.
- Halpern, D,F (1998), Teaching critical thinking for transfer across domains, ***American Psychologist***, April, 53,4,449-455.
- Jachson, S & Jacobs, S (1980) structure of conversational argument : Pragmatic bases for the enthymenne, quqrterlys, ***Journal of speech, October***, 251 -265.
- Johnson, K, L & Roloff, M,E (1998) serial arguing and relational quality, ***communication research***, 29,3,. June, 327-343.
- King, A (1994) Inquiry as a tool in critical thinking, in Halpern, D,F changing college ***classroom, San Francisco*** : Jossey - Bass Pub, 13-38.
- Klaczynski, P,. K & Narasimham, G (1998) development. Of scientific reasoning biases : Cognitive versus ego-protective explanations, ***developmental Psychology***, 34,1,175-187 .

- Kumar. R (1997) the role of affect in negotiations : an investigative overview, ***Journal of Applied Behavioral science***, 33,1, March, 84-100.
- Lambert, K, M (1997) Revealing the process and outcome of hostage negotiations : The utility of structural analysis, ***The social science Journal***, 34,1.11-20 .
- Lehman, D, R; Lampert, R, O & Nisbett, R, (1988) The effects of graduate training on reasoning . ***American Psychologist***. June. 431-442.
- Morkoulis, D & Valavides, W (1997) Antecedent variables for sociomoral reasoning development : evidence from two cultural settings; ***International Journal of psychology***, 32 (9), 301- 313 .
- Matin, M, W (1992) ***Psychology***, New York : Harcourt Brace Govanovich pub .
- Mcgee, M,G & Wilson, D, W (1984) ***Psychology : Science and application***, New York : West Publishing Co .
- Mcpeck, J,E (1990) ***Teaching Critical thinking***, New York : Routledge
- Measell, J,S (1976) development of the concept of analogy in Rhetorical theory, in Blankenship, J & stelzner, H. G (Eds) , ***Rhetoric and communication***, Chicago : university of Illinois press, 34-45 .
- Nisbett, R, G & Ross, L (1980) Human inferences : strategies and shortcomings of social judgment, New Jersey : Prentice Hall, Inc.
- Nisbett, R.; Krantz, D,H., Jepson, C & Fong, G.T (1982) Improving induction inference in Kahneman, D; sloviec, C,A & Tversky, A. ***judgment under uncertainty: Heuristics and baises***, Cambridge : Cambridge university press, 44-459.
- Rancer, A, S.; Whitecap, V, G.; Kosberg, R,L & Avtgis, T, H (1997) Testing the efficacy of a communication training program to increase argumentativeness and argumentative Behavior in adolescents. ***communication education***, 40, October. 273-284.
- Roberts, M J.; Gilmore, D, J & Wood, D, J (1997). Individual difference and strategy selection in reasoning , ***British Journal of psychology***, 88, 473-492.
- Rubin, J, S; Kin, S, H & peretz, N, M (1990) Expectancy effects and negotiation, ***Journal of social Issues***, 46,2,129-139.
- Schaffer, D, R (1993) ***developmental psychology*** (3ed), California: Brooks/cole pub .
- Sills, d, L (1972), ***International encyclopedia of the social sciences*** (Eds) Vol., 13, New York : The Macmillan co. & the free press.

- Small, M, Y (1990) ***cognitive development***, New York : Harcourt Brace Jovanovich. pub.
- Tversky, A & Kahneman, D (1982) judgment under uncertainty : Heuristics and biases in Kahneman, D; Slovic, P & tresky, ***A Judgment under uncertainty***, Cambridge : Cambridge university press, 3-20 .
- Verderber, R, F (1991) ***The challenge of effective speaking*** (8ed) , California : Wadsworth Inc.
- Zechmeister, E, B & Johnson, J, E (1992) Critical thinking : ***a functional approach*** , California : Broops/cole pub co.





الاتجاه نحو المحاجة وعلاقته بكل من العدوان والتوكيد وبعض المتغيرات الأخرى

يتبنى الناس اتجاهات متنوعة، إيجابية أو سلبية، حيال الأشياء والموضوعات المحيطة بهم، بما فيها المحاجة، وتتمثل أهمية تلك الاتجاهات فى أنها محدد مهم لسلوكهم فى المواقف التى تتضمن هذه الأشياء والموضوعات، ومن المفترض أن يؤثر اتجاه الأفراد نحو المحاجة، وفقا لهذا التصور، فى سلوكهم الحجاجى حين يتحاورون مع آخرين بشأن قضايا تحتمل وجهات نظر مختلفة.

وحين نتطرق إلى دراسة موضوع اتجاه الفرد نحو المحاجة، وما يمارسه من دور حيوى إبان تفاعلاته الاجتماعية المتعددة سنجد أن أهميته تتجسد فى النقاط التالية:

١- **الاتجاه نحو المحاجة** كمنبىء بالسلوك الحجاجى للفرد فى المواقف الخلافية والصراعية : من المفترض أن يحدد اتجاه الفرد نحو المحاجة، بدرجة ما، طبيعة القرار، ومن ثم الفعل، الذى سيتخذه إبان التعامل فى المواقف الخلافية مع الآخرين، والتى يفترض أن يواجهها بصورة متكررة فى حياته اليومية، وبناء على ذلك فإن التعرف على اتجاهه نحو المحاجة سيمكننا من التنبؤ بسلوكه الحجاجى فى تلك المواقف، ذلك أن تبنى الفرد اتجاها إيجابيا نحو المحاجة يجعله أكثر إقبالا على الانخراط فيها، وتقبلا، أيضا، لأن يتحاج الآخرون معه، ويشير «انفنت ورانسر » فى هذا الصدد إلى أن من لديهم ميول إيجابية نحو المحاجة سيكونون أكثر انخراطا فى أنشطة حجاجية أما ذوو الميول السلبية فإنهم سيتجنبون الاشتراك فى تلك الأنشطة (Infant & Rancer, 1982)، ولنا أن نتوقع فى مثل تلك الحالة ممارستهم لأساليب بديلة لإدارة تفاعلاتهم وصراعاتهم مع الآخرين قد يكون العنف من بينها، ومما يدعم هذا التصور أنه تبين فى مسح أجراه « رويرت بلوم » Robert Bleum, 1987 تحت رعاية جامعة مينسوتا أن العنف أصبح مرضا اتصاليا فى المجتمع الأمريكى، وأن معدلاته ارتفعت بدرجة غير مقبولة، وللأسف فهى فى تزايد، حتى أنه أصبح السبب الثانى، بعد الحوادث، لوفاة الشباب فى المدى العمرى الذى يتراوح بين ١٥ - ٢٤ عاما، (Lore & Schultz, 1993)، حتى أن ضمان أمن الطلاب فى حقل التعليم

أصبح مهمة صعبة، وخاصة فى ظل ما يحدث بصورة شبه يومية من عدوان لفظى (تهديد - إهانة) وعدوان بدنى (لكم - ركل) فيما بينهم ؛ لذا كان من الضرورى أن تتجه جهود الباحثين للوقوف على الظروف التى يحدث فى ظلها (حسين وآخرون، ١٩٨٣)، ومن المفترض أن من بين تلك الظروف الضعف الشديد فى مهارات حل الصراع لدى هؤلاء الطلاب، والتى تتدرج فيها كل المهارات الحجاجية، ومهارات بدء الحوار، والاستمرار فيه دونما هجوم على الطرف الآخر (Rancer et al , 1997). ومن المعترف به أن مهارات حل الصراع بطريقة بناءة لها أهمية كبيرة، وخاصة إبان مرحلة المراهقة حيث تغدو العلاقات مع الآخرين عنصرا حاسما فى نمو الفرد، وبالتالى فإن الصراع معهم يصبح من أسوأ المشكلات التى يواجهها، ويجب عليه أن يسعى للتوصل إلى حل لها (Horowitz et al , 1991)؛ لذا علينا أن نعطى قدرا أكبر من الاهتمام بعملية تعليم الطلاب أساليب سلمية لحل الصراعات مع أقرانهم بطريقة بناءة بدلا من العنف والعدوان حتى تبقى علاقاتهم الشخصية مع المحيطين بهم سوية (Feschback , 1990 ; Stevahn et al , 1997)، وهو ما يتطلب بالتبعية تغيير اتجاهاتهم نحو المحاجة إلى الوجهة الإيجابية بوصفها وسيلة فعالة لإدارة الخلاف وحل النزاعات مع الآخرين.

٢ - **الاتجاه نحو المحاجة وشيوع المحاجة فى الثقافة** : من المفترض وجود علاقة طردية وثيقة بين تحضر الثقافة والمحاجة، فكلما ارتفع مستوى تحضر الثقافة زاد معدل شيوع عمليات المحاجة فيها، ومما يدلل على ذلك أنه نشأت فى الثقافات المتحضرة قديما وحديثا، تقاليد راسخة، وأرسيت قواعد محددة تنظم عمليات المحاجة داخلها سواء بصورة رسمية أو غير رسمية مما ساعد على شيوعها فيها، مثلما الحال فى كل من الحضارة اليونانية، والإسلامية فى عهودها الزاهرة، كما تجسد فى محاورات أفلاطون، وعلم الجدل عند علماء أصول الفقه، وكذلك نظام المحلفين فى الثقافة الغربية المعاصرة، فضلا عن المناظرات الانتخابية بين المرشحين لمنصب الرئاسة، وحين ننتقل لننظر إلى الوضع الراهن للعلاقة بين الثقافة والمحاجة سنجد أن هناك

عدة أشكال ومستويات لهذه العلاقة، منها أن مدى تحبيذ الثقافة للمحاجة سيحدد طبيعة اتجاهات الأفراد نحوها، ومن ثم ممارستهم لها، فمن المفترض، على سبيل المثال، أنه فى المجتمعات ذات الطابع المجارى التى تميل للالتزام بالعادات والأعراف السائدة، بغض النظر عن مدى صحتها وملاءمتها، أن تتبنى اتجاها سلبيا نحو المحاجة بوصفها وسيلة لإثارة التمرد على المألوف، وخلخلة استقرار البناء الاجتماعى، أى أنها وسيلة منفرة ويوصف من يمارسونها بصورة غير مقبولة (غلباوى - لمض)، مما يساعد على تبنى العديد من الأفراد اتجاهات سلبية نحوها ونحو ممارسيها، وبالتالى انحسار معدل شيوعها فيها، وتسهم الثقافة أيضا فى بروز وتحديد طبيعة الاتجاهات نحو المحاجة من زاوية أخرى قوامها أن الفروق بين الثقافات فى شيوع المحاجة، تتوقف على الاعتقاد فى مدى فعاليتها، ففى اليابان، مثلا، لوحظ أن المحاجة، والتى تنطوى بطبيعة الحال على المواجهة، غير شائعة لديهم لأنهم يفضلون أساليب أخرى غير المواجهة كالاستكشاف والغموض والاعتماد على السياق لفهم المعنى.. فاليابانى، على سبيل المثال، نادرا ما يجيب عن أسئلتك بنعم أو لا، لأنه عندما يقول نعم فهذا يعنى أنه يسمعك، وإذا قال سيكون ذلك صعبا فهذا يعنى لا (باترسون، ١٩٩٩)، ويضيف « ما » أن الشرق آسيويين عموما لا يفضلون المباشرة، التى تسم الأمريكيين، ويميلون للاتصال غير الحجاجى (Ma , 1996)، أى أنهم يتبنون اتجاها غير إيجابى نحو المحاجة. ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن نمط الثقافة يحدد طبيعة اتجاهات الأفراد نحو المحاجة، ففى الثقافات الجمعية يفضل الأفراد أن يكون الصراع غير مباشر، والحفاظ على العلاقات والصداقات الوثيقة، فأن تخسر مجادلة أفضل من أن تفقد صديقا، أما فى الثقافات الفردية فإن الأفراد يفضلون التنافس لتحقيق الغايات الشخصية فتجدهم يفضلون على حد قول «دياز» Diaz كسب المجادلة حتى لو أدى هذا إلى فقدان الصديق (Gabrielidis et al , 1997 ; Bond & Smith, 1996) ويلفت « تيديشى وسميث » النظر إلى جانب آخر فى المسألة ألا وهو أن الاتجاه نحو المحاجة قد

يختلف أيضا كدالة للطبقة، داخل الثقافة الواحدة، فأبناء الطبقة المنخفضة، على سبيل المثال، يميلون لاستخدام القسر لحل الخلافات، وهو ما يعنى ضمنا تبنيهم اتجاها سلبيا نحو المحاجة بوصفها أسلوبًا أقل فعالية لحسم الصراعات (Tedeschi & Smith , 1974)، ومن المتوقع أن تسهم خصائص السياق الثقافى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى كذلك فى تحديد طبيعة الاتجاه نحو المحاجة، فمن المتوقع، على سبيل المثال، أن يتبنى الناس فى الأمم التى تعيش فى عصر ازدهار وانفتاح سياسى واقتصادى اتجاها إيجابيا نحو المحاجة بوصفها من السبل الرئيسية للتواصل الحضارى، وتقليل سوء الفهم، وحل الصراعات بين شرائح المجتمع، وداخل مؤسساته، فضلا عن تلك التى تنشب مع المجتمعات الأخرى.

٢- **تغييرالاتجاه** نحو المحاجة كوسيلة لتعديل السلوك فى الوجهة المرغوبة: بما أن الاتجاه نحو المحاجة يؤثر فى طبيعة السلوك الحجاجى للفرد؛ لذا فمن شأن تبنى الفرد اتجاها إيجابيا نحو المحاجة أن يحثه على الاشتراك فى عمليات محاجة، وهو ما يؤدى، بالتالى، إلى تنمية مهاراته الحجاجية، والعكس صحيح، وبناء على ذلك فإن من بين المداخل الفعالة لتنمية المهارات الحجاجية، تشجيع الأفراد على الانخراط فى أنشطة حجاجية والعمل على تعديل اتجاهاتهم نحوها إذا ما كانت سلبية وإحلال أخرى ذات طابع إيجابى بدلا منها، ذلك أن تدريب الأفراد على المحاجة كوسيلة لحل الصراعات يتطلب أولا أن تكون لديهم اتجاهات إيجابية نحوها، ويتسنى ذلك التغيير من خلال تزويد الأفراد بمعلومات فعلية حول أهمية المحاجة، والتمييز بينها وبين المفاهيم المتداخلة معها ذات الطابع السلبى كالجدل والمجاراة والسفسطة حتى يزول هذا الالتباس، فضلا عن تغيير صورة المحاج وتعديل التصورات المنفرة حوله، بحيث ينظر إلى المحاجة بوصفها وسيلة للتوفيق وليس لتصعيد الخلاف. وفى المقابل فإن الاشتراك فى والتعرض لبرامج نظامية لتنمية مهارات المحاجة من شأنه أن يسهم فى تغيير الاتجاهات نحوها بصورة غير مباشرة حيث سيشعر الفرد بالعائد الإيجابى للانضمام إليها. وفى هذا الصدد يشير

«جودمان وزملاؤه » إلى أن الاشتراك فى المناظرات التى تراعى تدريب الفرد على التعاطف مع واعتبار وجهة النظر والحجة الأخرى يفيد فى عدم ظهور اتجاهات عدائية نحو المحاجة (Goodman et al , 1991 , 39).

٤- **الكشف عن** العوامل المسهمة فى تشكيل الاتجاه نحو المحاجة تمهيدا لفهم عمليات تكوينه وتغييره : إن الاتجاه نحو المحاجة دالة للتفاعل بين العديد من المتغيرات التى تسهم - مجتمعة - فى تشكيل حجمه وتحديد وجهته، وهو الذى يحدد بالتالى طبيعة السلوك الحجاجى للفرد. ومن ثم فإن من شأن فهم دور تلك المحددات فى نشأة وتشكيل طبيعة الاتجاه نحو المحاجة أن يجعلنا أكثر قدرة على تعديله وإعادة تشكيله فى الوجهة المرغوبة، ومن بين هذه المتغيرات المهنة فمن المتوقع، مثلا، أن يألف أفراد مهنة معينة كالمحاماة المحاجة مقارنة بمهنة أخرى كالمحاسبة، ومن ثم يتبنون نحوها اتجاها إيجابيا، وكذلك حيث يفترض أيضا أن النساء سيتبنين اتجاها أكثر سلبية، مقارنة بالرجال، نحو المحاجة نظرا لأن المجتمع لا يحبذ صورة المرأة التى تكثر من المحاجة، وهناك أيضا متغير التفكير الناقد، والتسلطية، وأحادية الرؤية، والتصلب الفكرى، والتوكيد. وعلى الرغم من تنوع المتغيرات المتوقع تأثيرها فى المحاجة والاتجاه نحوها إلا أن القليل من الدراسات أجريت حولها ؛ لذا سينصب اهتمامنا فى هذا السياق على فحص دور بعض تلك المتغيرات من قبيل التوكيد، والنوع، والتخصص، والإقامة، والعائد الفعلى للمحاجة للوقوف على قدرتها على التنبؤ بالاتجاه نحو المحاجة، لأن الوقوف على دور محددات الاتجاه نحو المحاجة سيمكننا من التحكم فى تشكيل وتعديل وتنمية ذلك الاتجاه، ومن ثم مهارات المحاجة لاحقا. يتضح مما سبق ما يحظى به موضوع الاتجاه نحو المحاجة من أهمية وحرى بالذكر أن بعض الباحثين قد اهتموا بدراسته فى الحقبة المعاصرة، ولكن ما زال ذلك بصورة غير كافية حتى الآن، وانصب اهتمامهم على دراسة العلاقة بين سمة الميل للمحاجة، وبعض المتغيرات الأخرى، وبوجه خاص العدوان، ومن أبرز الدراسات الممثلة لهذا التوجه دراسات كل من

«انفنت ورانسر» وهما اللذان أجريا، بمشاركة آخرين، دراسات أساسية رائدة للكشف عن طبيعة العلاقة بين سمة الميل للمحاجة (والتى تتمثل فى الميل للانخراط فى المحاجة أو النفور منها، وهو مفهوم أقل ضيقًا من مفهوم الاتجاه نحو المحاجة لأنه يركز بصورة رئيسية على الجوانب المزاجية) والعدوان، وحرى بالذكر أنهما لم يوليا اهتمامًا مماثلاً للجوانب المعرفية والسلوكية المتصلة بهذا الميل، ومن ثم فإننا نفضل استخدام مفهوم «الاتجاه نحو»، وليس «الميل لـ» المحاجة حتى نتمكن من استدماج تلك الجوانب، كذلك فإن تلك الدراسات اقتصرت على التعامل مع العدوان ككل وليس عناصره الفرعية، فضلاً عن أنها أجريت فى الثقافة الغربية، والتى يتوقع أن تأخذ العلاقة بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان فيها منحى قد يكون مختلفا بعض الشىء عنها فى ثقافتنا المحلية. أما فيما يتصل بمحاور اهتمام الدراسات الأخرى فقد انصبت إما على دراسات تنمية مهارات المحاجة تجريبيا، وخاصة لدى الطلاب، مثل دراسة « جودمان وزملائه » ١٩٩١، ودراسة « كوسبرج ورانسر» ١٩٩١، و «انفت وزملائه» ١٩٩٣ ؛ ومتيس وزملائه، ١٩٩٥، وجونسون وجونسون، ١٩٩٩ ؛ (goodman etal, 1991; Rancer et al , 1992' Johnson etal, 1997; Stevahn etal , 1997)، أو تأثير بعض المتغيرات فى الاتجاه نحو المحاجة من قبل دراسة « انفنت » عام ١٩٨٢ حول دور متغير النوع فى تحديد مدى الميل للمحاجة (Roach, 1995). ودراسة « جابر ياليدس » وزملائه، ١٩٩٧ للفروق الثقافية وتفضيل أساليب حل الصراع، سواء كانت سلمية كالمحاجة أو غير سلمية كالعنف (gabrielidis etal, 1997) ودراسة «رانسر وزملائه، ١٩٩٢ حول أثر العائد الفعلى للمحاجة على الميل للانخراط فيها (Rancer etal , 1992).

نخلص مما سبق إلى أننا فى حاجة لإلقاء مزيد من الضوء على الاتجاه نحو المحاجة بمكوناته المزاجية، والمعرفية، والسلوكية، وعلاقتها بصور العدوان المختلفة (اللفظية، والبدنية، والمضمرة، والعدائية) وهو ما قد يعطى لهذا البحث خصوصية وأهمية، يضاف إلى ذلك أيضًا أن البحوث الغربية لم تتعرض بدرجة كافية لدور

بعض المتغيرات كالتوكيد والنوع، والتخصص الدراسى، وطبيعة الثقافة الفرعية فى تحديد طبيعة الاتجاه نحو المحاجة بوصفه متغيرًا تابعًا، وهو ما نعتقد أهمية إلقاء الضوء عليه فى البحث التالى. لكل ما سبق سوقه من مبررات بالإضافة إلى الرغبة فى طرق هذا المجال البحثى المهم فى بحوثنا العربية المعاصرة فإن الباحث آثر أن يخطو خطوة نحو إخضاع هذه المنطقة البحثية للدراسة للإجابة عن **الأسئلة التالية** :

- ما هى طبيعة الاتجاه نحو المحاجة لدى أفراد العينة ؟
- هل هناك علاقة سلبية دالة بين الاتجاه نحو المحاجة، ومكوناته الفرعية، والعدوان؟
- هل يمكن التنبؤ بالعدوان من خلال المكونات الفرعية للاتجاه نحو المحاجة؟
- هل هناك آثار تفاعلية دالة للتوكيد والنوع والتخصص الدراسى وموطن الإقامة فى الاتجاه نحو المحاجة ؟

مفاهيم الدراسة :

قبيل السعى للإجابة عن هذه التساؤلات منهجيا حرى بنا تقديم تعريفات إجرائية للمفاهيم الرئيسية المستخدمة فى الدراسة وهى :

- الاتجاه نحو المحاجة (*) Attitude toward Argumentation :

يعرفه الباحث بأنه : طبيعة تصورات ومعتقدات ومعارف الفرد - سواء كانت إيجابية أو سلبية - حول المحاجة، والمحاجين، ومشاعره نحوهما، والتى تحدد مدى انخراطه فى عمليات حجاج حول قضايا خلافية مع الآخرين.

(*) يفضل الباحث استخدام لفظ المحاجة ، على الرغم من عدم شيوعه ، على لفظ الجدل ، رغما عن شيوعه، لأن مفهوم الجدل ارتبط تاريخيا ولغويا ، بمدلولات تعمل على نشأة تصورات سلبية عنه فى أذهان الناس ، فعلى سبيل المثال ، من بين التعريفات اللغوية للجدل أنه « شدة الخصومة » . وفى مصادر أخرى يعرف بأنه « المفاوضة على سبيل المنازعة » (جريشة، ١٩٨٩، ١ - ١٢٤) ، وعرفه بعض العلماء أيضا بأنه « علم يقتدر به على حفظ أى وضع يراد ، ولو باطلا ، وهدم أى وضع يراد ولو حقا » . (الملوانى ، ١٩٨٧ ، ٢٢ - ٢٣) .

- **العدوان Aggression :**

تبنت الدراسة الحالية التعريف الذى قدمه « إبراهيم و عبد الحميد » للعدوان، وهو مستمد ضمنا من تعريف « باث وبيرى » Buss & Perry، وهاثاواى وماكنللى، ومفاده أنه « سلوك يهدف إلى إيقاع الأذى بالغير، أو الذات، أو ما يرمز إليهما، وقد يكون هذا السلوك صريحا (عدوانا) أو مضمرا (عدائية) أو رمزا (ميلا للعدوان) ». (إبراهيم، وعبد الحميد، ١٩٩٤). وبذا يتضح أن العدوانية تتضمن ثلاثة مكونات أساسية :

أ - العدائية Hostility : ما يحرك العدوان وينشطه، ويتضمن الغضب، والكراهية، والحقد والإحساس بالاضطهاد. أى عدوان مضمر.

ب - الميل للعدوان Aggressivity : ما يوجه العدائية، أى أنه حلقه تربط بين العدائية كمحرك والعدوان كسلوك فعلى، ويتضمن الرغبة فى إيقاع الأذى بالغير أو الذات.

جـ - العدوان : الهجوم الصريح على الغير أو الذات، ويأخذ الشكل البدنى أو اللفظى. (نفس المرجع السابق).

التوكيد Assertiveness :

يعرف بأنه « مهارات سلوكية، لفظية وغير لفظية، نوعية، موقفية، متعلمة، ذات فعالية نسبية تتضمن تعبير الفرد عن مشاعره الإيجابية (تقدير - ثناء) والسلبية (غضب - احتجاج) بصورة ملائمة، ومقاومة الضغوط التى يمارسها الآخرون لإجباره على إتيان ما لا يرغبه، أو الكف عن فعل ما يرغبه، والمبادرة ببدء، والاستمرار فى، وإنهاء التفاعلات الاجتماعية، والدفاع عن حقوقه ضد من يحاول انتهاكها شريطة عدم انتهاك حقوق الآخرين » (شوقى، ١٩٩٨، ٥٩).

الإطار النظري والدراسات السابقة :

فى ضوء ما أمكن للباحث الاطلاع عليه من بحوث ودراسات أجريت حول موضوع الاتجاه نحو المحاجة وعلاقته بكل من العدوان والتوكيد وبعض المتغيرات الأخرى رُئى تصنيفها إلى فئتين رئيسيتين من الدراسات هما :

أولا : الاتجاه نحو المحاجة والعدوان :

تندرج فى هذه فئة الدراسات التى تعنى بالوقوف على العلاقة بين متغير الاتجاه نحو المحاجة وبعض المتغيرات الأخرى ودوره فى التنبؤ بها، ومن أهمها العدوان. وحرى بنا قبيل البدء بفحص ملامح تلك العلاقة - التنويه إلى أن الدراسات التى أجريت حول ذلك الموضوع محدودة، وتأتى دراسات « انفنت ورانسر» فى مقدمتها، ومما يجدر ذكره أنها ركزت على الجانب الوجدانى فى المسألة حيث أنصب اهتمامها على جزئية الميل أو النفور من الاشتراك فى المحاجة وعلاقته بالعدوان ؛ لذا أطلقوا عليه الميل للمحاجة Argumentativeness وعرفاه بأنه « سمة مستقرة نسبيا تهيئ الأفراد فى مواقف الاتصال حول قضايا خلافية أن يدافعوا عن آرائهم ويفندوا الآراء التى يتمسك بها الآخرون حيال تلك القضايا » , Rancer et al) (1992، وفى دراسة أجراها « إنفنت »Infant,1981 على فردين يتحاجان بينما يرصد ملاحظون تلك العملية، ويُقيِّمون فى ضوئها ما لدى هذين الفردين من مهارات حجاجية - تبين أن المرتفعين على سمة الميل للمحاجة. كانوا أكثر تعبيرا لفظيا، وكفاءة فى المحاجة، وتبين أيضا أن المرتفعين على مهارة المحاجة يميلون للاعتقاد بأنها وسيلة للمتعة، ولها فوائد عملية، وأثرا إيجابيا على مفهوم الذات (Rancer et al , 1992)، أما المنخفضين فيعتقدون أنها غير مفيدة، بل قد يكون لها بعض الآثار السلبية، ومن ثم يقل احتمال لجوئهم إليها، وكشف «كولبرت»، فى دراسة أجراها على مجموعة من الطلاب الذين تدربوا على مهارات المحاجة أنهم أصبحوا أكثر تقبلا لها وأقل ميلا للعدوان مقارنة بمن لم يتدربوا، وهو ما يتسق مع الفرض

القائل : إن من يصعب عليه بالمحاجة الهجوم على مواقف الآخر سيلجأ للهجوم على مفهومه عن ذاته، وبذا يتورط فى العدوان اللفظى، والذى سيكون بدوره محفزًا على العدوان البدنى (Rancer etal , 1997)، ومما يؤكد هذا التصور أن « شاندلر – سابورين وزملائه « ,Chandler - Sabowrin وجدوا علاقة دالة بين نقص مهارات المحاجة والعنف فى العلاقات الشخصية (Rancer et al , 1992)، ولاحظ « انفنت وزملائه » كذلك أن الناس فى الزواج غير العنيف أكثر محاجة منهم فى الزواج العنيف، وأن مرتفعى المحاجة أقل استخداما للقوة من المنخفضين، ولا غرابة فى ذلك لأن التدريب على المحاجة من بين الأساليب السلمية المطروحة للتحكم فى العدوان (Roach , 1995 ;Tedeschi et al , 1989 , 247). وفى دراسة أجراها « رانسر وزملاؤه » على (٥٠٥) طلاب وطالبات جامعيين طبقوا عليهم اختبار سمة الميل للمحاجة « لإنفنت ورانسر » وهو مكون من (٢٠) بندًا، ومقياس المعتقدات حول المحاجة (٢٤) بندًا، وحللوا الإجابة على البنود عامليا فتوصلوا إلى خمسة عوامل حصل المرتفعون على الميل للمحاجة درجة أعلى عليها مقارنة بالمنخفضين وتتمثل هذه العوامل فى أن المحاجة : وسيلة للمتعة، وسلوك براجماتى له منافع عملية، ويقوى مفهوم الذات، وينهمك الشخص فيها بالنسبة للموضوعات المهمة فقط، وأنها قد تؤدى لنتائج سلبية أحيانًا (Rancer etal , 1992)، وفى دراسة أخرى أجريت على (١٣٨) طالبًا وطالبة جامعية طبق عليهم فيها مقياس سمة الميل للمحاجة « لإنفنت ورانسر » بالإضافة إلى سؤال مفتوح مضمونه : ما شعورك حول طريقتك فى المحاجة ؟. وحين حلل مضمون الإجابات حصل الباحثون على تسع فئات، سبع منها إيجابية واثنتان سلبيتان، هى :

- العداء (المحاجة اتصال عدوانى)
- النشاط.
- التحكم (وسيلة للسيطرة)
- الصراع (تثير صراعًا)
- صياغة مفهوم الفرد عن ذاته.
- التعلم (وسيلة جمع معلومات)
- مهارة (مؤشر للكفاءة الشخصية).
- تقييم ذاتى.

الموقفية (تتأثر بعوامل سياقية)، وأوضحت النتائج أن المرتفعين على سمة الميل للمحاجة ينظرون إليها كوسيلة للتعلم، والتنشيط، لذا فإنه يقبلون على ممارستها، فى حين ينظر إليها المنخفضون على أنها عملية عدائية وتثير الخصومة، ومن ثم يتجنبونها (Rancer et al , 1985).

ثانيا : محددات الاتجاه نحو المحاجة :

حتى نفهم الاتجاه نحو المحاجة على نحو أفضل فنحن - على حد قول « رانسر » - فى حاجة للمزيد من المعلومات حول لماذا يرتفع لدى البعض وينخفض لدى البعض الآخر؟ وما هى الظروف التى يتحول فى ظلها إلى سلوك (Ibid)، أى أننا بحاجة إلى الوقوف على طبيعة محددات الاتجاه نحو المحاجة، ويفترض وجود عدة فئات من المتغيرات التى تسهم فى تحديد طبيعة الاتجاه نحو المحاجة بعضها ديموجرافى كالنوع، والعمر، والتخصص الدراسى أو المهنة، وبعضها نفسى كالتوكيد، والتصلب، والتسلطية، والعائد الفعلى والمتصور للمحاجة، وحرى بالإشارة أن بعضها قد لاقى قدرًا أكبر من اهتمام الباحثين مقارنة بالبعض الآخر. وحين نتطرق لأبرز الدراسات فى هذا المجال سنجد أنها عنيت بتقدير **دورالنوع** فى تشكيل طبيعة الاتجاه نحو المحاجة، فعلى سبيل المثال وجد « إنفنت » فى دراسة أجراها عام (١٩٨٢)، أن الرجال أكثر ميلا للمحاجة من الإناث (Roach, 1995)، ولعل ذلك يعزى إلى أن الإناث يتلقين عائدا اجتماعيا سلبيا للسلوك الذى ينطوى على التعبير عن آرائهن (D ouglas & Mueson , 1990)، ووجد « رانسر » فى دراسة أخرى أجراها عام ١٩٩٢ أن المدرسين أكثر ميلا للمحاجة من المدرسات (Roach , 1995)، بيد أن هناك نتائج لا تتفق مع تلك النتيجة فكما يشير « ميلار » وزملاؤه Miller et al هناك أدلة على أن الأولاد والبنات يختلفون فى توجهاتهم للتغلب على مواقف الصراع فالأولاد، مقارنة بالبنات، أكثر استخداما للقوة البدنية أو التهديد لحل الصراع (أى أقل ميلا للمحاجة) وأنهم أكثر ميلا لإيذاء الآخرين كما كشف البحث

الذى أجراه « بيجتيبرب ويرتومين » على (٣٣٩) طفلاً وطفلة من الصفين الرابع والسادس الابتدائيين (Bijttebrp & Wertommen, 1998)، وعلى أية حال فهناك بيانات بعضها إمبيريقى والبعض الآخر تصورى تدعم كلا التوجهين ; Stets , 1990) (Straus & Sweet, 1992، إلا أن الحاجة تبقى ضرورية إلى إجراء دراسة فى الثقافة المصرية لاستقراء تلك المسألة بصورة منهجية، ومن المفترض أن يكون هذا مناط اهتمام الدراسة الحالية.

ومن المتوقع أن **يمارس الموقع** الذى يقطن فيه الفرد دورًا فى تحديد طبيعة اتجاهه نحو المحاجة، ففى دراسة على (١٠٣) طلاب وطالبات مكسيكيين مقابل (٩٠) أمريكيا حول الأسلوب المفضل لحل الصراع كان المكسيكيون أكثر تفضيلا للأسلوب التوفيقى، الذى يعتمد على الانخراط فى أنشطة حجاجية بطبيعة الحال، (gabrielidis et al , 1997)، ومن المعروف أن الثقافات الشرق آسيوية، كاليابان مثلا، تحبذ تجنب المواجهة الصريحة، والمحاجة تتطلب ذلك بالقطع، حفاظا على التجانس فى العلاقات الشخصية، ومن ثم يميل أفرادها للاتصال غير الحجاجى (Ma, 1996)، أما فى الغرب فالأمر مختلف حيث يعتبر الجدل والمحاجة من الممارسات التى قامت عليها وتحترمها الحضارة الغربية المعاصرة (دى بونو، ١٩٩٦).

ومن المتغيرات المفترض أن تمارس أيضا تأثيرا جوهريا فى الاتجاه نحو المحاجة **توكيد الذات**، والذى يعنى أن يكون الفرد مبادرا ومؤثرا فى العلاقة، ويتوقع أن الأكثر توكيدا سيكون أكثر قدرة على التعبير عن آرائه إبان المحاجة، وبالتالى فإن إدراكه لكفاءته الحجاجية سيزيد من احتمال تفضيله إياها، وانخراطه فيها، والعكس صحيح. ويفترض أيضا أن يتجنب منغلقى الفكر الذين - كما يشير فام وحفنى - يتصفون بالكسل العقلى، والنأى بأنفسهم عن مشقة تحمل الغموض، وما يترتب على ذلك من طمأنينة زائفة - المحاجة وينفرون من الدخول فيها أى تكون لديهم اتجاهات سلبية نحوها (هريدى وشعبان، ١٩٩٨). وهناك متغيرات أخرى مؤثرة فى

الاتجاه نحو المحاجة من قبيل العائد الذى يجنيه الشخص من الاشتراك فى المحاجة. ففى دراسة أجراها «رانسر وزملاؤه » على طلاب جامعيين تبين أن العائد الموجب للمحاجة يزيد من الدافعية نحوها، وأن تحسن مفهوم الفرد عن ذاته كدالة للاشتراك فيها يجعله يفضل مواجهة الآخرين كوسيلة لحل الصراع (Rancer et al , 1992)، ومن المتوقع أن يمارس متغير إدراك الفرد لاحتمال النجاح أو الفشل فى المحاجة، أى العائد المتوقع للمحاجة، دورا مهما أيضا فى هذا السياق (Infant & Rancer , 1982)، وكذلك متغير الفرق بين العائد الفعلى والمتوقع، وأهمية موضوع المحاجة، ومدى اقتناع الفرد بالقضايا التى يتحاج حولها (Sbelson, 1988) ووجد «ستيوارت وروش» stewart & Roach دليلا على أن له أثرًا دالا فى الميل للمحاجة والدافعية للاشتراك فيها (Roach, 1995). مما سبق يتضح أن هناك العديد من المتغيرات (المحددات) ذات الأهمية فى تشكيل والتأثير على الاتجاه نحو المحاجة، ونظرا للحدود الضيقة للدراسة وطبيعتها الاستكشافية فإننا سننتخب بعضًا من هذه المتغيرات لدراسة آثارها على نحو أكثر تفصيلاً، ويؤمل فى دراسات لاحقة تسليط مزيد من الضوء على بعضها الآخر.

تعقيب على التراث النظرى والإمبيريقى السابق :

حين ننظر نظرة ناقدة لما استعرضناه من دراسات سابقة للاتجاه نحو المحاجة نجد لزامًا علينا تسجيل عدة نقاط من شأن تمثلها إثراء الدراسة الراهنة، وتحديد مجالها على نحو أكثر دقة، وهى :

- تركز دراسات العلاقة بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان على العلاقة بين الاتجاه العام نحو المحاجة والعدوان الكلى فى حين أن هناك مكونات وعناصر فرعية لكل منها من شأن وضعها فى الحسبان بيان ملامح العلاقة بصورة أكثر عمقًا، وتفصيلاً، ذلك أن التعامل مع الدرجات الكلية للمتغيرات قد يطمس - جزئيا - بعض جوانب تلك العلاقة وهو ما سنحرص على تلافيه فى هذه الدراسة من خلال

تقييم العلاقة بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان على مستوى الدرجات الكلية لكل منها فضلاً عن درجات مكوناتهما الفرعية أيضا حتى نقف على الطبيعة التفصيلية لتلك العلاقات.

- **اقتصرت دراسات** الاتجاه نحو المحاجة، والتى يعد « انفنت ورانسر » من روادها على جوانب محددة من ذلك الاتجاه، وبوجه خاص الجانب المزاجى الذى يتمثل فى الميل أو النفور من المحاجة، على الرغم من أن هناك جوانب أخرى فى الاتجاه، كالجانب المعرفى والسلوكى، من شأن التركيز عليها ووضعها فى الاعتبار إبان تصميم مقياس للاتجاه نحو المحاجة أن يمكننا من الإحاطة بالجوانب المتنوعة للاتجاه نحو المحاجة على نحو يجعلنا ندرس تلك الظاهرة كما توجد فى الواقع، وبالتالى يصبح ما نصل إليه من نتائج أكثر تمثيلاً له.

- **قليلة هى** الدراسات التى عنيت بالوقوف على دور بعض المتغيرات فى تحديد وتشكيل طبيعة الاتجاه نحو المحاجة، وحيث إن هناك العديد من المتغيرات التى تعد ذات أهمية فى التأثير على ذلك الاتجاه لم تتطرق إليها تلك الدراسات من قبيل الخلفية الثقافية (بعد الحضرية - الريفية) فطبيعة الثقافة ذات دور مهم فى تحبيذ أو النفور من المحاجة، وكذلك مستوى توكيد الفرد لذاته حيث يجعله أكثر تهيؤا للانخراط في عمليات محاجة وأقل تهيبا منها، فمن سيسهل عليه، ويرغب فى التعبير عن أفكاره بتلقائية سيميل إلى المحاجة، ومن المتوقع أن يكون العكس صحيحًا أيضا، وكذلك متغير التعليم حيث يفترض أن ييسر مستوى تعليم الفرد تبنيه اتجاهات سلبية أو إيجابية نحو المحاجة، ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أننا سنلقى بعض الضوء على أحد الجوانب النوعية لهذا المتغير ألا وهو طبيعة التخصص العلمى (عملى - نظرى) للإجابة عن التساؤل التالى : هل طلاب الكليات العملية يختلفون عن النظرية فى الاتجاه نحو المحاجة ؟ وهناك أيضا متغير النوع، والعائد الفعلى للمحاجة، وعلى أية حال فإننا سنسعى فى الدراسة الحالية لوضع تلك المتغيرات فى الاعتبار حتى نقف على طبيعة دورها فى التأثير على الاتجاه نحو المحاجة.

- أجريت الدراسات السالفة الذكر على عينات فى الثقافة الأوربية عمومًا، والأمريكية بوجه الخصوص، وبما أنه يتوقع وجود تصورات وممارسات قد تتفاوت بقدر ما فى ثقافتنا العربية - المصرية حول الاتجاه نحو المحاجة، مقارنة بتلك الثقافات إذن فمن الضرورى دراسة العلاقات المتبادلة بين الاتجاه نحو المحاجة والمتغيرات السابقة فيها حتى نقف على طبيعة الفروق، وأوجه الاتفاق بينهما للكشف عن جوانب العمومية، والتفرد فى هذه الظاهرة عبر الثقافات. فى ضوء ما سبق رصده من ملاحظات وتسجيله من نقاط نتقدم **بالفروض التالية**، التى سنسعى للتحقق منها منهجيا بالأساليب المناسبة فى هذه الدراسة، وهى :

- هناك علاقة سلبية دالة بين الاتجاه نحو المحاجة، ومكوناته الفرعية والعدوان.
- للمكونات الفرعية للاتجاه نحو المحاجة قدرة تنبئية دالة بالعدوان.
- لا توجد آثار رئيسية وتفاعلية دالة لكل من التوكيد والنوع والتخصص الدراسى وموطن الإقامة فى الاتجاه نحو المحاجة.

منهج الدراسة :

- مجتمع وعينة البحث :

تكون مجتمع البحث من طلاب وطالبات الجامعات المصرية، وتم اختيار عينة قوامها (٤٠٠) فرد منهم نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الإناث من السنتين الثانية والثالثة بواقع مائة طالب، ومائة طالبة من الكليات النظرية (تجارة - آداب - حقوق) مقابل مائة طالب ومائة طالبة من الكليات العملية (هندسة - طب - علوم)، وبذا أصبح لدينا أربع عينات فرعية تتراوح عمر أفرادها ما بين ١٧ - ٢١ عامًا بمتوسط : ١٨,٨٦ ± ٠,٧٧ عام (كليات نظرية ذكور) ١٨,٨٤ ± ١,٣٢ عام (كليات علمية ذكور) ١٨,٤٤ ± ٠,٧٧ عام (كليات نظرية إناث) ١٨,٧٥ ± ٠,٨٢ عام (كليات عملية إناث) فى حين بلغ متوسط عمر أفراد العينة الكلية ١٨,٧٢ ± ١,٠٥.

وقد بلغت نسبة المسلمين منهم ٨٩,٥ ٪ (ن= ٣٥٨)، والمسيحيين ١٠,٥ ٪ (ن= ٤٢)، وكانت نسبة المقيمين منهم فى الحضر ٦٧,٨٪ (ن = ٢٧١)، وفى الريف ٣٢,٢٪ (ن = ١٢٩).

- الأدوات:

تم استخدام وتصميم الأدوات التالية فى الدراسة :

- مقياس الاتجاه نحو المحاجة (إعداد الباحث).
- مقياس العدوان (إعداد عبد الله سليمان ومحمد نبيل عبد الحميد).
- مقياس المهارات التوكيدية (إعداد الباحث).

وفيما يلى نقدم وصفًا موجزًا لكل منها :

مقياس الاتجاه نحو المحاجة:

اجتاز هذا المقياس خطوات متعددة لكى يصل إلى صورته الحالية قوامها ما يلى :

١ - **تم جمع** والحصول على البنود من مصادر متعددة هى :

- الاطلاع على التراث المتصل بالاتجاه نحو المحاجة كما تمثل فى المقاييس السابقة، وبوجه خاص مقياس « إنفنت ورانسر »، وبعض الكتابات والتحليلات النظرية للموضوع قديمًا وحديثًا.
- توجيه أسئلة مفتوحة إلى (٣٨) طالبًا وطالبة حول طبيعة تصوراتهم ومشاعرهم ومقاصدهم نحو المحاجة، ومدى فعاليتها، وضرورتها، وانطباعات الناس عمن يمارسونها فضلا عن سلوكهم الحجاجى.
- الاستبصار الشخصى للباحث من خلال تمثله لمفهوم الاتجاه نحو المحاجة، وربط خبراته الشخصية، وملاحظاته الواقعية به.

٢ - **تقديم البنود** التى تم التوصل إليها فى الخطوة السابقة والتى وصل **عددها**

إلى(٥٤)، مصنفة إلى سبع فئات، إلى ثمانية من المحكمين المتخصصين فى الدراسات النفسية (*) بغية التحقق مما يلى :

- هل البنود المقدمة مرتبطة بالاتجاه نحو المحاجة وتغطى هذا المجال أم لا ؟
- هل تنتمى تلك البنود للفئات الفرعية التى تم تصنيفها فيها أم لا ؟
- هل البنود مصاغة بشكل مناسب أم لا ؟

وقد قام المحكمون بإدخال تعديلات على بعض البنود، واستبعاد بعضها، ودمج البعض الآخر معًا، وبذا أصبح المقياس يتكون من (٣٨) بندًا موزعة على ست فئات فرعية بيانها كالتالى :

م	الفئـــــة	عدد البنـــود
١	تصورات الفرد حول المحاجين	٩
٢	تصورات الفرد حول المحاجة	٧
٣	مشاعر الفرد نحو المحاجة	٦
٤	إدراك الكفاءة الذاتية الحجاجية	٤
٥	الانخراط فى ممارسات حجاجية	٧
٦	الاستخدام الحكيم للمحاجة	٥

٣- التحقق من توفر الشروط السيكومترية فى المقياس :

قام الباحث، للتأكد من الاتساق الداخلى بين البنود، بحساب معامل الارتباط بين كل بند والمكون الفرعى الذى ينتمى إليه، فضلاً عن ارتباط درجة كل مكون من المكونات الستة للمقياس بدرجته الكلية، وتبين أن جميع هذه المعاملات الارتباطية دالة (**) عند مستوى (٠,٠١)، (٠,٠٥).

(*) يتوجه الباحث بالعرفان والتقدير للزملاء الأعزاء الأساتذة الدكاترة : فتحى الشرقاوى ، جمعة سيد يوسف ، عبد العزيز الشخص ، عبد الغفار الدماطى . على السيد سليمان ، شعبان جاب الله. عادل هريدى ، ومحمد نعيمة .

(**) يوجد لدى الباحث قائمة تفصيلية بتلك المعاملات الارتباطية يمكن الحصول عليها منه .

الثبات:

تم حساب معامل الثبات بطريقتين :

• إعادة الاختبار على عينة مكونة من (٤٠) طالبًا وطالبة جامعين بعد مرور أسبوعين، وقد بلغ معامل ثبات للدرجة الكلية للمقياس (٠,٦٨).

• معامل ألفا وقد بلغ للدرجة الكلية (٠,٨٥) وهى معاملات ثبات مرتفعة نسبيا، وتشير إلى استقرار أداء المبحوثين على المقياس.

الصدق:

اعتمد الباحث على عدة طرق لتقدير صدق المقياس هى :

- **صدق المحتوى** : تم التحقق من تمتع المقياس بهذا النوع من الصدق من خلال الخطوات الثلاث الآتية :

• الاطلاع على المقاييس القليلة السابقة، وأكثرها أهمية « مقياس إنفنت ورانسر » لسمة الميل للمحاجة، فضلاً عن الدراسات السابقة حول مكونات الاتجاه نحو المحاجة، والأطر النظرية التى تنتظم فيها، وتوصلنا من ذلك إلى مجموعة من البنود المعبرة عن، والتى يفترض أن تقيس، هذا الاتجاه.

• بالإضافة إلى الاعتماد على الجهود البحثية السابقة فقد لجأ الباحث إلى الواقع المحلى الإمبيريقى ليستخلص مجموعة أخرى من البنود حيث قام بتوجيه مجموعة من الأسئلة المفتوحة (١٤ سؤالاً) حول طبيعة الاتجاه نحو المحاجة يشمل الجوانب المتنوعة له بما فيها تصورات الفرد حول فعالية المحاجة، وعائدها، والسمات الشخصية للمحاج، وانطباعات الناس حوله، وشعوره نحو المحاجة، وممارساته الحجاجية، وذلك إلى مجموعة من الأفراد المنتمين لمجتمع عينة البحث قوامها (٣٨) طالبًا وطالبة جامعيين، وتوصل الباحث من خلال تحليل محتوى إجاباتهم إلى مجموعة إضافية مفيدة من البنود التى تغطى الجوانب المتنوعة للاتجاه نحو المحاجة، وتم تضمينها فى المقياس.

• قام الباحث بتصنيف تلك البنود فى فئات، تبعًا لأوجه التشابه فيما بينها، تغطى الجوانب المعرفية والوجدانية والسلوكية للاتجاه نحو المحاجة، وقدمها إلى مجموعة من المحكمين المتخصصين فى العلوم السلوكية (ثمانية)، وسألهم عما إذا كانت هذه البنود تنتمى لتلك المكونات أم لا، وهل هذه المكونات تقيس الجوانب المتنوعة للاتجاه نحو المحاجة أم لا، وتم الإبقاء على البنود التى اتفق المحكمون على تمثيلها لهذا الاتجاه والتى بلغ عددها (٣٨) بندًا وهى التى كونت المقياس بصورته الحالية. من خلال هذه الخطوات مجتمعة يتضح أن محتوى بنود هذا المقياس يعكس، ويقيس، الجوانب المتنوعة للاتجاه نحو المحاجة.

- **صدق التكوين** : للتأكد من تمتع المقياس بالصدق التكوينى تمكن الباحث من خلال تحليل واستقراء التراث العلمى المتراكم حول هذه الظاهرة من التوصل إلى عدد من التوقعات المستمدة من أطر نظرية، ونتائج دراسات سابقة، والتى سيترتب على اتفاق نتائج الدراسة الحالية معها توفير أدلة على الصدق التكوينى للمقياس وتتمثل تلك التوقعات فى :

• هناك فروق دالة بين الذكور والإناث فى الاتجاه نحو المحاجة.

• يرتبط التوكيد ارتباطا إيجابيًا دالا بالدرجة على الاتجاه نحو المحاجة.

• هناك ارتباط سلبى دال بين الدرجة على الاتجاه نحو المحاجة والعدوان.

- مقياس السلوك العدوانى :

تم الاعتماد فى هذه الدراسة على نسخة مختصرة من مقياس السلوك العدوانى الذى أعده كل من « عبد الله سليمان ومحمد نبيل عبد الحميد » اللذين اعتمدا فى تصميمه على عبارات من مقياس « باث وبيرى، وهاثاوان وماكنللى » ويتكون من (٢٠) بندًا تنتظم فى أربعة عوامل فرعية هى :

- الرغبة فى العدوان. (٤) بنود.

- العدوان المضمر. (٥) بنود.

- العدوان اللفظى.　　(٦) بنود.

- العدوان المادى.　　(٥) بنود.

وقد نتجت هذه العوامل عن التحليل العاملى من الدرجة الثانية لبنود المقياس، وقد أبقينا أكثر البنود تشبعًا عليها، ويجاب على البند من خلال متصل خماسى (دائما، غالبا، أحيانا، نادرا، أبدا)، ويتسم المقياس بالصدق العاملى والتمييزى والاتساق الداخلى، كما كشفت عن ذلك الدراسات التى أجراها معداه، وقد بلغ معامل ثباته على عينة الثبات فى الدراسة الحالية وعددها (٤٠) طالبا وطالبة جامعيين حين أعيد تطبيقه عليهم بفاصل زمنى أسبوعين (٠,٨٠)، وبلغ معامل ثباته مقدرا بمعامل ألفا (٠,٨٦).

- مقياس المهارات التوكيدية:

استخدم فى هذه الدراسة نسخة مختصرة من مقياس المهارات التوكيدية من إعداد الباحث تمثل ١٢ مهارة فرعية يقيسها (٤٨) بندًا مع ملاحظة أن المقياس الأصلى يتكون من (٨٠) بندًا موزعة على عشرين مهارة، والمهارات الاثنتا عشرة هى:

- مواجهة الآخرين.
- الدفاع عن الحقوق الخاصة.
- الإقدام الاجتماعى.
- توجيه النقد.
- إبداء الإعجاب والتقدير للآخرين.
- إظهار الاختلاف مع الآخر.
- التعبير عن الغضب.
- الاعتذار العلنى.
- طلب تفسيرات من الآخر.
- المصارحة.
- الاستقلال بالرأى.
- ضبط النفس.

وقد بلغ معامل ثباته مقدرًا بمعامل ألفا (٠,٧٩) وبإعادة الاختبار عقب أسبوعين على عينة مكونة من (٤٠) فردًا بلغ (٠,٥٧). وفيما يتصل بصدقه فقد

استخدم فى دراسات متعددة وتبين فيها تمتعه بالصدق التكوينى وصدق المحتوى، والتمييزى. (شوقى، ١٩٩٨، ١٢٨، ١٣٨).

التصميم المنهجى:

اعتمد الباحث على التصميم الارتباطى، والسببى المقارن، وذلك من خلال محاولة الكشف عن طبيعة العلاقات الارتباطية بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان، والقدرة التنبئية للمتغير الأول بالثانى، فضلا عن عقد مقارنات فى درجة الاتجاه نحو المحاجة بين مجموعات مختلفة فى النوع والتخصص الدراسى، والإقامة ومستوى توكيد الذات للاستدلال من خلال الفروق بينهما على العلاقة السببية بين تلك المتغيرات والاتجاه نحو المحاجة.

الإجراءات:

- تم تصميم عدد من المقاييس، وبوجه خاص الاتجاه نحو المحاجة، والمهارات التوكيدية، فى حين تم الاستعانة بمقياس السلوك العدوانى الذى صممه باحثان آخران.

- تم اختيار أربع عينات فرعية قوام كل منها (١٠٠) فرد من طلاب وطالبات الكليات العملية والنظرية المصرية (طلاب نظرى وعملى - وطالبات نظرى وعملى) من جامعات القاهرة وعين شمس والمنيا وطنطا.

- قام باحثون متخصصون فى علم النفس (*) بتطبيق أدوات البحث جمعيًا على أفراد العينة فى صورة استخبار استغرق زمن تطبيقه ما يتراوح بين ٣٠ - ٤٥ دقيقة.

- عقب ذلك تم تجهيز البيانات وتحليلها إحصائيا بالأساليب المناسبة للتوصل إلى النتائج الكفيلة بالتحقق من فروض الدراسة الرئيسية.

(*) ينتهز الباحث هذه المناسبة ليتوجه بجزيل الشكر إلى هؤلاء الأخوات والإخوان وهم : غادة عبد الغفار ، ونشوة عبد التواب مدرستا علم النفس المساعدتان بآداب المنيا ، وعماد رمضان الإخصائى النفسى بوزارة التربية والتعليم .

أساليب التحليل الإحصائي :

تمثلت تلك الأساليب في :

- التكرارات والنسب المئوية.
- دلالة الفروق بين المتوسطات.
- تحليل الانحدار التدريجي.
- تحليل التباين المتعدد (الرباعي).

نتائج الدراسة :

سيتم عرض نتائج الدراسة وفق المحاور التالية :

أولا : طبيعة الاتجاه نحو المحاجة لدى أفراد العينة الكلية للدراسة.

ثانيا : آثار بعض المتغيرات النفسية والديموجرافية على الاتجاه نحو المحاجة.

ثالثا : العلاقة بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان.

أولا : طبيعة الاتجاه نحو المحاجة لدى أفراد العينة الكلية للدراسة :

قبيل الشروع في تناول العلاقة بين الاتجاه العام نحو المحاجة، ومكوناته الفرعية، والعدوان فضلاً عن المتغيرات التي تسهم في تشكيل هذا الاتجاه – سواء كانت نفسية أو ديموجرافية – حري بنا أولا أن نقف على الطبيعة النوعية للاتجاه نحو المحاجة في عينة الدراسة بوصفها معبرة عن إحدى شرائح المجتمع المصري، ومن شأن دراسة اتجاهات أفرادها نحو المحاجة إلقاء بعض الضوء الذي يسمح بتكوين صورة تقريبية لملامح تلك الاتجاهات في المجتمع العام، وحتى نتمكن من القيام بتلك المهمة فقد عمدنا إلى تقسيم فئات الإجابة الخمس على البنود إلى ثلاث فقط لتيسير إجراءات تحليل وعرض النتائج بحيث تشير فئتا الإجابة (غير

موافق أو موافق بدرجة قليلة أو نادرًا أو قليلاً (*)) إلى معدل منخفض من الموافقة، أو الممارسة، على العبارة المقدمة للمبحوث، وتشير فئتا الإجابة (موافق بدرجة كبيرة وكبيرة جدا أو كثيرا ودائمًا) إلى معدل مرتفع، وتركت الفئة الوسطى (موافق بدرجة متوسطة أو أحيانًا) لتشير إلى درجة متوسطة من الموافقة على العبارة. عقب ذلك تم حساب معدل تكرار الإجابات ونسبة المجيبين عنها فى كل فئة من الفئات الثلاث للعينة الكلية (ن = ٤٠٠)، ويوضح الجدول التالى رقم (١) نتائج ذلك الإجراء.

جدول رقم (١)

معدل تكرار ممارسات ونسب موافقة أفراد العينة الكلية

على البنود الفرعية لمقياس الاتجاه نحو المحاجة

م	معدل الموافقة	منخفض		متوسط		مرتفع	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪
	المكون الأول : تصورات الفرد حول المحاجة						
١	إذا أردت أن تفقد صديقا فأكثر من المحاجة معه	٢٦١	٦٥,٤	٥٩	١٤,٨	٧٩	١٩,٨
٢	الممارسة المستمرة للمحاجة تنمى ذكاء الفرد وتوسع مداركه	٨٨	٢٢	٩٤	٢٣,٥	٢١٨	٤٤,٥
٣	كثرة محاجة الآخرين تعكر صفو العلاقة معهم	١٧٨	٤٤,٥	٩٩	٢٤,٥	١٢٣	٣٠,٨
٤	إذا بدأ الناس فى المحاجة حول موضوع ما فلن يصلوا إلى شيء مفيد بصدده	٢٧٠	٦٧,٦	٥٩	١٤,٨	٧١	١٧,٨
٥	المحاجة وسيلة فعالة لتسوية الخلافات بين الناس	١١١	٢٧,٨	١٠٢	٢٥,٦	١٨٦	٤٦,٧
٦	الممارسة المكثفة للمحاجة تجعل تفكير الفرد أكثر وضوحاً وتنظيما	١٠٨	٢٧	٩٣	٢٣,٣	١٩٩	٤٩,٨
٧	الشخص الذى لديه قدرة قوية على المحاجة يحصل على مزايا عديدة .	١٠٢	٢٥,٦	٨٩	٢٢,٣	٢٠٩	٥٢,٣
	المكون الثانى : المشاعر نحو المحاجة						
٨	أكره الشخص الذى يحاج الآخرين كثيراً	١٩١	٤٧,٨	٨٩	٢٢,٣	١٢٠	٣٠

(*) جدير بالذكر أن المقياس يتضمن فئتين من البنود: الأولى عبارات يذكر المبحوث مدى موافقته عليها وهى تقيس الجوانب المعرفية والوجدانية فى الاتجاه وتشملها البنود من ١- ٢٦، وتضم الفئة الثانية سلوكيات يقرر المبحوث معدل ممارسته لها . وهى تقيس الجانب السلوكى فى الاتجاه وتتضمنها البنود من ٢٧ - ٣٨.

تابع جدول رقم (١)

م	معدل الموافقة	منخفض		متوسط		مرتفع	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪
٩	أشعر بعدم الرضا عن نفسي حين أكثر من المحاجة مع الآخرين .	١٨٩	٤٧,٣	٨٣	٢٠,٨	١٢٨	٣٢,١
١٠	أفضل أن أكون بصحبة أناس لا يتحاجون كثيراً	١٧٦	٤٤,١	١٠٤	٢٦	١٢٠	٣٠
١١	أكره أن يكون من بين زملائي شخص كثير المحاجة	١٩٥	٤٨,٨	٧٦	١٩	١٢٩	٣٢,٣
١٢	أشعر بالضيق حين يبدأ أصدقائي في المحاجة حول موضوع ما	٢٥٠	٦٢,٦	٧٤	١٨,٥	٧٦	١٩,١
١٣	أشعر بالسعادة والارتياح حين أشترك في مناقشات حجاجيه مع آخرين	١٨٥	٤٦,٣	٦٧	١٦,٨	١٤٨	٣٧,١
	المكون الثالث : إدراك الكفاءة الحجاجية						
١٤	أعتقد أن قدرتي علىّ المحاجة أقل من معظم المحيطين بي	١٧٧	٤٤,٦	١٢٨	٣٢,١	٩٤	٢٣,٥
١٥	من السهل على شرح وتوضيح آرائي للآخرين أثناء المحاجة .	٨٣	٢٠,٨	١١١	٢٧,٨	٢٠٦	٥١,٦
١٦	يفند الآخرون آرائي عادة أثناء المحاجة	١٦٣	٤٠,٨	١٢٢	٣٠,٥	١١٥	٢٨,٨
١٧	أنا معروف وسط أصدقائي بأني محاج (محاور) بارع	١٦٣	٤٠,٨	١١٠	٢٧,٥	١٢٧	٣١,٨
	المكون الرابع : تصورات الفرد نحو المحاج						
١٨	المحاج هو شخص يجيد التلاعب بالألفاظ	١٧٢	٤٣	٥٩	١٤,٨	١٦٩	٤٢,٣
١٩	المحاج ذو تفكير منظم لديه قدرة على صياغة أفكاره بدقة	٧٦	١٩,١	٦٦	١٦,٥	٢٥٨	٦٤,٦
٢٠	المحاج هو شخص يحترم الآخرين وحريتهم في التعبير عن آرائهم	١١٠	٢٧,٦	٧٧	١٩,٣	٢١٢	٥٣,١
٢١	يسعى المحاج عادة إلى فرض سيطرته وآرائه على الآخرين	١٨٤	٤٦,١	٨٢	٢٠,٥	١٣٤	٣٣,٦
٢٢	المحاج هو شخص محبوب ممن حوله	١٣٥	٣٣,٨	١٦١	٤٠,٣	١٠٤	٢٦
٢٣	معظم المحاجين لديهم معلومات محدودة وغير دقيقة حول ما يتحاجون حوله	٢٣١	٥٧,٨	٧٩	١٩,٨	٩٠	٢٢,٥
٢٤	يستخدم المحاج مهاراته الحجاجية المميزة في خداع الآخرين وإهدار حقوقهم	٢٢٩	٥٧,٣	٦٣	١٥,٨	١٠٨	٢٧,١
٢٥	كثير المحاجة هو شخص متعصب لرأيه ولا يحاول فهم ما يقوله الآخرون	١٨١	٤٥,٣	٨٠	٢٠	١٣٩	٣٤,٨

تابع جدول رقم (١)

م	معدل الموافقة	منخفض		متوسط		مرتفع	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪
٢٦	يميل كثير المحاجة إلى مهاجمة الآخرين بدلا من تفنيد الحجج التي يقولونها	١٩٨	٤٩,٥	٨٩	٢٢,٣	١١٣	٢٨,٣
	المكون الخامس : الانخراط في المحاجة (معدل الحدوث)						
٢٧	أصرف انتباهي إلى نشاط آخر إذا بدأ أصدقائي يتحاجون	١٧٦	٤٤,١	١٤٨	٣٧	٧٦	١٩
٢٨	أتعمد الدخول في مناقشات حجاجيه مع زملائي	٢١٣	٥٣,٤	١٠٨	٢٧,١	٧٨	١٩,٦
٢٩	لا أدع فرصة تمر إلا وأنتهزها لأشترك في محاجة مع آخرين	٢٣١	٥٧,٨	٩٣	٢٣,٣	٧٦	١٩
٣٠	أشاهد البرامج التي يتحاج فيها المشاركون حول قضايا خلافية	١٠٠	٢٥,١	٩٠	٢٢,٥	٢١٠	٥٢,٥
٣١	أتجنب قدر الإمكان مصادقة الشخص كثير المحاجة	١٦٦	٤١,٥	١٣٧	٣٤,٣	٩٧	٢٤,٣
٣٢	أدخل في مناقشات حجاجية مع أفراد أسرتي	١٠٢	٢٥,٦	٩٣	٢٣,٣	٢٠٥	٥١,٣
٣٣	إذا رأيت أناساً يتحاجون أسعى للاشتراك في المحاجة حتى لو كانت حول موضوعات لا تهمني	٢٨٢	٧٠,٧	٥٨	١٤,٥	٥٩	١٤,٨
	المكون السادس : الاستخدام الحكيم للمحاجة						
٣٤	لا أدخل في المحاجة مع آخرين إلا عند اللزوم (في القضايا المهمة)	١٠١	٢٥,٣	٩٠	٢٢,٥	٢٠٩	٥٣,٣
٣٥	أتجنب الهجوم على شخص الطرف الآخر بل أركز هجومي على حججه فقط	١١٤	٢٨,٥	٧٧	١٩,٣	٢٠٩	٥٢,٣
٣٦	لا أتحاج إلا مع ذوي العقليات الواعية المستنيرة فقط	١٠٣	٢٥,٨	١٠٣	٢٥,٨	١٩٤	٤٨,٥
٣٧	إذا شعرت أن المحاجة ستثير حساسية الآخر أو غضبه أتوقف فورا أو أغير الموضوع	٦٥	١٦,٣	٧٣	١٨,٣	٢٦٢	٦٥,٥
٣٨	ألجأ للمحاجة حين أشعر أنه ليس لدي وسيلة أخرى أفضل للتعامل مع الموقف	١٥٠	٢٧,٦	١٠١	٢٥,٣	١٤٨	٣٧,١

حين نفحص النتائج الخاصة بالبنود الفرعية لكل مكون من المكونات الستة للاتجاه نحو المحاجة المتضمنة في الجدول السابق رقم (١) لنقف على طبيعة اتجاهات أفراد العينة الكلية نحو المحاجة سنجد ما يلي :

- **فيما يتصل بتصورات الفرد** حول المحاجة فقد وافق بدرجة منخفضة (٦٥,٤٪)، من الأفراد على أن المحاجة تؤدى إلى فقدان الأصدقاء، وأنها لن تؤدى إلى شىء مفيد (٦٧,٦٪)، وهو ما يعنى نظرة إيجابية للمحاجة فهى مثمرة وخسائرها الإنسانية على مستوى العلاقات الحميمة محدودة. وعلى الجهة الأخرى، فقد وافقت نسبة كبيرة - نسبيا - (٥٢,٣٪) على أن من لديه مهارات حجاجية مرتفعة سيحصل على مزايا عديدة، وقرر (٤٩,٨٪) أن الممارسة المكثفة للمحاجة تجعل تفكير الفرد أكثر تنظيمًا، وأنها وسيلة فعالة لتسوية الخلافات (٤٦,٧٪)، وأنها تنمى ذكاء الفرد وتوسع مداركه (*) (٤٤,٥٪).

- **بالنسبة لمشاعر الفرد** نحو المحاجة، لم يوافق غالبية الأفراد (٦٢,٦٪) على أنهم يشعرون بالضيق عندما يبدأ أصدقاؤهم فى الحجاج، أو أن يكون من بين زملائهم أشخاص محاجون (٤٨,٨٪)، أو كراهية المحاجين عمومًا (٤٧,٩٪)، أو أنهم يشعرون بعدم الرضا حين يتحاجون مع آخرين (٤٧,٣٪). وهو ما يعنى، بشكل عام، وجود توجه بعدم تبنى مشاعر سلبية نحو المحاجة، بل ثمة تقبل عام لها، وهو ما يتسق مع تبنيهم تصورات ذات طابع إيجابى للمحاجة.

- **إدراك الكفاءة الحجاجية** : فيما يتعلق بهذا المكون فقد قرر حوالى (٥١,٦٪) من الأفراد أنه يسهل عليهم توضيح آرائهم للآخرين أثناء المحاجة، وهو اعتراف بأن لديهم كفاءة حجاجية نسبية، وما يتفق مع ذلك أن حوالى (٤٤,٦٪) منهم لم يوافق على أن قدرته على المحاجة أقل من المحيطين به، وأنهم يفندون رأيه بسهولة إبانها (٤٠,٨٪).

- **تصورات الفرد حول المحاج** : ذكر فى هذا المقام (٦٤,٦٪) أن المحاج هو شخص ذو تفكير منظم وله قدرة على صياغة والتعبير عن أفكاره بصورة جيدة، وأنه يحترم

(*) فهى تساعد على اكتساب معلومات جديدة ومفيدة لى وللآخرين حول الموضوع الذى نتناقش حوله » ، هذا هو التفسير الذى قدمه أحد الطلاب الجامعيين للتدليل على رغبته فى أن يكون لديه مهارات حجاجية مرتفعة .

الآخرين وحريتهم فى التعبير (٥٧,٣٪)، وهو توجه إيجابى، وما يدعمه أن نسبة كبيرة منهم لم توافق على أن المحاجين لديهم معلومات محدودة حول ما يتحاجون حوله (٥٧,٣٪)، أو أنهم يميلون لمهاجمة الآخرين وليس حججهم (٤٩,٥٪)، وأنهم يسعون لفرض سيطرتهم وآرائهم على الآخرين (٤٦,١٪)، وأنهم يتعصبون لرأيهم (٤٥,٣٪)، وهو ما يعكس صورة حسنة للمحاج (*) فى عيون هؤلاء الأفراد بشكل عام.

– **الانخراط فى المحاجة** : بناء على ما سبق استعراضه من اتجاهات فرعية لأفراد العينة حول بعض المكونات الاتجاهية نحو المحاجة تبين أن تصورات ومشاعر الأفراد نحو المحاجة ذات طابع إيجابى، لكن ترى هل سيكون سلوكهم الحجاجى متسقًا مع تلك التصورات والمشاعر ويسير فى ذات الوجهة ؟ حتى نحصل على إجابة عن هذا السؤال سنعرض لمعدلات ممارسة هؤلاء الأفراد للعديد من السلوكيات الحجاجية، والتى تتمثل فيما يلى : قرر نسبة مرتفعة نسبيا (٥٢,٥٪) أنهم يشاهدون البرامج التى يتحاج فيها المشاركون حول قضايا خلافية، وأنهم يدخلون عادة فى مناقشات حجاجية مع أفراد أسرهم (٥١,٣٪)، بيد أن هذا الميل لا يعمم أو يمتد خارج ذلك النطاق الضيق فى أحيان كثيرة. ومن شواهد ذلك أن (٥٣,٤٪) منهم ذكروا أنهم قليلاً ما يدخلون فى محاجة مع الزملاء (٥٣,٤٪).

– **الاستخدام الحكيم للمحاجة** : أشار (٦٥,٥٪) من الأفراد أنهم إذا شعروا أن المحاجة ستثير حساسية الآخرين فإنهم يتوقفون فورًا ويغيرون الموضوع، وأنهم لا يدخلون فى المحاجة إلا عند اللزوم وإذا استدعى الأمر ذلك فقط (٥٢,٣٪)، وقرر نفس النسبة أنهم يتجنبون الهجوم على شخص الطرف الآخر بل يركزون هجومهم على حججه، وأنهم لا يتحاجون إلا مع ذوى العقليات المستنيرة فقط (٤٨,٥٪) حتى تؤتى المحاجة ثمارها. أى أن ثمة ميلاً للاستخدام الرشيد للمحاجة، فهم لا يقدمون على الاشتراك فيها إلا إذا كان الموضوع مهما، ومع شخص يتمتع بعقلية منفتحة

(*) قرر أحد الطلاب الجامعيين أن المحاج « متحضر، وواسع الأفق ، ويحاول الوصول للرأى الأصوب من خلال الحوار » .

حتى لا تتحول إلى صراع، وأنهم يركزون أثناء المحاجة على الرد على حجج الطرف الآخر دونما التطرق إلى شخصه، وأنهم على استعداد للتوقف إذا شعروا أنهم سيثيرون غضبه. وفى محاولة منا لتفسير تلك النتائج والتى تكشف عن وجود اتجاه متقبل بشكل عام للمحاجة على المستوى المعرفى والوجدانى والسلوكى من قبل أفراد العينة الكلية للبحث سنسعى لتقييم الدور الذى تمارسه بعض المتغيرات (المحددات) النفسية والديموجرافية فى التأثير على الاتجاه نحو المحاجة وتشكيله على هذا النحو، وفيما يلى بيان ذلك.

ثانيا: آثار بعض المتغيرات النفسية والديموجرافية على الاتجاه نحو المحاجة:

ترى هل ستتغير طبيعة الاتجاه نحو المحاجة، والتى تبين فيما سبق أنه يغلب عليها الطابع الإيجابى، كدالة لبعض المتغيرات التى يفترض أن لها تأثيرًا دالاً عليها كالنوع، والتخصص الدراسى، والإقامة، ومستوى التوكيد ؟ للإجابة عن هذا السؤال قمنا بإجراء تحليل تباين رباعى يتضمن هذه المتغيرات المستقلة الأربعة لرصد آثار كل منها منفردًا، وتفاعلها معًا، على الاتجاه نحو المحاجة بوصفه المتغير التابع فى هذه الدراسة. ويوضح الجدول التالى رقم (٢) نتائج ذلك الإجراء الإحصائى.

جدول رقم (٢)

الآثار الرئيسية والتفاعلية لكل من النوع والتخصص الدراسى والإقامة ومستوى التوكيد فى الاتجاه نحو المحاجة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	مرتفع	مستوى الدلالة	مرتفع
الآثار الرئيسية	٥٧٣٣,٦٠	٤	١٤٣٣,٤٠	٤,٠١	٠,٠٠٣	دال
النوع	١٤٣,٧٤	١	١٤٣,٧٤	٠,٤٠	٠,٥٣	غير دال
التخصص	٢٦٣٤,٣٠	١	٢٦٣٤,٣٠	٧,٣٧	٠,٠٠٧	دال
التوكيد	٣٥٤٣,١٥	١	٣٥٤٣,١٥	٩,٩١	٠,٠٠٢	دال
الإقامة	٣٦٨,٧٤	٦	٣٦٨,٧٤	١,٠٣	٠,٣١	غير دال
التفاعلات فى اتجاهين	٣١٢٠,٤٠	١	٥٢٠,٠٧	١,٤٥	٠,١٩	غير دال

تابع جدول رقم (٢)

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	مرتفع	مستوى الدلالة	مرتفع
نوع × تخصص	٥٦٦,٦٥	١	٥٦٦,٦٥	١,٥٨	٠,٢١	غير دال
نوع × توكيد	١٨٥,٨١	١	١٨٥,٨١	٠,٥٢	٠,٤٧	غير دال
نوع × إقامة	١٢٢,٣٣	١	١٢٢,٣٣	٠,٣٤	٠,٥٦	غير دال
تخصص × توكيد	٠,٠٤	١	٠,٠٤	٠,٠٠١	٠,٩٩	غير دال
تخصص × إقامة	٢٢٢,١٦	١	٢٢٢,١٦	٠,٦٢	٠,٤٣	غير دال
توكيد × إقامة	٤,٤٥	١	٤,٤٥	٠,٠١	٠,٩١	غير دال
التفاعلات فى ثلاثة اتجاهات	٢٨٥٠,٤٢	٤	٧١٢,٦١	٠,٩٠	٠,٠٩	غير دال
نوع × تخصص × توكيد	٦٠٠,٩٨	١	٦٠٠,٩٨	١,٦٨	٠,٢٠	غير دال
نوع × تخصص ×إقامة	٣٦,٩٥	١	٣٦,٩٥	٠,١٠	٠,٧٥	غير دال
نوع × توكيد × إقامة	٧٩٩,٩٥	١	٧٩٩,٩٥	٢,٢٤	٠,١٤	غير دال
تخصص × توكيد × إقامة	٤٦٢,٩٦	١	٤٦٢,٩٦	١,٣٠	٠,٢٦	غير دال
التفاعلات فى أربعة اتجاهات	١٧٦,٥١	١	١٧٦,٥١	٠,٤٩	٠,٤٨	غير دال
نوع × تخصص × توكيد × إقامة	١٧٦,٥١	١	١٧٦,٥١	٠,٤٩	٠,٤٨	غير دال
التباين المفسر	١٨٣٣٥,٦٣	١٥	١٢٢٢,٣٨	٣,٤٢	٠,٠٠١	دال
البواقى	١٣٧٣٣,٠٧٣	٣٨٤	٣٥٧,٦٣			
الإجمالى	١٥٥٦٦٦,٣٦	٣٩٩	٣٩٠,١٤			

تشير نتائج تحليل التباين الرباعى الذى يحويها الجدول السابق رقم (٢) إلى أن كلا من متغير التخصص الدراسى والتوكيد منفردًا، كان لها تأثير دال على الاتجاه نحو المحاجة، أما متغير النوع والإقامة فلم يكن لأى منها منفردًا تأثير دال عليه. وتبين أيضًا أن التفاعل بين أكثر من متغير معًا لم يكن له آثار دالة على الاتجاه نحو المحاجة. ونظرًا لأن تحليل التباين بصورته الراهنة يتعامل مع الآثار العامة للمتغيرات المستقلة على الاتجاه العام نحو المحاجة، وليس مكوناته الفرعية، فقد أجرينا تحليلات لاحقة للكشف عن طبيعة (حجم ووجهة) تأثير كل متغير، بفئاته الفرعية، على كل مكون من مكونات الاتجاه الستة نحو المحاجة لنقف على طبيعة الفروق الفرعية عليها بالنسبة لكل متغير مستقل على حدة، ويحوى الجدول التالى رقم (٣) نتائج تلك المقارنات.

جدول رقم (٣)

الفروق فى المكونات الفرعية للاتجاه نحو المحاجة فى ظل الفئات والمستويات المتنوعة من متغيرات النوع والتخصص الدراسى والإقامة والتوكيد

المتغيرات	النـــــوع						التخصص الدراسى					
مكونات الاتجاه نحو المحاجة	ذكور (ن = ٢٠٠)		إناث (ن = ٢٠٠)		قيمة ت	مستوى الدلالة	عملى (ن = ٢٠٠)		نظرى (ن = ٢٠٠)		قيمة ت	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع			م	ع	م	ع		
تصورات الفرد حول المحاجة	٢٢,٣	٤,٨	٢٢,٩	٤,٧	١,٢-	غير دال	٢٣,١	٤,٧	٢٢,٢	٤,٨	٢	٠,٠٤
مشاعر الفرد نحو المحاجة	١٩,٣	٥,٤	١٩,٨	٥,٧	٠,٩-	غير دال	٢٠	٥,١	١٩	٥,٩	١,٧	غير دال
إدراك الفرد لكفاءته الحجاجية	١٢,٨	٣	١٢,٨	٢,٨	٠,٢	غير دال	١٣,٢	٢,٨	١٢,٤	٣	٢,٩	٠,٠٠٤
تصورات الفرد حول المحاج	٢٩	٧,٦	٣١,٤	٨,٣	٣,٠-	٠,٠٠٣	٣١,٢	٧,٤	٢٩,١	٥,٦	٢,٦	٠,٠٠٩
الانخراط فى المحاجة	٢٠,٢	٤٠٤	٢٠,٣	٤٠٤	٠,٣-	غير دال	٢١,١	٤,٥	١٩,٤	٤,٢	٤,١	٠,٠٠٠١
الاستخدام الحكيم للمحاجة	١٧	٣,٨	١٦,٨	٤	٠,٧	غير دال	١٦,٦	٣,٧	١٧,٢	٤,١	١,٦-	غير دال
الاتجاه العام نحو المحاجة	١٢٠,٦	١٩,٤	١٢٣,٩	٢٠	١,٧-	غير دال	١٢٥,٢	١٨,٨	١١٩,٢	٢٠,٣	٣,١	٠,٠٠٢

تابع جدول رقم (٣)

المتغيرات	النـــــوع						التوكيـــد					
مكونات الاتجاه نحو المحاجة	ريف (ن = ١٢٩)		حضر (ن = ٢٧١)		قيمة ت	مستوى الدلالة	منخفض (ن = ١٩٠)		مرتفع (ن = ٢١٠)		قيمة ت	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع			م	ع	م	ع		
تصورات الفرد حول المحاجة	٢٢,٧	٤,٧	٢٢,٦	٤,٨	٠,٢	غير دال	٢١,٩	٤,٤	٢٣,٢	٥	٢,٧-	٠,٠٠٧
مشاعر الفرد نحو المحاجة	١٩,٨	٥,٣	١٩,٣	٥,٦	٠,٨	غير دال	١٨,٧	٤,٩	٢٠,٢	٥,٩	٢,٨-	٠,٠٠٥
إدراك الفرد لكفاءته الحجاجية	١٣,٤	٢,٥	١٢,٥	٣,١	٢,٨	٠,٠٠٦	١٢	٢,٨	١٣,٥	٢,٨	٥,٢-	٠,٠٠٠١
تصورات الفرد حول المحاج	٣٠,٦	٨	٣٠	٨,١	٠,٨	غير دال	٢٨,٧	٧,١	٣١,٥	٨,٦	٣,٥-	٠,٠٠١
الانخراط فى المحاجة	٢٠,٦	٤,٥	٢٠,١	٤,٤	٠,٩	غير دال	١٩,٨	٣,٨	٢٠,٧	٤,٩	٢,١-	٠,٠٤
الاستخدام الحكيم للمحاجة	١٧	٣,٧	١٦,٩	٤	٠,٤	غير دال	١٦,٣	٣,٦	١٧,٤	٤,١	٢,٩-	٠,٠٠٤
الاتجاه العام نحو المحاجة	١٢٤,١	١٨,٩	١٢١,٣	٢٠,١	١,٣	غير دال	١١٧,٥	١٦,٦	١٢٦,٥	٢١,٤	٤,٧-	٠,٠٠٠٠١

تشير نتائج الجدول السابق رقم (٣) الخاصة بالفروق الفرعية بين الأفراد فى ظل المتغيرات المستقلة الأربعة على المكونات الستة للاتجاه نحو المحاجة إلى ما يلى :

- **النوع** : لم نجد فروقا دالة بين الذكور والإناث فى الاتجاه نحو المحاجة سواء على المستوى العام أو الفرعى سوى فيما يتصل بالتصورات حول المحاج حيث تبنت الإناث تصورات أكثر إيجابية من الذكور نحوهم. أى أن كلا من الذكور والإناث لديهم اتجاهات متشابهة نحو المحاجة، وأن النوع لا يمارس تأثيرا بارزا فى هذا المجال. و مما يجدر ذكره فى هذا المقام أن اتجاه كل منهما نحو المحاجة يقع عند مستوى أعلى - قليلا - من المتوسط أى أنهم يميلون إلى تبنى اتجاه يتسم - بشكل عام - بالتقبل للمحاجة.

- **التخصص الدراسى** : تبين وجود فروق دالة فى الاتجاه العام نحو المحاجة لصالح طلاب الكليات العملية مما يعنى أنهم أكثر تقبلا للمحاجة من طلاب الكليات النظرية. أما على مستوى المكونات الفرعية فكانت الفروق لصالحهم أيضا على كل من التصورات نحو المحاجة، والمحاجين، وإدراك الكفاءة الحجاجية، والانخراط فى عمليات المحاجة.

- **موطن الإقامة** : يعبر هذا المتغير عن تأثير الثقافة الفرعية للفرد سواء كانت ثقافة ريفية أم حضرية، وحين فحصنا تأثير ذلك المتغير كما تكشف عنه نتائج المقارنات الزوجية بين المقيمين فى الريف مقابل المقيمين فى الحضر لم نجد فروقًا دالة بينهما فى الاتجاه العام نحو المحاجة، حيث كان كلاهما يتبنى اتجاهًا معتدلاً - متقبلاً - نحوها، أما بالنسبة للفروق فى المكونات الفرعية فلم يكن الفارق دالاً عليها جميعًا فيما عدا إدراك الفرد لكفاءته الحجاجية حيث أدرك الريفيون أنفسهم أنهم أكثر مهارة فى ذلك.

– **التوكيد** : من الواضح أن متغير مستوى توكيد الذات وثيق الصلة بالاتجاه نحو المحاجة (*) ويمارس آثاراً دالة عليه حيث كان اتجاه مرتفعى التوكيد نحو المحاجة أعلى بصورة دالة مقارنة بالمنخفضين سواء على مستوى الاتجاه العام نحو المحاجة أو على مستوى المكونات الفرعية الستة له حيث كان المرتفعون لديهم تصورات ومشاعر أكثر إيجابية حول المحاجة والمحاجين، وأدركوا أنفسهم على أن لديهم مهارات حجاجية مناسبة، وكانوا أكثر انخراطاً فى أنشطة حجاجية، ويمارسونها بصورة أكثر حكمة. تبقى نقطة أخيرة يجب التنويه إليها فيما يتصل بإجراءات تحليل التباين السابق قوامها أنه نظرًا لبعض الاعتبارات الإحصائية فلم يقم الباحث بإدراج كل من متغير العائد الفعلى للمحاجة، والدين فى تحليل التباين الرباعى حتى لا يتحول إلى تحليل تباين سداسى لأن عدد أفراد العينة فى هذه الحالة كان سيفتت على نحو يصبح فيه عدد الأفراد فى كل خلية محدودا (كان عدد الخلايا سيصبح فى هذه الحالة ٦٤ خلية بمتوسط ستة أفراد فى كل منها فقط) مما يقلل من كفاءة النتائج لأن القوة الرياضية Robustness للمقاييس الاحصائية ستصبح منخفضة حينئذ (Baggaley,1981) ؛ لذا تم الاكتفاء برصد تأثير هذين المتغيرين ، كل على حدة، على الاتجاه نحو المحاجة بأساليب أخرى أكثر بساطة، وفيما يلى النتائج الخاصة بهذين المتغيرين.

– **العائد الفعلى للمحاجة** : من المتوقع أن تتحدد أساليب الناس فى حل الصراع تبعا لمدى ما يحصلون عليه من نتائج بواسطة هذا الأسلوب (gabrielidis etal, 1997)، وحتى نقف على طبيعة الدور الذى يقدمه العائد الذى يحصل عليه الأفراد كدالة لسلوكهم الحجاجى، وأثر ذلك على اتجاههم نحو المحاجة قدمنا مجموعة، مترابطة، من الأسئلة حول ذلك العائد تدور حول جوانبه وصوره المتعددة وهى :

(*) أشارت إحدى الطالبات الجامعيات إلى أنها تفضل الانخراط فى عمليات المحاجة بقولها: «حتى أدافع عن حقوقى أمام الآخرين، وأشعرهم بأننى لست أقل منهم».

- أصدقاؤك ينتقدونك حين تكثر من الحجاج معهم (*). وافق على هذه العبارة (٢٧,٣٪) من المبحوثين.
- تساعد المحاجة على فهم الأمور بصورة أفضل (وافق على ذلك ٧٤,٣٪).
- تمكنك المحاجة من حل خلافاتك مع الآخرين (وافق على ذلك ٤٨,١٪)
- تقنع الآخرين برأيك من خلال المحاجة (وافق على ذلك ١، ٥٤ ٪).
- تتعلم أشياء كثيرة وتكتسب المزيد من الخبرات بواسطة المحاجة (وافق على ذلك ٦٣,٦ ٪).
- تصحح أفكارك وأفكار الآخرين من خلال المحاجة (وافق على ذلك ٨، ٥٨ ٪).
- تؤدى المحاجة إلى فقدانك العديد من حقوقك ومزاياك (وافق على ذلك ١، ٢٢ ٪).

وهو ما يشير إلى أن المبحوثين يدركون ويتلقون عائدا إيجابيا من المحاجة مما يفسر - جزئيا - تبنيهم اتجاها إيجابيا نحوها.

- الدين : ترى هل سيكون الاتجاه نحو المحاجة متشابها داخل الفئات الدينية المختلفة من المسلمين والمسيحيين ؟

للإجابة عن هذا السؤال أجرينا مقارنة بين متوسط المسلمين (ن = ٣٥٨) فى العينة الكلية مقابل المسيحيين (ن = ٤٢) على متوسط الاتجاه العام نحو المحاجة، ولم نجد فروقاً دالة بينهما حيث بلغت قيمة ت - ٠٣,٠ (كان متوسط كل منهما على التوالى ٢، ١٢٢ + ٢, ٢٠، ٣، ١٢٢ + ١، ١٦)، ولم نجد كذلك فروقاً دالة بينهما على أى من المكونات الفرعية الستة للاتجاه نحو المحاجة، ولوحظ أن متوسط درجاتيهما يميل إلى أن يكون أعلى من المتوسط أى يتجه نحو تقبل المحاجة وتبنى اتجاه يتسم بالإيجابية - نسبياً - نحوها (**). وهو ما يعنى أن أفراد العينة، وهم من ذوى التعليم

(*) «أحيانا يقولون لى انت سوفسطائى» هكذا قال أحد الطلاب الجامعيين، وقالت إحدى الطالبات إنهم يصفونها أنها «إنسانة ثرثارة، مجادلة، غلباوية».

(**) ذكر أحد الطلاب المسلمين «أعتقد أن المحاجة مباحة شرعًا» وقالت إحدى الطالبات «فى تصورى أن الدين يؤيد المحاجة».

المرتفع، بغض النظر عن دينهم، ونوعهم كما تبين آنفا، يفضلون المحاجة ويتبنون حولها اتجاها متقبلاً. وهو ما قد يثير تساؤلاً مفاده : هل أثر الثقافة العامة فيما يتصل بالاتجاه نحو المحاجة بارز لدرجة أنه يطبع أبناءها بطابعه بغض النظر عن خصالهم الشخصية (دينهم وتعليمهم ونوعهم) ؟

عقب أن عرضنا للآثار التى تمارسها بعض المتغيرات النفسية والديموجرافية فى الاتجاه نحو المحاجة ننتقل لدراسة الطبيعة النوعية للعلاقة بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان، بصورة أكثر تفصيلاً، على النحو التالى.

ثالثاً : العلاقة بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان :

(أ) معاملات الارتباط بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان :

يتضمن الجدول التالى رقم (٤) مصفوفة معاملات ارتباط الدرجة الكلية لمقياس الاتجاه نحو المحاجة ومكوناته الفرعية الستة، والدرجة الكلية على مقياس العدوان وعناصره الفرعية الأربعة، وذلك لكل من أفراد العينة الكلية (ن = ٤٠٠)، وعينة الذكور (ن = ٢٠٠)، والإناث (ن = ٢٠٠) كل على حدة.

جدول رقم (٤)

مصفوفة معاملات الارتباط بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان لكل من العينة الكلية للدراسة وعينة الذكور وعينة الإناث

المتغيرات	الكلية (ن = ٤٠٠)					الذكور (ن = ٢٠٠)					الإناث (ن = ٢٠٠)				
مكونات الاتجاه نحو المحاجة / العدوان	الكلى	الرغبة فى العدوان	المضمر	المادى	اللفظى	الكلى	الرغبة فى العدوان	المضمر	المادى	اللفظى	الكلى	الرغبة فى العدوان	المضمر	المادى	اللفظى
التصورات حول الحاجة	-٠,٠٩	-٠,٠٩	-٠,٧	-٠,٠٧	-٠,٠٧	٠,٠٢	-٠,٠٦	-٠,٠١	-٠,٠١	-٠,٠٢	-٠,١٤*	-٠,١١	-٠,١١	-٠,١٤	-٠,١٠
المشاعر نحو المحاجة	-٠,١٤**	-٠,١٧**	-٠,١٢**	-٠,١٣**	-٠,٠٥	-٠,٠٦	-٠,١٢	-٠,٠٦	-٠,٠٨	٠,٠٣	-٠,٢١**	-٠,٢٢**	-٠,١٧	-٠,١٩**	-٠,١٣
إدراك الكفاءة الحجاجية	-٠,١٨**	-٠,١٦**	-٠,١٩**	-٠,١٥**	-٠,١٠**	-٠,٢٠**	-٠,٢٢*	-٠,٢٢**	-٠,١٣	-٠,١١	-٠,١٧**	-٠,١٠	-٠,١٧**	-٠,٢٠**	-٠,٠٨
التصورات حول المحاج	-٠,٢٣**	-٠,٢٣**	-٠,٢١**	-٠,٢١**	-٠,١١*	-٠,١٤*	-٠,١٥	-٠,١١	-٠,١٢	-٠,٠٧	-٠,٢٨**	-٠,٢٨**	-٠,٢٣**	-٠,٢٧**	-٠,١٤*
الانخراط فى المحاجة	٠,٠٧	٠,٠٣	٠,٠٩	-٠,٠٩	-٠,٠٧	-٠,١٨*	٠,٠١	-٠,١٨*	٠,١١	٠,١٨*	-٠,٠٤	-٠,٠٩	-٠,٠١	-٠,٠٣	-٠,٠٣
الاستخدام الحكيم للمحاجة	-٠,٠٧	-٠,٠٩	-٠,٠٥	-٠,٠٣	-٠,٠٥	-٠,١٥*	-٠,٠١٥*	-٠,١٣	-٠,٠٩	-٠,١١	-٠,٠١	-٠,٠٥	٠,٠٢	٠,٠٣	٠,٠١
الدرجة الكلية	-٠,١٨**	-٠,٢٠**	-٠,١٥**	-٠,١٦**	-٠,٠٨	-٠,١٠	-٠,١٤*	-٠,٠٩	-٠,٠٨	-٠,٠٢	-٠,٢٤**	-٠,٢٤**	-٠,١٩**	-٠,٢٣**	-٠,١٣

* معامل الارتباط دال عند مستوى (٠,٠٥)

** معامل الارتباط دال عند مستوى (٠,٠١)

نظراً لتنوع البيانات التى يحويها الجدول السابق رقم (٤)، لذا فإننا سنتناول، على التوالى، أولاً معاملات الارتباط الخاصة بالعينة الكلية، يلى ذلك معاملات الارتباط الخاصة بعينة الذكور ثم عينة الإناث.

- **معاملات الارتباط بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان لدى العينة الكلية :**

تكشف نتائج الجدول السابق الخاصة بالعينة الكلية عن وجود ارتباط سلبى دال (عند مستوى ٠،٠١) بين كل من الدرجة الكلية للاتجاه نحو المحاجة، والدرجة الكلية للعدوان، وكذلك بينه وبين جميع المكونات الفرعية للعدوان (الرغبة فى العدوان، والعدوان المضمر، والعدوان المادى) فيما عدا العدوان اللفظى فقط مما يعنى أنه كلما ارتفع الاتجاه نحو المحاجة وأصبح إيجابيا انخفض ميل الفرد للعدوان سواء على مستوى الرغبة فيه أو ممارسته على المستوى المادى، بيد أن هذا لا يحول دون إصداره بعض الألفاظ الحادة، والتراشقات اللفظية ذات الطبيعة العدائية. أما فيما يتصل بالعلاقة بين العناصر الفرعية للاتجاه والدرجة الكلية للعدوان فقد اتضح أن ما يرتبط منها بها بشكل دال (عند مستوى ٠،٠١) هى مشاعر الفرد نحو المحاجة، وتصوراته نحو المحاج،، وإدراك الكفاءة الحجاجية، وهو ما يشير إلى أن تبنى الفرد تصورات إيجابية حول الأطراف الأخرى فى المحاجة ومشاعر إيجابية نحوها، وإدراكه أن لديه مهارات حجاجية مناسبة يتزامن مع انخفاض ميله للعدوان. وحين نفحص العلاقات الارتباطية بين العناصر الفرعية لكل من المحاجة والعدوان سنجد أن التصورات حول المحاج، وإدراك الكفاءة الحجاجية، والمشاعر نحو المحاجة ارتبطت سلبيا بشكل دال بالعناصر الفرعية للعدوان (الاستثناء الوحيد تمثل فى العلاقة بين المشاعر نحو المحاجة والعدوان اللفظى) أى أن ميل الفرد وجدانيا للمحاجة، واعتقاده أن المحاج هو شخص يمارس سلوكا مقبولا فضلا عن شعوره بأن لديه مهارات تمكنه من الاشتراك فى والاستمرار فى المحاجة - كل ذلك يرتبط سلبيا بسلوكه العدوانى. بيد أن الانخراط فى المحاجة، والاستخدام الحكيم كمكونات سلوكية للاتجاه نحو المحاجة لم ترتبط بشكل دال بالعدوان، وهو ما يشير

إلى تأثير العوامل الموقفية التى تحول دون تحول التصورات والمشاعر السلبية إلى عدوان فالفرد قد يتبنى مشاعر سلبية نحو المحاج، والمحاجة إلا أن سلوكه الحجاجى لا يأخذ طابعًا عدوانيا حينئذ.

- **معاملات الارتباط بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان لدى الذكور :**

حين نفحص مصفوفة الارتباط بين هذين المتغيرين لدى الذكور سنجد أن الدرجة الكلية للاتجاه نحو المحاجة لم ترتبط بشكل دال بالدرجة الكلية للعدوان، على عكس الحال فى العينة الكلية، وكذلك لم نجد علاقة ارتباطية دالة بين الاتجاه نحو المحاجة وأى من العناصر الفرعية للعدوان، فيما عدا الرغبة فى العدوان، وذلك عند مستوى (٠،٠٥)، وهو ما يعنى أنه قد يصدر عن الفرد سلوك عدوائى أثناء المحاجة على الرغم من تبنيه اتجاها إيجابى نحوها، واعتقاده بأهميتها، وأن ذلك يحدث بفعل تدخل بعض العوامل الموقفية التى تستثيره وتستفزه إلى هذا الضرب من السلوك العدوانى سواء على المستوى اللفظى أو البدنى، وفى المقابل قد يتبنى الفرد اتجاها سلبيا نحوها ولا يمارس سلوكا عدوائيا حينئذ، أى أن هناك عوامل موقفية متعددة، أيضاً، تحول فى حالات معينة دون ترجمة تلك المشاعر السلبية نحو المحاجة والمحاجين إلى عدوان.

أما فيما يتصل بالارتباط بين كل من العاصر الفرعية للمحاجة والعدوان فقد أتضح عدم وجود أى ارتباط دال بين التصورات والمشاعر نحو المحاجة وبين العدوان الكلى أو أى من عناصره الفرعية، وهو ما يتسق مع التحليل السابق حول وجود عوامل موقفية هى التى تحدد ما إذا كان الفرد سيمارس سلوكا عدوائيا أثناء المحاجة أم لا، فى حين ارتبط إدراك الفرد لكفاءته الحجاجية سلباً بدرجة دالة (عند مستوى ٠،٠١) بكل من العدوان الكلى والرغبة فى العدوان، والعدوان المضمر، إى أن إدراك الفرد لكفاءته الحجاجية يصاحبه انخفاض فى الرغبة فى العدوان، والعكس صحيح، ولكن ذلك يظل على المستوى الداخلى فقط، أما على المستوى

السلوكى الخارجى فقد ارتبط مكون التصورات السلبية حول المحاج سلبيا بشكل دال (عند مستوى ٠٥، ٠) بالعدوان الكلى، والرغبة فيه، وكذلك ارتبط الانخراط فى المحاجة إيجابيا بالعدوان الكلى، والمضمر، واللفظى وهو ما يدعم التصور القائل بأن هناك عوامل موقفية تحدث أثناء المحاجة تشجع صدور بعض ضروب السلوك العدوانى عن الفرد مع أنه على المستوى الداخلى ليس لديه تصورات ومشاعر سلبية نحو المحاجة.

- **معاملات الارتباط بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان لدى الإناث :**

تكشف نتائج المصفوفة الارتباطية بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان لدى الإناث عن وجود ارتباط سلبى دال (عند مستوى ٠١، ٠) بين الاتجاه العام نحو المحاجة وكل من العدوان الكلى، وعناصره الفرعية الأربعة، ما عدا العدوان اللفظى، عند نفس المستوى، أى أن اتجاه الإناث نحو المحاجة قد ينعكس فى صورة عدوانية إذا كان سلبيا، ومسالمة إذا كان إيجابيا. وارتبطت مشاعرهن نحو المحاجة وتصوراتهن حول المحاجين سلبيا بشكل دال سواء بالعدوان الكلى أو بعناصره الفرعية، وهو ما يتسق مع الارتباط بين الاتجاه العام نحو المحاجة والعدوان كذلك، وإن كان بدرجة أقل، ارتبط إدراك كفاءتهن الحجاجية سلبيا بالعدوان الكلى، والمضمر والمادى فقط، مما يشير - نسبياً - إلى أن من يدركن أن لديهن كفاءة حجاجية منخفضة يملن لأن يكن عدوانيات، وقد يكون هذا أحد أشكال السلوك الدفاعى حينذاك. ولم يرتبط الانخراط فى المحاجة أو الاستخدام الحكيم للمحاجة بشكل دال بالعدوان الكلى أو مكوناته الفرعية مما قد يعنى أن الجانب المعرفى والوجدانى لدى الإناث حول المحاجة هو الذى يرتبط بالعدوان، وليس الجانب السلوكى الموقفى أثناء المحاجة، أى أنه قد يجوز لنا استنتاج أن الإناث أقل استجابة للعناصر الموقفية أثناء المحاجة، ومن ثم يصعب أن تجعلهن عدوانيات، فهن قد يكرهنها، وينفرن من المحاجين بيد أنهن لا يظهرن سلوكاً عدوانيا إبانها، بعكس الحال لدى الذكور الذين تمارس مثل هذه العناصر السلوكية، وليس المعرفية، دوراً

هاماً فى حدوث ذلك منهم. أى أن المكون المعرفى الوجدانى للاتجاه نحو المحاجة حين يرتفع لدى الإناث ينخفض عدوانهن، ومما يدلل على ذلك تلك العلاقة السلبية الدالة بين تصوراتهن حول المحاج والميل للعدوان، وفى المقابل يرتبط المكون السلوكى (الانخراط فى المحاجة) إيجابيا بالعدوان لدى الذكور (العدوان المضمر واللفظى بشكل خاص) حيث قد تتحول المحاجة إلى تراشق لفظى بفعل بعض العوامل الموقفية.

(ب) معاملات انحدار العدوان على المكونات الفرعية للاتجاه نحو المحاجة:

محاولة منا لتقدير القدرة التنبئية للمكونات الفرعية للاتجاه نحو المحاجة بالعدوان لدى كل من العينة الكلية، وعينة الذكور، وعينة الإناث فقد استخدمنا أسلوب تحليل الانحدار التدريجى، وسنعرض فيما يلى لأبرز النتائج المستمدة من هذا الإجراء والتى يوضحها الجدول التالى رقم (٥).

جدول رقم (٥)

انحدار الدرجة الكلية للعدوان على المكونات الفرعية للاتجاه نحو المحاجة لدى كل من العينة الكلية وعينة الذكور وعينة الإناث

العينة	الكليـــة					الذكـــور						الإنـــاث					
البيان / المكونات نحو المحاجة	معامل الانحدار	الخطأ المعيارى للانحدار	معامل الانحدار المعيارى	قيمة ت	مستوى الدلالة	المكون	معامل الانحدار	الخطأ المعيارى للانحدار	معامل الانحدار المعيارى	قيمة ت	مستوى الدلالة	المكون	معامل الانحدار	الخطأ المعيارى للانحدار	معامل الانحدار المعيارى	قيمة ت	مستوى الدلالة
التصورات حول المحاجة	-,٣٥	,٨	-,٢٣	-٤,٦	,٠١	الانخراط فى المحاجة	,٧٠	,٣٢	,٢٤	٢,٤	,٠٧	التصورات حول المحاج	-,٣٨	,٩	-,٢٨	,٤١	,٠١
الانخراط فى المحاجة	٥,٤	١,٥	١,٥	٣,٧	,٠٠	إدراك الكفاءة للمحاجة	-٨,٨	,٣٠	-,٢٠	,٢١	٠,٠	الانخراط فى المحاجة	غير مدرج				
إدراك الكفاءة الحجاجية	-,٦٠	,٢٢	-,٢٤	-٢,٧	,٠٧	الاستخدام الحكيم للمحاجة	-٥,٤	,٢٣	-,١٦	-٢,٢	,٢	إدراك الكفاءة الحجاجية	غير مدرج				
الاستخدام الحكيم للمحاجة	غير مدرج					التصورات حول المحاجة	غير مدرج					الاستخدام الحكيم للمحاجة	غير مدرج				
المشاعر نحو المحاجة	غير مدرج					المشاعر نحو المحاجة	غير مدرج					المشاعر نحو المحاجة	غير مدرج				
التصورات حول المحاجة	غير مدرج					التصورات حول المحاجة	غير مدرج					التصورات حول المحاجة	غير مدرج				

تشير نتائج الجدول السابق رقم (٥) إلى أنه فيما يتصل بـ :

– **العينة الكلية** فإن أكثر المكونات الفرعية للاتجاه نحو المحاجة تنبؤًا بالعدوان الكلى بدرجة دالة هى على التوالى : تصورات الفرد حول المحاج (–٢٣، ٠)، يليها مدى الانخراط فى أنشطة حجاجية (١٩، ٠) ثم إدراك الفرد لكفاءته الحجاجية (١٤، ٠) وحين نمعن النظر فى دلالة هذه النتائج سنجد أن العدوان ينحدر، سلباً على تصورات الفرد حول الطرف الآخر فى المحاجة أى أنه كلما تبنى الفرد تصورات سلبية حول المحاج سيميل إلى أن يكون عدوانيا أثناء الحجاج معه، والعكس صحيح، وهو تصور منطقى فمن يكره شيئا سيتصرف حياله بطريقة تتسق مع هذا الشعور. بيد أن هذا قد يكون صحيحا على المستوى المعرفى التصورى أما على المستوى السلوكى الواقعى فإن العدوان قد انحدر إيجابا بدرجة دالة على الانخراط فى المحاجة، بمعنى أن الإكثار من الاشتراك فى المحاجة مع الآخرين قد يؤدى فى حد ذاته ويكون مناسبة مهيئة لمناخ يتفجر فيه العدوان (*)، وتتسق تلك النتيجة مع نتيجة سابقة توصل إليها الباحث فى بحث أجراه حول أبعاد سلوك المحاجة تبين فيه أن أكثر العوامل التى تتشبع عليها سلوك المحاجة لدى العينة الكلية هو عامل الهيمنة الحجاجية، والذى تتخذ فيه المحاجة طابعا هجوميا تفنيديا لحجج الآخر ينطوى على محاولة استثارته، وتشتيته، وإنهاكه، والتشكيك فيما يقوله، وكشف تناقضه وهى سلوكيات من شأنها تهيئة مناخ مشجع على تحول المحاجة إلى نزاع وصراع (شوقى وشحاته، ١٩٩٨)، وفى المقابل انحدر العدوان سلبا على إدراك الكفاءة الحجاجية وهو ما يشير إلى أنه كلما أدرك الفرد أن لديه مهارات حجاجية مرتفعة انخفض ميله للعدوان، لأنه – ببساطة – ليس فى حاجة إليه لبلوغ مقصده. أما المكونات الثلاثة الأخرى للاتجاه نحو المحاجة والتى تتمثل فى تصورات الفرد نحو المحاجة، ومشاعره حولها، والاستخدام الحكيم للمحاجة فلم تشكل منبئات دالة

(*) فالمحاجة، كما ذكرت إحدى الطالبات، «تثير الكثير من المشاكل، فالمجادلون يحاولون فرض آرائهم على الآخرين».

بالعـدوان، لذا لم تدرج فى تحليل الانحـدار. وحـين حـاولنا الكشف عن الدور المنبئ للمكونات النوعية للاتجاه نحو المحاجة بالعدوان لدى كل من الذكور والإناث تبين أنه:

- **فيما يتصل بالذكور** : كان أكثر المتغيرات أهميـة وقدرة تنبئية بالعـدوان الانخراط فى أنشطة حـجاجية (٠،٢٤)، ثم إدراك الكفاءة الحجاجية (-٠،٢٠) ثم الاستخدام الحكيم للمحـاجـة (-٠،١٦)، وهو مـا يعنى أن الانخـراط فى أنشطة حـجـاجيـة لدى الذكور مبنئ قوى بسلوكهم وميولهم العدوانية أى أن المحاجة لديهم يمكن أن تتحول إلى سياق عدائى، فى حين أن إدراك الفرد - الذكر - أن لديه مهارات حجاجية كافية يترتب عليه انخفاض ميله للعدوان، وكذلك يؤدى استخدامه الحكيم للمحاجة إلى تقليل سلوكه العدوانى على المستوى المضمر واللفظى والمادى أيضـا. أمـا المكونات الثـلاثة الأخرى والتى تتمثل فى التصورات حـول المحاج، والمحـاجة، والشعور نحو المحاجة فلم تدرج فى عمليات تحليل الانحدار التدريجى نظرا لانخفاض قدرتها التنبئية به.

- **أما بالنسبة للإناث** : فقد كان لمكون التصورات حـول المحاج فقط قدرة تنبئية دالة بالعـدوان (-٠،٢٨)، أى أن الجـانب المعـرفى الذى يتـمـثل فى تبنى الإناث تصـورات سلبيـة منفـرة حول المشتـركين فى عمليات المحـاجـة يولد لديهن ميـولا عدوانية نحوهم. أما المكونات الخمسـة الباقية فلم تدرج فى عملية تحليل الانحدار نظرا لقدرتها التنبئية المنخفضة بالعدوان.

الخلاصات والدلالات والأطروحات المستقبلية:

عقب استعراض ومناقشة أبرز ما توصلنا إليه من نتائج عبر هذه الدراسة نجد لزامـا علينا التـوقف لإلقـاء نظرة ذات طابع شـمـولى تكاملى لاستخـلاص الدلالات، والامتدادات الإمبيـريقيـة، والآفاق المستـقبليـة، والتى يفتـرض أن تمثلها النقاط التالية :

١ - **طبيعة الاتجاه نحو المحاجة فى الثقافة** : كشفت النتائج عن وجود اتجاه عام نحو المحاجة لدى أفراد العينة، وهم من الطلاب الجامعيين، يتسم بالتقبل النسبى لها

حيث وافقت نسبة كبيرة من أفراد العينة الكلية على أن المحاج ذو تفكير منظم ولديه قدرة على التعبير عن أفكاره بدقة، وأن الممارسة المستمرة للمحاجة تنمى ذكاء الفرد وتوسع مداركه، وتجعل تفكيره أكثر وضوحا وتنظيما، وأنه يحترم الآخرين وحريتهم فى التعبير عن آرائهم (*)، وأنهم يشاهدون البرامج التى تتضمن حوارات ومناقشات بين الآخرين حول قضايا خلافية، ويدخلون فى مناقشات حجاجية مع أفراد أسرهم، ولكن عند اللزوم ودونما الهجوم على شخوص الآخرين. واتساقا مع تلك التصورات الإيجابية حول المحاجة رفضت نسبة كبيرة منهم الموافقة على أن المحاجة تتسبب فى فقدان الأصدقاء، وأن المشاركين فيها لا يصلون إلى شىء مفيد حول ما يتحاجون حوله، وأن المحاجين الماهرين يستخدمون مهاراتهم الحجاجية فى خداع الآخرين وإهدار حقوقهم، وأن لديهم معلومات محدودة وغير دقيقة حول ما يتحاجون بصدده. وهو ما يتسق عموما، مع طبيعة الدرجة العامة للاتجاه نحو المحاجة لدى أفراد العينة الكلية، والتى تشير إلى وجود توجه يتسم بالإيجابية والتقبل النسبى للمحاجة بوصفها وسيلة فعالة للتواصل الإنسانى.

ويبدو أن هذا التوجه يشيع فى ثقافات أخرى أيضا، فعلى سبيل المثال يشير "رانسر وزملاؤه" من واقع دراساتهم على أفراد المجتمع الأمريكى إلى أن المبحوثين (طلاب جامعيون عادة) ينظرون إلى المحاجة بوصفها نشاطا إنسانيا مهما، وأنها تساعد على اتخاذ القرار، وحل الصراعات، وأخذ منظور الآخرين فى الاعتبار، وتعمل على زيادة التعلم، وتحسين التحصيل الدراسى والإنجاز البحثى (Rancer etal , 1985)، وأنها تنمى التفكير الناقد، والمهارات الاتصالية، وتمكن الأفراد من مناقشة وحصر الأفكار اللاعقلانية، وتدريبهم على عرض مواقفهم والدفاع عنها، وأن المرتفعين عليها لديهم عقلية مستقلة، وهى سمة محبذة فى الثقافة الأمريكية، وتحظى بالاحترام فى الثقافة الغربية بوجه عام (colbert, 1993). إلا أن هذا لايمنع

(*) «لأن كل إنسان له حرية شخصية فى تبنى ما يريد من آراء ولا داعى لمجادلته فيها». هذا ما جاء على لسان إحدى الطالبات.

من أن البعض ينظر لها، فى تلك الثقافة أيضا، نظرة سلبية، فهى - كما يشير " ماكجوف " Mgough - قد تشجع على العدوانية، ومن شأن الاستخدام المفرط غير الحكيم لها من قبل الفرد أن يكون انطباعا لدى الآخرين عنه بأنه يسعى للهيمنة عليهم (*) مما ينفرهم منه (ibid)، أو أنه مشاكس ومثير للمشاكل ومفسد للعلاقات الشخصية (infant & rancer, 1982)، وهو ما يحدو بالعديد من الأفراد كما يقول " واجنسباش وهنسلى " Waggenspach & Hensly إلى تفضيل الشخص الأقل محاجة وخاصة فى المواقف غير الصراعية، ومواقف العلاقات الشخصية (Roach, 1995)، وكذلك فإنه فى بعض الثقافات الشرق آسيوية، كاليابان، فمن سوء الأدب أن تخبر شخصا ما أن فكرته خاطئة، أى تجادله، لأن أفضل وسيلة للتخلص من الفكرة هو تجاهلها، لأن الهجوم عليها يجعلها أكثر رسوخا (دى بونو، ١٩٩٦، ٢٧ - ٤٢).

٢ - **محددات الاتجاه** : تعرضنا فى هذه الدراسة إلى دور بعض المتغيرات النفسية والديموجرافية فى تشكيل مستوى الاتجاه نحو المحاجة، وقد تبين أن أكثرها بروزا فى التأثير على الاتجاه نحو المحاجة التخصص الدراسى، والتوكيد، حيث كان طلاب الكليات العملية أكثر تقبلا للمحاجة مقارنة بطلاب الكليات النظرية، وقد يعزى هذا إلى أن طبيعة محتوى المقررات الدراسية لدى الفئة الأولى والتى تعد - بلغة التحليل العاملى - مشبعة على عامل الاستدلال الاستقرائى والاستنباطى، وهى عناصر مهمة فى عمليات المحاجة مما يجعلهم على ألفة بها، كذلك فإن من شأن تعرضهم لتلك العمليات الاستدلالية وممارستهم لها بصورة متواصلة من خلال تلك المقررات أن يقوى المهارات الاستدلالية الحجاجية لديهم، وهو ما يشجعهم على تبنى اتجاه إيجابى نحو المحاجة فيما بعد لأن من يشعر بأن لديه كفاءة حجاجية يميل إلى تبنى اتجاه إيجابى نحو المحاجة، والانخراط فيها مثلما أن من يشعر بأن مهاراته

(*) ذكرت إحدى الطالبات أن من لديه قدرة مرتفعة على المحاجة يسعى إلى فرض رأيه سواء كان صحيحا أم خاطئًا. وقال أحد الطلاب «أنا أحب الاشتراك فى المحاجة لأثبت صحة رأيى الذى أعتقد أنه صائب دائما».

الحجاجية منخفضة يتبنى اتجاها سلبيا نحو المحاجة لأن الاشتراك فيها قد يعنى عجزه عن الاستمرار فيها نظرا لسهولة تفنيد الآخرين لأفكاره إبانها، وهو ما قد يهدد مفهومه الجيد عن ذاته. وتبين أيضا أن **توكيد الذات له** أهمية ملحوظة فى تكوين الاتجاه نحو المحاجة، وهو أمر لا يستغرب، فعلى حد قول " جيمس بالدوين " لا يمكن أن تغير شيئا إلا إذا واجهته (باترسون، ١٩٩٩، ٢٤)، والمحاجة تتطلب فى المقام الأول القدرة على مواجهة الآخر والتعبير عن مدى تقبل أو الاختلاف معه فى الرأى، وعدم الانصياع لما يقول وطلب استفسارات منه، وطرح أسئلة عليه، وهى مهارات توكيدية يصعب على منخفضى التوكيد ممارستها، ومن ثم سيصبح من المتوقع أن يتبنى منخفضو التوكيد فى هذه الحالة اتجاها سلبيا نحو المحاجة، لأنهم لا يمتلكون المهارات الكافية لبدئها أو الاستمرار فيها، ومما يدعم ما نذهب إليه من تصورات أننا حين حسبنا مقدار معاملات الارتباط بين التوكيد والاتجاه نحو المحاجة فى العينة الكلية وفى كل من عينة الذكور وعينة الإناث، بلغت على التوالى (٠,٣٢، ٠,٣٠، ٠,٣٣) وهى معاملات دالة عند مستوى (٠,٠١) مما يعنى أن مرتفعى التوكيد يميلون لتبنى اتجاهات إيجابية نحو المحاجة، وحرى بالذكر أن هذه النتيجة تتسق مع ما كان متوقعا فى ضوء الأطر النظرية التى قام عليها مقياس الاتجاه نحو المحاجة مما يقدم مؤشرا لصدقه التكوينى، وتبين أيضا أن العائد الفعلى للمحاجة من بين العوامل الوثيقة الصلة بالاتجاه نحو المحاجة فحين يكون إيجابيا يميل الفرد لتبنى اتجاه محبذ نحو المحاجة. ولكن قبيل الانتقال إلى النقطة التالية فإننا بحاجة إلى دراسات لاحقة أكثر عمقا لفهم النتائج الخاصة بعدم وجود آثار دالة لكل من النوع والثقافة الفرعية والدين فى الاتجاه نحو المحاجة.

٣- **العلاقة بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان** : كشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة سلبية دالة بين الاتجاه نحو المحاجة والعدوان، وهو ما كان متوقعا ويعكس اتفاقا مع العديد من نتائج الدراسات السابقة فى هذا المضمار مما يقدم دليلا إضافيا للصدق التكوينى لمقياس الاتجاه نحو المحاجة بشكل خاص، ونتائج الدراسة بشكل

عام، وتنطوى هذه النتيجة على أنه كلما ارتفع الاتجاه نحو المحاجة وأصبح إيجابيا انخفض الميل للعدوان، والعكس صحيح أيضا، ويشير « كولبرت » فى هذا الصدد إلى أن العدوان اللفظى واليدنى علامة على نقص المهارات الاجتماعية بشكل عام، ومهارات المحاجة بشكل خاص (colbert , 1993: Bijttebier & Wertonner, 1998)، أى أنه يمكن النظر للمحاجة كبديل للعدوان بوصفهما وسيلتان للتعبير عن الذات وحمايتها فمن يتمكن من الدفاع عن آرائه وتفنيد آراء الآخرين لن يكون بحاجة للعدوان، وبالتالى سيتبنى اتجاها إيجابيا نحو المحاجة التى تساعده على حل خلافاته مع الآخرين (*)، ومما يتسق مع هذا التصور ما أشار إليه « تيديشى وسميث » من أنه إذا لم يستطع الفرد أن يقنع الطرف الآخر ويحثه على الإذعان لرغباته فهناك قوى أخرى يمكن استخدامها من بينها التهديد والعقاب والقسر. أى العدوان (Tedeschi & Smith , 1974; Tedeschi etal , 1989, 243)، وكشفت نتائج الدراسة عن أن أكثر المكونات الفرعية للاتجاه نحو المحاجة تنبؤا بالعدوان فى العينة الكلية تمثلت فى تصورات الفرد حول الطرف الآخر فى المحاجة بحيث إنها إذا كانت ذات طبيعة سلبية فإن هذا مؤشر لميله لأن يكون عدوانيا معه، وكذلك متغير إدراك كفاءته الحجاجية حيث إن من يعتقد أن لديه مهارات حجاجية مرتفعة لن يميل للتصرف بطريقة عدوانية أثناء المحاجة، ويلاحظ أنها متغيرات ذات طبيعة معرفية، فى حين تبين أن الانخراط فى المحاجة كان منبئا مهما بالعدوان، ولكن فى وجهة أخرى ذلك أنه كلما زاد معدل الانخراط فى المحاجة كان هذا مؤشرا لاحتمالات اندلاع ممارسات عدوانية إبانها، وقد كان هذا الوضع بارزا لدى الذكور، مقارنة بالإناث، وأن هذه العوامل تأثيرها أكبر من تصوراتهم الذاتية وتوجهاتهم حول المحاجة، أما الإناث فلقد كان المكون المعرفى فى الاتجاه نحو المحاجة (تصوراتهن حول المحاج) ذا قدرة تنبئية أعلى بميلهن للعدوان وليس العوامل الموقفية كما فى حالة الذكور.

(*) إنها تحل لى الكثير من مشاكلى، لذا فإنى أحبها، أى المحاجة. هذا ما قاله أحد الطلاب الجامعيين.

٤- **النوع والاتجاه نحو المحاجة** : أشارت نتائج تحليل التباين إلى أن النوع لم يمارس، بصورة عامة، تأثيرا دالا على الاتجاه نحو المحاجة، وهو ما يتسق مع، ويعد صدقا تبادليا لدراسة سابقة أجريناها حول طبيعة البناء العاملي لسلوك المحاجة، ومدى تشابه عوامل المحاجة لدى كل من الذكور والإناث، حيث تبين أن معامل التشابه بين العوامل الرئيسية لدى كل منهما كبير بدرجة دالة، وأنهم يستخدمون استراتيجيات حجاجية متشابهة بغض النظر عن نوعهم (شوقى وشحاته، ١٩٩٨)، ومن ثم يمكن القول إنه ما دام سلوكهم الحجاجى متشابها، وبما أن هناك درجة من الاتساق، عادة، بين الاتجاه نحو المحاجة والسلوك الحجاجى، إذن فلا غرابة فى ألا نجد فروقا بينهما فى الاتجاه نحو المحاجة، وهو ما حدث بالفعل، وخاصة أننا نتعامل مع شريحة من المتعلمين ذوى مستويات الذكاء المتجانسة مما يقلل من احتمالات اختلاف أساليبهم العقلية فى الحجاج أو الاتجاه نحوه، ويشير « وينبرج » فى هذا الصدد إلى أن ارتفاع تعليم المرأة يجعلها أكثر نجاحا فى محاولات التوفيق وحل الخلافات مع المحيطين بها، زوجها مثلا، ومن المفترض أن تلك المحاولات تعتمد إلى حد ما، على مهارات المحاجة، وتستلزم الدخول فى مناقشات حجاجية (Wineberg, 1994).

٥- **دور الاتجاه نحو المحاجة** فى عمليات التدريب على تنمية مهارات المحاجة. من المعترف به أن المحاجة إحدى الوسائل السلمية لحل الخلاف مع الاخرين، ومن هنا فهى بديل مشروع وفعال للعنف، وبما أن الاتجاه الإيجابى نحو المحاجة يشجع الفرد على الانخراط فى أنشطة حجاجية، وحيث إن المحاجة يمكن تنميتها من خلال برامج تدريبية معينة (*)، لذا فإن من بين المداخل المطروحة لزيادة فعالية تلك

(*) هناك برامج عديدة تساعد على تنمية المهارات الحجاجية منها :

1 - Infant's inventional system, 1988 النسق الاكتشافى لإنفنت

2 - Wilson & Arnold's topical system of invention & cognitive نسق ويلسون

- وأرنولد للاكتشاف والمعرفة.

3 - Training in interpersonal conflict. 1983. التدريب على حل الصراعات الشخصية

4 - Boston violence prevntion project. (Rancer etal ; 1997) مشروع بوسطن الوقائى ضد العنف

البرامج تغيير الاتجاه نحو المحاجة نحو الوجهة الإيجابية حتى يقبل الأفراد على الانخراط فيها والاستفادة منها، وتقدم نتائج دراسة أجراها «كوسبرج ورانسر» (Kosberg & Rancer) دعما إمبيريقيا لذلك الاستنتاج حيث تبين لهما أن من بين الأساليب المعاونة على تنمية مهارات المحاجة، التأثير على زيادة دافعية وميل الفرد للمحاجة، ومن ثم فنحن فى حاجة قبيل البدء فى برامج تنمية مهارات المحاجة إلى تحديد مستوى سمة الميل للمحاجة والمعتقدات المرتبطة بها لدى المتدربين والتى تقلل من احتمال استعدادهم للدخول فى عمليات حجاجية (Rancer etal , 1992)، وفى المقابل فإن التحاق الأفراد ببرامج تنمية مهارات المحاجة من شأنه أن يزيد من اتجاهاتهم الإيجابية نحو المحاجة، ومما يتسق مع ذلك الطرح أن « ميتيس وزملائه » Metis etal وجدوا فى دراسة أجروها على طلاب أن من تعرضوا لجرعة معرفية كافية حول أساليب التفاوض، والتى تتطلب القيام بالعديد من الأنشطة الحجاجية، تغير اتجاههم إيجابيا نحو استخدامها حيث كانوا قبل التدريب يميلون إلى استخدام القوة فى الصراعات أو التنازل عن حقوقهم (Johnson et al , 1997)، وتوصل « جونسون وجونسون » Johnson & Johnson إلى نتيجة مشابهة على مجموعة أخرى من الطلاب (Stevahn et al , 1997).

مستقبليات:

هناك مجموعة من القضايا التى أثارتها الدراسة الحالية يؤمل تناولها مستقبلا على نحو أكثر توسعا قوامها :

• **الوقوف على** طبيعة عمليات التنشئة الحجاجية داخل المؤسسات المجتمعية المتنوعة كالأسرة أو المؤسسات والمنظمات التى يعرف عن أفرادها تمكنهم من المهارات الحجاجية عبر حياتهم المهنية الممتدة كما فى حالة المؤسسات القانونية (رجال القضاء، والنيابة والمحاماة) والمنظمات النقابية (الزعماء النقابيين) حتى نقف على طبيعة الممارسات السائدة فيها والتى تهدف، وتؤدى، إلى تنمية المهارات الحجاجية لدى أفرادها فضلا عن حثهم على تبنى اتجاهات إيجابية نحو المحاجة،

ومن ثم نوظف تلك المعلومات فى بناء برامج لتغيير الاتجاهات السلبية للأفراد نحو المحاجة، فضلا عن تنمية مهاراتهم الحجاجية.

• **الاتجاه نحو المحاجة** والعلاقات الحميمة : يجب علينا أن نبحث فى هذا الإطار عن إجابة السؤال التالى : إلى أى حد يؤدى تباين اتجاهات طرفى العلاقات الحميمة، كالصداقة والزواج، نحو المحاجة إلى تحديد طبيعة تلك العلاقة، ومعدل التناغم أو الصراع داخلها ؟ وفى محاولة لطرح هاديات معينة على الإجابة عن هذا السؤال يشير « رانسر وزملاؤه » إلى أنه إذا كان الزوج يعتقد أن المحاجة وسيلة فعالة لحل الخلاف، فى حين تعتقد الزوجة عكس ذلك، فإن هذا قد يساعدنا على فهم بعض أسس الصراع بينهما بصورة أفضل (Rancer etal , 1985)، ومن هذا المنطلق فإننا بحاجة إلى دراسة مدى التوافق الاتجاهى نحو المحاجة بين أطراف العلاقات الحميمة حتى يؤدى فهمنا للعوامل المسهمة فى نشأة الخلافات بينهما إلى تخطيط أساليب إرشادية للتغلب عليها.

• **هناك بعض النقاط** التى لم تتمكن الدراسة الحالية من تناولها بالقدر المطلوب من العمق، والتفصيل، والضبط أيضا، من قبيل إدراج ورصد تأثير بعض المتغيرات المعرفية على الاتجاه نحو المحاجة مثل التعقد المعرفى، والحوار الذاتى، والمهارات الاستدلالية والناقدة، والتعصب، وأحادية الرؤية، كذلك دور التعرض المكثف للمحاجة، ومعدل الانخراط فيها، وخصال الطرف الآخر. ويشعر الباحث أننا بحاجة أيضا إلى الكشف عن طبيعة الاتجاه نحو المحاجة لدى ذوى المستويات التعليمية والمهنية المنخفضة، وتصوراتهم حول فعاليتها، ومن المحبذ كذلك التناول الأكثر عمقا لتأثير كل من ديانة الفرد ومستوى تدينه، ووعيه الدينى على الاتجاه نحو المحاجة حتى نفهم دور تلك المتغيرات الجوهرية بمستوياتها المختلفة فى تشكيل طبيعة ذلك الاتجاه. وأخيرا فإنه كما يقول « كلايتون » فإن الحكمة هى القدرة على فهم الطبيعة البشرية (hoppe etal , 1998)، ومن ثم فإننا نأمل أن نكون قد حاولنا الاقتراب قليلا من فهم تلك الظاهرة، وأن نكون وضعنا لبنة فى صرح الاقتراب من تلك الغاية.

★ ★ ★

قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا- المراجع العربية:

- إبراهيم ، عبد الله سليمان؛ وعبد الحميد ، محمد نبيل (١٩٩٤) ، العدوانية وعلاقتها بموضع الضبط وتقدير الذات لدى عينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، **علم النفس** ، ٣٠ ، ٣٨ - ٥٧ .
- باتريسون ، جيمس ، ترجمة مترجمين بمؤسسة جرير (١٩٩٩) . **كيف تصبح مفاوضا ناجحا** ، الرياض : مكتبة جرير .
- جريشة ، على (١٩٨٩) **أدب الحوار والمناظرة** ، المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر .
- حسين ، محيى الدين أحمد؛ وشوقى ، ميرفت أحمد؛ وشرف الدين ، عائشة السيد (١٩٨٣) السلوك العدوانى ومظاهره لدى الفتيات الجامعيات . حسين ، محيى الدين أحمد ، **دراسات فى شخصية المرأة المصرية** ، القاهرة : دار المعارف ، ٧٩ - ١٢١ .
- دى بونو ، إدوارد ، ترجمة : فاطمة السنوسى (١٩٩٦) **الصراعات وأفضل السبل لحلها** ، أبو ظبى: منشورات المجتمع الثقافى .
- شوقى ، طريف (١٩٩٨) **توكيد الذات، مدخل لتنمية الكفاءة الشخصية** ، القاهرة: دار غريب .
- شوقى ، طريف؛ شحاته ، عبد المنعم (١٩٩٨) أبعاد سلوك المحاجة دراسة عاملية، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة المنيا** ، أكتوبر ، ٥٤ - ١٢٦ .
- العلوانى ، طه جابر (١٩٨٧) **أدب الاختلاف فى الإسلام** (ط٣) ، القاهرة : المعهد العالمى للفكر الإسلامى .
- هريدى ، عادل محمد؛ ورضوان ، شعبان جاب الله (١٩٩٨) ، أحادية الرؤية وعلاقتها بالعدوانية ، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة المنيا** ، يوليو ، ٨١ - ١٥٥ .

ثانيا - المراجع الأجنبية :

- Abelson, R. P (1988) conviction , ***American psychologist***. April, 43, 4, 267 - 275 .
- Baggaley , A. R. (1981) Multivariate analysis. ***The personnel and guidance journal*** , June, 619 - 622 .
- Bijttebier, P. & vertommen, H. (1998) coping with peer arguments in school Age children with bully / victim problems. ***British journal of Educational psychology***, 68 , 387 - 394 .
- Bond, R & smith , p. B (1996) culture and conformity : a meta analysis of studies using Asch's (19526, 1956) line judgment task . ***psychological Bulletin*** , 119 , 1, 111 - 137 .
- Colbert , K. R (1993) the effects of debate participant on argumentativeness and verbal aggression . ***communication*** , 42, july , 206 - 214 .
- Douglas, M. s & Mueser , K. T (1990) Teaching conflict resolution skills to the chronically metnally ill . ***Behavior modefication***, 14, 4, october, 519 - 547 .
- Feshbach, s (1990) psychology , human violence, and the search for peace : issues in science and social Values . ***journal of social Issues*** , 46 , 1, 183 - 198 .
- Gabrielides , C.; stephan, W. G; ubarra, O; pearson, V, M, & villareal , L (1997) preferred styles of conflict resolution : Mexico and the united stated . ***journal of cross - cultural psychology*** , 28, 6, November, 661 - 677 .
- goodman , D. S; goodman , P, F. & Roy , W. E. (1991) ***Teaching reasoning skills in schools and homes*** . illinois : charles thomas publish .
- Hoppe , F, G; winer, E. & Brownell, H (1998) The getting of wisdom : theory of mind in old age. ***developmental psychology*** , 34, 2, 358 - 362.
- Horowitz, S. v. ; Boardman , S, K. & Redlenes , I (1994) constructive conflict management and coping in homeless children and adolescents . ***journal of social issues***, 50 , 1, 89 - 98 .
- Infant, D. A . & Rancer, A. S, (1982) A conceptualization and measure of argumentativeness . ***jounal of personality assessment***, 46, 72,- 80 .
- Johnson, D, W; johnson, R; Sudley , B; Mitchell, j, & Fredrickson, j (1997) The impact of conflict resolution training on middle school students . ***The journal of social psychlology*** , 137 (1) , 11 - 21 .
- Lore, R, K, & schultz, K, A (1993) control of human aggression : a comparative perspective. ***American psychologist journal*** 48 , 1, 16 - 25
- Ma, R (1996) Saying "yes" for "no" and "no" for "yes" : chinese rule . ***journal of pragmatics***, 25, 257 - 266 .

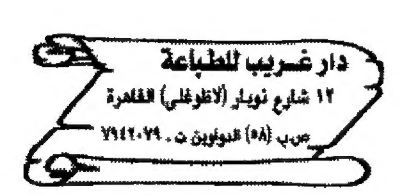
- Rancer, A. S ; Baukus , R, A . & Infants , d, A (1989) Relations between argumentativeness and belief structures about arguing . ***communication Education*** . 34, january, 37 - 47 .
- Rancer , A , S ; Kosberg, R, L, & Baukus , R, A (1992) Beliefs about arguing as predictors of trait argumentativeness : implications for training in argument and conflict management . ***commmunication Education***, 41, October , 375 - 387 .
- Rancer , A, S. ; whitecap , B. G; Kosberg, R, L . & avtgis . T. A (1997) Testing the efficacy of a communication training program to increase argumentativness and argumentative behavior in adolescents . ***commuincation Education***, 46 , october , 273 - 286 .
- Roach, K, d (1995) Teaching assistant argumentativeness : effects on affective Learning and student perception of power use . ***communication Education*** , 44 january , 15 - 29 .
- Stets, j. E (1990) verbal and physical aggression in marriage. ***journal of Marriage and the family*** , 52 , (May) , 501 - 514 .
- Stevahn , L; johnson, D, W; Johnson , R, T; gereen , K. & Laginski , A, M (1997) effects of high school students of conflict resolution training integrated into english literature . ***The journal of social psychology*** , 137 (3) , 302 - 319 .
- Straus , M. A & sweet , S (1992) verbal / symbolsc aggression in couples : Incidence rates and relationships to personal characteristics .***journal of Marriage and the family*** , 54 , (May) 346 - 357 .
- Tedeschi , j. T. & Smith , R, B (1974) reinterperetation of research on aggression. ***psychological Bulletin*** , 81 , 9, 540 - 562 .
- Tedeschi , j. T; Lindskold, S. & Rosnfeld , P (1989) ***introduction to social psychology*** . New york : west - pubishing co .
- Wineberg , H (1994) Marital reconciliation in the united states : which couples are successful . ***journal of Marriage and the family*** , 56 (Febraury) : 80 - 88 .





المؤلف فى سطور

- ولد فى الأول من يناير عام ١٩٥٨ بمدينة القاهرة.
- تخرج من قسم علم النفس بجامعة القاهرة عام ١٩٧٩ ، وحصل على درجة الدكتوراه من نفس القسم عام ١٩٨٨ .
- ألف منفردا وبالاشتراك الكتب الآتية:
  - ★ السلوك القيادى وفعالية الإدارة.
  - ★ توكيد الذات كمدخل لتنمية الكفاءة الشخصية.
  - ★ علم النفس ومشكلات الصناعة.
  - ★ علم النفس الاجتماعى: أسسه ومبادئه.
- كتب التقرير النهائى للبحوث التالية التى أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية:
  - ★ الآثار النفسية للعقوبات سالبة الحرية.
  - ★ العنف فى الأسرة المصرية.
- أجرى بحوثا فى المجالات الآتية:
  - ★ المهارات الاجتماعية.
  - ★ المهارات الاتصالية.
  - ★ التدريب والتنمية الذاتية للقادة.
  - ★ التخفف من الأسى.
- شارك فى العديد من دورات تدريب وتنمية القيادات الإدارية بجهات متعددة.
- شارك فى دورة بحوث الجريمة المنعقدة فى مركز الأمم المتحدة لبحوث الجريمة بروما عام ١٩٩٢ .
- اشترك فى إعداد معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بالمركز الإقليمى للتوثيق فى العلوم الاجتماعية.
- حصل على جائزة البحث العلمى لجامعة القاهرة عام ١٩٩٤ .
- أشرف على وناقش العديد من رسائل الماجستير فى علم النفس.
- عضو لجنة علم النفس بالمجلس الأعلى للثقافة.
- أعير للعمل بقسم علم النفس بجامعة الملك سعود بالرياض من عام ١٩٩٤ - ٢٠٠١ .
- يعمل حاليا رئيسا لقسم علم النفس ووكيلا لكلية آداب بنى سويف - جامعة القاهرة لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة.


دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلي) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت. ٧٩٤٢٠٧٩

المهارات الاجتماعية والاتصالية

هذا الكتاب

يتضمن مجموعة من البحوث النفسية التى أجريت فى إطار علم النفس الاجتماعى وبوجه خاص فى مجال المهارات الاجتماعية والاتصالية، وتتمثل أهمية تلك المهارات فى أنها تمكن الفرد من التعبير عن ذاته بوضوح، والتواصل الفعال مع الآخرين، والفحص العقلانى لأفكارهم للاستفادة منها فى حالة صوابها أو تجنبها فى حالة عدم منطقيتها. فضلا عن أنها تسمح للفرد بأن يحافظ على استقلاليته حيال محاولات الآخرين فرض توجهاتهم عليه على نحو يحفظ له هويته من جهة، ولا يُصعّد الأمور ويُعجل بانهاء العلاقة معهم من الجهة الأخرى. وتهدف هذه البحوث فى حالة تدبر نتائجها من قبل الفرد إلى مساعدته على توظيف مكتشفات علم النفس وقوانينه لتحسين نوعية حياته ومساعدته على التخفف من معاناته، والتغلب على مشكلاته أو تحجيمها إلى الحد الأدنى على الأقل.

